

ديوان القطامى

تأليف : عمير بن شييم التغلبى

(ت : ١٠١هـ)

دراسة وتحقيق

د. محمود الربيعى





الهيئة المصرية
العامة للكتاب

ديوان القطامى

عمير بن شييم التغلبى

المتوفى سنة ١٠١هـ

تحقيق ودراسة

محمود الربيعى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠١



الهيئة المصرية العامة للكتاب

إدارة التراث

رئيس مجلس الإدارة

د . سمير سرحان

مدير إدارة التراث ورئيس التحرير

سعيد عبد الفتاح

مدير التحرير :

أيمن حمدى

سكرتير التحرير :

أميمة على أحمد

الغلاف

جمال قطب

إهداء :

إلى روح محمود شاكر

مقدمة :

منذ كنت طالبا فى دار العلوم أولعت فيما أولعت بقراءة الشعر القديم، ولفت نظرى إلى جانب شعراء الصف الأول شعراء من الصف الثانى والثالث إلا أنهم مع ذلك يمثلون جوانب هامة من عصرهم قد لا تتوفر لشعراء الصف الأول، وكان من هؤلاء القطامى عمير بن شييم التغلبى، ولقد وقف هذا الشاعر نفسه وفنه على القبيلة وعاش لها فكان شعره وثيقة خطيرة للحياة القبلية فى العصر الأموى، لم نعثر على مثلها فى شعر الفحول من أمثال الأخطل والفرزدق وجرير، فعقدت العزم على أن أدرس شعر هذا الشاعر؛ لأنه على أهميته لم يظفر ببحث كامل فى العربية من قبل، وبينما أنا أراجع الديوان المطبوع فى أوربا لفت نظرى أنه فى حاجة إلى مزيد من الخدمة العلمية؛ فتعليقاته غير مجدية للقارئ العربى؛ لأنها باللغة الألمانية، ونصوصه وشروحه لاتخلو من الأخطاء، وهو غير مزود بالفهارس، وعلاوة على ذلك فإننى وجدت أشعاراً للقطامى فى كتب الأدب المطبوعة والمخطوطة لم أجدها فى الديوان، فصح عزمى على أن أعيد تحقيق النص كتكملة ضرورية للبحث، ثم اقتضت دراسة الشعر دراسة الشاعر والعصر من نواحيه المختلفة: سياسية واجتماعية وأدبية، فكان البحث فى صورته النهائية مكونا من ثلاثة أقسام رئيسية: القسم الأول للعصر وحياة الشاعر، والقسم الثانى لتحقيق النص، والقسم

الثالث لدراسة الشعر، وقد عانيت فى القسم الأول من غموض سيرة القطامى ما عانيت؛ لأن الرجل مقل من ناحية وغير مشهور من ناحية أخرى فلم يحظ إلا بكلمات هنا وكلمات هناك فى الكتب القديمة، ولم يكن أسعد حظا لدى الباحثين المحدثين، وعانيت فى القسم الثانى من استحضار النسخة المخطوطة من ديوانه فى جامعة «توبنجن»، وعانيت فى القسم الثالث من جفاف موضوعات شعره - حيث استفرغ جهده كما قلت فى الشعر القبلى - ومن وعورة فهمه نسبيا إذا قيس بشاعر من شعراء الغزل مثلا، ولكننى كنت أعتقد أن هذه المعاناة لازمة للبحث العلمى، فلم أنزعج ومضيت أفتش فى بطون الكتب عن سيرته، وأواصل اتصالاتى بألمانيا، وأروض نفسى على فهم شعره حتى اجتمع لى قدر صالح من أخباره، ووصلتنى النسخة المخطوطة، وأخذت فكرة واضحة عن إنتاجه فمضيت فى البحث دون تردد.

وقد حرصت فى بحثى على أن أفرق بين المصدر والمرجع فلم آخذ حقيقة تاريخية أو علمية إلا عن مصدرها الأصيل، وساعدتنى المراجع فى تأكيد النتائج التى وصلت إليها، وتعليل بعض الحوادث المحتاجة إلى تعليل، ولا أرى ضرورة لذكر هذه المصادر والمراجع الآن فلها كلها مكان خاص، وفى قسم التحقيق حرصت جهدى على أن تكون مراجعى التى أوثق منها الشعر أو أضيف منها إلى الأصول أمهات بقدر الإمكان، وقد كثرت المخطوطات فى هذا القسم؛ لأننى كنت أجد فيها أحيانا طلبتى على نحو أوضح.

وأنا مـغـتـبط؛ لأننى وفقت إلى اختـيـار مـوضـوع فى الأدب القـديم، وبذلك أعتبر نفسى قد أتيت البيوت من أبوابها، وقد قال شوقى:

وإذا فـاتـك التـفـات إلـى المـا (م) ضى فقد غاب عنك وجه التأسى

وأود أن أوجـه شكرى إلى عصام عيد فهمى أبو غـربيـة المدرس المساعد بكلية دار العلوم على ما بذل من جهد فى قراءة تجارب هذا الكتاب.

محمود الربيعى

تمهيد :

تطور الشعر العربى حتى عصر القطامى :

قبل الإسلام بفترة وجيزة قد لا تزيد على قرنين واجهنا التراث الشعرى العربى تام الأدوات مكتمل الإمكانيات، وليس من المعقول أنه وجد على هذا النحو مرة واحدة، وإنما المعقول ـ حسب معلوماتنا عن تاريخ الفنون كلها ـ أنه مر بأطوار عدة ينهض فيها ويكبو حتى كان فى تلك الفترة بالصفة التى وجدناه عليها، و «النمو الطبيعى للقصيدة العربية أوزانها وموضوعاتها، واللغة ونحوها وأساليبها وإيجازها يستدعى أن يكون مرت قبل زمن امرئ القيس بأطوار كثيرة، وتعثرت تعثرات جمة حتى اكتمل لها هذا الشكل الذى نجدها عليه فى شعر امرئ القيس ومن سبقه أو جاء بعده»(١).

والحق أن هذا الشعر وصل إلينا فى قمة من الكمال الموضوعى والفنى، ويكفى أنه من الناحية الموضوعية قد مثل الحياة التى كان انعكاسا لها تمثيلا تاما، وأعطانا صورة واضحة الملامح عنها حتى لكأننا حين نقرأه نطوى القرون فنعيش فى البادية إبان القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ويكفى أنه ـ من الناحية الفنية ـ كان المثال الذى لم يستطع الشعر العربى فى عصوره المختلفة ـ رغم التطورات الهائلة التى طرأ ت على نفسية الشاعر وعقليته ـ أن يفلت من أسره جملة، أو أن يتطور به تطورا كبيرا يبعده عن المعالم الكبرى التى امتاز بها.

لقد كانت الحياة الجاهلية طبيعة ممتدة فيها الشمس الضاحية، وفيها السيل الهادر، وفيها الحيوانات الراتعة، وكانت إلى جانب هذا حافلة بالغارات والحزازات القبلية والحروب التى استعرت نارها أياما طوالا، وكانت تقوم على الغيرة المجنونة على المرأة مما جعلها عزيزة المنال ورسم لها صورة رفيعة فى خيال الشعراء، وقد وجدنا كل ذلك واضحا للعين والنفس فيما وصلنا من الشعر الجاهلى، فالذى يقرأ شعر امرئ القيس أو طرفة يرى الطبيعة الحية والصامتة من صحراء ونباتات وغدران، ومن ليل ونهار، ومن حيوانات كانت عماد الحياة ـ آنذاك ـ أعنى بها الخيل والإبل ـ، والذى يقرأ شعر مهلهل أو عمرو ابن كلثوم أو النابغة أو زهير يأخذ صورة واضحة عن الحياة القبلية الجاهلية وما جرت على أهلها من الوبال، ويرى كذلك موقف الشعراء من تلك الحروب من بين متحمس لها غارق فيها إلى أذنيه كالمهلهل وابن كلثوم، ومن بين معتدل يبذل النصح لأهله ويمدهم بتجاربه كالنابغة؛ ومن بين مشيد بالمصلحين الاجتماعيين الذين يعملون على حقن الدماء كزهير. أما المرأة فصورتها واضحة فى كل الشعر الجاهلى، فليست افتتاحيات القصائد بالغزل مجرد تقليد لا دلالة له تبع فيه الآخر الأول، وإنما هى تعبير عن الارتباط العميق بين الشاعر والمرأة، فعاطفته تتجه أول ما تتجه إليها، وحديثها يفجر نفسه ويخصبها ويريحها ويجعلها متهيئة للإنتاج الفنى، ولقد اختلف موقف الشعراء من المرأة فنظر بعضهم إليها على أنها لهو ومتعة فكان غزله بها جسديا كامرئ القيس، وبعضهم نظر إليها نظرة أسمى فكان غزله بها أقرب إلى العذرية التى تبلورت فيما بعد، وأصدق مثال على هذا النوع غزليات عنترة.

وبهذه الجوانب وغيرها مثل الشعر العربى الحياة تمثيلا صادقا. على أن هناك نوعا من الشعر ينبغى ألا يفوتنا ذكره فى هذا المجال وهو شعر الفتوة المسمى بشعر الصعاليك. كان هؤلاء الناس فى ضيق مادى، وكانوا فى الوقت

نفسه كبار النفوس فتعبت أجسامهم فى مرادها. واعتمدوا فى معيشتهم على شجاعتهم وجرأتهم وخفة أجسامهم وشدة عدوهم وروحهم الاشتراكية الأصيلة، وأنتجوا شعرا مثل حياتهم وما فيها من تشرد واغتراب ، وخروج على القوانين ، وتمرد نفسى حاد.

لقد كان الشعر الجاهلى مرآة للحياة والمجتمع، ولم يستخدم استخداما رخيصا إلا فى الفترات المتأخرة على عهد النابغة والأعشى.

أما الخصائص الفنية لهذا الشعر فيمكن أن نجملها فى كلمات قليلة فنقول: إن أهم ما يتميز به هذا الشعر قرب المعانى ووضوحها وعدم المبالغة فيها، وإذا كانت البيئة العربية بيئة واضحة غير معقدة فمن المنتظر أن ينطبع ذلك على شعرائها فلا يعمدون إلى المعانى الغائمة أو المتشابكة. والخيال فى هذا الشعر تكونه عناصر بسيطة كالتشبيه والاستعارة والكناية، وهو إذا عمد إلى رسم صورة خيالية لا يكاد يخرج عن استخدام هذه العناصر فلا يجنح بها إلى مجال الصورة المركبة التى يتعاون على إبرازها أكثر من عنصر، ويضاف إليها من الظلال والأصباغ ما يجعلها تبعد فى شكلها النهائى عن العناصر المكونة لها، وهو يعتمد فى وصفه وتشبيهه علىّ الناحية المادية المحسوسة ولا يكاد يتجاوزها إلى المعقولات. وأساليب هذا الشعر أساليب مطبوعة تمتاز بالانطلاق والتدفق، وقد تغمض فى بعض مفرداتها كما فى الجزء الذى يصف به طرفة ناقتة فى معلقته المشهورة، وكما نجد فى معلقة لبيد. على أن الشعر الجاهلى يمكن أن نقسمه من هذه الناحية قسمين: قسم أبدعه أصحابه دون تكلف أو جهد، وانساب من قرائحهم انسياب الجدول الهادئ من النبع العميق، وهؤلاء يمثلون معظم الشعراء الجاهليين، وقسم سلط عليه أصحابه حالتهم العقلية الواعية بعد مرحلة الإبداع فحذفوا منه وأضافوا إليه ونقحوه وجعلوا أنفسهم

عبيدا له .أولئك هم زهير والنابغة والأعشى وأمثالهم. وتتنوع الموضوعات فى القصيدة الجاهلية فتجمع أكثر من غرض، فنرى فيها الغزل إلى جانب الوصف إلى جانب الشعر القبلى، وهى تبدأ بالغزل أو وصف الديار، ثم يصف الشاعر راحلته ويعقد لها بعض الصور التى تدل على نشاطها وسرعتها، ثم يمضى بعد ذلك فى غرضه من وصف الحياة الخاصة أو الحرب أو الاعتذار أو المديح، وليس هناك قدر محدد لكل قسم، وإن كان الملاحظ أن المقدمة تطغى على الغرض الأصيل فى كثير من الأحيان فلا تترك له سوى القليل. ومن المهم هنا أن نشير إلى أن شعر الصعاليك قد اختلف فى إطاره الفنى عن بقية الشعر الجاهلى فاتسم بصفات خاصة من أهمها أنه مقطوعات لا قصائد طويلة وأنه ذو وحدة فنية(٢).

كان هذا حال الشعر فى العصر الجاهلى حتى إذا جاء الإسلام ضعف، قال الأصمعى: «الشعر نكد بابه الشر، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره»(٣) «وكتب عمر إلى عامله أن سل لبيدا والأغلب ما أحدثا من الشعر فى الإسلام، فقال الأغلب:

أرجزا سألت أم قصيدا فقد سألت هينا موجودا

وقال لبيد: لقد أبدلنى الله بالشعرسورة البقرة وآل عمران، فزاد عمر فى عطائه »(٤)

هذه حقيقة لا نمارى فيها، ولكننا سنحاول تعمق أسباب ضعف الشعر وفتور الأدب عموما إبان العصر الإسلامى.

ما الذى أضعف الأدب والشعر فى تلك الفترة؟ أهو القرآن كما قال لبيد؟ وذلك أن العرب وجدوا أنفسهم تجاه أدب رفيع تتقاصر عنه خيالات الشعراء وألسنة الخطباء، فعقدت الدهشة ألسنتهم، واكتفوا فى هذا المجال بذلك النص

الفريد، وأقبلوا عليه ينهلون منه ويشبعون به عالمهم الحقيقي والخيالي؟ أم أن العرب قد شغلتهم الأحداث الكبيرة التي واجهوها بعد أن نيطت بهم أعظم رسالة، وانغمروا في تحقيق أهدافها من الجهاد والفتح، وغفلوا عن أجواء الشعر وخيالاته كما قال عمر - رضي الله عنه -: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر» ؟(٥) أم أنهم قد وجدوا في القرآن ذم الشعر والشعراء والحملة القاسية عليهم، قال تعالى: «والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون» وقال تعالى «وما علمناه الشعر وما ينبغي له» وقال «وما هو بقول شاعر» ولذلك انصرفوا عن قول الشعر؛ لأنه شيء مذموم لا يليق بالمؤمنين؟ هنا نتردد قليلاً؛ فما كان القرآن ليذم مبدأ الشعر ويحمل على مطلق الشعراء والرسول الكريم هو القائل: «إن من الشعر لحكمة» وهو الذي يستزيد الخنساء الشاعرة وهي تنشد مراثيها، وهو الذي يتأثر لبنت النضر بعد أن أنشدته قصيدتها الشهيرة عقب مقتل أبيها ويعلن أسفه لمقتله(٦).

وما كان القرآن ليذم الشعر والشعراء على إطلاقهم ثم يأتي عمر ليقول ما معناه: إنه لا بأس بأن يقدم الرجل الأبيات بين يدي حاجته، ويقول عثمان وقد سئل عن مال الوالي يقدم هبة على الشعر: «لحم طير زكي»(٧).

ويقول عمر أيضاً في نصيحته للآباء بالنسبة لأبنائهم: « رووهم ما يجمل من الشعر»(٨).

وأخيرا ما كان القرآن ليذم الشعر كله وهو خلجة النفس المكروبة ونفثة العاطفة الشريفة ونتاج الخيال الجميل، وما كان القرآن ليذم الشاعر وهو عابد في محراب الطبيعة يرصد آيات الجلال والجمال، ويقرب من خالقه وتنداح

عن عـينيـه سـحب المادية الكثـيـفـة، وهو مـصـور يرسم لوحـات تـخـالط النفس الطاهرة فتقرب بها من الفضيلة والنبل، وهو ثائر تطيح كلماته بعروش الجبابرة حين تعجز السيوف والرماح، وهو حكيم يلخص تجارب الزمن ويرسم النماذج للبطولة الحـقـيـقـيـة. والسؤال المنتظر بعـد ذلك لماذا إذن هـاجم القرآن الشعـر والشاعر؟ وجواب هذا السؤال لا يحتاج إلى جهد كبير وحسبنا أن نعرض النص الآتى لنقف أمامه ونحلله وسنخرج بالجواب الشافى: «كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب؛ لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم، ويخوف من كثرة عددهم، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر... ولقد وضع الشعر من قدر النابغة الذبيانى، ولو كان فى الزمن الأول مازاده إلا رفعة»(٩).

ونحن إذا حاولنا تفهم هذا النص سنخرج بحقيقتين: الأولى: أن الشعر كان أولا يتناول المعانى الهامة ويسهم فى المشكلات ويضرب فى الحياة بسهم وافر، ومن ثم كان ديوان العرب، والثانية: أنه انحدر فيما بعد إلى درك غير مشرف، وتخلى عن رسالته الكبرى فى توجيه الناس والحياة، وتهتك وتبذل، وصار وسيلة لكسب العيش الرخيص، يبيح للإنسان أن يتملق ويستجدى وينهش الأعراض ويتهدد الآمنين والشرفاء.

جاء الإسلام والشعر يحيا هذه الحياة الثانية، ويرى الناس منه ذلك الوجه المظلم، فماذا ننتظر من الإسلام وهو دين الهداية والمثالية؟ لا ننتظر منه إلا أن يهاجمه. لكن هل مهاجمته له تعنى مهاجمته للشعر جملة وللشعراء أجمعين؟ الأقرب للعقل أن القرآن حين يهاجم الشعر إنما يهاجم هذا اللون

الماثل الذى يعيش مع الناس ويجرى عليه الشعراء، يهاجم واقع الشعر فى نكسته التى عرضنا لها، يهاجم هذا اللون الموجود الذى يخالف كل معنى شريف. ومعنى هذا أن القرآن لا يهاجم ذلك اللون لأنه شعر، وإنما يهاجمه لأنه هوان وانحدار كما هاجم كل ألوان الهوان والانحدار التى كان يحيا فيها العرب. وإذن فلو كان الشعر حين نزول القرآن يواجه الحياة بصفحته الناصعة لما هاجمه القرآن، ولما صح فى الذهن أن يحمل عليه؛ لأن القرآن يشجع كل معنى شريف نافع بدليل أنه أبقى من عادات العرب وتقاليدهم الأمور التى لا تتنافى مع الحياة الصحيحة. ومما يساعدنا على أن الشعر كان يواجه الناس من قبل بوجه كريم قول عمر السابق: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه».

ولقد كان من المنتظر أن يحدث الإسلام انقلابا فى الأدب وكان من المنتظر أن ينهض الأدب فوق نهضته ؛لأنه طعم بتغيير مهم فى الحياة، ولكن ذلك لم يحدث بل حدث العكس، وصمت الشعراء أو فتروا، وقد استعرضنا الأسباب التى يمكن أن تكون وراء هذا الصمت، كما كان من المنتظر أن نرى العنصر الإسلامى يسرى فى نتاج هذه الفترة ويطبعه بطابعه، ولكنا لم نجد ذلك «فتأثير الإسلام فى شعر الأعراب ظل ضعيفا فى هذه الفترة جميعها التى يطلق عليها اسم فترة المخضرمين»(١٠).

«والشعراء لم يتطوروا بشعرهم على هدى الإسلام فى هذا العصر الأول من عصوره إلا تطورا محدودا وكأنما عاقتهم الصورة القديمة التى ألفوها فى صناعة الشعر فظلوا ينظمون بنفس الطريقة التى كانوا ينظمون بها فى الجاهلية إلا قليلا جدا وفى أبيات يسيرة من قصائدهم»(١١).

وقد استمر الحال على ذلك حتى جاءت الدولة الأموية فأحدثت تغييرات جوهرية فى نوع الحكم ،ورجعت بالحياة إلى طبيعتها الجاهلية، أو إلى قريب من ذلك، وحينئذ نهض الأدب والشعر من جديد، وسنفصل هذه العوامل التى نشطت الشعر والأدب فى كلامنا على الحياة الأدبية فى عصر القطامى.

الهوامش :

(١) تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى (نجيب البهبيتى ص ٥ ط دار الكتب).
(٢) للتوسع فى هذه الصفات راجع «الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى - يوسف خليف - المعارف».
(٣) الشعر والشعراء ١٠٤ (التجارية).
(٤) طبقات فحول الشعراء لابن سلام (شاكر) ١١٣.
(٥) المرجع السابق ٢٢.
(٦) القصة والقصيدة فى البيان والتبيين (هارون) ٤ : ٤٤.
(٧) العمدة (محيى الدين) ١ : ٦٧.
(٨) كامل المبرد ١ : ١٥٥ (التجارية).
(٩) البيان والتبيين (هارون) ١ : ٢٤١.
(١٠) التطور والتجديد ط ثانية (المعارف) ٢١.
(١١) المرجع السابق ٢٣.

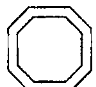
الباب الأول

عصر القطامي وحياته

الفصل الأول

عصر القطامى





(أ) الحياة السياسية :

استولى معاوية بن أبى سفيان على الحكم بعد حرب دامية بينه وبين على بن أبى طالب ليس هنا مجال تفصيلها. وكان واضحا منذ اللحظة الأولى أنه يريدها ملكا عضوضا فيه وفى بيته، بل إن التاريخ يخبرنا أنه كان متهيئا لذلك قبل هذا الزمن، ولا ندرى إن كان الاتجاه الى الحكم الملكى شيئا فى صميم شخصية معاوية وتركيبه النفسى أم أن ذلك شيء قد استفاده بمجاورته لملوك الروم؛ إذ كان واليا على الشام المتاخمة لهم منذ عهد بعيد، فقد رآه عمر ابن الخطاب «عند قدومه إلى الشام فى أبهة الملك وزيه من العديد والعدة فاستنكر ذلك وقال: أكسروية يا معاوية؟ فقال: يا أمير المؤمنين أنا فى ثغر تجاه العدو، وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة»(١)

وإذن فقد كان معاوية يعد نفسه للملك وزيه وهو أمير صغير، ومن الطبيعى أن يلتمس معاوية لذلك شتى المعاذير؛ لأن الملك شيء غريب على أذهان المسلمين فى ذلك العهد، وإنما فى ذهنهم الخلافة المتواضعة التى تعيد لهم سيرة الرسول وأصحابه الراشدين. وهكذا نراه يلتمس العذر لنفسه حين سأله عمر، ويلتمسه مرة أخرى من جانب آخر حين يقول: «لازلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله: يا معاوية إذا ملكت فأحسن»(٢). فنحن نراه هنا يلتمس لملكه تبريرا شرعيا.

ولقـد كـان مـعـاوية ملكا لا فى أسلوب حكمه فـحسب، وإنما فى مظاهر هذا الملك ورسومـه، فالأشياء التى ابتدعها، مـهما التمس لها الناس من أسباب، فإن السبب الذى نتكلم عنه، وهو ملاحظة المظاهر الملكية مرعى فيها؛ «فمعاوية أول من خطب جالسايوم الجمعة»(٣) وقد يقول المؤرخون: إن ذلك كان لأن معاوية كثر لحمه وشحمه، ولكنا نقول إنه بجانب ذلك لأن الخطيب وهو جالس قد يكون له من الجـلال والمهابة مـا يليق بصـفات الملك، ومـعـاوية، «أول من اتخذ الحرس،.... وأول من اتخذ ديوان الخاتم»(٤).

ومرة أخرى نقول: إن فى هذه المستحدثات روح الملك ومراسيمه، وذلك مـهما حاول المؤرخـون تعليلها بأن اتخـاذ الحرس كـان خـوفا من الاغتيـال، وأن اتخـاذ الخـاتم مـسبب بمحـاولة تزوير فى عطاء أعطاه بعض الناس، ويبنى معاوية القصور التى تليق بملك، ويعترف اعترافا صريحا فيقول: «أنا أول الملوك»(٥) ويقول له أصحابه : «إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك فنريد أن تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك، فقال: علامة ذلك أن أقول إذا شئتم »(٦)، ومازالت هذه مراسيم الملوك يقف الملك فيكون ذلك أمارة انتهاء المقابلة.

ولقد كان معاوية يدرك بوضوح مهمته كإنسان يريد توطيد أقدامه وأقدام من بعده، وكـان من الحصافة والتجريب بدرجة أنه لم يستعمل العسف والجور كـمبـدأ؛ لأن نفوس الناس لذلك العصـر كـانت مـاتزال عـامـرة بنخـوة العـرب واعتزازهم، فسلك طريقا عجيبا فى معاملة النـاس، واتصف بصفات يذكرها له التـاريخ كنمـوذج رائع للحـاكم المحنك، وجمـاع هذه الصـفـات سعة الصـدر، والشدة فى غيـر عنف، واللين فى غيـر ضعف، ونـحن نسوق بـعض المواقف التى تجلت فيها هذه الصفات، يقول معاوية: «إنى لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى، ولو أن بينى وبين الناس شعرة

ما انقطعت أبدا فقيل له: وكيف ذلك، فقال : كنت إذا مدوها أرخيتها وإذا أرخوها مددتها»(٧)، وفى هذا المعنى يقول له عمرو بن العاص: «والله ما أدرى يا أمير المؤمنين أشجاع أنت أم جبان؟ فقال معاوية:

شجاع إذا ما أمكنتنى فرصة وإن لم تكن لى فرصة فجبان»(٨)

ونرى أثر صفاته تلك فى معاملته للناس معاملة عجيبة، فربما مَنَّ وهو المغيظ المحنق، وربما عفا فى موقف لاينتظر منه فيه إلا الانتقام، وليس ذلك لصفة عفو صافية مطلقة فى نفسه ، وإنما هى السياسة التى تملى مثل هذا الموقف إملاء التصرفات التى تريد أن يدل بها صاحبها على أنه يمتاز عن الشخص العادى الذى يتصرف بناء على الانعكاس المباشر، ومن ثم يثبت نفسه كشخص ممتاز يليق بالحكم فى نظر الناس، يقول له ابن الزبير: «والله لو يشاء حسن أن يضربك بمائة ألف سيف لضربك، والله لأهل العراق أرأم له من أم الحوار لحوارها، فقال معاوية: أردت أن تغرينى به، والله لأصلن رحمه، ولأقبلن عليه»(٩)، ويقول له رجل: إن عقيبة الأسدى هجاك فقال:

معاوى إننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد

....

ذروا جورالخلافة واستقيموا وتأمير الأراذل والعبيد

قال: فما منعك يا أمير المؤمنين أن ترسل إليه من يضرب عنقه؟ قال: أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: نجتمع أنا وأنت فنرفع أيدينا إلى السماء، وندعو عليه»(١٠).

أما حادثة تشبيب عبدالرحمن بن حسان برملة، ومناقشة يزيد لأبيه، ورد أبيه، فإننا نكتفى بالإشارة إلى مرجعها؛ لأنها مشهورة(١١).

وليس معنى ذلك أنه كان واسع الصدر على طول الخط، وهنا نضع أيدينا على نقطة الخطورة فيه وعلى سر نفسه. لقد كان يعفو إذ الأمور هينة، وإذ الأخطاء فردية سطحية لا تؤثر فى كيان ملكه، ولا تهز سرير الحكم تحته، أما حين يمس ذلك ولو من بعيد فهو منتقم جبار، وهو يعمل على تثبيت الحكم ـ الشىء الهام فى نظره ـ بشتى السبل، فهو يدرك أن ملكه لا يستقر إذا جرى الصفاء والوئام بين الناس، ومن ثم يتجه إلى العصبية القبلية فيثير التنافس بين الأحياء، ويقدم هذا اليوم على حساب الغضب على أخيه، ويفعل فى الغد عكس ما فعله بالأمس، فنراه يتزوج كلبية، وهذا يعنى أن «كلبا» ستستعلى على بقية القبائل؛ لأن الحاكم أصهر إليها، ومن هنا تندلع الشرارة الملعونة، وتثور حمية الجاهلية(١٢).

ولم يقتصر الأمر على إثارة العصبيات والمفاخرات بين القبائل، بل لقد «امتدت المفاخرة إلى داخل البيت الأموى نفسه فرأينا معاوية يفاخره مروان ابن الحكم»(١٣).

ذلك جانب من أسلوبه فى توطيد حكمه، وجانب آخر: لقد «كان يستعمل مروان بن الحكم على المدينة سنة ويستعمل سعيد بن العاص سنة»(١٤)، ولا يخفى ما فى هذا الأسلوب من قلق، ومن طريقة تسلب الأمير التفكير فى أن يوطن لنفسه، خصوصا وأن هذين الأميرين من بيت الحكم، وربما تشوفت نفوسهم إليه، إذ ما الفرق بينهم وبين معاوية؛ فالكل أمويون.

يقول «بروكلمان»: «لقد استطاع معاوية بعطاياه ومواهبه السخية أن يكتسب خصومه السابقين من الهاشميين، أما أنسباؤه الأمويون فقد عاملهم فى حذر متبصر حكيم خشية أن يصبحوا خطرا عليه أو على ابنه»(١٥).

ومن ناحية ثالثة نراه يتخذ لنفسه ولاة أشداء على العراق حصن الخوارج، ومركز الخطر الرئيسى على دولته: «فاختار رجلين كلاهما قد عرف بالسياسة وحسن الرأى، وهما: زياد بن سمية والمغيرة بن شعبة»(١٦).

بل إننا نراه يعمد فى سبيل إقرار ملكه وتوطيده بناس أشداء إلى شيء غريب هو إلحاق نسب زياد بن سمية بأبيه أبى سفيان(١٧).

ولقد ثبت هؤلاء العمال الدهاة ملك معاوية، ولم تحدث ثورات من الخوارج لها خطر، فقد كان زياد على وجه الخصوص ومن بعده ابنه عبيد الله أشداء على الخوارج؛ ففى تاريخ الطبرى أن عبيد الله اشتد فى سنة ثمان وخمسين على الخوارج فقتل منهم صبرا جماعة وفى الحرب جماعة أخرى(١٨).

وحين أحس معاوية أن هناك خطرا يتهدد ملكه بثورة حجر بن عدى، وهى ثورة شيعية، لم يتردد فى قتله، ضاربا صفحا عما خلفه قتل حجر ـ ومعاوية لا شك يعلم ذلك ـ من روح استياء عامة بين المسلمين(١٩).

إذن فقد كان الملك ـ توطيده والمحافظة عليه ـ حجر الأساس فى سياسة معاوية، يبسط من نفسه ومن ماله ما شاء له الملك، ويفعل من الأوليات ـ كالحرس والخاتم والبريد ـ ما يحقق مظاهر الملك، وإن عاد ذلك ببعض الخير على المسلمين فهو خير ثانوى ـ قد يريده معاوية ويحبه للمسلمين، ولكنه ليس الهدف الرئيسى، ويضرب للناس أمثلة العفو والسماح، ولكنه يتخذ من أساليب صون ملكه ما أشرنا إليه، ومن ثم اتسمت الحالة فى عهده بالهدوء الذى يكاد يكون كاملا، إذا استحضرنا ما سنتحدث عنه فى عهد خلفائه. وأخيرا نرى معاوية يتوج الأدلة على اتجاهه الملكى بالبيعة ليزيد كسابقة أولى فى الإسلام، ولسنا الآن فى موقف الدفاع عن صنع معاوية كما فعل ابن

خلدون[٢٠] كما أننا لسنا فى موقف المنتقد له على هذا الصنيع، وإنما نسجل أنه سن البيعة للأبناء، ولننظر ما تأتى به الأيام فى عهد يزيد ومن بعد يزيد. ولقد تربع معاوية على الحكم مدة طويلة حيث حكم من سنة ٤١ إلى سنة ٦٠ هـ [٢١].

وتولى يزيد بعد أن وطد له أبوه أركان الملك طورا بتأليف القلوب له، وطورا بتحريض الشعراء والخطباء من صنائعه على الإشادة به، وأخيرا بالسيف والقهر وفرض بيعته على المخالفين فرضا، وبعد موت معاوية كان لابد للمرجل الذى يغلى من أن يتنفس، وقد تنفس فى مظهرين طبعا عهد يزيد بالقلق ولونا وجهه بالدماء؛ أما المظهر الأول فقد كان خروج الحسين على يزيد وتركه الحجاز إلى الكوفة ثم محاصرته وقتله، ونحن حريصون على ألا نطيل بذكر تفصيلات ذلك الخروج، وهل هو خطأ أو صواب؟ والنصائح التى وجهت إلى الحسين من أن أهل العراق هم الذين خذلوا أباه بالأمس، ومن أن قلوب الناس معه وسيوفهم مع بنى أمية، وسواء أكان الحسين يتمتع بعقلية حربية كيسة واجتهد فأخطأ فهزم، أم أن العاطفة ـ عاطفته وعاطفة أنصاره ـ هى التى دفعته دفعا إلى ذلك المصير، فقد كان قتله والصورة البشعة التى تم بها ، جرحا ما يزال ينغر فى قلوب كثير من المسلمين حتى اليوم[٢٢].

وأما المظهر الثانى؛ فهو ثورة عبد الله بن الزبير، وابن الزبير صحابى جليل وابن صحابى جليل، كان ورعا تقيا من ناحية، وكان يستشعر قدره ومكانته من ناحية أخرى، وكان سياسيا استطاع أن يستصفى معظم الدولة الإسلامية لنفسه فى بعض الأحيان. ثار هذا الصحابى، وأعلن رفض بيعة يزيد، واستقل بالحجاز أولا وبويع له فيه، وكانت استجابة الناس له قوية ومخلصة، يقول أبو الفرج: «وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالأه على ذلك أكثر الناس... وقال آخر:

خلعته كما خلعت نعلى، وقال آخر: خلعته كما خلعت ثوبى، وقال آخر: خلعته كما قد خلعت خفى، حتى كثرت العمائم والنعال والخفاف»(٢٣). وكان طبيعيا أن يزداد الضغط على الأمويين فى هذه المنطقة فأخرجوا منها، ولم يتردد يزيد فى إرسال جيش يحاصر ابن الزبير فى مكة(٢٤)، ولكن ابن الزبير لم يكن هينا إلى الدرجة التى يقضى عليه فيها من أول جولة فمات يزيد والجيش الأموى رابض فى الحجاز بعد انتهاك حرمة الأرض المقدسة بوقعة «الحرة».

هل نتعجل فنقول إن التجربة التى أقدم عليها معاوية بحصر الملك فى بنيه لم تنجح، وإن كرسى الحكم يهتز؛ لأن يزيد لم يملأ الفراغ الذى خلفه أبوه أو ننتظر قليلا؟ مهما يكن فيزيد لا يقارن ـ كشخصية سياسية ـ بمعاوية اللهم إلا فى جانب واحد هو الرغبة فى المحافظة على ملكه بأى شكل من الأشكال. لقد نهض لذلك أشد نهوض وأقساه فرأيناه يقضى على الحسين قضاء رهيبا وإن سفك عليه ـ بعد موته ـ دموع الندم!! ورأيناه لا يتوانى فى أن يرسل جيشا جرارا إلى ابن الزبير ليقضى على ثورته قبل أن تستفحل، فهو من هذه الناحية لم يكن لين الجانب، ومن هنا لم يتزلزل ملكه، ولم يكن فى الجو إلى حين موته ما يدل على أنه فى خطر، فالخوارج مناوشاتهم عادية، والحسين قتيل وأتباعه فى صمت، وابن الزبير محاصر.

أما الجانب الخطير الذى اختلفت فيه شخصيته عن شخصية أبيه؛ فهو جانب التصرفات الشخصية أو جانب أسلوب العيش، لقد عاش يزيد بأسلوب لا يليق بسياسى يريد أن تخضع له رقاب الناس، وكان هذا الأسلوب هو الحجة القوية التى هاجمه بها الثائرون عليه، وكانت حجة نفاذة إلى قلوب المسلمين: يزيد فاسق. يقول المسعودى: «وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب»(٢٥).

ويقول: «وفى أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهى، وأظهر الناس شرب الشراب»(٢٦).

وهذا شىء طبيعى، فالناس على دين ملوكهم، وحسبك بهذه الحالة داء يمض القلوب المؤمنة. ومرة أخرى يقول المسعودى: «وليزيد... أخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمور، وقتل ابن الرسول، ولعن الوصى، وهدم البيت وإحراقه، وسفك الدماء، والفسق والفجور، وغير ذلك»(٢٧)، وما نريد أن نظلمه، ولكنا لا نريد أيضا أن نظلم الحقيقة فنقول إن ربيب الملك والنعمة لا يبعد أن ينحرف فى تصرفاته إلى هذا النحو الذى لا يليق.

ولقد كرر يزيد ما صنعه أبوه معه فعهد إلى ابنه معاوية! ترى أوصاه معاوية بذلك؟ ولكن معاوية الثانى كان أهزل من أن يصمد للتيار فاعتزل الحكم تاركا الأمويين فى أزمة عرضت ملكهم لعواصف شديدة، وكاد يفلت منهم الزمام كما سيتضح من الجولة التالية. غير أننا لا نريد أن نترك يزيد قبل أن نذكر له بعض النواحى التى تشرف الحاكم. يقول «بروكلمان»: «صحيح أنه انصرف حتى فى عهد خلافته إلى الخمر والموسيقى واللهو بأكثر مما انصرف إلى شئون الدولة، وأنه قد وضع حد ا للحرب البيزنطية التى لم يشارك فيها وهو أمير إلا فى تردد وعلى كره، ولكنه مع ذلك استطاع أن يحدث خلال حكمه القصير ـ وفى شكل لا يخلو من البراعة ـ إصلاحا فى الإدارة الحالية، وأن يوجه اهتمامه إلى رى الغوطة واحة دمشق»(٢٨).

يجب ألا يمر حدث تنازل معاوية الثانى عن الحكم كشىء بسيط، فإذا استحضرنا أن هناك ثورة على الحكم الأموى توطن لنفسها فى الحجاز، وتمتد إلى ما وراءه عرفنا كم هو خطير تنازل الحاكم الأموى. لقد كاد الزمام يفلت نهائيا من الأمويين على إثر هذا التنازل، بل لقد وصلت الزلزلة إلى قلب كبير

الأمويين مروان بن الحكم فهم بأن يسير إلى ابن الزبير ويبايعه لما رأى من إطباق الناس عليه[٢٩] «فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشام، وقال له: إنك شيخ عبد مناف فلا تعجل»[٣٠] فتحامل مروان على نفسه وخاض المعركة، ولقد كانت معركة تعتمد فى أصلها على العصبية القبلية، والتقت هذه القبائل فى «مرج راهط» وكان الضحاك بن قيس الفهرى على رأس الداعين لابن الزبير وقد «كتب إلى النعمان بن بشير وهو على حمص، وإلى زفر بن الحارث وهو على قنسرين، وإلى ناتل بن قيس وهو على فلسطين يستمدهم وكانوا على طاعة ابن الزبير فأمده النعمان بشرحبيل بن ذى الكلاع، وأمده زفر بأهل قنسرين، وأمده ناتل بأهل فلسطين فاجتمعت الأجناد إلى الضحاك بالمرج»[٣١]، ولقد كان الضحاك يعتمد على قيس كقوة كبرى يريد أن يضرب بها الأمويين، وكان مروان يعتمد على كلب القبيلة الموالية لهم من زمن، وكان حسان بن مالك بالأردن يهوى هواهم، ويدعو لهم[٣٢].

هذه الحرب القبلية دارت رحاها فى «مرج راهط» عشرين ليلة مدمرة حتى انجلت عن نتيجة نحسب أنها لم تكن فى حساب مروان حين عزم على المسير لبيعة ابن الزبير أول الأمر... لقد انتصر جند مروان، وهزمت قيس، وقتل الضحاك، وشرد جنده، وقتلوا شر قتله.

لم تكن نتيجة «مرج راهط» هى تلك النتيجة الظاهرة فحسب أعنى نصرة مروان بن الحكم، وقبض الأمويين على زمام الحكم من جديد، وإنما كانت أبعد مدى من هذا، لقد كانت نقطة انفجار للعصبية القبلية، وسببت فى المستقبل حروبا بين قيس وكلب طال مداها، كما سببت انحياز قبائل أخرى هنا وقبائل أخرى هناك مع ما استتبع ذلك من مفاخرات ومنافرات أخصبت التاريخ الأدبى، وشوهت التاريخ السياسى، وأثخنته بالجراح، ولم تنس قيس قط قتلى

المرج فقد كانت تهتف «يالثارات المرج» كلما لاحت فرصة للانتقام من كلب أو من الأمويين أنفسهم. جاء فى «نهاية الأرب»: «فلم يضحك رجال من قيس بعد يوم المرج حتى ماتوا»(٣٣).

وليست العصبية القبلية وليدة «مرج راهط» وإنما هى نبتة جاهلية لم تجتث حتى فى أزهر أيام الإسلام، لقد كانت تثور بين المسلمين فى أيام الرسول فيعظهم وينهاهم عن حمية الجاهلية حتى يثوبوا إلى الرشد باكين، ولقد كانت موجودة فى عهد معاوية ـ كما أشرنا ـ، فهى لم تنقطع يوما، ولكنها كانت فى العهد الأول يطغى عليها الإحساس الدينى الغلاب، فلما تضاءل هذا الإحساس من ناحية، وساعد عليها الحاكمون من ناحية أخرى قويت واشتدت، ولكنها منذ «مرج راهط»، جعلت الدولة تتنفس فى جو من العصبية الخالصة، فنحن نراها فى مجالس الخلفاء تناحرا وتفاخرا وتأريثا للعداوة والبغضاء، ونبشا للأضغان القديمة، ونحن نراها فى داخل البيت الحاكم نفسه فقد «كان الأمراء يفتخرون بما تحرزه القبائل من انتصارات على بعضها، كل ينتصر إلى القبيلة التى له فيها قرابة، يقول بشر بن مروان لخالد بن يزيد بن معاوية فى شجار بين نميرى وكلبى: كيف ترى خالى طرد خالك»(٣٤)، ونراها فى الحروب الجارية فى قلب الدولة تعمل وتطل برأسها دائما، فقد كان من نتيجتها فيما بعد «أن الجند الذى أرسل بقيادة عبيد الله بن زياد لحرب المختار بن عبيد الثقفى كاد يستأصل، فإن عمر بن الحباب السلمى كان على ميسرة ذلك الجيش، وهو من «قيس عيلان»، فلما قامت رحى الحرب على «نهر الخازر» كان أول من نكس لواءه، ونادى «يالثارات المرج»، وبذلك تمت الهزيمة على جند الشام»(٣٥) ونراها بين القبائل فى البوادى حروبا دائمة وأياما شهيرة، وسيتاح لنا أن نشير إلى طرف من ذلك ونحن نتحدث عن «تغلب» قبيلة

القطامى، ونراها فى كل أقاليم الدولة كما يقول الأستاذ جورجى زيدان: «وانقسم العرب فى سائر أنحاء المملكة الإسلامية بين هذين الحزبين قيسية وكلبية أو مضرية ويمنية أو نزارية وقحطانية، وقامت المنازعات بينهما فى الشام والعراق ومصر وفارس وخراسان وأفريقيا والأندلس، وفى كل بلد من هذه البلاد وغيرها حزبان مضرى ويمنى مختلف قوة أحدهما أو الآخر باختلاف الخلفاء أو الأمراء أو العمال ، فالعامل المضرى يقدم المضرية والعامل اليمنى يقدم اليمنية»[٣٦] .

ونراها تنضح بها أشعار شعراء ذلك العهد يستوى فى ذلك شعراء الطبقة الأولى وغيرهم، ومن ثم فلا بدع أن كانت العصبية القبلية مسمارا كبيرا دق فى نعش الدولة الأموية، وعاملا من عوامل التعجيل بها نحو الفناء.

يقول «بروكلمان»: (ومع أن هذا النصر فى «مرج راهط» قد ثبت دعائم الحكم الأموى فإن العداوة بين قيس وكلب ما لبثت أن استعر أوارها بعد قليل بسبب من الثارات التى لازمت النزاع بينهما لتدك أساس الدولة الأموية وتقضى عليها)[٣٧] .

تلك هى الحالة فى عهد مروان... هزة تكاد تقضى على الدولة الأموية، ثم تماسك جعلها تقف على قدميها من جديد، وعصبية قبلية ضارية تكون لحمة هذا العهد وسداه .

وينبغى ألا يفوتنا هنا أن الوليد لم يكتف فى نزعته الملكية بأن يعهد لولى عهد واحد بل إنه سن العهد الثنائى فعهد إلى عبدالملك وعبدالعزيز[٣٨]، وكانت نقطة السوء فى هذه السنة أن الخليفة كان يأتى فيحاول أن يعزل أخاه ليولى ولده أو ولديه، فقد أراد عبدالملك خلع عبدالعزيز[٣٩] لولا أن مات عبدالعزيز، وأراد الوليد خلع سليمان لولا أن مات الوليد[٤٠] .

وتولى عبدالملك بعد أبيه مروان، وقد رأينا أن مروان تركه على أول درجات سلم النجاح، ولكنه ترك له ثروة مثقلة بالديون، فليس فى يده سوى الشام ومصر أما الحجاز والعراق فقد سيطر عليهما الزبيريون: عبدالله فى الحجاز، ومصعب فى العراق، ولكن عبدالملك كان شخصية سياسية فذة فى تاريخ الأمويين وفى تاريخ الإسلام كله، عرف كيف يدبر الأمور حتى استصفى التركة من كل ديونها، وسلمت له نقية خالصة فكان عهده زاهرا حقا.

قضى على أهل بيته الطامعين كعمرو بن سعيد، وقضى على دولة الزبير، ودوخ الخوارج، وهزم الشيعة، وكان أول ما قام به أن تجهز لحرب مصعب بن الزبير، وخرج له إلى العراق، وجاءه مصعب «فالتقوا بمسكن قريب من أرض العراق... فكاتب عبدالملك رؤساء أهل العراق ممن هم بعسكر مصعب وغيرهم سرا يرغبهم ويرهبهم... فالتقى محمد بن مروان وإبراهيم بن الأشتر فقتل إبراهيم بعد أن أبلى»[٤١] ثم كان قتل مصعب بعد ذلك بقليل، وبذلك صفا العراق لعبدالملك.

لم يكن قتل مصعب بن الزبير شيئا هينا، ولكن عبدالملك كان يدرك أن كل شىء فى سبيل توطيد الملك يهون، يقول حين قتل مصعب : «واروه فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمة، ولكن هذا الملك عقيم»[٤٢].

ومن ناحية أخرى رأى أن عمر بن سعيد شوكة فى حلقه «ذكروا أن عبدالملك بن مروان بايع لنفسه بالشام فلما تمت بيعتة خالفه عمرو بن سعيد الأشدق فوعده عبد الملك أن يستخلفه من بعده»[٦].

ولكن هذا الوعد بالخلافة كان كأنه وعد بالموت، فقد استدعاه عبدالملك بعد ذلك وقتله على إثر عودته من حصار زفر بقرقيسياء وإحساسه بأنه يريد أن

ينتزع الأمر لنفسه، ومرة أخرى يدل عبدالملك على أنه يبغى الملك ولو على حساب شخصية هامة كعمرو بن سعيد(٤٤).

نتوقع أن يتجه عبدالملك بعد ذلك إلى الحجاز معقل ابن الزبير الذى كان يشكل خطرا حقيقيا على دولة عبدالملك، وقد قطع عبدالملك بقتله مصعب ذراع ابن الزبير الأيمن، ثم أحسن الاختيار حين ندب له الداهية الحجاج، والحجاج إذا ذكر ذكرت الرهبة والقسوة وسفك الدماء، وقد استطاع أن يحاصر ابن الزبير حصارا صارما، وحين تصور ابن الزبير أن العياذ بالبيت يمكن أن ينجيه لم يحسب حساب حقيقة نلح عليها وهى أن الملك العضوض يبيح لنفسه كل شىء. تصور أن الحجاج لا يمكن أن يضرب الكعبة فضربها الحجاج وهاجمه وقتل أصحابه وصلبه، ولسنا الآن بسبيل تحليل هذه الثورة وبيان موقف ابن الزبير وأمه ونتائج ثورته، ولكنا بسبيل بيان شىء أسرع من ذلك هو أن الحجاج قد صفى الأمر فى الحجاز لعبدالملك على ما يشتهى، ولن نترك شخصية الحجاج تحيط بها الظنون وتأخذ جانبها الدموى الذى تبدى هنا والذى سيتبدى فيما بعد بصورة أوسع حين يولى العراق، ويكفى أن نعرض رأيا طريفا فى شخصية الحجاج مؤملين أن يلقى ضوءا كافيا عليها:

«وهناك ناحية... متناقضة فى ظاهرها هى جمع الحجاج فى شخصيته بين القسوة والفتك وإراقة الدماء من جهة، وبين التدين والوعظ وقراءة القرآن والاقتباس منه من جهة أخرى... إن الرجل كان ذا شخصيتين مستقلتين تحيا كل منها حياتها الخاصة، فهو إذن مثل قديم لشخصية (دكتور جيكل ومسترهايد)، والفرض الآخر أن القسوة والصلاح جدولان يمتزجان فيكونان هذه الشخصية الصاخبة، وعلى قدر إسراف الرجل فى قسوته يكون شعوره بخطيئته وتحذير الآخرين عواقب عصيانهم»(٤٥).

وإذا حقق الحجاج فى الحجاز هذا النصر الباهر فإنه يكون من حسن الاختيار ـ أيضا ـ أن يوليه عبدالملك العراق. قلنا: إن عبدالملك كان لا يتردد فى أن يأخذ على يد كل من يحاول تعكير صفو ملكه، وقد اتخذ لذلك قوما أشداء كالحجاج وابن زياد والمهلب بن أبى صفرة.

وقد ثار الشيعة فى ذلك العهد «وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يعينوه... ورأوا ألا يغسل عنهم ذلك الجرم إلا قتل من قتله أو القتل فيه»[٤٦]، وبعد أن كانت ثورتهم تبدو شديدة ضعفوا وتفرقوا حين جاءهم ابن زياد وسالت عليهم عساكر الشام كالليل ـ على حد تعبير المسعودى ـ ، وهكذا ترى عبدالملك يطفئ هذه الثورة بقوة الحديد، وفى عهد عبدالملك ثار المختار ثورته الشهيرة، وهزم فى الجولة الأولى جنود عبدالملك، وقتل عبيد الله بن زياد حين خدعه عمير بن الحباب كما أشرنا إلى ذلك، ولقد كان العراق لذلك العهد تحت إمرة ابن الزبير، وكان المختار يريد الأمر لنفسه باسم الدعوة الشيعية، وقد تمكن مصعب بن الزبير من قتله، وتفرق أصحابه ، وبعد أن خلص أمر العراق لعبدالملك إثر قتل مصعب قضى على البقية الباقية من أصحاب المختار، وانتهت هذه الثورة[٤٧].

وأما الخوارج فلهم قصة طويلة فى تاريخ الإسلام، ولكننا نواجهها الآن من خلال عهد عبدالملك، ومن المهم أن نقول إن الخوارج لم يتفقوا على أحد لا عبدالله بن الزبير ولا عبدالملك، ومن هنا رأينا مصعب بن الزبير يحاربهم بالمهلب بن أبى صفرة، وبعد عهد مصعب حاول عبدالملك أن يغير المهلب «فاستعمل خالد بن عبدالله على البصرة فلما قدمها استعمل المهلب على خراج الأهواز، وبعث أخاه عبدالعزيز بن عبدالله إلى قتال الخوارج... فانهزم بالناس»[٤٨].

وقد قام الخوارج بعد ذلك بثورة كبرى فى البحرين على يد أبى فديك، ولم يفلح الجند الكثيف الذى أرسله خالد بن عبدالله فهزمه أبو فديك، ولم تنته المعركة بقتل أبى فديك إلا بعد انتداب عشرة آلاف مع أهل الكوفة والبصرة(٤٩). أدرك عبدالملك بعد ذلك أنه لا يصلح لحرب الخوارج إلا المهلب، وهذه نظرة صائبة؛ فالمهلب يحارب الخوارج من زمن، وهو لا شك أعلم بنفسياتهم وأساليبهم الحربية وتنظيماتهم، فولاه حرب الخوارج ورد له اعتباره، وقد أمده الحجاج والى العراق بالجيوش واستطاع أن يتعقب الخوارج، وأن يقى عبدالملك شرهم، ويبعدهم عن أن يكونوا خطرا على الدولة.

وإذا ذكر الحجاج والعراق فى عهد عبدالملك فلاشك يذكر ابن الأشعث، وفى الحق أن ثورة ابن الأشعث كان من الممكن أن تكون ثورة على أمير هو الحجاج لولا أن تطورت إلى خلع عبدالملك نفسه، ولم يفلح العرض الذى عرضه عبدالملك على الثوار بخلع الحجاج عن العراق، وقد كانت ثورة دامية انتقم فيها الحجاج من أتباع ابن الأشعث ـ بموافقة عبدالملك بطبيعة الحال ـ أبشع انتقام، أما تفصيل أسباب هذه الثورة، والمراحل التى مرت بها فشىء خارج عن موضوعنا(٥٠).

ولقد اكتوى عبدالملك بنار العصبية القبلية، فقد هرب زفر بن الحارث الكلابى بعد هزيمة قبيلته قيس فى موقعة مرج راهط، وتحصن بقرقيسياء وكون عصبية ضخمة من قومه، وشغل بال عبدالملك مما جعله يخرج لحصاره، ولم يكن زفر من الهوان والضعف بحيث يستسلم من أول رمية منجنيق، فقد دام الحصار والمناوشات، وأخيرا عرض عبدالملك على زفر الأمان والصلح، واستجاب زفر، وفى الشروط التى أملاها ما يدلنا على قوة شوكته فهو يشترط «أن له الخيار فى بيعته سنة، وأن يترك حيث شاء، وألا

يعين عبدالملك على ابن الزبير»(٥١)، وحين تحدث مناوشة بين المعسكرين بعد ذلك يعود الصلح بنفس الشروط، وعلى ألا يبايع زفر عبدالملك حتى يموت ابن الزبير، وأن يعطى ما لا يقسم في أصحابه(٥٢)، وفى العصبية الناشبة بين قيس وتغلب يسير عبدالملك بسياسة الحكيم على الرغم من أن تغلب حلفاء بنى أمية من قديم، ويحاول الصلح بينهم(٥٣). ذلك هو الوجه الواضح لعهد عبدالملك صراع ثائر فى كل ناحية، وجو غائم استطاع بسياسته حينا وبطشه حينا أن يقشع منه كل السحابات، ومات وهو يقبض بشدة على زمام الأمور.

ولقد كان لعبدالملك أوليات كما كان لمعاوية أوليات، وهذا دليل على أن عبدالملك يمثل فى حكم الأمويين الموجة الثانية التى بلغت القمة بعد معاوية، ولنذكر له أولياته بخيرها وشرها، وهى تؤكد رأينا فيه كملك حريص على ملكه وهيبته، فبالإضافة إلى مسألة سك النقود يقول صاحب نهاية الأرب: «وعبدالملك أول من غدر فى الإسلام حين قتل عمرو بن سعيد، وهو أول من نقل الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء وكان الناس من قبله يراجعونهم، وهو أول من نهى عن الأمر بالمعروف فإنه قال فى خطبته بعد قتل ابن الزبير: ولا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه»(٥٤).

ويأبى عبدالملك حين تحضره الوفاة إلا أن يمج آخر مجة ملكية سياسية وهو يوصى لابنه... يقول للوليد: «إذا مت فاغسلنى وكفنى وصل علىّ، وأسلمنى إلى عمر بن عبدالعزيزيدلينى فى حفرتى، واخرج أنت إلى الناس، والبس لهم جلد نمر.. فمن مال عنك بوجهه كذا فقل له بالسيف كذا، وتنكر للصديق والقريب، واسمع للبعيد، وأوصيك بالحجاج خيرا فإنه هو الذى وطأ لكم المنابر، وكفاكم تقحم تلك الجرائم»(٥٥).

نحن الآن فى عهد الوليد نرى الثمار الحقيقية لسياسة أبيه. لقد رأينا عهد عبدالملك يفور بالخلافات فى كل صقع من أصقاع الدولة، ورأيناه ينهض لذلك، ويركز كل همه فى القضاء على الثورات الداخلية التى تهدد ملكه، وقد نجح وسلم الدولة للوليد هادئة، ولم يكن من المنتظر أن يفعل عبدالملك شيئا إيجابيا فى السياسة الخارجية، فإن له من المشاغل الداخلية ما يكفيه، ولذلك كان من حصافته أن يهادن أعداءه الخارجيين حتى لا يحارب فى جبهتين. يقول صاحب نهاية الأرب: «اجتمعت الروم، واستجاشوا على من بالشام، فصالح عبد الملك ملكهم على أن يؤدى إليه فى كل جمعة ألف دينار»[٥٦].

وما نحسب أن ذلك كان لضعف عبدالملك عن أن يرسل جيوشا إلى ملك الروم المغير، ولكنه لا يريد أن يوزع جيوشه ويستهلك قوتها، وهو يعلم ما فى أعدائه الداخليين من كثرة وعناد، فلا بأس بأن يهادن ملك الروم الآن وسيفرغ له بعد حين، وإذا كان الأجل لم يتح له هذا الفراغ فقد أوصى الوليد بأن يسير على نفس السياسة فمن هذه الزاوية يمكن أن يعد عهد الوليد «عهد الفتوحات» فتلك هى السمة الرئيسية لذلك العهد، والقارئ له يطالعه من الفتوحات ما يعيد إلى الأذهان ذكرى الفتوحات الإسلامية الأولى، بل لقد ضربت الفتوحات فى ذلك العهد إلى مدى أبعد. أربعة قواد عظام يضربون فى الأرض، كل فى جانب ويوسعون رقعة المملكة الإسلامية ، والذى يقرأ الطبرى أو نهاية الأرب أو أى موسوعة تاريخية تبهره بحق أعمال هؤلاء القواد، ولو أن المجال أمامنا يتسع لذكرنا بشىء من التفصيل تلك الفتوحات، ولكن ذلك يخرجنا عن منهجنا، فلنمر عليها عابرين.

هذا محمد بن القاسم الثقفى يفتح السند ويضرب فيها عرضا وطولا، ويجىء إلى المسلمين بخيراتها، وهذا مسلمة بن عبدالملك يلح على الروم فيحقق فيها

انتصارات رائعة بعد أن رأينا عبدالملك يؤدى لهم الفدية، وهذا قتيبة بن مسلم فى خراسان يغزو ويفتح ويحارب ويصالح، وقائد رابع هو موسى بن نصير يغزو بلادا جديدة هى الأندلس ويفتحها، ويهيئ للمسلمين فيما بعد عصرا ذهبيا طويلا فى تلك البلاد الأوربية(٥٧).

ذلك جانب مشرق من عهد الوليد لا يملك الإنسان أمامه إلا أن تأخذه الروعة والإعجاب؛ دولة مستقرة داخليا تستغل وقتها وإمكانياتها فيما يفيد. ولا شك فى أن هذا يدل على أن ربانها ماهر، وإلا فقد كان من الممكن عقليا أن تصرف الدولة همها إلى اللهو الفارغ، وتستغل هدوءها فى لغو الأعمال، ولأن الدولة مشغولة بالفتوحات العظام فإننا لا نكاد نلمح خلافات داخلية ذات خطر أو حركات تهدد كيان الدولة.

والذى يستعرض الخطوط العريضة لعهد الوليد على هذا النحو لا يفوته أن يشير إلى سمة بارزة من سمات ذلك العهد هى إصلاحات الوليد الداخلية، فلقد كان مولعا بالعمران «بنى مسجد دمشق، ومسجد المدينة، ووضع المنار»(٥٨) «وكان الوليد صاحب بناء، واتخاذ المصانع والضياع، وكان الناس يلتقون فى زمانه فإنما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع»(٥٩)، فهل نكون مبالغين إذا قلنا بعد ذلك إن الرجل يحاول أن يخلق لدى الشعب وعيا فنيا صناعيا؟ وثمة إصلاحات مؤثرة أخرى تدخل فى باب الإصلاح الاجتماعى بقدر ما تدخل فى باب الإحساس الإنسانى، فلأول مرة نطالع هذا النوع من الإصلاح فى عهد الحاكمين «حبس المجذمين عن أن يخرجوا على الناس، وأجرى عليهم أرزاقا»(٦٠)، وفى جانب آخر «أعطى كل مقعد خادما، وكل ضرير قائدا»(٦١)، ومن هذا الباب ـ أعنى باب الإصلاح ـ ما كتب به إلى عمر بن

عبدالعزيز وكان واليا له على المدينة «بتسهيل الثنايا، وحفر الآبار فى البلدان»[٦٢].

فإذا أتينا إلى الوليد لندرس شخصيته بعد ذلك وجدناه ـ فى الحفاظ على ملكه، وعلى هيبته ـ كأبيه وأسلافه، ولعله فى ذلك ينفذ وصية عبدالملك «فمن مال عنك بوجهه كذا فقل له بالسيف كذا»، ومن ذلك ما يحكيه ابن عبد ربه «جلس الوليد بن عبدالملك على المنبر يوم الجمعة حتى اصفرت الشمس، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين: إن الوقت لا ينتظرك. وإن الرب لا يعذرك، قال: صدقت، ومن قال مثل مقالتك فلا ينبغى له أن يقوم مثل مقامك، من ها هنا من أقرب الحرس يقوم إليه فيضرب عنقه؟»[٦٣]، ذلك هو الإحساس الملكى الذى لمسناه من قبل وكررناه، مجرد الإحساس بأن الهيبة فى خطر كفيل بإراقة الدماء، وليعتبر المعتبرون، ولعل هذه الناحية هى التى جعلت المسعودى يقول: «كان الوليد جبارا عنيدا ظلوما غشوما»[٦٤].

لقد أشرنا إلى عقد عبدالملك لابنيه الوليد وسليمان مقتفيا أثر أبيه. وأشرنا إلى محاولة الوليد الخروج على ذلك والعهد لابنه، ولكنه مات، وتولى سليمان.

لم ينس سليمان أن الحجاج وقتيبة بن مسلم كانا من أنصار خلعه وتولية ابن الوليد، أما الحجاج فقد مات فى عهد الوليد وبذلك قضت برودة الموت على الإحن، وأما قتيبة فنتوقع ألا تهدأ الأمور بينه وبين سليمان، وقد كان. ولم يكن موقف قتيبة فى خراسان بالموقف الضعيف، ولذلك رأيناه يقدم على أمر خطير هو خلع سليمان بعد أخذ ورد بينهما، ورأيناه يتهدد القبائل العربية المقيمة بخراسان فتطبق عليه وتخلعه وتقتله، وبذلك ينتهى أمره فى موجة من موجات العصبية القبلية[٦٥].

يعتبر هذا الحادث من الحوادث المهمة فى عهد سليمان القصير، ومن ناحية أخرى نرى المغازى مستمرة إلى الروم وفى خراسان[٦٦]، أما الحالة فيما عدا ذاك فكل شيء يسير على نحو عادى، ويذكرون لسليمان أنه كان مولعا بالزخرف فى ملبسه ومعاشه ومأكله، وذلك شيء نشير إليه إشارة عابرة لنخلص منه إلى شيء أهم وهو أن لسليمان جوانب مشرقة منها أنه كان فصيحا يعتذر به أبوه عبدالملك عن لحن أخيه الوليد[٦٧]، ومنها أنه كان يقدم الشعراء، ويهتم بهم، وسيتاح لنا ذكر ذلك حين نتكلم عن الحياة الأدبية، وأخيرا توج أعماله باستخلاف الرجل الصالح عمر بن عبدالعزيز.

جاء فى الطبرى، وفى ابن الأثير: سليمان مفتاح الخير ذهب عنهم الحجاج فولى سليمان فأطلق الأسارى وخلى أهل السجون، واستخلف عمر بن عبدالعزيز[٦٨].

ولعل هذه الأشياء ونحوها هى ما عناها المسعودى حين قال: «ولسليمان أخبار حسان»[٦٩].

وحين نتقدم للحديث عن عهد عمر بن عبدالعزيز نكون قد شارفنا نهاية عهد القطامى، والذى يقرأ سيرة هذه الخليفة لا يملك إلا أن يعنو خاشعا للتقوى المتناهية، والورع الشديد، والزهد والصلاح، ولن نسترسل فى الحديث عن تقواه فذلك شيء يحتاج إلى عمل مستقل، ولعله ليس فى تاريخ الدولة الأموية من يعدل عمر بن عبدالعزيز فى هذه الناحية، لقد أعاد إلى الأذهان ذكرى الأيام المثالية فى تاريخ الإسلام، ويعنينا ـ من الناحية السياسية ـ أن نقول: إن عهد عمر بن عبدالعزيز كان يمتاز بالهدوء الداخلى فلا نجد فيه حوادث عنيفة فيما عدا ثوره الخوارج التى سنشير إليها بعد قليل، لقد كان رجلا عادلا حاول جهده أن يحكم حكما صحيحا، فلابد أن يسود المجتمع شيء من الرضا

والإستقرار، ولقد «اجتهد ـ رحمه الله ـ فى مدة ولايته ـ على قصرها ـ حتى رد المظالم، وصرف إلى كل ذى حق حقه، وكان مناديه فى كل يوم ينادى: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء»(٧٠).

والحوادث الواردة فى تقصيه مظالم الناس ومحاولة حلها أكثر من أن تعد، ومع ذلك ثار عليه شوذب الخارجى فى جمع من ربيعة، ولقد كانت سياسته معهم منطقية حليمة، فبعد أن كان الخوارج فيما مضى يقابلون بالسيف رأينا عمر يحرص على ألا تراق دماؤهم ما لم يريقوا هم الدماء، ولقد استجاب الخوارج إلى مناظرته، وبعد جدل طويل قال لهم عمر قولا يدل على أنه فهم هؤلاء الناس حق الفهم :«قد علمت أنكم لم تخرجوا طلبا للدنيا، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها»(٧١).

ولم تلبث تلك الثورة أن انطفأت، ويبدو أنها كانت ثورة ضعيفة، وثمة شىء آخر فى عمر نحب أن نشير إليه الآن ـ وإن كان لابد أن نشير إليه مرة أخرى فيما بعد فى الكلام على الحياة الأدبية ـ ذلك هو عدم احتفائه بالشعراء، ويبدو أن ذلك سلوك عام من الذين يتصفون بالورع.. فعل ذلك ابن الزبير، وفعله على. والذى يحاول تعليل هذه الظاهرة لا يجد أمامه إلا أن الشعراء يبالغون فى مدحهم وخلع صفات الكمال على ممدوحيهم، ومن ناحية أخرى فإن الشعراء يحتاجون إلى المال، وهؤلاء يتحرجون عن إنفاق مال الله فى هذاالسبيل، ومع هذا فيبدو أن الشعراء كانوا يقدرون عمر على الرغم من كل ذلك، فقد رأيناهم يرثونه بعد موته ويمدحونه فى حياته؛ رثاه «كثيّر» وهو يخالفه فى المذهب حيث كان شيعيا كيسانيا، ورثاه كل من الفرزدق وجرير ومدحاه، ورثاه شعراء آخرون(٧٢).

تلك هى الحياة السياسية فى عصر القطامى عرضناها عرضا موجزا، ولكننا نرجو ألا يكون إيجازا مخلا، ومن حسن الحظ أن هذه الفترة تمثل الحياة الأموية كلها بحيث يصح ان نقول إننا وضعنا بكلامنا هذا خطوطا عامة للعصر الأموى كله، فلم تحدث بعد ذلك أحداث كبيرة، اللهم إلا أشياء كبرت وكانت بذورها هنا فأسرعت بالدولة إلى الفناء.

فإذا لخصنا ما مضى فى كلمتين بدا لنا أن الدولة الأموية دولة قامت على أساس الحكم الملكى، وعملت على توطيد هذا الملك بشتى الوسائل، وعانت من ذلك مهمة القضاء على ثورات كثيرة، واتخذت من إثارة العصبية أساسا قوت به نفسها، وتوسعت توسعا كبيرا فى الفتوحات.

(ب) الحياة الاجتماعية :

بيئات المجتمع الأموى

الحجاز:

بنظرة عجلى إلى المصور الجغرافى للجزيرة العربية نستطيع أن نقول إن الحجاز يقع فى منتصف الجزيرة تقريبا، قال عنه ياقوت: «والحجاز جبل ممتد بين الغور ـ غور تهامة ـ ونجد»[٧٣].

فغربيه تهامة، وشرقيه نجد، وهو فى مجموعه مجدب، وجوه حار، وهو قسمان: حاضرة وبادية، أما الحاضرة فتكون من المدن والقرى الموجودة به، والتى من أهمها: مكة مهبط الوحى، ومحلة بيت الله العتيق «وليس بمكة ماء جار، ومياهها من السماء، وليست لهم آبار يشربون منها، وأطيبها بئر زمزم»[٧٤]، فهى بواد غير ذى زرع كما قال القرآن الكريم، وقد نبعت أهميتها من السببين السابقين: ـ مهبط الوحى، ومحلة بيت الله ـ، فهوت إليها الأفئدة، وصارت قبلة الناس، وتليها فى الأهمية: المدينة «وهى فى حرة سبخة من الأرض، ولها نخيل كثير ومياه»[٧٥]، والمدينة مهجر الرسول، وبها قبره ـ عليه السلام ـ، وهى ـ كما يبدو من قول ياقوت ـ أقل جدبا من مكة، وكذلك يبدو هذا من قول المقدسى: «يحيط بأكثرها بساتين ونخيل»[٧٦]، وشهرة مكة كمدينة

تجارية قديمة، وطريق للقوافل الصاعدة والهابطة أظهر من أن ننبه عليها، وفى الحجاز إلى جانب ذلك بعض المدن الهامة كالطائف: وهى «مدينة صغيرة شآمية الهواء أكثر فواكه مكة منها»(٧٧)، ويبدو أنها كانت المتنفس الوحيد فى هذا الإقليم فقد كانوا يشتون بمكة، ويصيفون بالطائف، ومثل هذا الإقليم لا ينبت إلا النباتات التى لا تحتاج إلى الرى المستمر، وتكتفى بأقل المياه، فالنخيل فيها كثير، وابن الفقيه يقول: «وما أنبت الطلح والسمر والأسل فهو حجاز»(٧٨).

قلنا إن الحجاز قسمان: حاضرة تشكلها المدن التى أشرنا إليها وغيرها، وبادية وهى تلك التى تشكل مادون ذلك من أرض الحجاز، وبادية الحجاز ككل البوادى تقل مياهها، ويعتمد أهلها على الغيث والآبار القليلة المتفرقة، ويعيشون عيشة الراعى المتنقل؛ بيته الخيمة، وثروته الشاة والبعير، وأسلحته سيفه وحواسه، والغارة أهم حدث يتوقعه «وفى الحجاز واحات متفرقة أهمها فدك وخيبر»(٧٩).

تلك هى البلاد ذات التاريخ المجيد التى احتفظت برئاسة بلاد العرب، وكانت مقر الحكم الإسلامى حتى الفترة التى نتحدث عنها حيث انتقل مقر الحكم إلى دمشق وانحسر عن الحجاز ففقدت بذلك أهميتها السياسية، وإن لم تفقد أهميتها الدينية، ولقد كانت مقرا للصحابة وأبنائهم ففيها بقية السلف الصالح.

وعلى الرغم من أن الثورة ليست طابعا للحجاز إلا أننا رأينا الذين يثورون فيها يظفرون بعطف بالغ من المسلمين، وذلك للوازع الدينى، ولما يحمله المسلمون من عواطف التقديس لهذا الإقليم وحب من فيه؛ فقد رأينا ثورة ابن الزبير تنتشر بسرعة، وينضوى تحت لوائها قوم كثيرون حيث شملت إلى جانب الحجاز مصر والعراق، وقد يكون هذا للاستياء من الأمويين، ولكنه ـ على كل حال ـ دليل على مكانة الثائر من نفوس الناس، ولا نغالى إذا قلنا إن ثورة

الحسين لو كانت فى الحجاز لقدر لها النجاح أكثر مما قدر، ومما يساعدنا على هذا الافتراض ما قيل للحسين وهو خارج من أن قلوب الناس معه وسيوفهم عليه.

نجـد:

لا يذكر الحجاز إلا وتذكر بادية نجد، وذلك لأن الحدود بين الإقليمين تكاد تكون وهمية، وجغرافيو العرب يختلفون فى تحديد أماكن الحجاز وأماكن نجد اختلافا كبير، وما ذلك إلا لتداخل أماكن الإقليمين، فابن الفقيه يعد المدينة والطائف من نجد[٨٠]، ويقول ابن حوقل : «الحجاز المتصل بأهل البحرين»[٨١].

ويقول ياقوت فى تحديد نجد: «كل ما ارتفع عن تهامة فهو نجد؛ فهى ترعى بنجد، وتشرب بتهامة»

ويقول: «نجد اسم الأرض العريضة التى أعلاها تهامة واليمن، وأسفلها العراق والشام... وحد نجد أسافل الحجاز»[٨٢].

وتختلف بادية نجد عن بادية الحجاز، فالحجاز جبل مجدب إذا ذكر ذكر الهجير والظمأ وضيق الإمكانيات ، أما نجد فقد اشتهرت بمروجها وكثر فى الشعر ذكر جوها ونفحاتها وزهورها.

على أية حال لم تكن نجد بلادا متحضرة متمدينة ولكنها كانت بادية تعطينا الوجه المشرق لحياة البوادى.... مسارح الغزلان، ومجارى السيول، ومنابت الغضا، والحياة الهادئة الوادعة، والسكون الحبيب، حيث يرى الناس الله فى كل شىء، والجمال فى كل شىء.

وقد وصف بعض المحدثين نجدا فقال: «ذات الأودية والمروج، والقرى والحدائق... وفى نجد أودية كثيرة أعظمها وادى الرمة... ويشبه أن يكون

وادى الرمـة نهـرا قـديما.... وينبـجس فى أرجـاء كـثـيـرة ينابيع تنشأ حـولهـا الأشجار والزروع.... ثم القسم الجنوبى الشرقى من نجد يسمى اليمامة، وكانت اليـمـامـة مـعـروفـة فى بلاد العـرب بالخـصب.... وقد ضـرب المثل بكثـرة نخيلها»[٨٣].

الشـــام:

كانت الشام إقليما مهما منذ أن افتتحها العرب، ولقد زادت أهميتها بعد أن استصفى معاوية الأمر لنفسه، وصير الشام مقرا للحكومة المركزية.

ويقول ياقوت فى تسميتها إنها كانت أول الأمر تسمى سوقرى، ولكن ثمة بلدة فى أرض فلسطين كان بها متجر العرب وميرتهم، وكانت تسمى شامين فاختصروا منها الشام، «وغلب على الصقع كله»[٨٤] ثم يحددها فيقول: «وأما حـدها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصـرية... وبـهـا من أمـهـات المدن منبج وحلب وحـمـاه وحـمص ودمشق والبيت المقدس... وهـى خـمـسـة أجناد جند قنســرين، وجند دمـــشق، وجند الأردن، وجند فلسطين، وجند حمص»[٨٥].

ويقول ابن الفقيه: «إذا جزت جبلى طئ يقال لأحدهما سلمى وللآخر أجأ فقد أشأمت حتى تجوز غزة ودمشق وفلسطين والأردن وقنسرين»[٨٦].

ومن الطبيعى أن يتركز الاهتمام حول دمشق عاصمة الحكم، ومن ثم نالت فى التـاريخ وفى الأدب شـهـرة واسـعـة مـازال يتـردد صداها فى مـؤلفـات المحدثين، ولقد كانت ملتقى الأنظار، قصدها الموالون لبنى أمية ابتغاء النجعة وعـرض الخـدمـات، كـمـا قـصـدها المعـادون ابـتـغـاء تقـويض سلطانهـا وإنهـاء رياستهـا، ولأن الشام إقليم الحكم ازدادت العناية به لذلك العهد؛ فحصنت الثغور لأنهـا تواجـه الـعـدو، وانتـعـشت التـجـارة ابـتـغـاء لفت الأنظار وجلب الأمـوال،

وازدادت العناية بالناس تأليفا للقلوب فتمتعت الشام على وجه العموم، ودمشق على وجه الخصوص فى هذه الفترة بعناية غير عادية.

والشام كالحجاز حاضرة وبادية، وكانت الحياة فى بادية الشام قبلية تتمتع بكل العناصر التى تشكل حياة البدو، وقد استفاد الأمويون فائدة كبرى من القبائل التى كانت تسكن بادية الشام منذ وقعة صفين إلى مرج راهط إلى ما بعد ذلك.

العـــراق:

بقى من البيئات التى نريد أن نلمح إليها فى هذه الكلمة السريعة العراق، ويقول ياقوت: «سمى عراقا لأنه سفل عن نجد ودنا من البحر.... وهو على شاطئ دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر»(٨٧).

وقد افتتحه المسلمون فى موجة الفتوحات الأولى، ومنذ أن انتقلوا إليه واجهوا حياة جديدة وعادات جديدة، والذى يتكلم عن العراق لابد أن يتكلم عن البصرة والكوفة، وقد مصرتا فى عهد عمر بن الخطاب، ولا خلاف فى أن البصرة قد مصرت أولا، وإنما الخلاف فى الوقت الذى انقضى بين تمصير كل منهما(٨٨).

ولقد كان عمر حريصا على ألا يكون المكان الذى يستقر فيه المسلمون على الضفة الشرقية للفرات، وكان يريد ألا يفصل بينه وبين المسلمين فاصل مائى، ومن ثم كانتا على حافة الصحراء، ولعمر بالإضافة إلى هذا رأى وجيه فإن قرب المصر من الصحراء مناسب لطبيعة العربى الذى لا يصلحه إلا ما أصلح الشاة والبعير.

وفى المراجع مـا يدل على أن توزيع المكان فى المدينتين كـان يتم على أساس قبلى، جاء فى «ياقوت» عند الكلام على تمصير الكوفة: «ونزل كل قوم

فى الناحية التى خرج سهمه فأحيوها»[٨٩]، وقال فى نفس السياق: «ثم أسهم (الحديث عن سعد) لنزار وأهل اليمن سهمين، فمن خرج اسمه أولا فله الجانب الشرقى، وصار خطط نزار الغربى.... وذكر أن فيها خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة وعشرين ألف دار لسائر العرب، وستة آلاف دار لليمن، وقال الشعبى: كنا نعد أهل اليمن اثنى عشر ألفا، وكانت نزار ثمانية آلاف»[٩٠].

ويقول صاحب «أحسن التقاسيم» فى كلامه عن البصرة: «أحدثها المسلمون أيام عمر... ونزلها العرب ألا تراها اليوم خططا؟

ولعل هذه القبلية هى سر التفاخر والمناظرات الطويلة بين أهل البصرة وأهل الكوفة كل يذكر لبلدته الفضائل ويذكر للأخرى المثالب[٩١].

بل لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن هذه القبلية التى قامت عليها المدينتان هى سر الاصطلاح الذى يقابلنا دائما فى النحو واللغة «البصريون والكوفيون»[٩٢].

رحلت القبائل المختلفة إلى العراق فى هجرات الفتح، واستقرت هناك، وتنفست فى جو جديد أتاح لها مزيدا من الحرية، فاتسم العراق بطابع الثورة، والثورة موجودة فى نفس العربى الذى لا يقبل ما يعتبره ظلما، ويأبى الرياسة، ومن ثم رأينا كل ثورة مقلقة تنبع من العراق، الخوارج الشوكة الدائمة فى جنب الدولة، والثورات الشيعية، وبالجملة فإن أغلب متاعب الحكومة المركزية كانت تأتى من ناحية العراق.

وإذا تكلمنا عن الكوفة والبصرة أغنانا ذلك عن الكلام عن بقية حواضر العراق فلنذكر كلمة عابرة عن:

بادية العراق:

وبادية العراق منها ما هو على حافة الفرات، وهو متصل ببادية الشام، ومنها ما هو بين دجلة والفرات، وسيتاح لنا حديث قصير عن المنطقة الأخيرة فى بيئة القطامى الطبيعية، ونقول الآن إن العصبية القبلية قد تجلت بأقوى مظاهرها فى هذا الجزء من الدولة حتى اضطرت الحكومة إلى التدخل مع أنها كانت المثيرة لها كما أسلفنا، وكانت هناك حروب مدمرة بين قيس وتغلب، وبين قيس وكلب، وعصبيات داخلية فى تميم، وعصبية بين الأزد وتميم، عصبية تستعمل السيف وتريق الدماء، وأخرى سلاحها اللسان ونهش الأعراض ومادتها الأشعار.

ولقد أسهمت هذه القبائل بسيوفها فى السياسة فحولت وجه التاريخ السياسى، وأسهمت بألسنة شعرائها فى الأدب فخلفت لنا ديوانى شعر كبيرين هما نقائض جرير والفرزدق، ونقائض جرير والأخطل، هذا إلى أشعار أخرى كثيرة منثورة فى دواوين الشعراء وفى كتب الأدب.

طبقات المجتمع الأموى

١ ـ الطبقة الحاكمة:

تتكون هذه الطبقة من الخلفاء الأمويين، وكانت لهم السلطة العليا فى إدارة الدولة، وقد بلغوا ثمانية فى الفترة التى ندير الحديث عنها تكلمنا عنهم فى الحياة السياسية، وتشمل كذلك أمراء الأقاليم، وكل من يسهم فى الحكم، وأسرهم،وقد عد المستشرق «زامباور» فى كتابه «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة» مئات ممن تشملهم هذه الطبقة، وقد كانت هذه الطبقة تحيا حياة مترفة، فمقاليد الأمور إليها، وخزائن الدولة طوع يديها، إلا أننا ينبغى أن نلاحظ بادئ ذى بدء أن الأمويين وولاتهم فى مجموعهم ـ لم يستغلوا هذا

الثراء فى أن يحيوا حياة مترفة خالية من التبعات... هم مترفون ولكنهم كما ينفقون أموالهم على الترف ينفقونها على شىء آخر أدنى ما يكون إلى المبدأ والفكرة.

كانت الأموال توجه إلى أكثر من جهة، ويجمع هذه الجهات كلها الحفاظ على استبقاء الملك الأموى قويا يانعا، فالأموال تنفق لإقامة القصور والدور وللمظهر الفخم ، ومن وراء ذلك إلى جانب الترف خلق أبهة ومهابة للملك، وإحاطته بكل ما يحفظ عليه جلاله، والأموال تنفق فى الأعطيات، والأعطيات أصبحت تسير على نحو خاص يخدم الدولة وأهدافها ولا يخدم الغرض السامى منها «لقد كان العطاء أول الأمر سبيلا لتقدير العمل، وكان لا يناله إلا الذين يستحقونه فى حدود ما أمر الله، فلما انحرفت بالحياة الإسلامية الطريق حين استقرت فى مهاجرها الجديد أصبح العطاء ثمنا للفراغ والدعة وطريقا للترف، ولم يعد حقا من حقوق الجماعة ، وإنما فسر على أنه حق من حقوق الخليفة يزيده وينقصه كيف شاء»(٩٣).

وإذن فقد كان العطاء يرمى إلى هدف محدد واضح غير البذخ لذات البذخ، والأموال تنفق على الشعراء والمنتجعين ابتغاء إشعال العصبية، واستجلابا للمدائح، وتطويلا لألسنة الشعراء الموالين حتى يدبجوا فى الدولة الحاكمة كل ما يحسون به وما لا يحسون.

حقا لقد رأينا بعض الحاكمين يشتهرون باللهو وبالخمر من الخلفاء والولاة، ولنسق على سبيل المثال قول ابن عبد ربه فى باب من حد فى الخمر وشربها: «منهم يزيد بن معاوية، وكان يقال له يزيد الخمور»(٩٤).

ولكن الطبقة الحاكمة كانت ـ على العموم ـ طبقة متبصرة حازمة تجمع إلى الثراء والترف الوعى الكامل بمهمتها، فلم تبطر، ولم تنحل، ولم تتخذ المال

طريقا إلى إتلاف القيم، وتقويض المثل، وإنما اتخذته لهدف أسمى من هذا وهو تثبيت أقدامها فى الحكم، وتخدير الطامعين فيه، وإحاطة الدولة بالمظهر اللائق، وإخراس ألسنة الهجائين، وإذكاء مشاعر المؤيدين.

٢ ـ السَّراة:

لكى نتحدث عن هذه الطبقة ينبغى أن نستحضر عاملين؛ الأول: أن بلاد الجزيرة العربية بلاد تجارية، وكان الساحل الغربى طريقا للقوافل، وكانت مكة مركزا هاما لها، وكان الحجاز كله مطبوعا بهذا الطابع ، سواء من داخله بمعنى أن أهله كانوا تجارا، أم من الخارج بمعنى أن القوافل تمر فيه فتنعشه اقتصاديا، وكانت هذه الطرق التجارية تجبى إلى البادية أسباب الرخاء والرفاهية،(٩٥) .

والثانى: أن المسلمين خرجوا فى هجرات هائلة شكلت حركة الفتح الإسلامى، فمنذ عهد أبى بكر والفتوحات الإسلامية مستمرة على نحو واسع، فتحت الشام وورث المسلمون كنوز الروم، وفتحت العراق وورث المسلمون أرضهم وديارهم وحضارتهم وكل ما خلفه آل ساسان، وتوغل المسلمون فيما وراء ذلك ففتحوا مصر وجبيت إليهم خيراتها، وفتحوا خراسان والسند والأندلس مما تكلمنا عنه عند الكلام على الفتوحات فى عهد الوليد، وينبغى أن نلحق بالعاملين السابقين عاملا آخر هو العطاء الذى أشرنا إليه منذ قليل.

هذه العوامل مجتمعة أو متفرقة كونت الطبقة التى نتحدث عنها، ونحن نطلق اسم «السراة» على تلك الطبقة الثرية باستثناء الحاكمين مع أنهم أثرياء لأننا خصصناهم بطبقة وحدهم.

هذه الطبقة كان يتركز معظمها فى الحجاز، ومن الحق أن نقول إن كثيرا من الصحابة أثروا عن طريق التجارة كما أثرى كثير منهم من الفتوحات الأولى التى صبت كنوزها فى جزيرة العرب.

ولعله لم يفارق أذهاننا ثراء عبدالله بن أبى ربيعة والد عمر الذى تحدثت عنه كل المراجع التى كتبت عن عمر، وسنذكر نموذجا لثروات كثير من الصحابة ممثلة فى شخصية: عثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، فقد قال ابن سعد عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ: «كان عثمان رجلا تاجرا فى الجاهلية والإسلام»،[٩٦] وقال عنه: «كان لعثمان بن عفان عند خازنه يوم قتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار، وترك ألف بعير»[٩٧].

وقال عن عبدالرحمن بن عوف: «ترك عبدالرحمن بن عوف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس... وكان فيما ترك ذهب قطع بالفئوس حتى مجلت أيدى الرجال منه»[٩٨].

ومن الطبيعى أن تنتقل هذه الثروات إلى أبناء أصحابها، وتستمر إلى الفترة التى نتحدث عنها.

والثروات التى تكونت من الفتوح لا تقل عن هذا بل تزيد، فهذه الأموال التى كانت تجلب من البلاد المفتوحة كان يفرض منها للمجاهدين، فكونوا من ذلك ثروات طائلة، ومن ناحية أخرى فإن الأمويين «أطلقوا الحرية لمن أراد من العرب المسلمين أن يقتنى ما شاء من الأراضى خارج جزيرة العرب بعد أن كان ذلك ممنوعا.... فكان من ذلك أن تهافت أصحاب الثروة والسلطة من العرب على امتلاك الأراضى فى العراق ومصر وسائر البلاد المعروفة بحسن تربتها وغزارة مياهها... فلم يمض على ملك بنى أمية خمسون سنة حتى أصبح أخصب أراضى مصر والعراق فى أيديهم، وأيدى حلفائهم»[٩٩].

وقد يكون فى هذا القول كثير من المبالغة، ولكننا لا ننكر أن فيه كثيرا من الحقيقة، فالمسألة تغيرت تماما عن العهد الإسلامى الأول يوم أن كان للفارس سهماه وللراجل سهمه لا يزيد على ذلك، ولا يباح له بحال امتلاك الأموال.

فهذان المصدران ـ إلى مصدر العطاء الذى ألمحنا إليه ـ كونا الطبقة التى نتحدث عنها، وأغلبها ـ كما قلنا ـ فى الحجاز، وباقيها فى الأقاليم المختلفة.

وهذه الطبقة الثرية المترفة انغمست فى النعيم، وأنفقت أموالها على أنفسها إذ لم يكن لها مطمع آخرتسعى إليه، ولا ملك تدافع عنه وتحيطه بما يلزمه من الأموال.

٣ ـ الطبقة العامة:

إلى جانب الطبقتين السابقتين قامت طبقة ثالثة هى الطبقة العامة، ويظهر أن هذا التقسيم من طبيعة المجتمع البشرى... طائفة ممتازة تنفصل منها طائفة خاصة لتسود، ثم طائفة أخرى تكون الناس العاديين والناس الكادحين على السواء، ولعلنا نكون قريبين من الواقع حين نطلق اسم الطبقة العامة على ما سوى الطبقتين السابقتين.

وتتكون هذه الطبقة من كل من لم يتح له الاشتراك فى الحكم، ولم يؤت فيضا من ثروة، سواء آلت إليه من أسلافه أو كونها بنفسه، ونستطيع أن نقول على سبيل الإجمال: إن أهل البوادى من هذه الطبقة، حقيقة لا تخلو البوادى من ناس أثرياء، ولكنهم لا يصلون إلى حدود الطبقات التى حددناها مهما كان الأمر، وذلك لأن حياة البادية ضيقة شحيحة فمن يسر عليه فى الرزق فيها فهو المتوسط الذى لا يرهق نفسه بالغارة أو الانتجاع، وكذلك يعيش فى الحاضرة كثير من أبناء هذه الطبقة، ومن الممكن أن نسمى أبناء هذه الطبقة عامة الشعب، ولنا معهم حديث بعد قليل.

٤ ـ الموالى:

والطبقة الأخيرة التى نريد الحديث عنها هى طبقة الموالى، والذى يريد الحديث عن الموالى لابد وأن يعود إلى حديث الفتح، فمن المعروف أن نظام الرقيق كان معمولا به فى تلك الفترة من تاريخ الإسلام، وقد أنتجت الفتوحات

طائفة كبيرة ممن استرقوا في الحروب، وأصبحوا ملكا للمسلمين يستخدمونهم، ويتسرون بالإماء منهم، ومن الطبيعى أن يكون أغلب هذه الطبقة فى ملكية الأثرياء، ولقد كان لهؤلاء الرقيق أثر عميق فى كل جوانب الحياة ، ولن نتعدى نقطة إلى غيرها فنتكلم عن أثر الرقيق فى شتى النواحى، وإنما نقصر كلامنا هنا على أثر الرقيق فى الحياة الاجتماعية، ونجمل أثر هؤلاء الرقيق فى تلك الناحية فى هذه الكلمة القصيرة وهى أن العنصر العربى منذ أن دخل الرقيق إطار المجتمع لم يعد خالصا، وتكون جيل جديد يمثل الدم الأجنبى أحد عناصره الرئيسية. قال الأستاذ أحمد أمين: «إن البيت العربى دخلت فيه عناصر فارسية أو رومانية أو سورية أو مصرية أو بربرية، فلم يعد البيت العربى بيتا عربيا بل بيتا مختلطا، ورب البيت هو العربى، أضف إلى هذا أن هؤلاء الإماء كن يلدن أولادا يحملون الدمين معا، الدم العربى من جهة الأب، والدم الأجنبى من جهة الأم، وكان عدد هذا النوع كثيرا لكثرة الفتوح التى فتحها المسلمون فى عهد عمر ومن بعده .. هؤلاء الأرقاء والموالى أنتجوا فى الجيل الثانى لعهد الفتح عددا عديدا منهم من يعد من سادات التابعين وخير المسلمين، ومن حملة لواء العلم فى الإسلام»(١٠٠).

موقف كل طبقة من الطبقة الأخرى:

أما الطبقة الحاكمة فقد وقفت من الطبقتين الأخريين - ونحن هنا نؤخر طبقة الموالى لنتحدث عنها حديثا خاصا - موقفا أملته مصلحتها، وخلاصة هذا الموقف الاحترام، والعطاء، وإغضاء العين على الهفوات الصغيرة، والسيف، والدماء، وضرب الناس ببعضهم حين يمس الحكم أو يهتز أدنى اهتزاز، فالأمويون يفرضون العطاء العريض لبنى هاشم، ولغيرهم ممن هم بعيدون عن مجال الحكم حتى إذا أحسوا أن هؤلاء يريدون أن ينقضوا عليهم إجماع الناس لم يتورعوا عن قتل ابن الزبير والحسين ومصعب وغيرهم، وهم يغدقون الأموال على الناس ويتألفونهم حتى إذا مالأوا ثورة ما تركوا الحجاج وابن زياد يريقون الدماء بلا حساب، ذلك هو ملخص موقفهم: سلام مادام الملك محظوظا، وحرب إن مس هذا الملك، وشىء آخر جدير بالملاحظة وهو

أن الأمويين لم يفخروا على الطبقات الأخرى بملكهم، وإنما رأيناهم يفخرون - إن فخروا - بالإسلام أو بالأمجاد الماضية.

وأما طبقة السراة فلم نسمع لها ركزا بعد أن أظهر الأمويون عزمهم على القضاء بحد السيف على كل ثورة، وتجلى ذلك في ثورة الحسين وابن الزبير، وانصرفوا إلى لهوهم وإلى حياة خاصة أنتجت في مجالها إنتاجا خاصا سنتحدث عنه..

وأما الطبقة الثالثة وهي عامة الشعب فقد كانت المحركة والمثيرة لكل ما اضطربت به الحياة في العهد الأموي، فالثورات التي واجهها الأمويون من الخوارج والشيعة سداها ولحمتها من الطبقة العامة، والحرب القبلية التي دارت طوال ذلك العهد من الطبقة العامة، ويجب أن نلاحظ أن هذه الطبقات الحية كانت تتركز في العراق وباديتي الشام والعراق على وجه الخصوص، أما بوادي الحجاز ونجد فقد خيم عليها سكون وانطواء عميقان ستتضح أسبابها بعد قليل.

أما بالنسبة للطبقة الموالي فالحديث عنها ذو شقين، الأول موقف العرب من الموالي، والثاني موقف الموالي من العرب. لقد قلنا إن العصر الأموي هو عصر العصبيات، وقد امتدت هذه العصبيات فخرجت عن نطاق القبيلة والقبائل إلى نطاق الجنس عموما، فتعصب العرب لجنسهم، ونظروا إلى الموالي نظرة لا تساويهم بهم باعتبارهم من الرقيق المغلوبين على أمرهم من ناحية، ولاعتقادهم - وتلك نعرة جاهلية - بشرف الجنس العربي، ولسنا في حاجة إلى القول بأن هذا يخالف الدين، وأن الرسول حاول كسر هذه الشوكة جهده، ولقد كان رد الفعل المباشر الطبيعي أن يتكون مذهب مخالف لدى الموالي أعني عصبية لهم ضد العرب، ذلك هو الموقف بغاية الاختصار، وفيه تكمن البذرة الأولى للحركات الكبيرة في الأدب وغيره، والتي كانت تسمى فيما بعد باسم الشعوبية، وأما موقف الموالي من العرب من الناحية العملية فقد انعكس في شكل مساعدة لكل ثائر على الحكم الأموي، وقد لا تعني هذه الثورة من الموالي الثورة على حاكم بعينه بمقدار ما تعني الثورة على الجنس العربي كله، والاستجابة لرغبة كامنة هي تغيير سيادة ذلك العنصر، ويحسن أن نختتم هذه

الكلمة باقتباس من دراسة متخصصة للموالى جاء فيها: «ولا شك أن المتتبع لحركات الموالى وثوراتهم يلاحظ أنهم كانوا ينتهزون الفرص كلما لاحت لهم فى سبيل القضاء على الدولة الأموية، وأنهم كانوا ينضمون إلى كل خارج على الدولة.... فنراهم قد انضموا إلى عبدالله بن الزبير... ونراهم يشتركون فى حركات الخوارج ضد الدولة الأموية... ولكن الثورات التى كانت تتشح بثوب شيعى كانت تلاقى من الموالى تأييدا وتعضيدا أشمل وأعظم... ونستطيع أن نقول إن حركة المختار،.. كانت أول حركة استغلها الموالى لكى ينتقموا لأنفسهم»(١٠١).

وجاء فى موضع آخر : «وجاءت بعد ذلك ثورة عبدالرحمن بن الأشعث... وقد أجمعت المصادر على اشتراك الموالى فى ثورة ابن الأشعث»(١٠٢).

مدى إسهام كل طبقة فى الحياة العامة:

نقصد بالحياة العامة كل ما يدور فى المجتمع من تيارات سياسية واجتماعية وعقلية، وكل ما يضطرب به من حرب أو سلام، أو إيجابية أو سلبية، ولعله قد اتضح الآن من خلال كلامنا على بيئات المجتمع الأموى وطبقاته ما نرمى إليه. ولسنا فى حاجة إلا إلى تلخيص ذلك تلخيصا، فالطبقة الحاكمة كان إليها قياد الحياة فهى تديرها، وتشرف عليها، وتحركها، وهى من وراء كل حدث فى المجتمع: سياسى كالثورات إذ كانت هى هدفها، وكانت هى التى تخمدها، أو اجتماعى كاضطراب الحياة بالغناء واللهو هنا، وبالانطواء هناك فهى التى ساعدت على إيجاد كل ذلك، أو عقلى كالحركات الأدبية والعلمية إذ هى التى وجهت كل ذلك وجهة معينة، وحسبك بهذا مشاركة فى الحياة العامة، وموقف هذه الطبقة من الحياة على هذا النحو طبيعى عادى لأننا لا نتوقع من الطبقة الحاكمة سوى المشاركة فى الحياة مشاركة واسعة موجهة.

وأما طبقة السراة ـ وقد ذكرنا أنها متركزة بشكل عام فى الحجاز ـ فقد شاركت فى جانب مهم من جوانب المجتمع وهو اللهو المترف الذى يستلزم أمورا من الغناء والتوقيع، وقد تبع هذا نتائج بعيدة المدى فى تغيير الحياة..

مجالسها ومظاهرها وما يلبس الناس وما يطعمون، وكذلك تبعه تغيير فى الإنتاج الشعرى فصبغ بصبغ خاص سنتناوله بعد قليل.

بقيت الطبقة العامة وطبقة الموالى، فأما الطبقة الأولى فيمكن أن نقسمها إلى قسمين رئيسين: قسم يعيش فى نجد والحجاز، وهذا القسم كان سلبيا تجاه الحياة، على أن السلبية ليست عقيما دائما فقد أنتجت لونا من الأدب سنتناوله فى حينه، وقسم يعيش فى الشام والعراق وهذا القسم - بين بدو وحضر - كان حيا إيجابيا رأيناه بين متحلق حول الحاكم منافح عنه منتجع له، وبين ثائر عليه مثير للحروب والمنغصات، سواء فى الدائرة الضيقة - دائرة البيت والقبيلة - أم فى الدائرة الواسعة - دائرة التحرك فى مجال الدولة كله -.

وأما الطبقة الأخيرة - طبقة الموالى - فقد شاركت فى الحياة من جوانب متعددة تشمل معظم الجوانب السابقة.. شاركت فى الترف فكانت محور مجالس الغناء، ولعب الجوارى فى العزف واللهو والتغنى دورا كبيرا، وكانت عاملا فى الثورة على الحكم كما اتضح مما سبق، وكانت عاملا هاما فى إحياء الحركة العلمية والمشاركة فيها بنصيب وافر كما سنبين بعد قليل.

(جـ) الحياة الأدبية والعلمية :

(١) الحياة الأدبية

عوامل نهضة الأدب فى هذه الفترة:

نهض الأدب فى العصر الأموى نهضة شاملة، بعد الركود الذى كان يعانيه فى صدر الإسلام. وسنحاول أن نتعرف على عوامل تلك النهضة، ولن نستقصى هذه العوامل ففى هذا الاستقصاء شبه استحالة، وإنما سنرسم بعض المعالم الكبيرة والأسباب الهامة، وأول ما نريد الحديث عنه من تلك العوامل هو الثروة، ولسنا نريد العودة إلى حديث الفتوح وما صبته فى حجر المجتمع العربى من كنوز، كما أننا لا نريد أن نعدد مقادير الخراج فى العراق أو فى مصر أو فى غيرها من أقاليم الدولة، فقد تكفلت كتب التاريخ وكتب النظم الإسلامية بذلك، وإنما نريد أن نتناول المسألة من جانب خاص فنقول إن هذه الأموال لم توزع على المجتمع بالسوية فيحيا حياة هينة لا صراع فيها ولا احتياجات وإنما وزعت توزيعا طبقيا كما تقتضى سنة العمران.. طبقة ثرية يمثلها الحاكمون ووجوه الدولة، وطبقة عامة تسعى إلى المال وتتخذ له الأسباب، وحين نواجه الطبقة الأولى الثرية وبخاصة وجوه الدولة نجد أن هذه الثروة قد أتاحت لها نوعا من الاستقرار والهدوء، فقد استرد العرب أنفاسهم سواء فى داخل الجزيرة أو خارجها، وقد عرفتنا دراسة الفتوح كيف اطمأن العرب إلى هذه المراكز الكبرى فى الشام والعراق ومصر، وكيف اتخذوها

منطلقا لما وراءها.. وعرفتنا دراسة هذه الفتوح كيف سلك العرب الطريق إلى الاستقرار، وكشفت لنا الدراسة الاجتماعية لعقود الصلح عن التواصل الذى كان بين المهاجرين والمقيمين، وهو هذا التواصل الذى مكن للعرب أن يأخذوا خيرهم من هذه الدنيا الجديدة»(١٠٣).

وحين يسترد الناس أنفاسهم يهدءون ويستريحون، ويبدأ التفكير فى حاجات أبعد من مجرد العيش وقد ألقت الحياة على الناس ظلالها، وألقى الناس هذه الظلال على أنفسهم، وانعكست هذه الظلال بعد فى أفواههم وألسنتهم فى هذه الفنون التى لجئوا إليها»(١٠٤).

هذه الثروة الواسعة كانت ذات شقين بالنسبة للطبقة الأولى، فالحاكمون جمعوا حولهم الألسنة وأذكوا قرائحها بالمال، وإذا كانت «اللها تفتح اللها » «فقد أنتجت هذه الطريقة نتيجتها، وهدرت الألسنة بالقول، وأفعمت النفوس بفعل المادة، ونشط الأدب من وراء كل ذلك. وبالنسبة لطبقة الوجوه والأعيان يتحقق القول السابق، ويضاف إليه أن هذه الطبقة وجدت نفسها وقد فرغت من طلب العيش فلم يبق إلا أن ترفه عن نفسها بفن أعلى فكان من نتيجة ذلك الأدب المترف الذى سنواجهه بعد قليل إذ «كان لابد لهذه الجماعة المستقرة الفارغة من فن.. ووجدت أنها لا تملك إلا فن القول.. ولذا تمثلت من جديد شعرا كهذا الشعر الذى سكتت عنه الجماعة فى الدور الأول»(١٠٥).

وحين نواجه الطبقة الثانية ـ طبقة العامة والمحتاجين ـ نراها تسعى إلى كسب المال، وتعمل جاهدة للوصول إلى حياة أفضل. والناس مختلفون فى ذلك أشد الاختلاف، وأساليبهم متباينة فى الكسب، ويعنينا منهم أولئك الذين ينتجعون الطبقة السابقة.. يتحلقون حولها ويمدحونها، ويزينون لها أعمالها ومشروعاتها، ويساعدونها على تمكين سلطانها ابتغاء النفحات، والحق أن هذا الباب كان بابا واسعا فما من خليفة أو أمير أو ثرى إلا ورأينا ببابه أصحاب الحاجات، ورأيناه عليما بما يحرك النفوس ويفعم الأحاسيس، بدر تلقى ، وضياع تقطع، ونوق توهب بمراعيها ورعائها، ورأينا ذلك العطاء يؤتى أكله فتنطلق الأفواه بتدبيج المدائح من القصائد الطوال والقصار، ورأينا شعراء

ممتازين وشعراء من الطبقة الثانية أو الثالثة . ولا أدل على كثرة العطايا وخصب هذا المورد من المعارك الطاحنة التى كانت تنشب بين الشعراء المداحين، كل يريد أن يستأثر باللقمة الكبيرة، فيدفع أخاه بالمنكب، ويغمزه فى إخلاصه حينا وفى حسبه حينا، والممدوحون من وراء كل ذلك موجهون ومغتبطون ، والأدب حى يانع ترفد مجراه كل يوم جداول من المدح والفخر والهجاء وتعديد الأيام والعودة إلى الأمجاد والمثالب الماضيات.

ولقد ذهب بعض الباحثين مذهبا أبعد من هذا؛ زعم أن الشعر لم يعبر عن المادة والمال والحياة الاقتصادية من الوجهة العامة (فحسب) وإنما عبر أيضا عن النظم الاقتصادية الموضوعة، وكان قد دخلها اضطراب كثير فى هذا العصر، فمن جهة كثرت الإقطاعات والعمال وزعماء العرب، ومن جهة فرضت على الناس كثير من الضرائب الاستثنائية، ومن خلال هذه الضرائب الاستثنائية ينفذ الولاة إلى جمع الأموال والثروات»(١٠٦).

وذلك شىء نسلم به، وإذن فتكون الثروة ـ حسب تكوينها والتكالب عليها ـ قد أنتجت على نحو غير مباشر أدبا يفيض بالشكوى والتظلم من هؤلاء القساة الذين تعميهم الثروة عن أبسط مبادئ العدل والإنسانية، ولعله مما يساعدنا على أن نكون مع الباحث فى هذه النقطة وفادات الراعى النميرى على الخليفة وشكواه من قسوة الولاة والجباة.

بل لقد ذهب الباحث إلى أبعد من هذا حين قال: « وجدنا الجانب الاقتصادى يتغلغل فى صميم كل ظاهرة حتى الاتجاهات الروحية فى الأفراد يمكن أن تعلل من بعض جوانبها بعامل اقتصادى، وندع الجانب الروحى إلى الجانب السياسى فهل من شك فى أن كثيرا ممن تبعوا الأمويين.. إنما تبعوهم حبا فى أموالهم وطلبا لدنياهم؟ ونفس الذين خاصموهم من زبيريين وخوارج وشيعة إنما كانوا يخاصمونهم ـ فى أغلب الظن ـ حبا لما فى أيديهم من مال ودنيا يريدون أن يتحولا إليهم. ففى الظاهر أحزاب سياسية وفى الباطن دوافع وحركات اقتصادية»(١٠٧).

هنا لا نستطيع أن نكون مع الباحث إلى النهاية فقد يكون فى نفوس بعض الذين تبعوا الأمويين هذا المعنى المادى، ولكنه يوجد بكل تأكيد من أتباع الأمويين مجموعة تعتقد من ضمائرها بأحقية هؤلاء، وتدين لهم بإخلاص ترفده السياسة وغيرها بحيث لا يمكن أن نطلق معه هذا الحكم العام وهو أنهم يوالونهم ابتغاء المال، وإذا خالفناه فى حزب الأمويين فنحن بالنسبة إلى الأحزاب الأخرى أشد مخالفة، فمن المعروف أن الطبقة العامة هى التى كانت تكون هذه الأحزاب، ومن المعروف أن قادة هذه الأحزاب كانوا يركزون مهاجمتهم للأمويين فى ناحية معينة هى أن هؤلاء خرجوا على الدين، وضيعوا سنة النبى والخلفاء، وجعلوها ملكا عضوضا بكل ما يحمل من ظلم وترف وتهتك وبهرج حرام، ولا نريد أن ننبه على قوة الإحساس الدينى لدى العامة، وجيشان عواطفهم نحو السلف، وكراهيتهم لكل من يحدث تغييرا، وعليه فلا يمكن تصور أن الإحساس المادى هو المحرك لهؤلاء الثائرين. قد نتصور ذلك بالنسبة لرؤساء هذه الأحزاب، ولكن لا اعتبار بذلك إذ المهم أن الذين يكونون جوهر هذه الأحزاب يحملون إحساسا آخر يبعد عن المادية كل البعد، فهل يمكن أن نتصور أن الجموع التى كانت تهدر بالشعار الثائر «يالثارات الحسين» كانت تريد ـ كهدف أساسى ـ الحصول على ما فى يدى بنى أمية من المال؟ وهل يمكن أن نتصور أن جموع الخوارج على إصرارها وزهدها، وتعرج جباهها، وخشونة أكفها وركبها من إطالة السجود، ومجابهتها الحاكم بمظالمه وكفره، واستعصائها على الدولة ذات الإمكانيات الضخمة، وأدبها الذى ينضح بالبذل والجهاد .. هل يمكن أن نتصور أن ذلك كله كان من أجل هدف مادى؟ الحق أننا لا نستطيع أن نهضم ذلك فلنكتف من تأثير المال فى الحياة الأدبية بما قررناه أولا، وبما قرره الباحث ثانيا، وأمنا عليه، ولكننا لا نذهب هذا المذهب البعيد فنعطى للثروة والمال كل ما أنتجته الحياة الحزبية من أدب وشعر وثورات.

ومن العوامل التى نشطت الأدب وأعادت إليه حيويته فى العهد الأموى تشجيع الحاكمين بالبذل للأدباء والشعراء من أموالهم ومن أوقاتهم.. يغدقون

عليهم ويفسحون لهم فى المجالس، وسنجهد إن جرينا وراء أسباب هذا التشجيع، ولكننا نقول إن الخلفاء والحكام الأمويين كانوا عربا خلصا، وكان الطابع العربى سمة من سمات الدولة كلها، والعربى تهزه الكلمة، وتسبيه الحكمة، وينتشى للخطبة البليغة، والقصيدة الرائعة.

هذا شيء، ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء الحاكمين الذين يدركون مفعول الكلمة يعتمدون عليها اعتمادا كبيرا فى تثبيت أركان ملكهم، ومن ثم اصطنعوا الأدباء والشعراء، وكونوا لهم جيشا من المحاربين باللسان، ومن مقارعى الفكرة بالفكرة، وهان عليهم فى سبيل ذلك المال والوقت.

ولن نعود فنعرض كل خليفة أو أمير ومجالسه وشعراءه كما سلسلنا الحوادث السياسية، إنما هدفنا أن نرسم صورة لاتصال الحاكمين بالأدب متخذين من النماذج ما يوضح هذه الصورة، مستعرضين بعض الحوادث الدالة على ما قدمنا من حقائق ولا نظن أننا فى حاجة إلى إثبات ما قلناه من أن مجالس الخلفاء كانت عامرة لأننا حين نقرأ فى المراجع: قال الخليفة للشاعر كذا، أو دخل فلان الشاعر على الخليفة، وألقى الخليفة سؤالا أو بيتا على الشعراء، إنما يعنى هذا أن الشعراء كانوا يغشون مجالس الحكام، وأن هذه المجالس كان يدار فيها حديث الأدب والشعر حاميا حينا، وهادئاً حينا(١٠٨)، ويعنى بجانب ذلك حدب هؤلاء الحكام على الشعراء، وإلا لما تمت هذه المقابلات، وسيختلط فى حديثنا الأدب بالنقد، وسنلمح من خلاله نوع ثقافة الخلفاء والحكام وميولهم واتجاهاتهم، ولا بأس بهذا الاختلاط الذى ينتهى بنا إلى الدعائم التى نصبناها فى صدر حديثنا هذا، وسنكتفى بالموقف الذى يطوى فى داخله دلالات مختلفة عن الوقوف عند كل جزئية من هذه الدلالات.

وإذا ركزنا على الشعر وأعرناه اهتمامنا الكبير فذلك شيء طبيعى، فنحن لا ننسى أننا نكتب بحثنا ـ أساسا ـ عن شاعر.

«قال معاوية لابن الأشعث من قيس: ما كان جدك قيس بن معد يكرب أعطى الأعشى؟ فقال: أعطاه مالا وظهرا ورقيقا وأشياء أنسيتها، فقال معاوية: لكن ما أعطاكم الأعشى لا ينسى»(١٠٩).

وسواء أكان معاوية قد استوحى فى هذا قول عمر بن الخطاب لابن أو ابنة هرم بن سنان أم لم يستوحه فإن دلالة هذا القول على تقدير معاوية للأدب والشعر ملحوظة وعميقة، وقد كان معاوية يهتم باللغة وهى إطار العمل الأدبى اهتماما بالغا فقد « أوفد زياد عبيد الله بن زياد إلى معاوية فكتب إليه معاوية : إن ابنك كما وصفت، ولكن قوّم من لسانه، وكانت فى عبيد الله لُكْنة»(١١٠).

هذا إلى أن معاوية كان خطيبا عده الجاحظ فى «البيان والتبيين» من الخطباء، وكان عالما بأيام العرب ومفاخرهم فى الجاهلية، وشخص كهذا لابد وأن يكون مثقفا ثقافة عربية أصيلة إذ إن الأيام والمفاخر إنما وصلت عن طريق الشعر والقصص. تلك هى معالم شخصية معاوية الأدبية فهل نعجب إن رأيناه يشجع الشعر والأدب؟. وينبغى أن نذكر فى هذا المجال موقف معاوية من هجاء عبدالرحمن بن حسان لابنته وأهله وكيف عالج المسألة علاجا أدبيا يدل فى صميمه على تقدير للأدب وأثره من ناحية، وعلى إشفاقه من إيذاء الشعراء من ناحية أخرى، وقد تبدى تقدير معاوية للشعر، وخفضه الجناح للشعراء فى موقف بينه وبين النابغة الجعدى رواه أبو الفرج(١١١).

وحتى يزيد بن معاوية اللاهى الخمور رأيناه يعرف قدر الشعر، ويدل اختياره فيه على ذوق أدبى أصيل(١١٢).

أما عبدالملك فهو قمة فى الأدب كما هو قمة فى السياسة.. ثقافة عالية، وتفهم عميق للأدب ولمسات نقدية رائعة، ومجالس أدب عامرة، وتشجيع للأدباء من وراء ذلك يفعل فى ثورة المد الأدبى فعل السحر، يقول صاحب نهاية الأرب: «وقال الشعبى ـ رحمه الله ـ: ماذاكرت أحدا إلا وجدت لى الفضل عليه إلا عبدالملك فإنى ما ذاكرته حديثا إلا زادنى فيه، ولا شعرا إلا زادنى فيه.. وكثرت الشعراء على أيامه»(١١٣).

ويسترعى الانتباه ونحن نتفهم ثقافة عبدالملك الشعرية، وحسن استخدامه لهذه الثقافة تمثله فى كل حادثة تعرض له بأشعار القدماء والمعاصرين، ولن نطيل بذكر نماذج من تمثله، ويكفى أن نحيل عليها فى مراجعها(١١٤).

أما أنه خطيب وأنه مهتم باللغة فذلك شىء مشهور، وكتب الأدب تذكر ذلك وتفيض فى نماذج خطبه(١١٥).

وأساليب عبدالملك فى إثارة قرائح الشعراء متنوعة، فهو آنا يستثيرها بضرب الشعراء بعضهم ببعض، وآنا بالتنبيه على خطأ الشاعر، وآنا بعرض شعر ومحاولة تنقيحه وبيان أوجه النقص فيه، ولنضرب مثالا على كل جانب ملاحظين أن دلالة هذه الأمثلة مزدوجة، فهى تدل على روح أدبية عند عبدالملك، وتخدم نقطتنا التى نوضحها وهى تشجيعه للشعر.

قال المبرد: «إن كثيّرا دخل على عبدالملك بن مروان وعنده الأخطل فأنشده فالتفت عبدالملك إلى الأخطل فقال: كيف ترى؟ فقال حجازى مجوع مقرور دعنى أطغمه يا أمير المؤمنين، فقال كثيّر :من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال له: هذا الأخطل، فقال له كثيّر: مهلا فهلا طغمت الذى يقول:

لا تطلبن خؤولة فى تغلب فالزنج أكرم منهمُ أخوالا

والتغلبى إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا

فسكت الأخطل فما أجابه بحرف»(١١٦).

ومهما لحظ فى هذا الحادث من ملحظ سياسى أو قبلى، فإننا نرى أنه ذو دلالة على أسلوب زكى يضرب شاعرا بشاعر علٍّ الأدب يفوز بشىء من وراء ذلك.

وحين يقول بيته المشهور:

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلىّ قطينا

قال له عبدالملك: «جعلتنى شرطيا لك، أما لو قلت «لو شاء ساقكم إلىّ قطينا ..لسقتهم إليك عن آخرهم»(١١٧) أتراه كان يهدف إلى أن يحس جرير بذلك فيقوم من شعره؟ نحسب أن ذلك هو المقصود، فقد قوم الأخطل من شعره على إثر ملاحظة كهذه تتضح مما يأتى «لما أنشد الأخطل عبدالملك: خف القطين فراحوا منك أو بكروا، تطير عبدالملك فقال «لابل منك» فجعل الأخطل راحوا اليوم أو بكروا(١١٨).

نكتفى بتلك الجوانب من عبدالملك وهى ـ كما رأينا ـ تخدم الأدب، وتشجع على الشعر بأساليب أدبية خالصة، ولن نهمل عند عبدالملك أو عند غيره أسلوب العطاء المادى الذى أشرنا إليه أكثر من مرة.

وإذا جزنا إلى بعض الخلفاء الآخرين رأينا الوليد بن عبدالملك إنسانا مثقفا عالما يثير إعجاب الناس بوقوفه على الأشياء الدقيقة، حتى إنه عندما يسأل الأحوص عن الزوراء التى قال فيها أحيحة:

إنى أقيم على الزوراء أعمرها إن الكريم على الإخوان ذو مال

يذكر أحيحة بلقبه فيقول أبا عمرو، فيعجب الناس لهذه المعرفة بخفايا الأمور(١١٩).

إذا علمنا هذا أدركنا سر عنايته بالشعر والأدب، وتوقعنا منه أن يشجع الشعراء ليفدوا عليه ويناقشهم فى شعرهم، ويدلى لهم فيه بالرأى الحصيف. وفى الموشح موقف بينه وبين العجاج تبدت فيه دقة الحاسة الفنية(١٢٠) ، ودل على أنه كان يفتح بيته للشعراء ويتقبل مدائحهم ويحفزهم على الإبداع.

ولم يكن سليمان أقل احتشادا للشعراء من أسلافه، ويخيل إلينا أن مجلسه كان عامرا دائما بالشعراء كما تخبر سيرته، حتى إنه إذا حج أبى إلا أن يحج معه الشعراء، وهو كأسلافه حريص على أن يضرب الشعراء بعضهم ببعض ، يستثير بذلك قرائحهم لتنتج من السياسة والأدب ما يبتغى.

قال الطبرى: «حج سليمان بن عبدالملك، وحج الشعراء معه، فلما كان بالمدينة راجعا تلقوه بنحو أربعمائة أسير... حتى دفع إلى جرير رجلا منهم فدست إليه بنوعبس سيفا فى قراب أبيض وضربه فأبان رأسه، ودفع إلى الفرزدق أسيرا فلم يجد سيفا فدسوا له سيفا... لا يقطع فضرب به الأسيرضربات فلم يصنع شيئا، فضحك سليمان والقوم، وشمت بالفرزدق بنوعبس أخوال سليمان»(١٢١).

لقد كانت هذه الحادثة مصدرا ثرا طالما اغترف منه جرير فى هجاء الفرزدق، ولا نريد أن نفارق سليمان دون أن نذكر له تفضيله نصيب على

الفرزدق، وإن كانت حادثة مشهورة لأنها تخدم ما نحن فيه إذ إنها تدل على وفادة الشعراء عليه، وتزاحمهم، وتدل على أنه ذو حاسة فنية، وتدل على أنه يريد أن يلهب حواس الشعراء، ويثير بينهم الغيرة التي تدفعهم إلى التجويد(١٢٢).

لم يكن هناك خليفة في فترتنا لم يحفل بالشعراء، ويزجي لهم ضروب التشجيع سوى الخليفة عمر بن عبدالعزيز فإنه حين استخلف وفد عليه الشعراء فلم يأذن لهم، وأخذ يسمى له الشعراء وهو يرفض أن يدخل عليه من يسمى له، ويذكر له شعرا متهتكا، ثم أذن لجرير فقال بعد أن خرج من عنده: خرجت من عند أمير يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء(١٢٣).

لقد كان عمر بن عبدالعزيز نسيجَ وحده من بين الخلفاء لم يحفل بالعصبية، ولا بالتكالب على الدنيا، وكان زاهدا، والشعر نكد بابه الشر، ومن ثم رأيناه لا يعني كثيرا بالشعراء. وإذا كان الناس على دين ملوكهم فأولى أن يكون الولاة والأمراء على دين من ولوهم. وقد رأينا ولاة الأمويين يسيرون على نهج الخلفاء في عقد مجالس للأدب، والاستماع إلى الشعراء، ومحاولة استثارتهم بشتى الطرق، ولنذكر ولاة ثلاثة كنماذج لعناية الولاة بالأدب والشعر هم: الحجاج، وعبدالعزيز بن مروان، وبشر بن مروان؛ فأما الحجاج فنحن نعلم أنه خطيب بارع، وقد اقتبس في خطبته المشهورة ما يدل على اطلاعه وحسن اختياره، ورأيناه في موقف آخر يأسف لضياع شعر أمية بن أبي الصلت(١٢٤)، وهذا الأسف يدل على إدراكه لقيمة الشعر والخسارة التي حلت بفقد شعر شاعر، ونحن نعلم أن جريرا كان شاعر الحجاج قبل أن يسيره إلى عبدالملك(١٢٥)، وفي الأغاني مجلس للحجاج يمدحه فيه جرير والفرزدق(١٢٦).

على أن أثر الحجاج في كثرة الإنتاج الأدبي لا يقف عند هذا الحد، وإنما يتجاوزه إلى أبعد من هذا، فقد «أثار عليه كثيرا من الشعراء عابوه وذموه، وأرهب كثيرا منهم فخافوه واعتذروا إليه، وأحسن إلى كثير منهم فمدحوه وأثنوا

عليه خيرا، وأثار بينهم غيرة وحسدا فهاجى بعضهم بعضا، وسجن بعضهم فانطلقت ألسنتهم بمر الشكوى من سجونه»(١٢٧) .

وبذلك يكون الحجاج قد أسهم فى إحياء الأدب وتشجيعه بقدر ما أسهم كبار الخلفاء الأمويين.

وأما عبدالعزيز بن مروان فقد كان واليا على مصر، ونحن لا تهمنا المنطقة الغربية للدولة لأنها تبعد بنا عن بيئة القطامى، ولكن الشعراء الذين التفوا حول عبدالعزيز كانوا وافدين من البيئة التى نتحدث عنها، ولم يتأثروا بالبيئة الجديدة تأثرا يطبع إنتاجهم بطابع البلد الجديد، فهو من هذه الناحية يحسب من إنتاج البيئة التى نتحدث عنها، وتشجيعهم يندرج فى مجال ما ندلل عليه.

وإذا ذكر عبدالعزيز ذكر نصيب وأيمن بن خريم، وسنعرض رواية أبى الفرج فى هذه النقطة، ثم نستنتج منها بعض النتائج، قال أبو الفرج ـ والراوى نصيب ـ: «فدخلت فسلمت على عبدالعزيز فصعد فى بصره وصوبه ثم قال: أنت شاعر! ويلك ! قلت: نعم أيها الأمير قال: فأنشدنى، فأنشدته فأعجبه شعرى، وجاء الحاجب فقال: أيها الأمير هذا أيمن بن خريم الأسدى بالباب قال: ائذن له، فدخل(١٢٨) .

وبعد مناقشة بين عبدالعزيز وأيمن حول شاعرية نصيب وقيمته، وإنكار أيمن لكل ذلك يقول عبدالعزيز لأيمن: «هو والله أشعر منك، قال: أمنى أيها الأمير! قال: إى والله منك، قال: والله أيها الأمير إنك لملول طرف، قال: كذبت والله ما أنا كذلك ، ولو كنت كذلك ما صبرت عليك تنازعنى التحية ، وتؤاكلنى الطعام، وتتكئ على وسائدى وفرشى وبك ما بك!ـ يعنى وضحا كان بأيمن ـ قال: ائذن لى أخرج إلى بشر بالعراق، قال: قد أذنت له، وأمر به فحمل على البريد إلى بشر»(١٢٩) .

وتعطينا هذه الرواية اهتمام عبدالعزيز بالشعر، وحدبه على الشعراء، وإلا لما تجشموا المتاعب وتحملوا مشاق الارتحال إليه، كما تعطينا أنه ناقد بصير ذو ضمير أدبى منصف يفضل شعر نصيب إذا رأى ذلك ويغض النظر عن مستواه

الاجتماعى وزيه، وتعطينا مكانة أيمن كشاعر تلك المكانة التى تبيح له أن يرد على الأمير ذلك الرد القاسى، وكيف أن الأمير اكتفى بالدفاع عن نفسه ولم يثر به ويعاقبه. لقد ساعد عبدالعزيز من جانبه القصى على أن يجعل الشعراء الذين وفدوا عليه يدبجون الروائع من بين مثن عليه، وناقم ساخط.

وأخيرا نواجه بشر بن مروان، وله مع الشعراء شأن كبير، ففى مجلسه نلتقى بفحول الشعر الأموى: الفرزدق وجرير والأخطل والراعى، كما نلتقى بغيرهم مثل سراقة البارقى، وسياسته نحو الشعراء لا تخرج عن سياسة سابقيه، فهو يجعلهم يزدحمون على بابه، ويحضرون مجالسه، حتى إذا اجتمع بهم أثار ثائرتهم بتفضيل أحدهم على الآخر أو بأن يأمر أحدهم بهجاء الآخر، ومن وراء كل ذلك يثرى الشعر والأدب.

يقول جرير عن سراقة البارقى: «حمله بشر بن مروان، وأكرهه على هجائى»(١٣٠)، وهو يريد أن يستمع إلى الفخر ويترك الهجاء، ولعل له من وراء ذلك بغية، وذلك أن الهجاء يعتمد على الشتائم، والفخر يعتمد على ذكر الأمجاد والأيام والمكارم، فغرضه من ذلك أحد شيئين: إما أنه يريد أن يتعلم من هذين الشاعرين المثقفين أمجاد القبائل، أو أنه يريد إثارة عصبية قبلية بغيضة، ثم إنه ينهى المفاخرة بروح رياضية آخر الأمر فيثيب المحسن والمسىء(١٣١)

ومن ضربه الشعراء بعضهم ببعض ما فعله مع الأخطل والراعى حين دخل الأخطل عليه «وعنده الراعى، فقال له بشر: أنت أشعر أم هذا؟ قال: أنا أشعر منه وأكرم، فقال الراعى: ما تقول؟ قال: أما أشعر منى فعسى، وأما أكرم فإن كان فى أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم»(١٣٢).

ولقد كان بشر سببا فى الاشتباك الذى جرى بين جرير والأخطل، وأنتج لنا ديوانا كاملا من الشعر هو «نقائض جرير والأخطل»(١٣٣).

تلك هى عناية الخلفاء والأمراء بالشعر والأدب ومجالسهم عرضناها عرضا واحدا لأنها متشابكة، ونرجو أن تكون قد حققت الغاية التى نشدناها من ورائها، ونحن لا ننسى إلى جوار كل هذا دور الشعر والخطب فى البيعة ليزيد،

فقد استغل معاوية ذلك استغلالا ناجحا كما استغلها من بعده عبدالملك فى البيعة لبنيه، كما أننا لا ننسى الوفود التى كانت تفد على الحكام وما كان يدار فيها من حجاج أدبى وعقلى(١٣٤).

كل ذلك قد عاد على الأدب والشعر بالخير فى شتى النواحى، وأكثر من الإنتاج الأدبى فى الأغراض السياسية وغير السياسية، وحدا بالشعراء إلى تنقيح شعرهم وتهذيبه.

بقى عامل من العوامل التى ساعدت على نهضة الأدب فى فترتنا تلك وهو عامل العصبية، ونحن حريصون على ألا نطيل فيه هنا لأننا عرضنا لجانب منه من قبل فى الكلام على الحياة السياسية، وسوف نعرض له من بعد كذلك.

ويهمنا أن نقول إن الحكام الأمويين هم الذين حملوا لواء تلك العصبية، وأثاروها سواء فى المحيط الأدبى أم فى المحيط السياسى، وقد كانت متصلة فى أغلبها بالماضى، ومفاخر الأجدادوأصول العرب وجراثيمها، ونحن نرى الخلفاء يهتمون بتلك الناحية، ويسألون عنها، ويحاولون تكوين معلومات عن أنساب العرب وقبائلهم وشرفائهم ووضعائهم، فمرة نرى معاوية يدخل عليه دغفل النسابة فيسأله عن أنساب العرب(١٣٥)، ونشاهد فى مرة أخرى علماء النسب بحضرة عبدالملك(١٣٦)، ونرى معاوية يسأل الكلبى عن أعز العرب وأشرف بيت فى العرب، وأفصح العرب(١٣٧)، ونرى عبدالملك يسأل جلساءه فى الأنساب فيثير مفاخرة بينهم(١٣٨).

لقد لفتت هذه الطريقة الناس إلى ماضيهم، فارتدوا إليه كل يحاول أن يستخرج منه المفاخر، ولم تقف المسألة عند هذا الحد بل تعدته إلى أن يحاول كل أحد أن ينتقص من قدر الآخرين، وكانت معارك أدبية أيقظت الأدب، وأذكت ناره.

أما المفاخرات فقد فاحت فى الجو الأموى حتى ملأته كله، وتعددت هذه المفاخرات وأدارها الحكام كذلك، فمفاخرات بين بنى أمية وبنى هاشم(١٣٩) ومفاخرات بين بنى هاشم وابن الزبير(١٤٠)، ومفاخرات يديرها الحكام فى

مجالسهم بين سادات العرب وربما اشتركوا فيها(١٤١) وقد نرى هذه المفاخرات داخل البيت الحاكم نفسه(١٤٢)، وتتنوع هذه المفاخرات فنراها فى الأنساب والمفاخر كما تعطيه الأمثلة السابقة، وقد نراها بين الحاضرة والبادية(١٤٣)، ولعله لم يغب عن أذهاننا بعد ما أشرنا إليه من المفاخرات بين الأمصار كالذى كان بين الكوفة والبصرة.

تلك هى بذور العصبية التى أثارها الأمويون، والتى ما زالت تكبر حتى أنتجت ثمار الشر، فاستحالت من مجادلات كلامية إلى مجادلات بالسيوف والرماح، وقضت على كل شىء حتى على الدولة نفسها، أما العصبيات السياسية فقد أشرنا إلى طرف منها، وقلنا إنها كانت موجودة قبل «مرج راهط» ثم أخذت بعد المرج تأخذ مجالا أوسع، ومما لا شك فيه أن هذه العصبيات جميعها كانت ارتدادا بالأمة إلى الروح الجاهلية، وانتكاسا للنفس الإسلامية، ورجعة بغيضة إلى أسلوب القبيلة، ولما كان الأدب والشعر بالذات هو السلاح الذ ى كانت تحارب به القبيلة فى الجاهلية، وكانت تقدمه على حرب السيف، وكان ينقص من قدر القبيلة ألا يكون لها شاعر يتحدث باسمها، حتى إنها كانت تهنأ بالشاعر الذى ينبغ كما تهنأ بالفرس التى تنتج(١٤٤) لأن الكل أدوات عزة ونضال، لما كان ذلك كذلك سارت الحياة هنا على نحو شبيه بما سارت عليه هناك، وسلت كل قبيلة سيفها كما سلت شاعرها، وسل الحكام ألسنتهم أو شعراءهم، واستحال الجو كله إلى شعر يسهم فى السياسة، ويدلى برأى فى المعارك الدائرة، ويحكى المفاخر، وينتصر وينحاز، وسيبدو هذا القول واضحا حين نتكلم عن شعر البيئات المختلفة وسماته التى ينطبع بها، وحسبنا هنا أن نعرض صورة موجزة لما كان بين العرب من عصبيات، فلقد «شهد التاريخ الإسلامى عصبيات شتى فكانت إقليمية بين الشام والعراق، الأول مع معاوية والثانى مع على، ثم صار الحجاز مع ابن الزبير، وكانت مدينة بين المدن فالبصريون مع طلحة والكوفيون مع الزبير فى ثورة عثمان، وأما ثورة المختار فكانت البصرة تدل على الكوفة بإنقاذها من أصحابه، فردت الكوفة بما هزمت البصرة يوم الجمل، وكانت جنسية بين العرب والموالى، وعائلية بين الأمويين

والهاشميين، وأخيرًا كانت قبلية بين القبائل الشمالية كقيس وتغلب، وبين عدنان وقحطان، كما كانت بين كلب وقيس أو بين الأزد وربيعة»(١٤٥).

ولا ندرى أنأسف لنشوب هذه العصبيات وما أريق فيها من دماء وقطع من أرحام ودنس من أعراض، أم نغتبط لأنها عادت على الأدب والشعر بالرواج، ولأنها خلفت لنا ثروة أدبية لا تنقصها القيم الفنية، وإن كان ينقصها القيم الخلقية؟

لقد طغى حديث الشعر ـ ونحن نتحدث عن نهضة الأدب ـ على حديث النثر، ونحن ندرك ذلك، ولم يكن التقليل من حديثنا عن النثر إهمالاً له، أو انتقاصا من شأنه، وإنما كان طبيعيا؛ وذلك لأن نهضة الشعر فاقت نهضة النثر بمراحل، وليس أمامنا سوى تعليل واحد تعلل به هذه الظاهرة: لقد ذكرنا أن الحياة الأموية عادت بالناس ـ أخلاقهم وعاداتهم وتفكيرهم ونفسياتهم ـ إلى العهد الجاهلى، ومن المعروف أن المفاخرات القديمة، وأيام العرب وحروبها وعاداتها قد وصفها لنا الشعر ونقلت لنا عن طريقه، وكان الشعر هو المرآة التى طالعنا فيها وجه الحياة الجاهلية، وحين اتجه الناس تلك الوجهة القديمة لم يكتفوا بأن يتقمصوها فى معانيها وقيمها فحسب، وإنما جاوزوا ذلك إلى الأسلوب الذى عبرت به الحياة الجاهلية، فآثروا الشعر، وأكثروا منه، وضمنوه طابع الحياة التى اتجهوا إليها، وأصبح طغيان الشعر فى الحياة الأموية واضحا كل الوضوح، وإن ظل لكل فن من فنون القول سماته الواضحة التى لم تغب فى تضاعيف الشعر.

الشعر فى البيئات المختلفة :

انطبع شعر كل بيئة من البيئات التى تكلمنا عنها فى الحياة الاجتماعية بطابع معين، وسنحاول هنا تحديد طابع الشعر فى كلّ من هذه البيئات.

أولا: الشعر الغزلى فى الحجاز:

قلنا ـ ونحن نتحدث عن هذه البيئة ـ: إن حدود الحجاز وحدود نجد متصلة ومختلطة، ولذا سنتكلم عن البيئتين تحت عنوان واحد هو بيئة الحجاز، وينبغى أن نفصل مبدئيا بين حاضرة الحجاز وباديته التى تندرج فيها نجد، فمع أن الطابع الشعرى العام للبيئتين واحد وهو الغزل إلا أن نوع هذا الغزل قد اختلف فى الحاضرة عنه فى البادية، وسنتحدث أولا عن غزل الحاضرة، ثم نخص غزل البادية بحديث آخر.

لقد قلنا ثمة إن حاضرة الحجاز حاضرة غنية مترفة، ولن نعيد الكلام هنا فى هذا الترف أسبابه ومداه، وإنما نقول إن هذا الترف لابد له من مظاهر، وهى مجالس الأنس واللهو والشراب، وإزجاء الفراغ بما يرفه عن النفس، وثمة ظاهرة تصاحب هذه المجالس ولاتتخلف عنها وهى الغناء، والذى يطالع كتاب الأغانى أو العقد الفريد يخيل إليه أن المدينة ومكة قد استحالتا فى ذلك الوقت إلى جو خالص من الترنيم والنغم، ويبهر عينيه هذا الوميض المشرق لحركة الغناء، فأساتذة وتلاميذ، ومكيون ومدنيون، وأنواع مختلفة للغناء، ومجالس سمر ومجالس تعليم، وآراء للناس فى هذا المغنى أو ذاك، وبالجملة حركة غنائية كبرى لها أصولها، ومدرسة أنغام واسعة فيها المنهج والأستاذ والتلميذ.

قال أبو الفرج: «أول من غنى بالعربى بالمدينة طويس»(١٤٦)، وقال : «إن أول من غنى هذا الغناء العربى بمكة ابن مسجح... وذلك أنه مر بالفرس وهم يبنون المسجد الحرام فسمع غناءهم بالفارسية فقلبه فى شعر عربى»(١٤٧)، ويذكر أن عزة الميلاد كان «مسكنها المدينة، وهى من أقدم من غنى الغناء الموقع»(١٤٨)، ومن المغنين المشهورين بمكة معبد والغريض، أما معبد فقد كان يختلف إلى سائب خاثر، وإلى نشيط الفارسى، وأما الغريض فقد أخذ أول أمره عن ابن سريج(١٤٩)، وقد قال أبو الفرج عن سائب خاثر: «إنه أول من عمل العود بمكة وغنى به، وقتل يوم الحرة»(١٥٠).

نريد أن نقول إنه قد كانت هناك حركة غنائية، وإن لهذه الحركة مبادئ ومتقدمين وتابعين، وإن هذه الحركة كان لها مقران مكة والمدينة، ولعل ذلك كله قد اتضح مما سبق، ونضيف هنا أنه قد كانت هناك تيارات متبادلة بين المغنين بمكة، والمغنين بالمدينة، وأن المكيين كانوا يأخذون عن المدنيين والعكس بالعكس، وأن بعض المغنين كانوا يقيمون بمكة فترة من الوقت وبالمدينة فترة أخرى.

قال أبو الفرج عن ابن محرز: «إنه كان يسكن المدينة مرة، ومكة مرة، فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر، ثم يرجع إلى مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر»(١٥١).

ولقد طاف هذا الرجل ببلاد الروم والفرس فى رحلة أشبه ماتكون بالبعثة التعليمية(١٥٢).

ونلقى هذه الحركة تقابل بالتشجيع والحدب، وتلقى عطفا من الوجهاء والمترفين والحكام، فهذا معاوية يوصى ابنه يزيد أن يختر لسائب خاثر من العطاء(١٥٣)، وهذا يزيد يخلع عليه من الخلع مايغيب فيها حتى لايبدو منه شيء(١٥٤).

تلك كلمة موجزة عن الغناء نعتقد أن بحثنا لايتسع لأكثر منها(١٥٥).

ونواجه بؤرة موضوعنا فنقول إن هذا الغناء مادته الشعر، ولاشك أن أنسب غرض شعرى لهذا الغناء هو الغزل، ولاشك كذلك أن النوع الغزلى المناسب لهذا الجو هو الغزل الحسى والإباحى، ومن ثم رأينا شعر الحاضرة الحجازية ينحصر أو يكاد فى هذا الغرض، وتملأ الدنيا أغاريده الغزليةالرقيقة، فتنفتح النفوس لبعضها، وتصد عن البعض الآخر، و«انتقلت الدولة من عواصم الحجاز إلى عواصم الشام، فتفرغ أولئك المترفون لحياة الفراغ التى لا رقابة عليها، وربما تجاوز الأمر قلة الرقابة إلى التشجيع على حياة المجون والبطالة؛ لأن أصحاب الدولة الجديدة كانوا يخشون من أبناء الرؤساء فى الحجاز أن ينصرفوا عن حياة الفراغ إلى حياة الجد والطموح؛ فليس فى جدهم وطموحهم أمان للدولة الجديدة، وإنما الأمان كل الأمان أن يرتعوا ويجتمعوا على اللغو والفضول وإيثار الدعة والرخاء. فاستأنفت الحواضر الحجازية تاريخا قديما طويلا فى اللهو والمجون، وعادة «الظرف» المأثور فى عرف أولى النعمة أن يصبحوا بين المنادمة والمسامرة وأحبها وأشيعها حديث الغزل ووشايات الغرام»(١٥٦).

ذلك رأى باحث من كبار الباحثين فى العصر الحديث، وهناك رأى باحث آخر «ثم لم تكن هذه البلاد العربية خاضعة لليأس وحده وإنما كانت خاضعة لشيء آخر تريد به الثراء ووفرة المال... وإذا اجتمع اليأس من الحياة العملية إلى الثروة والغنى فماذا عسى أن ينتجا سوى اللهو والإسراف فيه والعكوف عليه... ومن هنا نشأ عمر بن أبى ربيعة وأمثاله فى مكة، ونشأ الأحوص بن محمد وأمثاله فى المدينة، ونشأت حولهم هذه الطوائف من المغنين وأهل المزاح»(١٥٧).

فنحن فى الحاضرة الحجازية أمام فن شعرى هو الغزل الحسى الذى يتناول مفاتن المرأة الجسدية، ولايقتصر على معشوقة معينة، وإنما يعشق الشاعر فيه النوع كله، وتستبيه كل حسناء، هذا الغزل يعود فى أصله إلى عامل اجتماعى وهو الترف والغنى الذى يحيا فى حاضرة تموج بألوان اللهو، وضروب العادات والتقاليد، وهو نوع من إزجاء الفراغ يضرب على وتر حبيب إلى القلوب

الفارغة، ويناسب البيئة التى يحيا فيها، ويجعل الشاعر يعيش مع حبه اللحظة الحاضرة ثم لا يلبث أن يبذل فى الغد حبا جديدا، وما نريد أن نلح على هذا النوع من الغزل بأكثر من هذا، ونحسب أنه قد اتضحت معالمه مما اقتبسناه ومما قلناه، كما نحسب أنه قد اتضحت دواعيه وروافده من الحياة الاجتماعية التى أفعمت باللهو والغناء. غير أننا لن نعبر دون أن نشير إلى زعمائه المعروفين من أمثال ابن أبى ربيعة، والأحوص؛ فالذى يقرأ ديوان عمر يجد فى كل قصيدة تلك الخاصية التى تحدثنا عنها فيحار أيها يدع وأيها يختار، ونفس الكلام يصدق على الأحوص[١٥٨].

ونواجه بعد ذلك بادية الحجاز فنرى فيها نوعا من الغزل يختلف تماما عن النوع السابق وهو الغزل العذرى العفيف، وأهم خصائص هذا الغزل أنه «تشيع فيه حرارة العاطفة، وتشع منه الأشواق، ويصور خلجات النفس، وفرحات اللقاء، وآلام الفراق، ولايحفل بجمال المحبوبة الجسدى بقدر مايحفل بجاذبيتها وسحر نظرتها وقوة أسرها، ثم يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة طيلة حياته أوردحا طويلا من حياته»[١٥٩]. ولقد هيأت البادية أهلها لهذا النوع من الغزل؛ فتقاليدها صارمة، وفى جوها الهدوء والروحانية وجمال الله، وتربيتها تقوم على التزمت وتغلب عليها الانطوائية، على أن الحب عاطفة إنسانية غلابة، فإذا أتيح من هذا الجو نوع من الحب فإنه يكون حبا مناسبا لعواطفهم وتربيتهم وجوهم، حب فيه العمق والعفة والتفانى، بعيد عن اللهو والعبث وتنقيل الفؤاد من الهوى حيث شاء، وهو يقوم على استبطان النفس وتحليل العاطفة والحرمان الحاد، ليست البادية إذن محرومة من الحب والغزل، ولايمكن أن تحرم من عاطفة إنسانية لكنها هذه العاطفة التى تعبر عن نفسها فى إطار مناسب للبيئة.

«إن البادية أفرغ للغزل وأرحب به مجالا من الحاضرة على غير مايتبادر إلى الذهن من الخطوة الأولى؛ لأن البدوى والبدوية يستعيضان بالغزل عن عشرات من الملاهى الحضرية التى تدور عليه وتحوم حوله فى المدينة الكبيرة»[١٦٠].

ويعلل الدكتور طه حسين ظهور هذا الغزل باليأس الذى يشترك أهل البادية فيه مع أهل الحاضرة، ثم يقول إن أهل الحاضرة كانوا أغنياء فلهوا، وأما أهل البادية فكانوا فقراء فزهدوا وتصوفوا، وتسبب عن ذلك أن غزلهم كان غزلا عفيفا(١٦١).

وجميل مثال صالح لهذا النوع من الغزل، ويعتبر أستاذا لشعراء هذا النوع، وقد اشتهر بمحبوبة معينة حتى سمى بها فقيل «جميل بثينة»، ويمتاز شعره بعاطفة آسية، ونفس مكروبة، وحب صادق عميق، وهو يشكو من البين، ويتوقع طول الحرمان، ويخاف من المستقبل، وهذه خصائص النفس المنطوية التى تربت فى ظل تقاليد صارمة (١٦٢).

ثانيا: شعر المديح فى الشام:

لاحظ بعض الباحثين أن بيئة الشام ليست بيئة شاعرة فقال: «وفرق بعيد جدا بين نشاط الشعر فى العراق ونشاطه فى بيئة الشام، ففى العراق نستطيع أن نعد أسماء شعراء ممتازين بالعشرات، أما فى الشام فلا يكاد يظهر على المسرح شاعر ممتاز سوى عدى بن الرقاع.... فبيئة الشام لم تكن بيئة شاعرة.. وأكثر ماكان يقال فيها من شعر كان يفد عليها من الخارج»(١٦٣).

على أ ن الجرى وراء تعليل هذه الظاهرة لايعنينا، وإن كانت فى ذاتها ظاهرة صحيحة، إذ إننا نرى المداحين لبنى أمية، والحاضرين لمجالسهم، والمزدحمين على أبوابهم من الشعراء ليسوا من الشام نفسها، وإنما هم يفدون من هنا ومن هناك، والغالب على هذا الشعر الذى يتردد صداه فى بيئة الشام أنه يقال للمديح، فقد رأينا جيشا من الشعراء طوال فترتنا يترددون على مجالس الحكم، ويشدون فى مدح الحكام، ويغدق عليهم العطاء فيكثرون، ويتضاعف شعر المديح، ويفوح فى جو الشام كله، ونحن إذا استعرضنا هذا الشعر رأيناه ينحصر فى المدح بالصفات الشخصية حينا، وبكرم الأصل وكرم السلف حينا آخر، وأحيانا يتجه إلى عظمة الدولة والملك فيشيد بهما، وقد يستلزم ذلك هجاء

المخالفين والتقليل من شأنهم، والدعوة إلى أن يضرب على أيديهم بشدة، أو الشماتة بهم إن كانوا قد ضرب على أيديهم فعلا.

هذه هى السمات العامة لطائفة من الشعراء الذين التفوا حول الأمويين وملأوا جو الشام بهذا اللون من الشعر، وإذا كان عدى بن الرقاع حضريا دمشقيا، ومداحا للأمويين كما قال عنه أبو الفرج(١٦٤) فإن طائفة كبيرة منهم كانت من سكان البوادى أو القرى، ومن هؤلاء الشعراء أبو صخر الهذلى الذى كان مواليا لبنى مروان متعصبا لهم، وله فى عبد الملك بن مروان مدائح (١٦٥)، ومن هؤلاء أعشى ربيعة «وكان مروانى المذهب شديد التعصب لبنى أمية»(١٦٦) وله مدح فى عبد الملك يجعله ينتشى ويستطيل(١٦٧) كما أن من هؤلاء الشعراء أمية بن أبى عائذ، وقد ذكره أبو الفرج على أنه «أحد مداحى بنى مروان، وله فى عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان قصائد مشهورة»(١٦٨)، ولانستطيع أن نغفل ذكر النابغة الشيبانى فى هذه الناحية، وقد لاحظنا أنه يتدخل فى السياسة العليا للدولة(١٦٩).

وهناك طائفة أخرى من المداحين سنعرض لها فى حديث قريب على أن هذا لايعفينا من الإشارة إليها هنا، ولعلها أخطر من الطائفة السابقة وأهم، تلك هى طائفة الفحول ممن كانوا يفدون من البادية، ويمدحون الحكام، ويساهمون فى السياسة مثل جرير والفرزدق والأخطل والراعى والقطامى، لقد وفدوا على الشام، وكثر بعض هذه الوفادات كوفادات الأخطل وجرير والفرزدق، وقل بعضها كوفادات الراعى والقطامى، وملأوا مجالس الخلافة وجو الشام من شعرهم الرائع، وضربوا فى كل ناحية من النواحى التى ذكرناها فى كلامنا على سمات المديح بسهم، وأسهموا فى سياسة الدولة إسهاماً فعالاً، ويعنينا منهم هنا الجانب الذى نتحدث عنه وهو جانب المديح، ومدائحهم فى الدولة مشهورة تنضح بها دواوينهم، وجزء كبير منها كان يتم فى الشام؛ لكثرة وفاداتهم عليها، ولانحب أن نسترسل مع هؤلاء فلذلك مكان آخر من بحثنا.

وقبل أن نترك شعر المديح نحب أن نقول كلمة فى مدى إخلاص هؤلاء الشعراء، ومدى صلاحية شعرهم لأن يمثل فكرة معينة، وهل يمكن أن نسميهم

مثلا شعراء الأمويين بالمعنى الذى نسمى به غيرهم شعراء الشيعة أو شعراء الخوارج، أم أنهم مجرد مداحين عابرين كالعصافير التى تجتمع على الحب فى أى مكان ولاتخلص للأرض إلا فى وقت الربيع؟

الحق أن المطلب القريب ـ أعنى طلب العطاء والامتياح ـ يغلب على هؤلاء، وكثير منهم يعلن الطلب صراحة، وقد نبه الأستاذ «نالينو» على شىء قريب من هذا فقال: «إن شعراء بنى أمية كانوا شعراء الدولة فمدحوا خلفاء وأمراء ورجالا كان فى أيديهم القوة المادية والسلطة والملك، فلا غرو أن غلبت فيهم الدنيا على الدين»(١٧٠).

وقد يبدو شعرهم رائعا كفن، ولكن العقيدة لاتشع فى كثير منه، وهم معذورون فى ذلك؛ لأن الدولة الأموية لم تقم على أساس من العقيدة، بل قامت على أساس مادى، ومن ثم اتسم شعر المدح ـ فى مجموعه ـ بالصدق الفنى أكثر مما اتسم بصدق الفكرة والعقيدة. قال بعض الباحثين: «والشعراء الذين يمثلون هذ الحزب الأموى سايروا الملوك، فكانوا على العموم نفعيين يمدحونهم طمعا فى العطاء أو خوفا من العقاب، وقلما تجد من يمدحهم على أصل مذهبى...»(١٧١).

ثالثا: الشعر الحزبى فى العراق:

دعانا إلى أن نجعل العراق مقر الشعر الحزبى مارأيناه من تكتل الأحزاب بصفة عامة فى هذا الإقليم، فقد نبعت معظم الثورات التى تكونت حول الأفكار الحزبية من هذه الجهة، فرأينا ثورات الخوارج تنبع من هناك، ورأينا ثورات الشيعة كذلك، ورأينا ابن قيس الرقيات ممثل الحزب الزبيرى يصاحب المصعب فى العراق إلى أن قضى، فنرجو أن يكون هذا العنوان مناسبا على مافيه من التعميم إلى حد ما.

وسنتقيد بعنواننا هذا فلا نعرض للمبادئ الحزبية والنظريات التى أنتجت هذا الشعر بشكل مفصل، فإن لذلك موضعه من الكتب المتخصصة فى هذا المجال.

وسنتناول شعر الخوارج واضعين فى أذهاننا نشأة هذا الحزب بعد حادثة التحكيم المشهورة، وتطوره، والأفكار التى قام عليها، ونظرياته الشعبية فى الخلافة والحكم، ونظرياته الدينية فى الكفر والإيمان، وفى العقيدة والعمل، والفرق المختلفة التى تفرعت من هذا الحزب دون أن نلح على ذلك بأكثر من هذا.

والناظر فى شعر الخوارج يجده صورة من نفوسهم الثائرة، يفيض بالحماس الدينى، وبالزهد فى الدنيا، وتفضيل الشهادة وحب الموت فى سبيل الفكرة، كما يجد فيه الروح العربية البدوية، ولاننسى أن الخوارج كانوا عربا خلصا؛ فهو أدب القوة والتضحية، وهو أدب العاطفة الدينية المتطرفة(١٧٢)، وقد أشرنا إلى أن قول عمر بن عبد العزيز لهم قد لخص رأينا الذى نرتضيه فيهم، أعنى أنهم قوم مخلصون أرادوا أمرا شريفا، ولكنهم أخطأوا الطريق المعتدل الهادئ، وجمحت بهم العاطفة إلى الحد البعيد، فرفضوا الحل الوسط دائما.

والمطالع لشعرهم يجد هذا الطابع لديهم جميعا واضحا جليا دون تفريق بين شاعر وشاعر. ومن شعرائهم المشهورين قطرى بن الفجاءة(١٧٣)، والطرماح ابن حكيم، وتتبدى فى شعر الأخير العاطفة القوية، والرجولة الكاملة، والبعد عن زخرف الدنيا ورفه المرفهين، وكذلك من شعرائهم عمران بن حطان، والدهيم المرادى(١٧٤)، والحقيقة أن شعر الخوارج مرآة صافية لإباء النفس العربية التى تشربت روح الدين فوجهت قساوتها وشدتها وجهة خاصة وهى المحافظة على الدين، والفناء فى سبيله.

وقد سبقنا بعض الباحثين إلى ملاحظات قيمة عن هذا الشعر يمكن أن تستنبط ببساطة من النماذج التى طالعناها لهم، وسنلخص هذه الملاحظات فى كلمات:

فشعرهم وأدبهم عموما أصدق صورة لمذهب سياسى دينى، وقد احتفظوا فيه بطابعهم البدوى المهذب، وكان شعرهم صورة صادقة لنفوسهم، ولم يرتزقوا بالشعر، وفنيت عصبياتهم القبلية فى مذهبهم، أما شعرهم فجديد فى

موضوعه وفى معانيه، وهو مقطوعات تحققت فيه الوحدة الفنية إلى حد بعيد[١٧٥].

وإذا واجهنا الشعر الشيعى برز لنا وجه الكميت بن زيد الأسدى، وقد كان تشيعه عاما لبنى هاشم، ولم يظهر فيه الانحياز لفرقة معينة من الشيعة، قال عنه أبو الفرج: «كان معروفا بالتشيع لبنى هاشم»[١٧٦]، وقال: «كان الكميت شيعيا»[١٧٧]، وقد تصفحنا ديوانه المسمى «بالهاشميات» فوجدناه يزخر بهذه الناحية، وهو تقليدى يبدأ بالغزل ثم يتخلص إلى موضوعه، ويأخذ فى مدح بنى هاشم بالصفات النفسية والخلقية والإسلامية[١٧٧]، والديوان كله مديح فى بنى هاشم كما هو واضح من اسمه، إلا أننا لاحظنا بعد ذلك انحرافا فى مسلك الكميت فتخلى عن مذهبه، وساير ركب الحياة، ومدح الأمويين:

فالآن صرت إلى أمية والأمور لها مصائر[١٧٨].

فما السبب الكامن وراء هذا الانحراف؟ هل هو حب المال، وبهرج الحياة الدنيا، والضيق المادى الذى يعيش فيه أصحاب المثل، ولايقدر عليه إلا الأبطال؟ أو هو حيلة لها سند من مذهب الشيعة نفسه وهو التقية؟ مهما كان الأمر فإننا نسجل على الكميت هذا الانحراف، ونسجل عليه انغماره فى زمرة المداحين.

ونخلص بعد ذلك إلى شاعر آخر هو كثيّر، وكثير مرتبط فى الأذهان بالغزل فى عزة، ولكننا اتخذنا جميلا كصورة صافية للغزل العذرى، ورأينا كثيرا لاينقطع لعزة، بل يتشيع ويمدح الخلفاء فبرر لنا هذا اتخاذه نموذجا للشاعر الشيعى، وهو يغالى فى تشيعه، ويوغل فى هذا المذهب فينحاز إلى فرقة معينة، ويعبر عن مبادئها، تلك هى فرقة الكيسانية، قال أبو الفرج عنه: «وكان غاليا فى التشيع، يذهب مذهب الكيسانية، ويقول بالرجعة والتناسخ»[١٧٩]، ويقول ابن عبد ربه فى كلامه عن فرق الشيعة: «ومن الروافض كثير عزة الشاعر»[١٨٠]

ومن شعرائهم أيضا أيمن بن خريم، وقد ذكر أبو الفرج أنه كان يتشيع[١٨١].

لقد لاحظنا أن شعراء الشيعة ليسوا من القوة والحفاظ والتضحية كما رأينا عند شعراء الخوارج، فكثير نفسه يدخل على الخلفاء ويمدحهم، ولايخلص لناحية واحدة، فهو محب، وهو متشيع، وهو مداح، وقد يكون اختلاف شعراء الشيعة عن شعراء الخوارج راجعا إلى طبيعة كل حزب، ورجال كل حزب. قال الأستاذ الشايب: «كان الشعر الشيعى يجمع بين الاحتجاج والتصوير، وكان الكميت الأسدى يتزعم ناحية الاحتجاج فى هاشمياته. كان شعرهم السياسى يظهر فى فنون شتى فهو احتجاج وتصوير ومديح ورثاء وابتهال إلى الله... يختلف عن شعر الخوارج فى بعض الخواص، منها أن شعراء الشيعة لم يختصوا بمذهبهم اختصاص الخوارج بل شغلوا بفنون أخرى، وغايات نفعية، فالكميت يمدح الأمويين، وكثير فعل ذلك أيضاً»(١٨٢).

وفى نهاية مطافنا مع الشعر العربى نلتقى بالحزب الزبيرى، وممثله ـ فيما نعتقد ـ هو ابن قيس الرقيات، ومن مطالعتنا لديوانه وأخباره اتضح لنا أنه كان زبيريا يمدح عبد الله ويلازم مصعبا حتى إذا قتل مصعب بيد عبد الملك اختفى ثم استجار بعبد الله بن جعفر فشفع له، ومن يومها صار شاعرا أمويا مداحا، على أن مدائحه فى الأمويين لم تشحن بالعاطفة الحارة كما كان ذلك فى مدح الزبيريين، وقد لحظ ذلك عبد الملك فعاب عليه فتور شعره فيه، وقارن بين مدحه له ومدحه لمصعب، وهو لايكتفى فى عهده الجديد بأن يكون مداحا للأمويين، وإنما يتدخل فى الشئون السياسية فيؤازر عبد العزيز بن مروان حين يحاول عبد الملك خلعه، الأمر الذى جعل عبد الملك يقول: «لقد دخل ابن قيس الرقيات مدخلا ضيقا»(١٨٣).

ويرى بعض الباحثين أن ابن قيس الرقيات يمثل القرشية الواسعة لا الزبيرية الضيقة، فليس فى صيرورته إلى الأمويين إذن مايخالف مذهبه؛ لأنهم قرشيون(١٨٤)، وقد قرأنا ديوانه فوجدنا فيه مدحا لعبد الملك وعبد العزيز(١٨٥)، ومدحا لعبد الله بن جعفر مؤمنه(١٨٦)، ومدحا لمصعب وعبد الله(١٨٧)، ورثاء لمصعب(١٨٨).. إلخ، ولانرى فى ابن قيس الرقيات إلا متحيزا لطائفة معينة،

فلما غلبت هذه الطائفة، وكان الشاعر جبانا كما تقول المصادر [١٨٩] خاف العاقبة، وصار إلى الجالسين فى الحكم يمدحهم ليعيش.

هكذا نرى أن العراق مقر الشعر الحزبى على اختلاف بين طبيعة هذه الأحزاب، وعلى التقاء فى الهدف وهو مناوأة الحاكمين، والنظر إليهم كمغتصبين، وقد رأينا فى شعر الخوارج صدقا وقوة وإصرارا لم نره عند الشيعة مع أن أساس الحزبين دينى، كما لم نره عند الزبيريين ممثلين فى ابن قيس الرقيات.

رابعا: شعر العصبيات فى بادية العراق:

قلنا إن تكوين الكوفة والبصرة قد روعى فى تكوينهما النظام القبلى، وإذا صح ذلك بالنسبة لحاضرة العراق فإننا نتوقع أن تكون البادية مظهرا للنظام القبلى الكامل، ومن المهم أن نضع بعض الحقائق نصب أعيننا ونحن نتحدث عن هذه النقطة، فحياة البادية لم تختلف كثيرا فى وقتنا الذى نتحدث فيه عنها فى العصر الجاهلى، والقبائل مازالت تحيا حياة اجتماعية شبيهة بحياتها فى الجزيرة قبل الإسلام، والحكام الأمويون يستغلون هذه الناحية لصالحهم كما أشرنا من قبل، ومن المعروف أن القبيلة كانت تعتمد على الشعراء اعتمادا أساسيا فى حياتها وحفظ كيانها، قال ابن رشيق: «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فى الأعراس، وتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج»[١٩٠].

تلك هى الوسائل التى تعتمد عليها القبيلة: الولد فهو نواة الجيش الصغير الذى يحميها، والشاعر فهو السلاح اللسانى، والفرس الوسيلة المهمة فى الحروب، ومنها يظهر مكانة الشاعر الهامة فى هذا النظام.

وقد تمثلت الحياة القبلية فى المنطقة التى نتحدث عنها تمام التمثل، «فكانت حالتهم السياسية فى العصر الإسلامى صورة لحياتهم السياسية فى العصر

الجاهلى... فقد رأينا كيف عادت الخصومة والمنافسة بين مضر واليمن وربيعة، ثم بين القيسية واليمنية... وماذلك إلا لأن البصرة لم تتطور من الناحية السياسية فعاشت على تراثها الماضى»(١٩١).

والحياة القبلية تقوم على الانفصال الاجتماعى، فكل قبيلة تحيا منطوية داخل نظامها الصارم، وبمقدار ترابطها الداخلى نرى التفكك الاجتماعى بين كل قبيلة والقبائل الأخرى، اللهم إلا فى حالات قليلة من الحلف والجوار، كما أن الغارة والمقاتلة على المرعى وعلى الماء، والمفاخرة والتزايد فى الحسب والغنى من المقومات الواضحة لحياة البادية، «وكما عادت تقاليد الجوار والمعاقرة إلى الظهور فى مثل هذا الوقت المبكر، كذلك عادت الغارات والغزوات بين الأحياء حول الماء والمال والأخذ بالثأر»(١٩٢) ولانكاد نعثر على شاعر فى هذه المنطقة إلا وطابعه القبلى واضح تمام الوضوح، مئات الأسماء نجدها فى الأغانى وفى الكامل وفى الطبرى تسهم فى إبراز أمجاد قبيلتها فتثير الأيام حينا، وتعقب على الأيام التى تثار بأسباب أخرى حينا آخر، وحسبنا أن نشير إلى أن الحروب بين كلب وقيس تردد فيها أسماء شعراء كثيرين من أمثال زفر وابن الحباب، وحين اشتركت تغلب فى الدائرة تردد اسم شعرائها وحملوا لواء المعركة، والقطامى ينضح شعره بهذه الناحية، وسنفصل ذلك فى الحديث عن شعره تفصيلا.

نشط شعر العصبيات فى هذه المنطقة، يعبر عن السياسة المحصورة للقبيلة وتاريخها وأيامها الحاضرة والماضية، ويتناول السياسة العليا فى بعض الأحيان، وهو فى كل ذلك صورة لاتختلف فى جوهرها عن الشعر القبلى فى العصر الجاهلى.

وهو يقوم فى أساسه على الصراع اللسانى كما تقوم العلاقات بين القبائل على الصراع المادى الحربى، فهو صورة للصراع من ثوب جديد، ويخدم هذا الشعر غرضين فى أكثر الأحيان؛ لأن الشاعر كان لايكتفى بأن يعلى من شأن قبيلته، وإنما يرد عنها جور القبائل الأخرى ومفترياتها، ومعنى ذلك أنه يدخل فى مهمة الشاعر الحط من شأن القبيلة الأخرى، ونقص ماتدعيه من مفاخر

وانتصارات وكفايات، ففيه إذن بذور النقض والمقابلة، ومن ثم فقد تبلور فيما يسمى بالنقائض، ولذا يحق لنا أن نتكلم عن النقائض كمظهر شعرى يمثل هذا النوع القائم على العصبية.

وحين تذكر النقائض تتزاحم على الذهن أسماء الفرزدق والأخطل وجرير والراعى والبعيث إلى غير هؤلاء، ولقد كنا على وشك أن نتكلم عن هؤلاء الشعراء فى شعر المديح، ولكنا ادخرناهم لنتكلم عنهم هنا؛ لأنهم اشتهروا بهذه الناحية أولا، ولأن بعض النقائض تحمل فى ثناياها المديح ثانيا.

سنقتصر فى حديثنا منذ الآن ـ إذن ـ على النقائض، ويعنينا أن هناك عشرات من الشعراء أسهموا فى هذه النقائض فى البداية، ولكنهم سقطوا صرعى من الميدان فاحتجبوا، وبقى شعراء ثلاثة هم الفرزدق وجرير والأخطل ثابتين فى هذا الميدان، فهم الحقيقون بأن نتحدث عنهم، ولانشير إلى غيرهم إلا فى الضرورة، وبذلك لايفوتنا شىء مما نريد إيضاحه.

وقد عرف الأستاذ الشايب النقائض تعريفا وافيا فقال: «أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا، فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ملتزما البحر والقافية والروى الذى اختاره الأول. ومعنى هذا أنه لابد من وحدة الموضوع.. ولابد من وحدة البحر.. ولابد من وحدة الروى.. بقيت حركة الروى ولابد من وحدتها أيضا، وإن اختلفت فى بعض النقائض.. أما المعانى فالأصل فيها المقابلة والاختلاف؛ لأن الشاعر الثانى همه أن يفسد على الشاعر الأول معانيه.. وترتيب الأبيات فى النقيضة لايلزم أن يكون على وفق الأولى»(١٩٣).

وقد بقى لنا من شعر النقائض أثران كبيران، الأول نقائض جرير والفرزدق، وقد طبعت فى أوربا بعناية «أشلى بيڤان» فى ثلاثة أجزاء كبيرة منها اثنان للنص، وثالث للفهارس، والثانى نقائض جرير والأخطل، وقد طبعت فى بيروت بعناية الأب صالحانى اليسوعى، وعلى هذين الأثرين وماتفرق فى كتب الأدب قامت أبحاث المحدثين فى النقائض(١٩٤).

وهذه النقائض تمثل شعر العصبيات الذى نتحدث عنه تمام التمثيل، فالعصبيات سبب من أسبابها، وهى تكوّن مادتها وصورها ومعانيها، وهى أخيرا هدف من أهدافها، وقد ساعدت الحياة الاجتماعية التى أشرنا إليها على نمو تلك النقائض، كما ساعد عليها إثارة الحكام للشعراء المتناقضين، وقد أشرنا إلى موقف بشر بن مروان من الشعراء، وبخاصة حين دفع الأخطل إلى الحكم بين جرير والفرزدق، وترتب على ذلك دخول الأخطل كطرف فى المناقضة .

ومن الأمور التى ساعدت على نمو النقائض أمر متصل بالحياة الاجتماعية والروح الجاهلية، وهو ذلك السوق الشعرى الكبير الذى كانت تنشد فيه بعض هذه النقائض، وكانت فيه حلقة لجرير، وحلقة للفرزدق، أُعنى بهذا المربد عكاظ الإسلام[١٩٥] .

ولن نحتاج إلى كبير عناء لنثبت تأثر النقائض بالعصبيات، فذلك شىء واضح فى نصوصها وفى ملابساتها، وقد اتفق عليه كل من كتب فى هذه الناحية «ولعل العصبيات القبلية خاصة كانت فى العصر الأموى أقوى أسباب النقائض وبواعثها وأبعد مقوماتها تأثيرا فى عناصرها»[١٩٦] بل «إن العصبيات كانت فى ظل الإسلام أبعد أثرا فى هذا الفن الشعرى منها أيام الجاهلية»[١٩٧] .

ولعلنا نكون على حق حين نقول إن جريرا كان المحور الذى أدار النقائض فدارت حوله، فنحن نجده فى المبدأ كما نجده فى النهاية، فقد كانت هناك مناوشات بين بنى يربوع، وتدخل جرير منافحا عن ذويه، ودارت مناقضة بينه وبين غسان بن ذهيل[١٩٨]، ثم حدث حادث شخصى حدا بالبعيث إلى أن يغض من شأن بنى يربوع، ومن يومها «التحم الهجاء بين جرير والبعيث فسقط غسان»[١٩٩]، ولم يكن البعيث يدانى جريرا قوة وسلاطة وفحشا، حدث هذا بينما قيد الفرزدق نفسه وأناب وأثاب وأخذ يحفظ القرآن، «وبلغ نساء من مجاشع (قوم البعيث) فحش جرير بهن فأتين الفرزدق مقيدا فقلن: قبح الله قيدك، فقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم، ففض قيده»[٢٠٠] .

وهكذا شبت المناقضات بين جرير والفرزدق حامية قوية، واستعملا فيها فحولتهما الفنية، وثقافتهما القبلية، وسقط البعيث فلم نسمع له صوتا بعد ذلك، إلى أن أتى يوم دخلها فيه الأخطل ضد جرير بالسبب الذى قدمناه، وكذلك دخلها الراعى بسبب مشابه لسبب دخول الأخطل حين قال:

غلب الفرزدق فى الهجاء جريرا

والتحم الشعراء الفحول، وكال كل منهم للآخر صنوف السباب والشتائم، وفخر عليه وعيره، ونبش ماضى القبائل وأيام العرب.

أما مادة النقائض فهى تمثل الروح العصبية كما قلنا ففيها فخر بالجاهلية وأيامها ومنافراتها(٢٠١) وفيها فخر بالأيام التى دارت رحاها فى الإسلام فجرير يفخر بأيام قيس على تغلب(٢٠٢)، والأخطل يفخر بأيام تغلب على قيس، والفرزدق يقف بجانب الأخطل ضد قيس.

وهكذا تحتل الأيام جانبا كبيرا من النقائض، ومن ثم فهى مرجع هام وأصيل فى هذه الناحية(٢٠٣).

وإلى جانب الفخر بالأيام نجد فى النقائض فخرا بالصفات الشخصية كالكرم والشجاعة والنبل وإيواء الجار، وهجاء بضد هذه الصفات، ونجد فيها كذلك شتائم وسبابا تصل إلى حد المهارة التى لاتهدف لشيء سوى التجريح الشخصى، ومحاولة الانتصار بأى شكل، وجرير هو سيد هذه الدائرة.

ولقد استمرت هذه النقائض بالسمات التى حددناها، وطالت، وكان الزمن يدفع بالمتناقضين إلى البحث، وإدارة الفكرة، وكد الذهن، ومحاولة التزيد من الناحية الفنية حتى أنتجت لنا هذين الديوانين بما فيهما من قصائد طوال تبلغ حد الروعة الشعرية، ثم توفر الشراح عليهما فتوفر أبو عبيدة معمر بن المثنى على نقائض جرير والفرزدق، وتوفر أبو تمام على نقائض جرير والأخطل حتى وصلت إلينا بشروحها النهائية مع مافيها من حوادث وأيام وعادات بالغة الأهمية.

وكان من أثر الزمن فى النقائض، وطول تعاقر الشعراء أن استحالت فى النهاية إلى نوع من الفن، وخفت حدتها، وأصبحت صنعة لاتنطوى فيها النفوس على كبير بغضاء، وتبدى هذا بنوع خاص فى نقائض جرير والفرزدق فقال عنها بعض الباحثين: «حتى أتى على المناقضة وقت خلت فيه من البغض والتحاسد، وأصبحت فنا أدبيًا التقت فيه روح الشاعرين وتشابه شيطاناهما»[٢٠٤] لقد رجعت بالنقائض كفة التاريخ الأدبى حيث عمقته وأثرته ورفدته بكثير من القيم الشعرية الخالصة، وبكثير من الحقائق الاجتماعية والتاريخية، ولكن شالت بها كفة التاريخ الخلقى بما احتوت عليه من شتائم وسباب يندى لها الجبين، ولن نستطيع بحال أن نعرضها مفاخرين.

ولقد قال بعض الباحثين: «أما ما يؤخذ عليها من المساوئ كإشاعة الفحش والسباب، وإثارة الأحقاد والضغائن بين القبائل والأشخاص والأسر فتلك أمور لم تكن من أهدافها ولا من غاياتها، وإنما كانت وسائل فرضتها على الشاعرين طبيعة المناقضة وظروف الحياة العامة»[٢٠٥].

وقد نسلم بأن الحياة العامة قد فرضت على المتناقضين إثارة العداوة والشحناء بين القبائل، ولكنا لانسلم بالنقطة الأولى، فأى حياة عامة تلك التى تفرض على الإنسان ألا يكون مهذبا عف اللسان!! إن الحياة العامة لاتساعد إنسانا على ألا يكون مهذبا إلا إذا وجدت فيه بذور الشر والشراسة وعمل على تنميتها وتكبيرها، ومن ثم فلا عذر مطلقا لهؤلاء الناهشين للأعراض، أما تفضيل أحد المتناقضين على الآخر فلا نريد أن نشغل أنفسنا به فقد تكفلت به الأبحاث المتخصصة.

ونقف عند هذا الحد فى الكلام على الشعر فى البيئات المختلفة، ونحب أن نشير قبل أن ننتهى إلى حقيقة هامة وهى أن هذا التقسيم الذى اصطلحنا عليه لم يكن تقسيما صارما حادا، بمعنى أننا لانجد فى الحجاز إلا الغزل، ولانجد فى العراق إلا السياسة، ولانجد فى الشام إلا المديح، وإنما المسألة أن كل بيئة غلب عليها طابع شعرى معين سوغ لنا أن نجرى فى حديثنا على هذا النحو،

ولايمنع ذلك بطبيعة الحال من وجود مدح وفخر.. إلخ فى بلاد الحجاز مثلا، وهكذا يقال بالنسبة للبيئات المختلفة، غاية ماهناك أن السمةُ الغالبة والطابع العام لكل بيئة كان على النحو الذى قررناه، وجرينا عليه.

(٢) الحياة العلمية

ينبغى أن نقول أول كل شىء إن الحياة العلمية لاتخضع للتقسيم الحاد الذى تخضع له الحياة السياسية، ويصعب على الباحث تحديد بدء التيار العلمى ونهايته، ونرجو أن يبيح لنا هذا الاعتبار الخروج عن فترتنا فى بعض الأحيان تقدما أو تأخرا، هذا إلى أن النقطة التى نريد الحديث عنها يكتنفها الغموض إذ إننا نواجه الحياة العلمية من أولها يوم أن كانت لم تتحدد معالمها الرئيسية بعد.

وأول مانريد أن نواجهه هو التدوين، ومن المعروف أن القرآن دون فى فترة متقدمة، وأنه استقر فى شكله النهائى فى مصحف عثمان، كما أنه من المعروف أن ديوان الرسائل أول ديوان وضع فى الإسلام «فقد كان الرسول (ص) يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة ويكاتبونه، وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام»[٢٠٦].

وقد أتيح لهذا النوع ـ أعنى كتابة الرسائل ـ تطور كبير فى العصر الأموى، وقد كان طابعها سياسيا أول الأمر، ولكننا لم نلبث أن رأينا رسائل إخوانية ورسائل وعظية دينية[٢٠٧].

ولكن هذا النوع من التدوين لايهمنا كثيرا، إنما يعنينا هنا التدوين العلمى، ذلك الذى يتناول شتى العلوم والفنون فيثرى الحياة العلمية ويعمقها فلننظر ماذا كان منه فى ذلك العهد.

والمشهور أن التدوين فى العلوم قد بدأ فى هذا العهد لكننا لن نجهد أنفسنا بالبحث عن أول مدوِن إذ ما الفائدة التى تعود علينا إن كان أول المدونين فى العلم أبان بن عثمان أو ابن عباس أو غيرهما؟ إن الشىء الأهم فى نظرنا هو المدونات نفسها، ولذا فسنعرض لها دون مراعاة للترتيب الزمنى؛ لأنه غير جوهرى من ناحية، ولأنه متقارب بين من سنعرض لهم من ناحية أخرى.

يقول ابن خلكان فى ترجمة وهب بن منبه: «ورأيت له تصنيفا ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم فى مجلد واحد، وهو من الكتب المفيدة، وتوفى وهب المذكور سنة عشر، وقيل أربع عشرة، وقيل ست عشرة ومائة بصنعاء»(٢٠٨).

ولوهب مؤلفات أخرى منها فى القصص وفى الإسرائيليات وفى الحكمة، وينسبون إليه أيضا ترجمة للزبور(٢٠٩). ومن الأسماء التى يجب أن نشير إليها هنا أبان بن عثمان بن عفان، و«يجب ذكر أبان على أنه أول من دون مجموعة خاصة تتناول المغازى»(٢١٠). ويحتل عبيد بن شرية مركزا مهما فى هذه الناحية، وقد كان «فى زمن معاوية... فسأله عن الأخبار المتقدمة، وملوك العرب والعجم، وسبب تبلبل الألسنة، وأمر افتراق الناس فى البلاد، وكان استحضره من صنعاء اليمن، فأجابه إلى ماأمر، فأمر معاوية أن يدون ويُنسب إلى عبيد بن شرية، وعاش عبيد بن شرية إلى أيام عبد الملك بن مروان، وله من الكتب كتاب الأمثال، كتاب الملوك وأخبار الماضين... كتاب الأمثال نحو خمسين ورقة رأيته»(٢١١). وأول كتاب ظهر للشيعة من نتاج تلك الفترة، ففى ابن النديم: «قال محمد بن إسحاق: من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام سليم بن قيس الهلالى، وكان هاربا من الحجاج لأنه طلبه ليقتله فلجأ إلى أبان بن أبى عياش فآواه؛ فلما حضرته الوفاة قال لأبان: إن لك على حقا... وأعطاه كتابا وهو كتاب سليم بن قيس الهلالى المشهور رواه عنه أبان ابن أبى عياش لم يروه عنه غيره،.. وأول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس»(٢١٢).

أما عروة بن الزبير فنكتفى بما جاء عنه فى طبقات ابن سعد «عن هشام بن عروة قال: أحرق أبى يوم الحرة كتب فقه كانت له قال فكان يقول بعد ذلك: لأن تكون عندى أحب إلىّ من أن يكون لى مثل أهلى ومالى... وتوفى سنة أربع وتسعين»(٢١٣)، وماقاله عنه «هورفتس» : «... دون معلوماته عن حوادث الصدر الأول من الإسلام، ووصل إلينا بعض رسائله المدونة فى كتب ابن إسحاق والواقدى والطبرى»(٢١٤). ويذكر «هوروفتس» أبان بن عثمان وعروة

ابن الزبير كمؤلفين أولين فى المغازى، ثم يلحق بهما شرحبيل بن سعد الذى «دون قوائم بأسماء المهاجرين إلى المدينة وأسماء الرجال الذين اشتركوا فى وقعتى بدر وأحد»(٢١٥)، ويحدثنا ابن النديم فيقول: «إن أول من ألف فى المثالب زياد بن أبيه فإنه لما ظفر عليه وعلى نسبه عمل ذلك ودفعه إلى ولده وقال: استظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم»(٢١٦). ولقد كان النحو أيضا من آثار فترتنا تلك، والرأى المشهور أن واضعه أبو الأسود الدؤلى بناء على حوادث خاصة أو إحساس عام بضعف الألسنة نتيجة لاختلاطها بالأعاجم(٢١٧).

وقد دون أبو الأسود شيئا من النحو ذكره ابن النديم بقوله: «ورأيت مايدل على أن النحو عن أبى الأسود ماهذه حكايته، وهى أربعة أوراق أحسبها من ورق للصين ترجمتها هذه فيها كلام عن الفاعل والمفعول من أبى الأسود ـ رحمه الله ـ بخط يحيى بن يعمر»(٢١٨).

وتدوين التفسير لايخرج كذلك عن تلك الفترة «فالمشهور أن أول من دونه مجاهد المتوفى سنة ١٠٤»(٢١٩) وهذا لأننا لسنا على يقين من تدوين أقوال ابن عباس وإلا فإن أول كتاب تفسير يكون غريب القرآن لابن عباس المتوفى سنة ٦٨هـ(٢٢٠).

وفى جانب آخر من هذا العهد نرى بذور حركة علمية من نوع جديد، وهى تلك التى تزعمها خالد بن يزيد، وهى حركة تعنى بالطب والكيمياء وماإليها من العلوم، فأبو الفرج يقول إن خالد بن يزيد بن معاوية «كان قد شغل نفسه بطب الكيمياء فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه»(٢٢١)، وقد قامت هذه الحركة على الترجمة من اللغات الأجنبية مما يدل على أن الترجمة أيضا ابنة ذلك العهد، يقول ابن النديم عن خالد هذا: «وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء»(٢٢٢)، على أنه كانت لخالد مؤلفات إلى جانب ذلك من هذا النوع من العلم «وله فى ذلك عدة كتب ورسائل، وله شعر كثير فى هذا المعنى رأيت منه نحو خمسمائة ورقة، ورأيت من كتبه كتاب الحرارات، كتاب الصحيفة الكبير، كتاب الصحيفة الصغير، كتاب وصية إلى ابنه فى

الصنعة»(٢٢٣)، وابن خلكان يعرفنا بأستاذ خالد فيقول: «وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس الراهب الرومى، وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهن ماجرى له مع مريانس المذكور وصورة تعلمه منه الرموز التى أشار إليها»(٢٢٤)، أما الذى كان يقوم له بالترجمة فهو «اصطفن القديم ونقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها»(٢٢٥).

وكان لبعض الأطباء الذين يعيشون آنذاك مؤلفات؛ ففى ابن أبى أصيبعة: «ولنياذوق من الكتب كناش كبير ألفه لابنه، كتاب ايديال الأدوية وكيفية ذوقها وإيقاعها وإذابتها، وشىء من تفسير أسماء الأدوية»(٢٢٦) وقد عاش «نياذوق» فى زمن الحجاج وتوفى نحو سنة تسعين للهجرة(٢٢٧).

هذه لمحات سريعة عن التدوين فى ذلك العهد، وبنظرة عامة إليها نستطيع أن نقول إن هذه العلوم هى: النحو كما رأينا عند أبى الأسود، والأنساب كما رأينا عند زياد، والتاريخ عموما والمغازى بنحو خاص كما رأينا لدى عبيد بن شرية ووهب بن منبه وأبان بن عثمان وعروة بن الزبير، والتفسير كما وجدنا عند مجاهد، وأخيرا تلك الحركة العلمية التى تركزت فى خالد بن يزيد.

وكل علم من هذه العلوم له فى الاهتمام به دلالة خاصة، أما النحو فقد ذكرنا سبب وضعه، وأما الأنساب والتاريخ فمن المعروف أن الأمويين بنوا جزءا كبيرا من ملكهم على العصبية، وأثاروا فى مجالسهم ذكرى الماضى والجدود، وتفاخروا بالأحساب والأنساب، وقد أشرنا إلى كل ذلك فلا عجب أن يهتموا بهذه الناحية، ولاعجب أن يكون زياد أحد المؤلفين فيها أو أول المؤلفين، وأما التفسير والمغازى فقد كان الاهتمام بهما طبيعيا فهو يمثل حلقة من الاهتمام بعلوم الدين الذى كان من طابع هذا العصر، والذى تجمع وتبلور فى المدارس الفقهية فيما بعد، وسنعرض لطائفة من المهتمين بتلك الناحية كانت تموج بهم حواضر الإسلام وبخاصة فى العراق، وأما حركة خالد بن يزيد فلا نريد أن نفهمها على أنها هواية خاصة لخالد، وإنما هى اتجاه وتنبه لما حول الدولة الإسلامية من علوم يموج بها العالم المتحضر قديما وحديثا، بدأ هذا الاتجاه من هنا وأنتج فيما بعد العلوم العقلية والتجريبية الواسعة فى عهد

بني العباس، وأما الحديث فيذكرون أن تدوينه تأخر بعض الوقت، ويرد ذكر ذلك فى عهد عمر بن عبد العزيز، ولاندرى إن كانت محاولة تدوينه فى عهده قد تمت أم أنها قد تأخرت كذلك. يقول الأستاذ أحمد أمين: «على كل حال، مضى العصر الأول ولم يكن تدوين الحديث شائعا إنما كانوا يروونه شفاها وحفظا ومن كان يدون فإنما يدون لنفسه»(٢٢٨) وقد كان ابن شهاب الزهرى المتوفى حوالى سنة ١٢٤هـ «إذا جلس فى بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن كل شىء من أمور الدنيا»(٢٢٩)، وقد تعطى هذه العبارة أن كتب الزهرى التى كان يشتغل بها كتب خاصة له، ولكن «هوروفتس» يذكر أنه ألف إلى جانب ذلك كتبا بأمر من خالد بن عبد الله القسرى أو من الأمويين(٢٣٠)، وهذا يعطينا عموما أن تدوين الحديث قد تأخر عن تدوين بقية العلوم التى أشرنا إليها وإن كان الفارق الزمنى هينا، أما اللغة والفقه فلا يتضح التدوين فيهما إلا فى مرحلة متأخرة عن ذلك. هذا مانعرفه عن حركة التدوين، بدأت جذورها فى عصر الأمويين، وربما قبله بقليل، وكانت المحاولات قليلة ومتجهة وجهة معينة نرجو أن تكون اتضحت مما ذكرنا.

ولكن بعض الباحثين المحدثين يريد أن يصور لنا المسألة على غير هذا النحو، ويشعرنا بأن التدوين قد كان كثيرا عاما شاملا منذ عهد الرسول والصحابة فيقول: «ثم لايكاد يمضى من القرن الأول نصفه حتى نرى قيام ناد فيه مكتبة عامة تحوى كتبا فى شتى الموضوعات يؤمها الناس فيقرءون مايشاءون منها»(٢٣١).

ثم يعرض دليلا على ذلك قول أبى الفرج: «كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحى قد اتخذ بيتا فجعل فيه دفاتر من كل علم، وجعل فى الجدار أوتادا؛ فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفترا فقرأه»(٢٣٢).

وينبغى أن ننحى تصورنا الشخصى لهذه المكتبة العامرة! فلا يتدخل فى هذا التصور ترددنا على المكتبات العامة فى العصر الحديث، ولو عشنا بخيالنا فى العصر الذى كانت فيه هذه المكتبة ماخرجنا إلا بمجموعة من الكتب قد تعد على الأصابع، وإذا صح ذلك فقد التقت وجهة الباحث الفاضل والوجهة

المتعارف عليها والتى اخترناها من خلال ماقدمناه من نصوص، وأما رأيه فى الحديث والتفسير فقد قال بعد أن ذكر أخباراً جمة: «فلم يبق عندنا شك إذن فى أن بعض حديث رسول الله قد كتب منذ عهده، واستمر الصحابة والتابعون فى كتابته، وليس من الصواب فى شىء أن يزعم أن الحديث الشريف بقى مائة سنة أو تزيد يتناقله الناس ولم يدونوه إلا فى منتصف القرن الثانى للهجرة... ولايختلف التفسير عما قدمنا من أمر الحديث فسبيلهما فى ذلك واحدة؛ إذ يبدو لنا أن كتابة التفسير قد بدأت كذلك من عهد الصحابة وتابعهم فيها التابعون حتى وصلت إلى مانعرف من أوائل كتب التفسير التى بأيدينا»(٢٣٣).

ولكى نوفق بين رأى الباحث الفاضل وبين الرأى المشهور نقول إن القائل بأن الحديث لم يدون إلا فى فترة متأخرة عن عصر الصحابة إنما يعنى التدوين الذى يأخذ شكلا علميا عاما فلا نقول لمن يدون الأحاديث لنفسه مثلا إنه من أصحاب التدوين، ولاشك أنه كانت هناك مدونات خاصة، ولايتصور إلا أن يكون الأمر كذلك مادام هناك كاتبون، أما التدوين العلمى الذى يخرج به صاحبه على الناس والذى يسهم فى الحركة العلمية إسهاماً فعالاً فلا نعتقد أنه كان فى مرحلة متقدمة، وإذا كان سبيل التفسير والحديث واحدا فى نظر الباحث الفاضل فإن سبيلهما واحد فى نظرنا أيضا وماقلناه من وجهة نظر فى الحديث فإنها تنسحب على التفسير أيضا.

ومن ناحية أخرى يذهب إلى «أن القوم قد عرفوا التدوين بالمعنى الاصطلاحى منذ عهد التابعين الأولين، ومن قبلهم من الصحابة أنفسهم، ويبدو أن هذه الكتب بلغت من زمن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب من الكثرة والانتشار ماكان يخشى منه الضلال والانصراف إليها عن قراءة القرآن»(٢٣٤).

ومرة أخرى نقول إن تصورنا للمجتمع الأول ينفى عنا أن نعتقد مااعتقده الباحث الفاضل، فالخوف من الضلال بالانصراف إلى كتب معينة وإهمال قراءة القرآن لايعنى كثرة هذه الكتب وشيوعها بالشكل الذى يسوغ لنا إطلاق حكم عام فنقول بأن التدوين العلمى كان معروفا، وذلك لأن المجتمع الأول كان مجتمعا محصورا، وكان المسجد بؤرة هذا المجتمع، فلو أن كتابا واحدا تدوول

فى هذه الدائرة، واجتمع الناس حول قارئ واحد يقرأه لهم لكان ذلك كافيا لأن يبعث الخوف فى النفوس من أن يطغى على الكتاب الكريم ويشيع بسرعة حتى يستوعب المجتمع المحدود، ومن ثم يحصل هذا الخوف بكتاب واحد أو كتب قليلة كما يحدث بكتب كثيرة، وكل الدلائل التى قدمناها تجعلنا نرجح أن هذه الكتب كانت معدودة محصورة.

وفى الناحية الشعرية لانستطيع إلا أن نسلم بوجود كتاب شعر الأنصار(٢٣٥)، وأن نرجح وجود المعلقات مكتوبة ومعلقة على الكعبة(٢٣٦)، ولكننا نعتبر ذلك ـ ومايشبهه ـ من قبيل المدونات الخاصة التى لاتسهم فى إخصاب الحياة العلمية، أما المدونات العلمية العامة فى اللغة والأدب والشعر فلم تتضح إلا فى القرن الثانى على يد العلماء المشهورين كأبى عمرو بن العلاء وإخوانه.

وإلى جانب حركة التدوين التى طال حديثنا عنها وجدت حركة دينية تعليمية شملت معظم المراكز الإسلامية آنذاك؛ ففى البصرة حركة علمية يتزعمها الحسن البصرى (المتوفى سنة ١١٠هـ)، وابن سيرين (المتوفى ١١٠هـ)، وفى الكوفة حركة أخرى من القائمين بها سعيد بن جبير (المتوفى سنة ٩٤هـ) وغيره، ولم تزل حركة الكوفة تنمو وتتسع حتى توجت بأبى حنيفة النعمان الكوفى(٢٣٧).

والذى يقرأ المعارف لابن قتيبة يرى مقدار مازخر به هذا الجانب من الدولة الإسلامية، ويطالع عشرات الأسماء فى القراءات والرواية وغيرها من جوانب العلم، كما يذكر لنا صاحب المعارف أسماء مجموعة من المعلمين كأبى صالح الكلبى، وقيس بن سعد، وعطاء بن رباح، والكميت بن زيد، والحجاج ابن يوسف، وعلقمة بن أبى علقمة مولى عائشة(٢٣٨).

وفى الحجاز كانت هناك مدرسة المدينة ومدرسة مكة وكلا المدرستين تتميز بالطابع الدينى طابع القرآن والحديث إلا أن مدرسة المدينة أوفر علما(٢٣٩).

ولايعكر على هذه النهضة العلمية فى الحجاز أن كان مركزا للهو والمرح، فجانبا الزهد والمرح والصلاح واللهو يشكلان النفس الإنسانية، ويسيران فيها جنبا إلى جنب.

ولم تقتصر الحياة العلمية فى هذه الفترة على الحياة الدينية، وإنما واكبتها حركة إحياء لغوية تبدت فيما قدمناه من الاعتناء بالشعر والأدب، ومن نهضة للخطابة وكراهية للحن، وإذا كانت الحاضرة بشكل عام مقرا للحركة الدينية، فإن الإحياء اللغوى مركزه البادية، حيث يفد إليها المهتمون فيأخذون عن أهلها، ويبعث إليها الحكام والقادرون بأبنائهم حتى لايتطرق اللحن إلى ألسنتهم، وليس معنى هذا أن حركة الإحياء اللغوى اقتصرت على البادية، بل إننا لو نظرنا إليها فى البادية لوجدناها شيئا طبيعيا لايلفت النظر، وإنما الذى نعنيه أن الاتجاه إلى البادية أثمر ثمرته فى الحضر، وكان المعين الذى استقى منه المهتمون مادتهم وثقفوا ألسنتهم، ورأينا نتائج ذلك فى الخطباء الفصحاء، وفى الرواة المقتدرين، وفى اللاحن الذى يسقطه اللحن، وفى المتكلم الذى يحسب لتعبيره ألف حساب، حتى أن الحسن البصرى وهو مولى وليس بعربى، وهو عالم دينى وليس بعالم لغوى ،كثرت الروايات التى تطنب فى وصف دقة إحساسه باللحن، والذى كان تلاميذه يدونون كلامه لا لمعانيه وحدها بل لفصاحتها وجمالها،(٢٤٠) وقد يكون من التطويل الممل محاولة التنبيه على الاهتمام باللغة، فذلك شىء مقرر، وقد تكلمنا عنه فيما سبق، ويهمنا أن نقول إنه كان طابعا عاما للعصر الأموى كله.

لقد عرجنا على اللغة هذا التعريج السريع فى الكلام على الحياة العلمية، ولانعتقد أن ذلك قد وضع فى غير موضعه؛ لأن الاهتمام اللغوى يمثل جانبا هاما من الحياة العلمية أتاح للعرب فيما بعد نضجا سريعا فى عقليتهم لمرونة اللغة وقدرتها على استيعاب المعلومات والعلوم الدخيلة.

تلك هى الأنهار التى كانت تجرى فى وادى العلم فى فترتنا تلك، وهى تتسم بالطابع العربى الأصيل، وتمتاز بأن أصولها وروافدها التى تنبع منها، وعمدها التى تسندها كلها جذور ثقافية عربية أصيلة لم تتلون بألوان أجنبية،

ولم تسر فيها تيارات غريبة فى مجموعها العام، ولم ترفدها جداول من ثقافات البلاد المفتوحة فى وقتنا الذى نعيش فيه ـ أعنى القرن الأول تقريبا ـ.

ولا عجب فقد حرصت الدولة الأموية وبخاصة فى شبابها على أن تكون عربية فى كل شىء، فى طابعها العام، وفى أسلوب حياتها، وفى الناس الذين تستعين بهم، وفى تعظيمها لكل ماهو عربى، فلا بدع أن يكون طابعها الثقافى عربيا أصيلا(٢٤١).

«ومن الجدير بالذكر أن عيشة السريان والروم القاطنين بالمدن الشامية لم تزل قليلة التأثير فى أميال العرب وعوائدهم إلى نحو أواخر القرن الأول، ولافتنتهم ولاأخذت بمجامع قلوبهم. كان حب البادية أشد من الرغبة فى سعة العيش والترف ولذات المدن»(٢٤٢).

وهذا هو مفتاح القضية؛ فإن العربى لم يفتح بعد عينيه ولاعقله على حضارة الآخرين حتى يتفاعل معها ويأخذ منها، وقد كان هذا هو طابع المجتمع كله فى تلك الفترة المبكرة، ومن المعروف أن التأثير إنما يأتى بعد مرحلة التنبه لثقافة الغير ثم الاستعداد لتقبلها، ولكن ذلك الشعور لم يكن موجودا، ومن ثم بقيت الحياة العلمية موسومة بسمة عربية خالصة، ثم حدث التطور بعد فترتنا. وثمة ظواهر أخرى فى الحياة العقلية لذلك العصر، فالفرق الدينية بدأت تتكون، وترسم لنفسها المبادئ وتحدد المعالم، وتتفرع إلى فروع على أثر الخلافات فى وجهات النظر، حدث ذلك فى الخوارج فصاروا أقساما، وحدث ذلك أيضا فى الشيعة، ولكن كل ذلك لم يتحدد بشكل واضح، ولم تظهر معالمه تماما إلا بعد ذلك، فبعض الفرق لم يظهر بعد، وبعضها فى دور التكوين، قال الأستاذ أحمد أمين ـ بعد أن عرض للفرق ـ: «هذه الحركات العلمية التى شرحناها، والفرق الدينية التى أبنا تعاليمها كانت فى الدولة الأموية على حالة السذاجة، لم تصل إلى درجة القواعد المنظمة، والعلوم المتميزة، والشرح المحكم، إنما وصلت إلى هذه الدرجة فى صدر العصر العباسى»(٢٤٣).

وإذا نظرنا نظرة عامة فى الحياة العلمية بعد أن أوضحنا معالمها الرئيسية رأينا أنها فى دور الطفولة، بذورها موجودة، وهى بذور قوية تحمل كل إمكانيات الحياة، ولكنها لم تتعمق؛ لأن الزمن لم يتح لها هذا بعد، ومن ناحية أخرى فإن العرب كانوا لم يتصلوا اتصالا عميقا بالحضارات والثقافات المجاورة، الأمر الذى أتاح للحياة العلمية النهوض والنضوج فيما بعد، ولذلك فإنه يحق لنا أن نصف الحياة العلمية والعقلية فى هذا الدور بالسذاجة والبساطة لا لأن هناك نقصا فى العقول القائمة بها(٢٤٤)، وإنما لأن الزمن ـ وهو عامل هام فى إنضاج الحياة العلمية والعقلية ـ لم يمتد بها، ولأن عامل اللقاح الأجنبى لم يؤاتها، وحين واتاها هذا وذلك كبرت وأتت أكلها كاملة، وكذلك يحق لنا أن نصفها بعدم الاتساع إذ إنها كانت مقصورة تقريبا على العلوم النقلية، أما العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق فذلك شىء متأخر.

وآخر مانريد الحديث عنه فى هذا الموضوع هو دور الموالى فى العلم، والذى يستعرض أسماء العلماء: فقهاء ومحدثين فى ذلك العهد يرى أكثرهم من الموالى، وبخاصة حين يترك مكة والمدينة إلى البصرة والكوفة؛ فالحسن البصرى، وابن سيرين، وسعيد بن جبير، ومكحول، كل هؤلاء من الموالى على اختلاف ديارهم، وعشرات الأسماء المشهورة ممن كانوا أركان الحركة العلمية يذكرهم ابن قتيبة، ويعيشون فى فترتنا تلك إلى جانب هؤلاء(٢٤٥).

وفى مكة والمدينة نرى أسماء مشهورة من الفقهاء الموالى من أمثال نافع(٢٤٦)، ومجاهد(٢٤٧)، وعكرمة(٢٤٨)، وعطاء(٢٤٩).

وليس معنى هذا أن كل الفقهاء كانوا من الموالى، بل إننا نرى أسماء كثيرة أيضا إلى جانبهم من العرب من أمثال سعيد بن المسيب(٢٥٠)، وشريح(٢٥١)، وآخرين، غاية ماهناك أن الملاحظ كثرة الموالى الفقهاء والمحدثين، وقد أشار الأستاذ أحمد أمين إلى هذا(٢٥٢).

ووراء اشتغال هذه الكثرة الكثيرة من الموالى بالعلم دافع ليس بهين، فقد كان فى المجتمع الأموى إلى جانب العصبيات القبلية والأسرية عصبية عربية

عامة ـ كما أشرنا ـ تمجد كل ماهو عربى، وتنظر إلى غير العرب نظرة دنيا، وقد بينا منزلة طبقة الموالى وموقفها فى الكلام على الحياة الاجتماعية، وإذا كان ضغط الحكام قد سبب يأسا فى الحجاز كان من نتيجته الغزل ـ كما قال الدكتور طه حسين فى كلامه الذى نقلناه ثمة ـ ، وإذا كان قد سبب سخطا أنتج ثورات فى العراق كما حدث عند الخوارج والشيعة، فإنه قد أثمر فى الموالى الثمرتين فرأيناهم يشتركون فى الثورات ضد الحكم من ناحية كما مر، ورأيناهم هنا ينصرفون إلى شىء ملائم وهو الاشتراك فى الحياة العلمية والاشتغال بها، ولعل فى ماضى هؤلاء الموالى وفى تاريخ بلادهم وثقافتها ماوجههم هذه الوجهة، فهو نوع من التعويض قام به هؤلاء حتى يتلافوا ماأصابهم من انخفاض اجتماعى و»إذن فقد كانت العصبية العربية ضد الموالى ذات أثر فعال فى خدمة العلوم الإسلامية، إذ دفعت جمهرة كبيرة من الموالى إلى البحث والاستنتاج والتفوق العلمى حتى ترتفع منزلتهم لدى العرب«[٢٥٣].

ولن نخوض فى الدوافع التى جعلت العرب يقفون من الموالى هذا الموقف، كما أننا لن نحاول تبرير هذه العصبية فكل ذلك مما يضيق به نطاق بحثنا، وبحسبنا أن نقول إن الهدف الذى قصد إليه الموالى من وراء اشتغالهم بالعلم قد حققه لهم العرب كاملا، فقد كان العالم من هؤلاء يأخذ وضعه الاجتماعى، ويعامل معاملة تليق بالعلماء، ويقف بعلمه فى الصف الأول.

»إن نزعة العداء والاحتقار التى كانت تظهر من العرب نحو العناصر الأعجمية لم تكن سائدة فى الأوساط العلمية والدينية، فالرجل الذى كان يعرف من الموالى بصلاحه وتقواه، أو بعلمه وأدبه كان ينال من جمهرة الشعب ومن الطبقة الحاكمة كل احترام وتقدير، ويكفى أنه لما توفى الحسن البصرى خرجت البصرة كلها تشيع جنازته حتى تعطلت صلاة العصر«[٢٥٤].

الهوامش :

(١) ابن خلدون ـ المقدمة ١٤٣
(٢) العقد الفريد ٤: ٣٦٤
(٣) عقد الجمان ١٠ قسم ٣: ٤٣٤
(٤) المرجع السابق والصفحات
(٥) المرجع السابق والصفحات
(٦) العقد الفريد ٢: ١٢٥
(٧) العقد الفريد ١: ٢٩
(٨) المرجع السابق ١: ١١٥
(٩) أغاني دار الكتب ٩: ١٧٣
(١٠) العقد الفريد ٥: ٣٢٠
(١١) انظرها في العقد ٥: ٣٢٢، ٣٢٣
(١٢) من أغاني ساسي ١٨: ٦٩، ٧٠ حديث طويل يتبين منه ضرب معاوية للقبائل بعضها ببعض، وانظر وأدب الخلفاء الأمويين ١٠٤، ١٠٥
(١٣) أغاني دار الكتب ١٢: ٧٠
(١٤) أغاني ساسي ١٦: ٥٩
(١٥) تاريخ الشعوب الإسلامية ١: ١٤٨
(١٦) محاضرات الخضري ٢: ١٠٢، وانظر الطبري (الاستقامة) ٤: ١٦١
(١٧) الطبري (الاستقامة) ٤: ١٦٣
(١٨) المرجع السابق ٤: ٢٣١
(١٩) راجع في ثورة حجر بن عدي أغاني ساسي ١٦: ٢ وما بعدها
(٢٠) انظر المقدمة ١٤٩
(٢١) راجع الطبري (الاستقامة) جـ ٤ حوادث سنة ٦٠.
(٢٢) راجع في خروج الحسين ومقتله الطبري (الاستقامة) ٤: ٢٨٦/٣٠١و، ابن الأثير (أوربا) ٤: ٣٠/ ٣٨.
(٢٣) أغاني دار الكتب ١: ٢١/ ٢٦
(٢٤) الطبري ٤: ٣٨١ (الاستقامة)

(٢٥) مروج الذهب (أوربا) ٥: ١٥٦

(٢٦) المرجع السابق ٥: ١٥٧

(٢٧) المرجع السابق ٥: ١٦٧

(٢٨) تاريخ الشعوب الإسلامية ١: ١٥٦

(٢٩) راجع تفصيل ذلك فى نقائض جرير والأخطل ٦ وما بعدها

(٣٠) مروج الذهب ٥: ١٩٧/ ١٩٩

(٣١) الطبرى (الاستقامة) ٤: ٤١٣

(٣٢) المرجع السابق ٤: ٤١٠

(٣٣) نهاية الأرب جـ ١٩، ق ١ ورقة ٢٣، وراجع كذلك فى مرج راهط وحرب قيس وكلب الأغانى (ساسى) ١٧: ١١١١، ١١٢

(٣٤) أغانى ساسى ٢٠: ١٢٢

(٣٥) الخضرى ٢: ٢٢٣، وانظر مروج الذهب (أوربا) ٥: ٢٢٢، والطبرى (الاستقامة) ٤: ٥٥٢

(٣٦) تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٩٤

(٣٧) تاريخ الشعوب الإسلامية ١: ١٥٦، ١٥٧

(٣٨) الطبرى (الاستقامة) ٤: ٤٧٤

(٣٩) المرجع السابق ٥: ٢٠٦

(٤٠) الطبرى (أوربا) ٩: ١٢٧٤

(٤١) مروج الذهب ٥: ٢٤٢ وما بعدها

(٤٢) الطبرى (الاستقامة) ٥: ١٠

(٤٣) الإمامة والسياسة ٢: ١٧

(٤٤) راجع فى عبد الملك وابن سعيد عقد الجمان ١١ ق ٢: ٢٦٥

(٤٥) دراسات فى الأدب الإسلامى للأستاذ محمد خلف الله أحمد ٧٥ وما بعدها

(٤٦) مروج الذهب ٥: ٢١٣/ ٢٢١

(٤٧) المرجع السابق ٥: ٢٤٢

(٤٨) نهاية الأرب ١٩ ق ١: ٤ وما بعدها.

(٤٩) المرجع السابق والصفحات

(٥٠) تفصيلاتها فى نهاية الأرب ١٩ ق ١ ورقة ٦٥ وما بعدها

(٥١) المرجع السابق، والجزء ورقة ٣٥، ٣٦

(٥٢) المرجع السابق والصفحات

(٥٣) أغانى ساسى ٢٠: ١١٨ وما بعدها.

(٥٤) نهاية الأرب ١٩ ق ١ ورقة ٧٨.

(٥٥) الإمامة والسياسة ٢: ٦١.

(٥٦) نهاية الأرب ١٩ ق ١: ٢٩ .

(٥٧) راجع للفتوحات فى عهد الوليد: الطبرى (أوربا) ٩: ١١٧٩ وما بعدها، نهاية الأرب ١٩ ق ٢ ورقة ٧٩ وما بعدها.

(٥٨) الطبرى ٩: ١٢٧١ (أوربا)، وراجع مروج الذهب ٥: ٣٦١

(٥٩) الطبرى ٩: ١٢٧٣ (أوربا) .
(٦٠) المرجع السابق ٥: ١١٩٦.
(٦١) المرجع السابق ٩/١٢٧١.
(٦٢) المرجع السابق ٩: ١١٩٥.
(٦٣) العقد ١: ٦٢.
(٦٤) مروج الذهب ٩: ٣٦١.
(٦٥) راجع فى ذلك الكامل (أوربا) ٥: ٧ وما بعدها، الطبرى (أوربا) ٩: ١٢٨٣ وما بعدها
(٦٦) الكامل (أوربا) ٥: ١٧ وما بعدها.
(٦٧) مروج الذهب ٥: ٤١٢، ٤١٣، ٤١٥.
(٦٨) الكامل (أوربا) ٥: ١٦، الطبرى (أوربا) ١٠: ١٣٣٧ وما بعدها
(٦٩) مروج الذهب ٥: ٤١٥.
(٧٠) البداية والنهاية (السعادة) ٩: ٢٠٠.
(٧١) الكامل (أوروبا) ٥: ٣٣.
(٧٢) راجع الكامل لابن الأثير (أوروبا) ٥: ٤٣.
(٧٣) معجم البلدان (أوربا) ٢: ٢٠٤
(٧٤) المرجع السابق ٤: ٦٢٢
(٧٥) المرجع السابق ٤: ٤٥٨ وما بعدها
(٧٦) أحسن التقاسيم (أوربا) ٦٩ وما بعدها
(٧٧) المرجع السابق والصفحات
(٧٨) البلدان (أوربا) ٢٧
(٧٩) مهد العرب ٥٣ وما بعدها
(٨٠) البلدان ٢٧ وما بعدها
(٨١) المسالك والممالك ١٨
(٨٢) معجم البلدان ٤: ٧٤٤ وما بعدها
(٨٣) مهد العرب ٦٧ وما بعدها
(٨٤) معجم البلدان (أوربا) ٣: ٢٤٠
(٨٥) المرجع السابق والصفحات
(٨٦) البلدان (أوربا) ٩٣
(٨٧) معجم البلدان ٣: ٦٢٨
(٨٨) المرجع السابق ٤: ٣٢٢
(٨٩) المرجع السابق والصفحات
(٩٠) المرجع السابق والصفحات
(٩١) راجع إحداها فى أحسن التقاسيم للمقدسى ١١٦
(٩٢) راجع فجر الإسلام ٢٢١ وما بعدها ففيه كلام قريب من هذا
(٩٣) المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول ٥٢ (شكرى فيصل)
(٩٤) العقد الفريد ٦: ٣٤٨

(٩٥) حياة محمد ٧٢ (محمد حسين هيكل) ،
(٩٦) كتاب الطبقات الكبير ٥: ٤١
(٩٧) المرجع السابق ٥: ٥٣
(٩٨) المرجع السابق ٥: ٩٦
(٩٩) من تاريخ الحركات الفكرية ٤٨ (بندلى جوزى)
(١٠٠) فجر الإسلام ١١٢، ١١٣ (أحمد أمين).
(١٠١) الموالى فى العصر الأموى ١٠٦، ١٠٧، ١١١ (محمد الطيب النجار).
(١٠٢) المرجع السابق والصفحات.
(١٠٣) المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول ٣٧٤، ٣٧٥
(١٠٤) المرجع السابق والصفحات
(١٠٥) المرجع السابق ٣٧٥، ٣٧٦
(١٠٦) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ١٣٤، ١٣٥ (شوقى ضيف).
(١٠٧) المرجع السابق ١٢٨، ١٢٩
(١٠٨) راجع مجلسا حادا من مجالس الشعر عند عبد الملك فى أغانى ساسى ٧: ٦٠، وآخر يشبه أن يكون معركة فى ٧: ٦٥، وثالث فى ذيل الأمالى ٦٦، ٦٧، وراجع أدب الخلفاء الأمويين (حميدة) ٩٧، ١٥٠
(١٠٩) كامل المبرد: ١: ٢٢٢
(١١٠) البيان والتبيين للجاحظ (هارون) ٢: ٢١٠
(١١١) راجع حادثة عبدالرحمن بن حسان فى أغانى ساسى ١٣: ١٤٢، وراجع موقفه مع النابغة الجعدى فى أغانى دار الكتب: ٥: ٣٢
(١١٢) العقد ٢: ٧٠
(١١٣) نهاية الأرب ١٩ ق ١ ورقة ٧٨
(١١٤) راجع البيان والتبيين ٣: ١٧٦، ١٨٨، ٤: ٦١، والعقد ٤: ٤٠٧
(١١٥) العقد ٢: ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠
(١١٦) الكامل ١: ٣٣٤
(١١٧) الموشح للمرزبانى ١٢٦
(١١٨) المرجع السابق ١٤٢
(١١٩) القصة فى أغانى ساسى ١٣: ١١٤
(١٢٠) راجع الموشح ٢١٦، ٢١٧
(١٢١) الطبرى (أوربا) ١٠: ١٣٣٨
(١٢٢) راجعها فى كامل المبرد ١: ١٠٦
(١٢٣) راجع العقد ٢: ٩١ وما بعدها
(١٢٤) أغانى دار الكتب ٤: ١٢٣
(١٢٥) أغانى ساسى ١: ٤٠ وما بعدها
(١٢٦) أغانى دار الكتب ٤: ٢٥٦ وما بعدها
(١٢٧) أغانى دار الكتب ٨: ١٨
(١٢٨) أدب الخلفاء الأمويين ١٨٢

(١٢٩) أغانى دار الكتب ١ : ٣٢٨

(١٣٠) المرجع السابق ١ : ٣٢٨، ٣٢٩

(١٣١) أغانى دار الكتب ٨ : ١٨

(١٣٢) المرجع السابق ٨ : ٣٧، ٣٨

(١٣٣) المرجع السابق ٨ : ٢٩٤

(١٣٤) راجع الحادثة فى المرجع السابق ٨ : ٣١٥

(١٣٥) راجع من كتاب الوفود فى العقد ٢ : ٦٦ وما بعدها

(١٣٦) المرجع السابق ٣ : ٣٢٩

(١٣٧) المرجع السابق ٣ : ٣٣١

(١٣٥) المرجع السابق ٣ : ٣٣٢

(١٣٨) المرجع السابق ٣ : ٣٣٦

(١٣٩) العقد ٤ : ٤، ٥، ٧، ٩، ١٠

(١٤٠) المرجع السابق ٤ : ١٣

(١٤١) المرجع السابق ٤ : ١٥

(١٤٢) المرجع السابق ٤ : ٢٣

(١٤٣) المرجع السابق ٤ : ٥٠

(١٤٤) العمدة لابن رشيق ١ : ٤٩

(١٤٥) تاريخ الشعر السياسى ٢١٣، ٢١٤ (الشايب)

(١٤٦) أغانى دار الكتب ٣ : ٢٧

(١٤٧) المرجع السابق ٣ : ٢٧٦، ٢٧٧

(١٤٨) أغانى ساسى ١٦ : ١٢ ومابعدها

(١٤٩) راجع أخبار الغريض فى أغانى دار الكتب ٢ : ٣٦ ومابعدها وأخبار معبد ١ : ٦٨

(١٥٠) المرجع السابق ٨ : ٣٢١، ٣٢٢

(١٥١) أغانى دار الكتب ١ : ٣٧٨

(١٥٢) المرجع السابق والصفحات

(١٥٣) كامل المبرد ١ : ٣٩٢

(١٥٤) أغانى ساسى ١٦ : ٦٨

(١٥٥) للدكتور شوقى ضيف كتابان بعنوان «الشعر الغنائى فى الأمصار الإسلامية ١ - فى مكة، ٢ - فى المدينة، استوفى فيهما الكلام على ذلك الموضوع .

(١٥٦) جميل بثينة للعقاد ١١

(١٥٧) حديث الأربعاء لطه حسين ١ : ٢٣٥ ومابعدها، و وللدكتور الكفراوى رأى مخالف فى كتابه «الشعر العربى بين الجمود والتطور» ٥٨، ٥٩ .

(١٥٨) راجع ديوان ابن أبى ربيعة ط مصر، وراجع أخباره فى أغانى دار الكتب ١ : ٦١ ومابعدها، وراجع أخبار الأحوص وأشعاره فى المرجع السابق ٤ : ٢٢٤ ومابعدها

(١٥٩) الغزل فى العصر الجاهلى ١٥١، ١٥٢ (الحوفى)

(١٦٠) جميل بثينة ١٦، ١٧

(١٦١) راجع حديث الأربعاء ١: ٢٣٥ ومابعدها، وللدكتور الكفراوى رأى مخالف فى كتابه الشعر العربى ٥٨، ٥٩).

(١٦٢) راجع نماذج تحقق فكرتنا فى الشعر والشعراء ١٦٨، وأغانى دار الكتب ٨: ٩٥، ٩٩، ١٠٤.

(١٦٣) التطور والتجديد ٥١ ومابعدها.

(١٦٤) أغانى دار الكتب ٩: ٣٠٧.

(١٦٥) المرجع السابق ٢١: ٩٤، ٩٥ وسنغفل ذكر النماذج لأنها فى متناول اليد.

(١٦٦) أغانى ساسى ٦: ١٥٤ ومابعدها.

(١٦٧) راجع الشعر فى المرجع السابق والصفحات.

(١٦٨) أغانى ساسى ٢٠: ١١٥.

(١٦٩) أغانى دار الكتب ٧: ١٠٦ ومابعدها.

(١٧٠) تاريخ الآداب العربية ٢٢٥.

(١٧١) تاريخ الشعر السياسى ٢٠٣ (الشايب).

(١٧٢) للدكتورة سهير القلماوى رسالة فى أدب الخوارج.

(١٧٣، ١٧٤) فى «منهج المعارج إلى أخبار الخوارج»، وفى «سفينة الدرر» مجموعة وافرة من شعر الخوارج تمثل مانقول.

(١٧٥) تاريخ الشعر السياسى ١٤٢ ومابعدها (مختصرا).

(١٧٦) أغانى الكتب ١٥: ١٨.

(١٧٧) المرجع السابق ١٥: ١٠٩.

(١٧٨) المرجع السابق ١٥: ١٢٠.

(١٧٩) أغانى دار الكتب ٩: ٤، ١٤.

(١٨٠) العقد ٢: ٤٠٦.

(١٨١) أغانى ساسى ٢١: ٥.

(١٨٢) تاريخ الشعر السياسى ١٦٢ (مختصرا).

(١٨٣) راجع أغانى ساسى ١٦: ٥٧، وراجع لأخبار ابن قيس الرقيات أغانى دار الكتب ٥: ٧٦.

(١٨٤) راجع تاريخ الشعر السياسى ١٨٣.

(١٨٥) ديوانه (أوربا) ٦٧، ٨٠.

(١٨٦) ديوانه ١٠٦.

(١٨٧) ديوانه ٢١٤، ٢٦١.

(١٨٨) ديوانه ٢٣١.

(١٨٩) ديوانه ١٩٣.

(١٩٠) العمدة ١: ٤٩.

(١٩١) نقائض جرير والفرزدق (د. الزهيرى) ١٨٤.

(١٩٢) المرجع السابق ١٨٥.

(١٩٣) تاريخ النقائص ٣ ومابعدها (مختصرا) الشايب.

(١٩٤) من الأبحاث الحديثة فى النقائض: تاريخ النقائض للأستاذ الشايب، ونقائض جرير والفرزدق للدكتور محمد غناوى الزهيرى هذا إلى أن الدكتور شوقى ضيف تناولها فى كتابة «التطور والتجديد فى الشعر الأموى» كما تناولها الدكتور الكفراوى فى كتابه «جرير ونقائضه مع شعراء عصره».

(١٩٥) اقرأ عن المريد فى أغانى ساسى ٨: ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٩: ١٥٣

(١٩٦)، (١٩٧) تاريخ النقائض ١٦٨، ١٨١، وقد أشار الدكتور الزهيرى إلى هذا المعنى فى كتابه «نقائض جرير والفرزدق» ٢١٦، ٢٤٣

(١٩٨) نقائض جرير والفرزدق(أوربا) ١: ٢ ومابعدها

(١٩٩) المرجع السابق ١: ٣٧، ٣٨١ حادث البعيث، ١: ٤٢ التحامهما وسقوط غسان

(٢٠٠) المرجع السابق ١: ١٢٦، ١٢٧

(٢٠١) راجع مثالا لذلك فى المرجع السابق ١: ١٣٩، ١٤٤، ١٤٩، ٢: ٥٨٠، ٥٨٧

(٢٠٢) نقائض جرير والأخطل ١١٣.

(٢٠٣) سقط الراعى بدامغة جرير التى يقول له فيها:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا (النقائض) (أوربا) ١: ٤٣.

(٢٠٤) تاريخ النقائض ١٧٩

(٢٠٥) نقائض جرير والفرزدق (الزهيرى) ٤١٩

(٢٠٦) صبح الأعشى (دار الكتب) ١: ٩١

(٢٠٧) درس الدكتور حسين نصار كل ذلك دراسة واسعة فى رسالته «نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى»

(٢٠٨) وفيات الأعيان (محيى الدين) ٥: ٨٨، ٨٩

(٢٠٩) المغازى الأولى ومؤلفوها لهوردفنس ترجمة حسين نصار ٢٧ ومابعدها

(٢١٠) المرجع السابق ٦

(٢١١) الفهرست ١٣، وراجع تحليل لكتاب عبيد بن شرية فى «نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى» ١٨٨

(٢١٢) الفهرست ٣٠٧، ٣٠٨

(٢١٣) كتاب الطبقات الكبير ٩: ١٣٢ ومابعدها.

(٢١٤) المغازى الأولى ومؤلفوها ١٩

(٢١٥) المرجع السابق ٢٦

(٢١٦) الفهرست ١٣١

(٢١٧) أغانى دار الكتب ١٢: ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢١٨) الفهرست ٦١

(٢١٩) تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) ١: ٢٠٥

(٢٢٠) المعجم العربى ١: ٣٩ (نصار)

(٢٢١) أغانى ساسى ١٦: ٨٤

(٢٢٢) الفهرست ٤٩٧، ٤٩٨

(٢٢٣) المرجع السابق والصفحات

(٢٢٤) وفيات الأعيان (محيى الدين) ٢: ٤

(٢٢٥) الفهرست ٣٤٠

(٢٢٦) طبقات الأطباء ١٢١، ١٢٣

(٢٢٧) المرجع السابق والصفحات

(٢٢٨) فجر الإسلام ٢٧٢

(٢٢٩) وفيات الأعيان ٣: ٣١٧

(٢٣٠) المغازى الأولى ومؤلفوها ٦٧
(٢٣١) مصادر الشعر الجاهلى ١٤٢
(٢٣٢) أغانى دار الكتب ٤ : ٢٥٣
(٢٣٣) مصادر الشعر الجاهلى ١٤٦، ١٤٧
(٢٣٤) المرجع السابق ١٤٠
(٢٣٥) أغانى دار الكتب ٤ : ١٤١
(٢٣٦) راجع مصادر الشعر الجاهلى ١٦٩
(٢٣٧) المعارف (ابن قتيبة) ١٥٢ ومابعدها، وراجع فجر الإسلام ٢٧٧
(٢٣٨) المعارف ١٥٢ ومابعدها، ١٨٠ ومابعدها
(٢٣٩) فجر الإسلام ٢١٣، ٢١٤
(٢٤٠) المعجم العربى ١ : ٢٦، ٢٧
(٢٤١) راجع مقدمة ابن خلدون ١٢٢/ ١٢٩
(٢٤٢) تاريخ الآداب العربية (نالينو) ٢٣ ومابعدها
(٢٤٣) فجر الإسلام ٣٧٢ .
(٢٤٤) راجع فى الدفاع عن العقلية العربية عموما للأستاذ عمر الدسوقى: فى الأدب الحديث ج١، النابغة الذبيانى (فصل الصحراء)، مجلة أفريقيا (مقال عن الفروق العقلية بين الأجناس) عدد ١٤ فبراير ١٩٥٩ .
(٢٤٥) المعارف ١٥٢ ومابعدها .
(٢٤٦) وفيات الأعيان ٥ : ٤ .
(٢٤٧) طبقات ابن سعد ٩ : ٣٤٣
(٢٤٨) المرجع السابق ٩ : ٢١٢
(٢٤٩) المرجع السابق ٩ : ٣٤٤
(٢٥٠) وفيات الأعيان ٢ : ١١٧
(٢٥١) المرجع السابق ٢ : ١٦٧
(٢٥٢) فجر الإسلام ١٨٩
(٢٥٣) الموالى فى العصر الأموى ٩٤، ٩٥
(٢٥٤) المرجع السابق ٤٦ ، ٤٧، وراجع ترجمة الحسن البصرى فى وفيات الأعيان ١ : ٣٥٤

الفصل الثانى

القطامى فى بيئته الخاصة

أ. اسمه ونسبه :

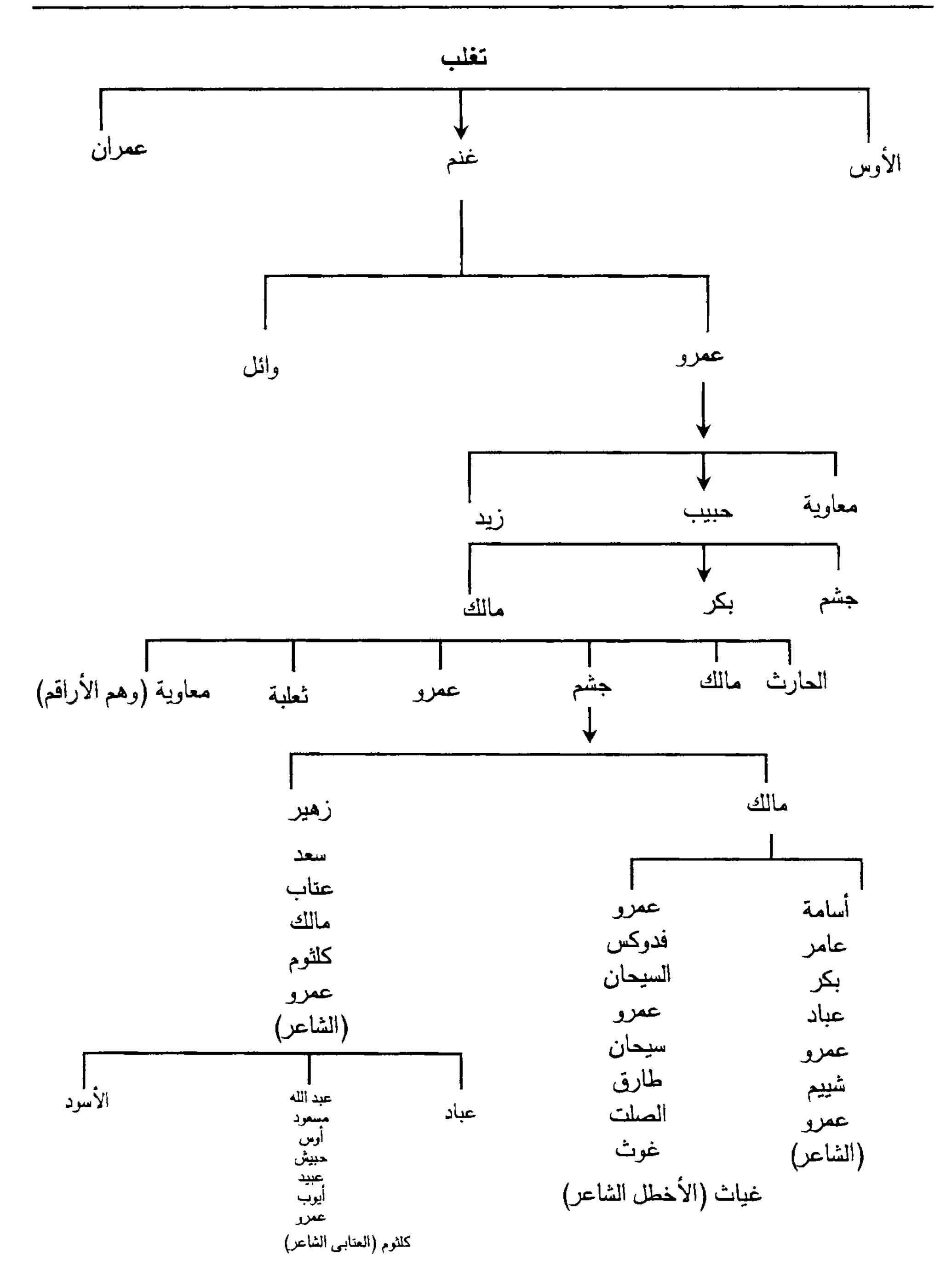
«عمير بن شُيَيم بن عمرو بن عباد بن بكر بن عامر بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيبُ بن عمرو بن غنم بن تغلب»[١]، «وقيل اسمه عمرو، والأول أثبت»[٢]، ويتفق ماورد فى ابن حزم مع هذا التسلسل غير أنه يسميه «عمرو»، ويزيد «جشم» بعد «مالك»[٣]، ويذكر ابن سلام نسبا مختصرا لايتعارض مع النسب المذكور إذ يقول: «عمير بن شييم بن عمرو أحد بنى بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب»[٤].

وقال عبد القادر البغدادى: «عمير بن شييم التغلبى تغلب وائل، وضبطه إبراهيم شارح أبيات الجمل سييم»[٥]، وقال السيوطى: «عمرو يقال عمير بن سنيم بن عمرو بن عباد بن بكر بن عامر بن أسامة بن مالك بن جشم الثعلبى»[٦].

والنسب الصحيح ماذكرناه أولا مع إضافة «جشم» بعد «مالك» على ماورد فى ابن حزم. أما ماورد فى الخزانة من أن بعضهم ضبطه «سييم» وماذكره السيوطى من أنه ابن سنيم الثعلبى فنرى أنه مجرد تحريف.

ومما يساعدنا على اختيار النسب الذى اخترناه قول ابن الأثير بعد ذكر النسب الأول: «وقيل ابن مالك بن جشم بن بكر»[٧].

وقد وهم السمعانى فخلط بين شاعرنا القطامى، وبين القطامى أبى الشرقى فقال: «واسم القطامى الحصين بن جمال بن حبيب بن جابر بن مالك العذرى... وقيل إن اسمه عمير بن شييم بن عمرو بن عباد بن بكر بن عامر


تغلب
الأوس
غنم
عمران
عمرو
وائل
معاوية
حبيب
زيد
جشم
بكر
مالك
الحارث
مالك
جشم
عمرو
ثعلبة
معاوية (وهم الأراقم)
مالك
زهير
أسامة
عامر
بكر
عباد
عمرو
شييم
عمرو
(الشاعر)
عمرو
فدوكس
السيحان
عمرو
سيحان
طارق
الصلت
غوث
غياث (الأخطل الشاعر)
سعد
عتاب
مالك
كلثوم
عمرو
(الشاعر)
عباد
عبد الله
مسعود
أوس
حبيش
عبيد
أيوب
عمرو
كلثوم (العتابى الشاعر)
الأسود

ابن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب، وقيل إن مالك بن جشم بن بكر»[٨]، ولكن ابن الأثير رد الأمر إلى نصابه قائلا: «ولاشك أن سبب هذا الاختلاف والوهم عنده أنه ظن أن القطامى الشاعر والد الشرقى، ورأى فى نسب القطامى أنه من تغلب فساق النسب إلى تغلب على ذلك، ورأى فى نسب الشرقى أنه من كلب فظنه ابن هذا القطامى فقال: وقيل إنه من كلب، وإلا لو علم أن القطامى الشاعر ليس والد الشرقى لزال هذا الوهم»[٩].

وفيما سبق بيان بنسب القطامى استخرجته من جمهرة الأنساب لابن حزم، مع تصرف راعيت فيه النص على شعراء تغلب المشهورين: عمرو بن كلثوم، الأخطل، القطامى، العتابى.

ب ـ لقبه:

وله لقبان أحدهما: القطامى، وهو اللقب الغالب عليه، ويشاركه فى هذا اللقب شاعران آخران هما «القطامى الضبعى: ضبيعة بن ربيعة بن نزار.. شاعر كان صاحب شراب.....، والقطامى الكلبى، واسمه الحصين بن جمال ابن حبيب أحد بنى عبدون بن عوف... وهو أبو الشرقى بن القطامى، شاعر محسن»[١٠].

لكن لماذا لقب بالقطامى؟ أكثر المراجع العربية ـ بل كلها ـ على أنه لقب ببيت قاله وهو:

يحطهن جانبا فجانبا

حط القطامى قطا قواربا[١١]

وعلى الرغم من ذلك فإن المستشرق «برت» لايوافق على هذا التعليل؛ لأن القطامى إذا كان قد لقب ببيته هذا فلم سمى كل من الشاعرين الآخرين بهذا الاسم؟، ويميل إلى أن هذا اللقب مأخوذ من معناه القاموسى، وهو لقب تشريف فيه معنى النشاط والطموح[١٢].

ونحن نقول إنه لايوجد لدينا دليل يمكن أن نطمئن إليه تماما فى سبب هذه التسمية، وإن كنا لانطمئن كذلك إلى رفض «برت» لأن يكون منشأ التسمية بيت شعر قاله القطامى، وماذكره ليس فيه مقنع؛ إذ ماالمانع من أن يسمى القطامى التغلبى بهذا البيت ثم يسمى باسمه القطامى الضبعى، والقطامى أبو الشرقى[١٣].

على أن المعنى القاموسى لاينتفى عنه بعد كل هذا، وكتب اللغة والأدب تفيض فى هذا المعنى، فتذكر الصقر[١٤]، وتذكر البهرجة «ويقال ذلك فى طبع الشاهين»[١٥]، وتذكر كذلك من معانى القطامى «النبيذ»[١٦]، والتسمية بمناسبة معينة لاتتنافى مع التسمية بمعنى معين على كل حال[١٧].

أما اللقب الثانى؛ فهو صريع الغوانى «قال النطاح: أول من لقب صريع الغوانى القطامى بقوله:

صـــريع غـــوان راقـــهن ورقنه

لدن شب حتى شاب سود الذوائب

وصريع الغوانى لقب مسلم بن الوليد أيضا لقبه هارون الرشيد بقوله:

هل العـــيش إلا أن تروح مع الصـــبـــا

وتغدو صريع الكأس والأعين النُّجل»[١٨]

وفى ديوان القطامى أنه كان يقال له «ذو القناع» ببيت قاله وهو:

وكـنـت أظـن أن لـذاك يـومـــــــا

يبـــزعـن المخـــبـــأة القناعـــا[١٩]

جـ. كنيته:

أما كنيته فتذكر المراجع أنه يكنى «أبا سعيد»[٢٠]، «ويقال أبا غنم»[٢١].

د ـ نسبه من جهة أمه :

جاء فى خزانة الأدب أن القطامى «ابن أخت الأخطل النصرانى المشهور»[٢٢]، وقد جرى على هذا الرأى بعض الباحثين المحدثين [٢٣]، ولكننى لا أطمئن إلى هذا القول؛ وذلك لأسباب:

أولا : لم أجد هذا القول فى المراجع التى سبقت صاحب الخزانة كطبقات الشعراء، والأغانى، وغير ذلك من المراجع التى ترجمت للقطامى.

ثانيا : «قال عبد الملك بن مروان للأخطل: ياأخطل أتحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب؟ قال: اللهم إلا شاعرا منا مغدف القناع خامل الذكر حديث السن إن يكن فى أحد خير فسيكون فيه»[٢٤]، فلم يذكر الأخطل أنه ابن أخته، بل قال «.. شاعرا منا» أى من قبيلته ونسبه من جهة الأب، وهذا ثابت؛ فكلاهما من بنى مالك بن جشم بن بكر، فلو أن القطامى ابن أخته لنص على ذلك خصوصا وأنه فى موقف المعجب المفاخر به.

ثالثا : قال القطامى:

إن الأخيطل ليس الدهر ثائرهم
أو يبعث الله عادا أو ترى إرما

حلت بنو مالك والبحر دونهم
وذمم القوم فى يوم اللقا جشما

فما يجوز أخوهم فى مهولة
ولايجد إذا مامزمع أزما

ودويل[٢٥] لايكون المجد غايته
ولن يجد إذا شيطانه اعتزما

فكيف يكون خاله ثم يتحدث عنه بهذا الأسلوب، ويهجوه هذا الهجاء؟

رابعا : وقال أيضا:

فخالى الشيخ صعصعة بن سعد

وتنميني لأكرمها تميم[٢٦]

فقد ذكر خاله، وأنه ينتمى إلى تميم، ولم يذكر أن خاله الأخطل، وبذلك «قطعت جهيزة قول كل خطيب». لهذا كله نرفض الرأى الشائع من أن القطامى ابن أخت الأخطل، ونرى أنه ينتمى من جهة أمه إلى قبيلة أخرى غير تغلب هى تميم، وقد قال المستشرق «برت» فى مقدمة الديوان إن القطامى له انتماء من جهة أمه إلى صعصعة بن سعد من تميم، ولاشك أنه قال ذلك حين رأى القطامى يشير إليه فى بيته الذى ذكرناه، ولكنا لاندرى كيف توفق بين قوله هذا، وقوله فيما تقدم إنه ابن أخت الأخطل!.

ومما يؤسفنا حقيقة أننا لانعرف شيئا عن القطامى فى هذه الناحية أكثر مما ذكرنا، فأبوه وأهله وظروف تربيته الأولى ـ وماإلى ذلك مما كان يهمنا معرفته ـ كل ذلك أشياء ضرب عليها التاريخ ستارا كثيفا من الظلام. وقد أشار القطامى فى شعره مرة إلى أبيه[٢٧]، ومرة إلى أخيه[٢٨] إشارة لاتقدم لنا أى ضوء فى هذه الناحية.

هـ ـ قبيلته : «تغِلب»

(١) فى الجاهلية :

هو تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار[٢٩]، وقد سميت القبيلة باسمه فيقال قبيلة تغلب، وهناك قبيلة أخرى تشاركها فى هذا الاسم، وهى قبيلة تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة[٣٠]، «فيقال تغلبى قضاعى أو يمنى يراد به هذا الأب (تغلب بن حلوان)، وتغلبى معدى أو نزارى فيراد به تغلب بن وائل»[٣١]، «وقولهم تغلب بنت وائل إنما يذهبون بالتأنيث إلى القبيلة كما قالوا تميم بنت مر...

قال الفرزدق:

لولا فوارس تغلب ابنة وائل

ورد العدو عليك كل مكان[٣٢]

وكانت تغلب تسمى الغلباء، قال الشاعر:

وأورثنى بنو الغلباء مجدا

حديثا بعد مجدهم القديم[٣٣]

ويقول صاحب نهاية الأرب عن تغلب قضاعة أيضا: «وهم تغلب الغلباء»[٣٤].

فهل هذا اللقب لتغلب وائل أو لتغلب قضاعة؟ شىء لايمكن القطع به أمام هذين النصين، على أنه لامانع من أن يكون اللقب للقبيلتين، فهو نوع من الاشتقاق من لفظ اسم القبيلة، يقال للتفاؤل بالغلبة، وهذا شىء يمكن أن تخلعه كل من القبيلتين على نفسها أو يخلعه عليها الآخرون.

وتغلب التى معنا قبيلة عربية كانت منازلها ـ ككل القبائل العدنانية ـ أولا فى الجزيرة العربية، وموطن شعب عدنان الأصلى «مكة وماجاورها من أرض الحجاز وتهامة»[٣٥].

أما ديانتها الأصلية؛ فهى الوثنية كعامة القبائل العربية القديمة التى كانت تسكن الجزيرة، وقد أورد ابن هشام اسم صنم لهم فقال: «قال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات[٣٦] لبكر وتغلب ابنى وائل وإياد بسنداد، وله يقول أعشى بن قيس ابن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق

والبيت ذى الكعبات من سنداد[٣٧]»

ويخيل إلى الناظر فى تاريخ هذه القبيلة أن الحرب قد استغرقت حياتها، فكل مرجع نظرت فيه قد تحدث عن تغلب لاتعدم ذكر يوم من الأيام أو مناوشه من المناوشات، ويجد الباحث نفسه مضطرا حين يواجه تغلب إلى أن

يواجهها من هذا الجانب الكبير.. جانب الحروب، وتغلب بحروبها الكثيرة هذه كأنما تحاول أن تؤكد نفسها وبداوتها الأصيلة التى تعيش على الغارة كأساس لحياتها، كما تجعل القتال من أجل العزة، والتخلص من نير الأسر أساسا آخر تقيم عليه هذه الحياة، وسنتحدث من حروب تغلب على الحروب التى كان لها أثر فى تطور تاريخ هذه القبيلة، فقد كان لنزار مجتمعة تحت رياسة تغلب أيام مع اليمن منها يومان شهيران هما يوم «السلان» ويوم «خزازى»[٣٨]، وكانت هذه الحرب للتخلص من أسر اليمن، وابتزازها لأموال نزار، واستبدادها بها، فقد كان الرجل من أهل اليمن يأتى ومعه كاتب وطنفسه يقعد عليها فيأخذ من أموال نزار ماشاء»[٣٩] اليوم الأول ربيعة بن نزار أبو كليب، وفى اليوم الثانى كليب نفسه[٤٠].

وكانت نتيجة هذه الحروب نصرا لنزار على اليمن على طول الخط، ولابد أن يتقرر ملك كليب بعد ذلك على قومه، ويظهر أنه استغل تلك الرياسة استغلالا سيئا فطغى وتكبر «حتى كان يحمى مواقع السحاب ويقول: وحسن أرض كذا بجوارى فلا يهاج»[٤١].

ومن الطبيعى أن يحرك طغيانه هذا نوازع ثورة فى نفوس أبناء عمومته، وهم يتمتعون بنفس الأنفة والطبيعة التى لاتقبل السيطرة، فكان ذلك فاتحة لحرب جديدة طويلة بين أبناء العم بكر وتغلب اصطلى الحيان بنارها زمنا، وخلقت لنا قصصا طريفا وأشعارا جمة ترويها كتب الأدب والأخبار، واشتهرت هذه الحرب باسم حرب البسوس؛ فأسبابها الأصيلة إذن هى: الصراع على السيطرة الذى يحدث غالبا بين الأقرباء حين يفرغون من حرب عدد مشترك، أما أسبابها الظاهرة أو المباشرة فهى ناقة مشئومة أو امرأة مشئومة تدعى «البسوس».

قتل جساس بن مرة كليب بن ربيعة، واشتعلت نار الحرب بين بكر وتغلب، وكانت بينهما أيام فيها يوم النّهى، ويوم الذنائب، ويوم عنيزة، ويوم الحنو، والعويرضات، وأينق، والقصيبات، وواردات[٤٢]، وقد كانت الغلبة فى كل تلك الأيام لتغلب، ويبدو أن مقتل كليب كان حدثا كبيرا استنكرته قبائل من بكر

نفسها، فاعتزلوا هذه الحرب، وقد يكون اعتزالهم هذا ناجما عن نفوس متزنة غير محبة للدماء التى تراق بين بنى الأعمام، وعلى رأس هؤلاء يشكر وعجل وبنو قيس بن ثعلبة ورأسها الحارث بن عباد»[٤٣]، كما يبدو أن اعتزال هذه القبائل، وهذا الرجل بالذات كان سببا فى إضعاف بكر ونصرة تغلب عليها فى كل الأيام التى أشرنا إليها أن قتل مهلهل بن الحارث بن عباد واسمه بجير، كل هذا والحارث راغب عن القتال يقول حين بلغه خبر قتل ابنه: «نعم القتيل قتيلا أصلح بين ابنى وائل»[٤٤]، ولكنهم أخبروه بأن المهلهل إنما قتله بشسع نعل كليب فغضب وتولى أمر تغلب[٤٥]، ونطالع حين اعتزم الحارث القتال قصيدته المشهورة التى تدل دلالة واضحة على أنه يخوض الحرب مكرها، ومنها هذا البيت:

لم أكن من جناتهـــا علم الله (م)

وإنى بحـــرها اليــوم صـــالى

ومن يوم أن دخل الحارث الحرب شالت كفة تغلب حتى انهزمت، وانتهى الأمر بمقتل مهلهل، وكانت هزيمة تغلب فى يوم «تحلاق اللحم».

لقد قوضت هذه الحروب صرحا كان قائما، وبددت شملا كان جميعا فقد «كانت بنو جشم رهط كليب... وبنوشيبان رهط جساس متألفين... ودارهم واحدة ببطن شيب والأخص من تهامة، وبه هاجت بينهما الحروب»[٤٦].

ولقد رحلت تغلب فى هذه الظروف إلى الشمال، واستقرت بأطراف الجزيرة ومايليها من البلاد فتم أصل بنى تغلب[٤٧].

وسواء أكان هذا هو السبب فى رحلة تغلب أم أن ارتحالها كان رغبة فى النجعة وفرارا من الضيق المادى فقد تعرضت بعد ذلك لمحنة جديدة مع أحد ملوك الحيرة «الذين حاولوا إصلاح ذات البين بين بكر وتغلب»[٤٨] وكان الذى تولى أمر هذا الصلح هو عمرو بن هند «وأخذ رهائن من كل من الحيين مائة غلام من أشرافهم ليكف بعضهم عن بعض فكانوا يصحبونه فى السلم والحرب»[٤٩]، وكان هذا بدءا لوقوع تغلب فى تجربة قاسية فتحركت طبيعتها

الثائرة، ودخلت مع الملك ابن هند فى مناوشات انتهت بقتل ابن هند، ويبدو هذا غريبا حتى مع استعداد تغلب للتمرد والثورة، قبيلة مجهدة من الحروب تناوش ملكا هى تحت سيطرته وحكمه! ولكننا ينبغى أن نستحضر «أن خضوع تغلب والقبائل العربية الكبيرة الأخرى لملوك الحيرة لم يكن إلا خضوعا اسميا يتمثل فى حمل الإتاوات إلى الملوك مادموا أقوياء»(٥٠).

مهما يكن فقد نشبت عداوة بين عمرو بن هند وبنى تغلب جعلتهم يمتنعون عن الخروج معه لغزو غسان، وجعلته يجمع لهم الجموع ويحلف «ألا يغزو قبل تغلب أحدا»(٥١)، وهذه العداوة هى التى جعلته يحابى بكرا محاباة ظاهرة، ويستمع إلى الحارث بن حلزة ينشد قصيدته، وينصرها على تغلب (٥٢)، وهذه العداوة هى التى انتهت أخيرا بقتل ابن هند على يد الشاعر التغلبى عمرو بن كلثوم، ومهما قيل فى سبب هذا القتل من إذلال أم الملك لأم الشاعر فإن السبب الأصيل يكمن فى هذه العداوة المستحكمة، وليست هذه الحادثة إلا سببا ظاهريا يتوارى خلفه السبب الحقيقى كما توارى السبب الأصيل الذى بيناه فى «حرب البسوس» وراء «البسوس».

يقول الأستاذ عمر الدسوقى عن الشاعر وقتله الملك بعد أن أشار إلى حادثة إذلال أمه: «ولعل من الأسباب التى هاجته تحيز الملك لقبيلة بكر حين سعى فى الصلح بينها وبين تغلب»(٥٣).

ولقد اعتبر التغلبيون هذه الحادثة وثيقة تاريخية يفخرون بها، وكانت مادة خصبة لشعرائهم فيما بعد فيقول الأخطل:

أبنى كليب إن عمىَّ اللذا

قتلا الملوك وفككا الأغلالا

كما كانت قصيدة عمرو بن كلثوم التى أنشدها عقب قتله الملك كتابا مقدسا لتغلب يعظمونها «ويرويها صغارهم وكبارهم حتى هجوا بذلك، قال بعض شعراء بكر بن وائل:

ألـهى بنـى تـغلب عن كل مكْرمــة
قـصـيـدة قـالـهـا عـمـرو بن كلثـوم
يـروونـهــا أبـدا مــذ كــان أولـهـم
ياللرجـال لشـعـر غيـر مـسئـوم»[٥٤]

لقد كانت تغلب تدين بالوثنية كما ذكرنا، ولكنا وجدناها و«غالبيتها على النصرانية عند ظهور الإسلام»[٥٥] ويعلل ابن خلدون انتشار النصرانية بين تغلب فيقول: «فلبنى تغلب شهرة وكثرة، وكانت بلادهم بالجزيرة الفراتية، وكانت النصرانية غالبة عليهم؛ لمجاورة الروم»[٥٦].

(٢) فى الإسلام:

وإذا كانت طبيعة تغلب هى تلك الطبيعة الثائرة التى فرضت عليها أن تقضى حياتها محاربة، وفرضت عليها رفض أى نوع من أنواع السيطرة فإننا نتوقع ألا تتقبل الإسلام بسهولة، وأن يكون انضواؤها تحت لواء الدعوة الجديدة عسيرا، خصوصا وأنها تعيش فى الأطراف بعيدا عن مركز الضوء الذى تألق فيه الإسلام، وتعيش فى خيام البادية بعيدا عن مرونة الحضارة التى يمكن أن تستجيب بسهولة للدعوات الجديدة، وتجاور إلى جانب ذلك كله دولة نصرانية هى دولة الروم.

وقد وقفت الموقف الذى توقعناه فقد «كان لتغلب رئيس يقال له الجرار، وأدرك النبى (ص) وأبى الإسلام، فيقال إن الرسول (ص) بعث إليه زيد الخيل وأمره بقتاله، فقاتله فقتله لما أبى الإسلام»[٥٧]، وسواء أكان الجرار هذا يمثل تغلب أم قسما منها فإن فى موقفه دليلا على أن تلك القبيلة لم تستجب للإسلام بسهولة وليس معنى هذا أن تغلب كلها بقيت على نصرانيتها فقد كان منهم مسلمون بكل تأكيد، والنص التالى يخدمنا فى هذه الناحية «.. وبلغ خالدا أن جمعا لبنى تغلب بن وائل بالمصيخ والحصيد مرتدين عليهم ربيعة بن بجير، فأتاهم فقاتلوه فهزمهم وسبى وغنم، وبعث بالسبى إلى أبى بكر»[٥٨] فنحن

نرى خالدا يحاربهم؛ لأنهم مرتدون، وكونهم مرتدين يعنى أنهم كانوا قد أسلموا، هذا وللنص دلالة أخرى وهى أن الإسلام لم يكن راسخا فى هذه القبيلة، وهذه ظاهرة قد توقعناها، ووجدناها هنا، وسنجدها أيضا فى المستقبل حين نتتبع تغلب مع التاريخ، ومن قبل كان قد «وفد على رسول الله (ص) وفد بنى تغلب ستة عشر رجلا مسلمين، ونصارى عليهم صلب الذهب»(٥٩).

ونجد المراجع تتحدث عنهم أيام عمر على أنهم قبيلة نصرانية أبت الإسلام من ناحية، وأبت أن تفرض عليها الجزية من ناحية أخرى، وحين لايرضى عمر بهذا الوضع غير العادى يشير عليه بعض النصحاء بمعاملة تغلب معاملة خاصة؛ لأن الشدة معها لاتجدى؛ ولأن التغلبيين إن لحقوا بأعداء الإسلام كانوا مبعث متاعب جمة للمسلمين، فيرضى عمر آخر الأمر أن يضعف عليهم الصدقة، ويشترط عليهم ألا ينصّروا أحدا من أولادهم(٦٠).

فما معنى هذا كله؟ معناه أن هذه القبيلة ـ فى مجموعها ـ لم تكن مسلمة، ومعناه أن هذه القبيلة مازالت على أنفتها وطبيعتها البدوية التى ترفض السيطرة فى كل لون من ألوانها، ومعناه أن لها من القوة والخطورة مايجعل الخليفة يفكر فيها، وينتهى فى تفكيره إلى أن يعاملها هذه المعاملة الخاصة.

قال بعض الباحثين: «ولاعتزاز تغلب بنفسها، ولشعورها بعزتها امتنعت عن دفع الجزية المفروض أداؤها على أهل الكتاب... ورضيت بدفع ضعف مايدفعه المسلمون أنفة من كلمة الجزية.. لكيلا تكون فى مصاف النبط، ومن لف لفهم من غير العرب، والمساواة فيها تعد إهانة لهم فى نظرهم»(٦١).

فلتغلب من عزتها وحساسيتها مايجعلها لاتهتم بالقدر الذى يدفع بمقدار ماتهتم بكيفية هذا الدفع، واسم هذا المدفوع، حتى إنهم يقولون: «أما إذا لم تكن جزية كجزية الأعلاج فإنا نرضى»(٦٢).

وإذا كنا فى «صفين» لم نفتقد تغلب بل وجدناها تشترك كقوة فعالة فى هذه الموقعة، والنصوص التى بأيدينا تشير إلى أن قسما منها كان مع علىّ فإنه

حين نزل بأرض الجزيرة «استقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط»[٦٣]، وفى ديوان القطامى مايؤيد هذا حيث يقول عن خيول قومه:

«تركن عبيد الله يوم لقينه

وفى النفس من أرماح تغلب هاجس

وذلك أن تغلب ادعت قتل عبيد الله بن عمر قتله محرز بن الصحصح الحنفى يوم صفين»[٦٤]

والمعروف أن عبيد الله بن عمر كان يوم صفين مع معاوية، وتشير النصوص أيضا إلى أن قسما منها كان مع معاوية «فقد كان كعب بن جعيل التغلبى يقاتل يوم صفين مع معاوية»[٦٥]، ونحن نرجح أن ابن جعيل كان لايقاتل مع معاوية منفردا عن قومه، بدليل أنه حين يحرض معاوية ينبرى له شاعر من صفوف علىّ فيهجو تغلب، ولو كان ابن جعيل منفردا دون مجموعة من قومه لهجاه الهاجى بصفته الشخصية[٦٦]

والظاهر أن من كان يقيم من تغلب ببادية العراق كان مع علىّ، ومن كان يقيم منها ببادية الشام كان مع معاوية، ولهذا نظير فى صفين بالنسبة للقبائل الأخرى، فعلىّ قال فى هذا اليوم «للأزد: اكفونى أهل الأزد، وقال لخثعم: اكفونى خثعم، وأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام»[٦٧] وحين تغير وجه السياسة بعد ذلك رأينا تغلب فى «مرج راهط» مع الأمويين.

ويرى بعض الباحثين أن سبب انضمام تغلب للأمويين فى المرج هو الرغبة فى القضاء على قيس التى تضايق تغلب فى مساكنها[٦٨]، ونحن نوافق على أن نصرة تغلب للأمويين كانت بسبب اقتصادى هو التوسع الذى يستند إلى تأييد الحاكمين لهم، لكن لا على حساب قيس وحدها، فالحوادث تشير إلى أن العلاقات بين قيس وتغلب كانت مرضية إلى مابعد مرج راهط حتى وجدنا تغلب تقاتل كلبا مع قيس أولا.

وإذا كنا قد تحدثنا عن تغلب فى الجاهلية كقبيلة محاربة لاتهدأ، وعرضنا لحرب مشهورة كانت تغلب أحد قطبيها وهى حرب البسوس، فإننا نتقدم الآن إلى الحديث عن حرب كبيرة أخرى هى أيامها مع قيس(٦٩).

وعلى الرغم من أن قيسا كانت زبيرية، وتغلب مروانية(٧٠)، وعلى الرغم من اقتراب منازل القبيلتين(٧١)، فلم تكن الحرب أولا بين قيس وتغلب، بل كانت بين قيس وكلب، وكان يقود قيسا رجلان شهيران هما زفر بن الحارث الكلابى، وعمير بن الحباب السلمى «فكانا يطلبان كلبا واليمانية بمن قتلوا من قيس»(٧٢)، بل إننا رأينا تغلب فى هذه الفترة تساعد قيسا، وتغير معها على كلب(٧٣)، ولكن يبدو أن هذا كان الهدوء الذى يسبق العاصفة؛ فالأسباب التى أشرنا إليها من مروانية تغلب وزبيرية قيس، ومن تجاور منازلهم مضافا إلى ذلك طبيعة تغلب التى أشرنا إليها أكثر من مرة، وطبيعة قيس التى لاتقل ـ فى بداوتها ومعيشتها على الغارة ـ عن تغلب أقول إن هذه الأسباب مجتمعة قد هيأت الجو لحرب طويلة بين قيس وتغلب فوقفتا على حافتها، وبقى اشتعال الشرارة الأولى.

وقد هبت الرياح التى أشعلت تلك الشرارة فى صورة سبب تافه كما هو الشأن دائما؛ فقد نزل عمير بن الحباب فى إحدى رجعاته من غزو كلب بين منازل تغلب، وكانت فيما بين الخابور والفرات ودجلة، وكانت هناك امرأة من تميم ناكحة فى تغلب لها عنيزات اغتصبها بنو الحريش من أتباع عمير، وشكت المرأة إلى عمير فلم تشك، فشكت إلى ابنها ـ وكان شجاعا ـ؛ فجمع جمعا أغار به على بنى الحريش، وقد حاول القيسيون رده فلم يستطيعوا(٧٤) ومن الحق أن نقرر هنا أن زفر بن الحارث كان متزنا عاقلا كارها لأن تشب هذه الحرب، يحاول منعها على قدر جهده، بينما كان عمير متحمسا متهورا(٧٥).

ومهما يكن فقد اشتعلت الحرب بين قيس وتغلب، وقرأنا عن أيام كثيرة لهم(٧٦)، والذى يستعرض هذه الأيام يستطيع أن يخرج بنتيجة هى انتصار

قيس على تغلب فى أكثر هذه الأيام[٧٧]، ومن الأيام القليلة التى انتصرت فيها تغلب يوم «الحشاك» وفيه[٧٨] قتل عمير بن الحباب رئيس قيس فى هذه الموقعة[٧٩].

ويهمنا هنا أن نشير إلى أن شاعرنا القطامى قد أسر فى يوم من هذه الأيام، وأخذت أمواله، فرد عليه زفر بن الحارث حريته وأمواله، وزاد فى عطائه، فمدحه القطامى بمدائح كثيرة، وسجل بذلك وفاءه واعترافه بالجميل، وسيتاح لنا الحديث عن هذه المدائح فى أماكن أخرى.

وحين طالعنا «كامل ابن الأثير»[٨٠]، و«أنساب الأشراف»[٨١] لم نستطيع أن نتبين اليوم الذى أسر فيه القطامى، فقد أشار إلى أسره دون تحديد لذلك، إلا أننا وجدنا فى «الأغانى» مايفيد أن القطامى أسر يوم «ماكس» ولعل «ماكس» هذا هو «ماكسين» الذى نجده فى الكتب الأخرى، جاء فى الأغانى:

«فصار إليهم عمير بن الحباب فلقيهم قريبا من ماكس على شاطئ الخابور فأعظم فيهم القتل.... وأصيب يومئذ أكثرهم، وأسر الشاعر القطامى»[٨٢]

كما يهمنا أن نشير إلى أن الأخطل شاعر تغلب الكبير قد أسر فى إحدى هذه الموا قع، وذلك يوم «البشر» ولكنه استطاع الهرب بحيلة طريفة[٨٣].

وبعـد:

فهذه هى تغلب قبيلة القطامى فى الجاهلية والإسلام عرضنا للخطوط الرئيسية التى تحدد سماتها وأسلوبها فى الحياة، وقد اتضح أنها قبيلة بدوية بكل ماتحمل تلك الكلمة من معان وقيم؛ فهى تعيش فى البادية، وهى ـ تبعا لذلك ـ تخضع لنظم المجتمع البدوى: الغارة، وبعض الأمجاد القديمة، وإباء الضيم، وحب السيادة، وهى فى سبيل ذلك كله تقضى عمرها فى الحروب، وتضيع حياتها بين غبار المعارك.

لقد كانت الحروب هى الوجه الواضح القسمات لتغلب، ولذلك لم نستطع الفكاك من أسره ونحن نتحدث عنها، فاستعرضنا تاريخها من خلال هذه الحروب، وحددنا علاقاتها مع الممالك التى دانت لها كاليمن والحيرة، ومع جيرانها وأبناء عمومتها من القبائل الأخرى، كما تناولنا ديانتها فى الجاهلية والإسلام، وعلاقتها بالحاكمين، وبمن جاورها من القبائل.

ولن نترك هذا الحديث دون أن نذكر ملاحظتين تتممان صورة القبلية فى تغلب:

أولاهما: اهتمامها بالشعر الذى يقال فخرا بها وبأيامها ومواقفها وأسلافها، وقد رأينا ماأحدثت فيها قصيدة عمرو بن كلثوم، وكيف توارثتها، وتغنى بها شعراؤها(٨٤).

وثانيتهما: اشتراك شعرائها المشهورين اشتراكا فعليا فى أيامها ومواقعها بجانب اشتراكهم اشتراكا لسانيا بتسجيل المفاخر، والتكلم بلسان القبيلة، فرأينا المهلهل يقوم بدور البطولة فى حرب البسوس ورأينا عمرو بن كلثوم يقتل ابن هند، ورأينا الأخطل والقطامى يؤسران فى معارك قيس وتغلب بعد الإسلام، وبهذا يحقق كل واحد من هؤلاء الشعراء اسم «شاعر القبيلة» تحقيقا ماديا وفكريا.

و ـ عقيدته:

أورد ابن عساكر أن القطامى «كان نصرانيا فأسلم»(٨٥)، وأورد أيضا حادثة هجاء الأخطل للأنصار مدخلا فيها القطامى على هذا النحو «يروى أن عبد الرحمن بن حسان هجا قريشا فقال:

أحياؤكم عار على موتاكم والميتون خزاية للغابر

فأرسل يزيد إلى كعب بن جعيل فقال: اهج الأنصار، فقال: إن لهم عندى يدا فى الجاهلية فلا أجزيهم بهجائهم، ولكن أدلك على المغدف القناع المنقوص

السماع القطامى، فأمر القطامى فقال: أنا امرؤ مسلم أخاف الله وأستحيى المسلمين، ولكن أدلك على من لايخاف الله ولايستحيى من الناس، قال: ومن هو؟ قال الغلام المالكى الأخطل، فأرسل إليه فأمره بذلك»(٨٦).

فنحن نرى أن القطامى يمنعه إسلامه وحياؤه من أن يهجو الأنصار.

وكذلك أورد البغدادى أن «القطامى كان نصرانيا فأسلم»(٨٧).

ولكن الأب لويس شيخو لايوافق على هذا، ويرى أن القطامى نصرانى، ويذكره على هذا الأساس فى كتابه: «شعراء النصرانية»، وقد استدل على رأيه هذا بقول أبى الفرج فى الأغانى: «وكان نصرانيا، وهو شاعر إسلامى مقل»(٨٨)، ودعم ذلك بالآتى «أولا: نسبه إلى تغلب القبيلة المتحمسة فى دينها حتى أيام بنى العباس، ثانيا: قرابته إلى الأخطل الراسخ فى دينه النصرانى... والقطامى ابن اخته، ثالثا: افتخاره بقومه وبحروبها ومآثرها مما يدل على مجاراته لهديها، رابعا: ولايخلو شعر القطامى من إشارات إلى التوراة والكتب النصرانية»(٨٩).

ويقول الأب شيخو: « أما قول صاحب الأغانى إنه شاعر إسلامى؛ فليس معناه أنه صار مسلما بل إنه عاش فى الإسلام ولم يبلغ عهد الجاهلية كالمخضرمين، ولعل هذا الذى خدع ابن عساكر فى تاريخ دمشق فقال عن القطامى: كان نصرانيا فأسلم، وهو أول من قال بذلك، وابن عساكر من كتبة القرن السادس للهجرة.. وعنه أخذ الذين قالوا بإسلام القطامى كعبد القادر البغدادى فى الخزانة»(٩٠).

وأخيرا يقول إن المستشرق «برت» مال إلى ذلك متابعا ابن عساكر(٩١).

وقبل أن ندلى برأينا فى هذا الموضوع نحب أن نقول: إننا لسنا حريصين على أن يكون القطامى مسلما، فإسلامه لن يفيدنا بشىء كما أن نصرانيته لن تضرنا بشىء، وإنما نحن حريصون أولا وأخيرا على الحقيقة الأدبية

والتاريخية وهذه الحقيقة تفرض علينا أن نخالف الأب شيخو مرة أخرى ونقول إن القطامى كان مسلما.

وسنتناول رأيه أولا فيما ذكره أبو الفرج . قال أبو الفرج: «وكان نصرانيا وهو شاعر إسلامى مقل»؛ ففهم الأب شيخو من قوله «شاعر إسلامى» أنه كان يعيش فى الإسلام لا أنه مسلم، وهذا تحكم فى فهم النص وقصر له على أحد الوجهين اللذين يحتملهما ، وقد سكت الباحث عن بقية العبارة: «كان نصرانيا»؛ ففهمنا من ذلك أنه يحملها أن القطامى كان من النصارى، ونحن إذا سرنا معه بمنطقه فى فهم العبارة التى تحدثنا عنها لقلنا : لم لايكون معنى «كان نصرانيا» كان نصرانيا ثم أسلم؟ ألا تحتمل العبارة هذا المعنى؟ بل إننى أقول إن هذا المعنى أقرب إلى الفهم، ولأمر مايقول البلاغيون فى مثل «وكان الله غفورا رحيما» كان ولايزال وسيستمر؛ ذلك أنهم يدركون أن الإنسان حين يسمع ذلك الفعل الماضى يأتى فى ذهنه أن هذا الحكم كان ثم تغير.

أريد أن أقول إن الأب لويس شيخو يفسر الكلام لصالح الرأى الذى يعتقده، وفى استطاعتنا أن نستنتج لأنفسنا مثل ماستنتج، ولكننا لانلج فى هذا.

وندع هذه النقطة بعد أن نقرر أن ابن عساكر لم يكن غافلا حين قال بإسلام القطامى حتى على الفرض الذى قال به الأب شيخو، وهو أنه أخذ ذلك من قول أبى الفرج فخدع، فقد بينا أن كلام أبى الفرج لايمكن أن يكون معناه أن القطامى كان نصرانيا بالمعنى الذى يريده الأب شيخو.

على أن ابن عساكر ينص فى حكاية كعب بن جعيل والقطامى والأخطل على إسلام القطامى، ومن غير المعقول أيضا أن تكون هذه الرواية من صنع خياله؛ فقد أوردها بأسانيده الطويلة كما هى عادته فاحتمال صحتها ليس بعيدا.

وأما قوله بنسبة القطامى إلى تغلب القبيلة المتحمسة فى دينها واتخاذه من ذلك دليلا على إسلامه؛ فلا يترتب عليه أن القطامى كان على دين تغلب؛ لأنه لم يثبت تاريخيا أن تغلب كانت نصرانية برمتها بل الثابت غير ذلك كما قدمنا، وقوله بأن الأخطل نصرانى والقطامى ابن أخته لاينهض أيضا دليلا على نصرانية القطامى فقد أثبتنا من واقع شعر القطامى وغيره عدم وجود تلك الصلة، وافتخار القطامى بقبيلته ـ مآثرها وحروبها وأمجادها ـ بعيد كل البعد عن أن يكون دليلا على نصرانيته؛ فقد قلنا قبل كلمات إن تغلب لم تكن كلها نصارى، ثم إن الافتخار بأمجاد القبيلة ومآثرها كان فى ذلك الوقت تقليدا للشعراء لاينظر فيه إلى دين القبيلة، وإنما ينظر إلى أنها عصبية الشخص، ومن الواجب على شاعر القبيلة أن يتغنى بأمجادها، يستوى فى ذلك جميع الشعراء، للقبيلة عليهم هذا الحق مهما اختلفت عقيدتهم.

ولم يذكر لنا الأب شيخو الإشارات إلى التوراة، على أنها إن صحت فلا دليل فيها على نصرانيته؛ إذ ماالعلاقة بين التوراة والنصرانية، ولم يذكر لنا كذلك الإشارات إلى الكتب النصرانية، ولكنه أحالنا على كتابه «النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية»، وإذ رجعنا إليه وجدناه يشير إلى ذكر حادث سفينة نوح كشىء استقاه الشعراء فى الجاهلية من الكتاب المقدس، ونحن لانناقش هذا ؛ لأنه ليس موضوعنا، ولكنا نراه بعد ذلك يقول: «ويحسن بنا أن نروى هنا ماقال القطامى الشاعر النصرانى فى عهد بنى أمية عن نوح وسفينته(٩٢) .

ثم يذكر الأبيات:

وأنذركم مصاير قوم نوح وكانت أمة فيها انتشار

مما سنستدل به بعد قليل على إسلام القطامى، على أنه لم يذكر لنا وجه استشهاده على نصرانية القطامى فهل هو مجرد سفينة نوح مثلا؟ إن كان

الأمر كذلك فأبو العتاهية نصرانى؛ لأن الأب لويس يذكر له فى نفس النقطة أنه ضرب المثل بنوح فى طول عمره فقال:

نح على نفسك يامسكين إن كنت تنوح

لست بالباقى ولو عمرت ماعمر نوح

فإذا مدح القطامى الإسلام والمسلمين فى شعره قال الأب شيخو إن القطامى يجامل الإسلام(٩٣).

وسنعرض لهذا الشعر لنرى إلى أى حد يمكن أن تصل المجاملة، وسنقتصر فى عرضنا على النواحى التى تتناول الإسلام تاركين النواحى التى تتناول المسلمين خلفاء وأعيانا؛ لأن هذه المدائح هى التى يمكن أن توصف بأنها مجاملة.

قال القطامى:

أمـا قـريش فلن تلقـاهم أبدا

إلا وهم خـيـر من يحـفى وينتـعل

قـوم هم ثبتـوا الإسـلام فـامـتنعـوا

قـوم الرسـول الذى مـابعـده رسل

فهل يمكن أن تصل المجاملة بشخص مسيحى إلى الحد الذى يقول فيه بأن محمدا خاتم الرسل الأمر الذى يخالف عقيدته؟

وقال:

ومن خندف الداعى الرسول إلى الهدى

ومنهـا الإمـام والنجـوم العـواكف

فهو هنا يفهم الإسلام على أنه طريق الهدى، وكان فى استطاعته لو أراد المجاملة أن يجامل دون أن يعترف بهدى دين يخالف دينه.

وننتقل بعد ذلك إلى نماذج من شعر القطامى تدلنا على إسلامه من ناحية أخرى.

قال القطامى:

نرجو البقاء ومامن أمة خلقت
إلا سيهلكها ماأهلك الأمما
أما سمعت بأن الريح مرسلة
فى الدهر كانت هلاك الحى من إرما
وقوم نوح وقد كانوا يقول لهم
ياقوم لاتعبدوا الأوثان والصنما
فكذبوا من دعا للحق واجتنبوا
ماقال وامتلأت آذانهم صمما
فلا همو رهبوا ماقد أظلهم
ولانبيهم عمى ولاكتما

ونبادر فنقول: إن حكاية هلاك عاد بالريح وهلاك قوم نوح فى ذاته قد لاينهض دليلا على مانحن بصدده، فقد يكون ذلك معروفا من أى مصدر دينى آخر، ولكن الذى نريد أن نتخذ منه الدليل هو الهدف من سوق القصة، وطريقة صوغها، وملاءمة ذلك لما ورد فى القرآن، حتى جاءت بنفس المعانى والعناصر، وبألفاظ قريبة مما ورد فى القرآن مما يدل على أن القطامى تمثل القصة كما وردت فى القرآن تمثلا أتاح له أن يؤديها على هذا النحو، ويدل من ناحية أخرى على اعتقاده بما جاء فيها؛ وإلا مااتخذه أساسا يعظ عليه الناس،

ويبصرهم، ويضرب لهم الأمثال، يقول القطامى «.. الريح مرسلة» وفى القرآن «فأرسلنا عليهم ريحا»، ويقول القطامى «كانت هلاك الحى» وفى القرآن «وأما عاد فأهلكوا بريح..».

والحوار بين نوح وقومه، وتكذيبهم له ورد مفصلا فى «سورة نوح»، ويذكرنا شعر القطامى بالسورة لأول وهلة، وسنكتفى بأن نضع قول القطامى «وامتلأت آذانهم صمما» بجانب قوله تعالى: «جعلوا أصابعهم فى آذانهم»، هذا كله إلى جانب الاتفاق فى الهدف، فالقرآن يضرب دائما أمثلة من هلاك الأمم للاتعاظ وهو نفس مافعله القطامى.

ونموذج آخر يتحدث فيه القطامى عن هلاك قوم موسى، ويفصل هلاك قوم نوح بنفس الطريقة القرآنية، ولنفس الهدف وهو الإنذار والاتعاظ، يذكر فى هذا النموذج انشقاق البحر، وغرق الفراعنة، وقوم نوح، وفوران التنور، وكيف صب عليهم منه الهلاك، وعوم السفينة، واستقرارها على الجودى.

يقول القطامى:

وشق البحر عن أصحاب موسى ... وغرقت الفراعنة الكفار
وأنذركم مصائر قوم نوح ... وكانوا أمة فيها انتشار
وكان يسبح الرحمن شكرا ... ولله المحامد والوقار
فلما أن أراد الله أمرا ... مضى والمشركون لهم جؤار
ونادى صاحب التنور نوحا ... وصب عليهم منه الوبار
وضجوا عند جيئته إليهم ... ولاينجى من القدر الحذار
وجاش الماء منهمرا إليهم ... كأن غثاءه خرق نشار
وعامت وهى قاصدة بإذن ... ولولا الله جار بها الجوار
إلى الجودى حتى صار حجرا ... وحان لتالك الغمر انحسار

وطريقتنا فى تناول هذا النموذج هى نفس طريقتنا فى تناول النموذج السابق، أى أن القطامى يذكر هذا القصص القرآنى لهدف وبأسلوب يدل على أنه قرأه أو سمعه، ثم تمثله واعتقده، ولن نطيل فى هذا الكلام أكثر من ذلك، ولكننا لن نترك هذا النموذج قبل أن نضع قول القطامى «وعامت وهى قاصدة بإذن» بجانب قوله تعالى: «باسم الله مجريها».

ونأتى إلى الدليل الأخير الذى نسوقه على أن القطامى كان مسلما فنقول: هجا القطامى قبيلة رزام بقوله من أرجوزة:

إن رزاما غرها قرزامها		قبيلة أجملها غلامها

قلف على زبابها كما مها		لم تدر ماموسى ولا سطامها

فنحن نراه قد هجا هؤلاء القوم بأنهم لايختتنون، والختان قد عرفه اليهود والمسلمون، ولكن النصارى أهملوه بعد المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة»[٩٤]، فليس بمعقول أن يكون القطامى نصرانيا أى لايختتن، ثم يهجو قوما بأنهم لايختتنون.

ولعلنا نطمئن بعد هذا الحديث إلى أن عقيدة القطامى كانت الإسلام[٩٥].

ولايفوتنا أن نذكر ـ للحقيقة الأدبية والتاريخية أيضا ـ أن الأب لويس شيخو مولع فى كتابه «شعراء النصرانية» بحشد أكبر عدد من الشعراء على أنهم من الشعراء النصارى ملتمسا لذلك أو هى الأسباب

ز. أخلاقـه :

كنا نود أن نستمع إلى أصوات الآخرين وآرائهم فى أخلاق القطامى، ذلك أدنى أن نأخذ صورة صحيحة عنه، ولكن الشاعر لم يسعد بشهرة كزملائه جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم من المشهورين ومن ثم لم يلفت إليه أنظار الناس، وسبب ذلك واضح وهو أنه لم يتصل بالسياسة والحاكمين اتصالهم، ومن ثم لم تسلط عليه الأضواء تسلطها عليهم، والنتيجة أننا لم نظفر بآراء العلماء فى شخصية القطامى. ونحن مضطرون آخر الأمر أن نتحدث عن أخلاق القطامى من خلال شعره، وأن نستمع إلى صوته هو فى هذه القضية، وهذا الاتجاه الذى سنسير عليه قد يكون مفيدا من ناحية أننا نستنطق المصدر الأصيل، وقد يكون مضرا من ناحية أننا نرى القطامى بمرآة نفسه، والإنسان غالبا يحرص على أن يظهرنفسه فى مرآة مجلوه، ويضفى على صورته شيئا من النصاعة، ولكننا على كل حال غير مختارين فلنقدم على هذه التجربة.. تجربة الكلام عن أخلاق شاعرنا من خلال شعره.

وأول ما نتحدث عن هذه الناحية أن القطامى شاعر قبيلة بالمعنى الكامل، وهذا الوصف يحتم عليه أشياء لابد أن تتوفر فى شعره، هذه الأشياء تتلخص فى أن يكون لسان القبيلة وصدى لها، يمدحها ويفاخر بها ويشترك فى أيامها ويمجد شجاعتها، ولكن هل من المحتم أن يكون الشاعر مقتنعا بكل ما تصنعه القبيلة؟ أرى أن هناك فرقا بين الاتجاه التقليدى الذى تفرضه القبيلة على شاعرها، وهو الاتجاه الذى يحتم عليه تمهيد الحرب والغارة والسطوة، وبين الاتجاه النفسى الذى قد يكون عكس ذلك حبا للسلام والوئام واجتماع الشمل، وأرى أنه ليس من التناقض أن يجتمع الاتجاهان فى شخص واحد، وقد اجتمعا فى القطامى فنحن نراه يفتخر بحروب القبيلة وأيامها وغاراتها ويفصل كل

ذلك، إلا أننا نرى أنه يعبر عن هذا كشاعر للقبيلة، أما اتجاهه النفسى الخاص الذى يمكن أن نذكره فى معرض الحديث عن أخلاقه فلم يكن كذلك، وسنسوق الأدلة على رأينا من شعره، فنحن نحس نغما آسيا حزينا لدى الشاعر حين يتحدث عن الحروب بين الأقارب ، فيذكر أن قومه شر على إخوتهم، وأنهم إن كانوا قد هزموهم فبادوا فهم لاحقون على الأثر، وأنه ما كان أولى بالنار التى اشتعلت بينهم للحرب أن تكون قد اشتعلت لإكرام الضيف:

لم تر قوماهم شر لإخوتهم ... منا عشية يجرى بالدم الوادى
حال الحوادث والأيام دونهم ... ونحن من بعدهم لسنا بخلاد
حتى إذا ذكت النيران بينهم ... للحرب يوقدن لايوقدن للزاد

ومع هذه الحسرة تحتم عليه القبيلة أن يفخر بأنهم هزموهم:

نقريهم لهزميات نقد بها ... ما كان خاط عليهم كل زراد

فنحن نرى من أخلاق القطامى أنه محب للسلام حريص على اجتماع الشمل سواء كان ذلك فى الدائرة الواسعة دائرة القبائل حيث نراه حزينا لأن الحرب قد قطعت ما بين قيس وتغلب من ود:

ألم يحزنك أن حبال قيس ... وتغلب قد تباينت انقطاعا
يطيعون الغواة وكان شرا ... لمؤتمر الغواية أن يطاعا
ألم يحزنك أن ابنى نزار ... أسالا من دمائهما التلاعا

أوكان ذلك فى داخل القبيلة، وهنا نرى الرجل أكثر حرصا على ألا يصبح الشمل بددا فهو يلح على هذه الناحية إلحاحا متكررا، ويعيدها فى صور

مختلفة، فهو يضرب لقومه مثلا حيا من الماضى على أن التفرق خزى وخسران:

فيا قومى هلم إلى جميع		وفيما قد مضى كان اعتبار
ألم يخز التفرق جند كسرى		وأجلوا عن مدائنهم فطاروا

وسوف نعود إلى شىء من ذلك حين ندرس شعر القطامى.

فإذا تجاوزنا هذه الصفة وجدنا صفة أخرى بارزة عند القطامى تلك هى صفة الوفاء والاعتراف بالجميل، فقد أسره زفز بن الحارث فى الحروب بين قيس وتغلب، ثم منَّ عليه فأطلقه وأعاد إليه ماله، وقد عاش القطامى وفيا لهذا الدين، وكاد يقف نفسه على مدح زفر حتى إن الناظر فى ديوانه يمكن أن يطلق عليه «شاعر زفر» ومن الممكن أن نتخذ كل مدائحه فى زفر نماذج على ما نقول، وسندخر ذكر النماذج إلى أن نتكلم عن شعر المديح.

وهو إلى ذلك شجاع بقبيلته:

ونحل كل حمى نخبر أنه		منح البروق ولا يحل حمانا

وبنفسه:

وكنت إذا قوم جفونى رميتهم		بداهية شنعاء باقية الحبر

ومن صفاته أيضاً الكرم، وقد قال لنا القطامى فى ذلك:

أرى الحق لا يعيا على سبيله		إذا ضافنى ليلا مع القر ضائف
إذا كبد النجم السماء بشتوة		على حين هر الكلب والثلج خاشف

وقال:

فأدبتنا الجوافل كل يوم		وبعض الناس أدبته انتقار

وفى ناحية أخرى نستطيع أن نحكم على القطامى من شعره بأنه لم يكن متدينا ولا عابدا بل جرى مع الشباب، واستمتع بكل لذائذه، وأدى له ضريبته، فنحن نراه فى ذكره للمرأة ـ وحديث الفراش أثير لديه ـ، يقول:

وقد أبيت إذا ما شئت بات معى		على الفراش الضجيع الأغيد الرتل

ويكرر ذلك قائلا فى وصف من يتحدث عنها:

فكأنما اشتمل الضجيع بريطة		لا بل تزيد وثارة وليانا

ويقول كذلك:

تعطى الضجيع إذا تنبه موهنا		منها وقد أمنت له من تتقى.. إلخ

وكذلك نرى له مع الخمر صحبة دائمة، وهو يعاقرها مع خلانه حتى تتمشى فى الأوصال وفى العقول، وسوف نعرض لذلك الشعر فى دراسة وصفه للخمر، وهو يجمع لنا لذاته فى الناحيتين السابقتين الخمر والنساء:

وثنتين مما قد يلذهما الفتى		جمعتهما راح وبيضاء كاعب

تلك هى الصفات النفسية والخلقية التى يمكن أن نستخلصها من شعر القطامى، وسيتاح لنا أن نقول فى الحديث عن هجائه إنه عف اللسان لا يفحش ولا يسف.

وأخيرا؛ فهل من اللازم بعد ذلك أن نقوم القطامى، ونضعه فى ميزان أخلاقى؟ إن النفس البشرية تجمع بين جنبيها ناحيتى الالتزام والتحلل الأخلاقيين، وقد رأينا القطامى محبا للسلام، ووفيا لمن طوقه بالجميل، ورأيناه

يخبرنا بكرمه وشجاعته، وتلك جوانب مشرقة، وقد قدم لنا جانبه الآخر فى اعترافات صريحة، وبحسبه أنه عرض لنا نفسه بجانبيها، وأوقفنا على أنه إنسان فيه من الأخلاق النبيلة مافيه، وفيه من التحلل ما فيه، ولا شك أن صفاته النبيلة صفات عامة من الممكن أن ينتفع بها المجموع، وأن صفاته الهابطة صفات خاصة من الممكن أن تقتصر أضرارها على صاحبها، فهو فى النهاية إنسان عادى من الناحية الأخلاقية.

د. صلاته بالناس وبالحياة:

نحب أن نقول ابتداء إن صلة القطامى بالناس محدودة؛ وذلك لأنه لم يخض فى مجال السياسة العليا كما خاض معاصروه من أمثال جرير والفرزدق والأخطل، بل حصر نفسه فى مجال القبيلة، واتصل بالناس فى حدود ذلك المجال الضيق، وسنتحدث عن الناس الذين اتصل بهم القطامى محددين نوع صلته بهم، ففى ديوان القطامى مدحة فى عبدالملك بن مروان يقول فيها:

أميـر المؤمنين هدى ونور ... كما جلى دجى الظلم النهار

قريع بنى أميـة من قريش ... هم السر المهذب والنضار

وعبـد الملك للفقراء طعم ... وحرز ليس معقله يضار[٩٦]

ومدحة أخرى فى الوليد ابنه جاء فيها:

أرجو الخليفة إذ رحلت ميمما ... والنفس تدرك فى الرحيل مناها

وإذا علقت من الوليد بذمة ... سكنت إلىّ جوانحى وحشاها

أنت الإمام ابن الإمام لأمة ... أضحى بكفك فقرها وغناها[٩٧]

وسنسوق من أبى الفرج شيئا يوضح لنا ظروف القصيدة الأخيرة: «قال أبو عمرو بن العلاء: أول ما حرك من القطامى ورفع من ذكره أنه قدم فى خلافة الوليد بن عبدالملك دمشق ليمدحه فقيل له: إنه بخيل لا يعطى الشعراء، وقيل: بل قدمها فى خلافة عمر بن عبدالعزيز، فقيل له : إن الشعر لا ينفق عند هذه، ولا يعطى شيئا، وهذا عبد الواحد بن سليمان فامدحه فمدحه بقصيدة قال:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل(٩٨)

فهذا الخبر يدل شقه الأول على أن القطامى قد وفد على الوليد بن عبدالملك ليمدحه، وتكون القصيدة التى معنا هى مدحته فى الوليد بغض النظر عن أن يكون نال منه شيئا أم طبق عليه نجله، أما الشق الثانى من الخبر وهو من أول قول أبى الفرج «وقيل.. إلخ» فنحن لا نسلم به، ولعل أبا الفرج أحس بضعف ذلك فقال «وقيل .. إلخ»؛ وذلك لأن القصيدة التى أوردها وهى:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل

ليست فى مدح عبدالواحد بن سليمان، وإنما هى فى مدح عبدالواحد بن الحارث بن الحكم؛ لأن القطامى يقول فيها:

أهل المدينة لا يحزنك شأنهم إذا تخاطأ عبدالواحد الأجل(٩٩)

وعبدالواحد بن سليمان كان واليا على المدينة فى أواخر عهد الدولة الأموية، فقد ورد اسمه على أنه من ولاة المدينة سنة سبع وعشرين ومائة(١٠٠) جاء فى أبى الفرج: « فلما كان العام المقبل تمام سنة تسع وعشرين (ومائة) لم يعلم الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سود فى رءوس الرماح وهم سبعمائة، تفرغ الناس حين رأوهم فراسلهم عبدالواحد بن سليمان وهو يومئذ على المدينة ومكة والموسم فدعاهم إلى الهدنة» (١٠١).

ففى الوقت الذى كان فيه عبدالواحد بن سليمان على المدينة كان القطامى قد توفى؛ لأن وفاته محصورة بين سنتى ١٠١، ١١٠ هـ على ما يأتى تحقيقه.

وإنما هذه القصيدة: إنا محيوك.. إلخ فى مدح عبدالواحد بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص وقد كان واليا على المدينة من قبل عبدالملك بن مروان[١٠٢] وقد اتفقت معظم المراجع على هذا، وهو المعقول بالنسبة لتاريخ حياة القطامى[١٠٣] ونضيف إلى كل ذلك ما ورد فى الأغانى من أن «عبدالملك بن مروان قال للأخطل: أتحب أن لك قياضا بشعرك شعر أحد من العرب... قال: لا والله يا أمير المؤمنين إلا أنى وردت أنى كنت قلت أبياتا قالها رجل منا.. قال: وما قال؟ فأنشده قول القطامى:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل[١٠٤]

فالقصيدة معروفة من أيام عبدالملك، وهذا مما يرجح ـ زيادة على المرجحات السابقة ـ أنها قيلت فى سليمان بن الحارث؛ لأنه كان يومئذ واليا على المدينة، وفى ديوان القطامى ما يؤيد هذا [١٠٥].

لقد استطردنا فى تحقيق نسبة هذه القصيدة استطردا نرجو ألا يكون فى غير موضعه، ونعود إلى ما كنا فيه فنقول إن الغموض يحيط بظروف القصيدة التى قالها فى مدح عبدالملك فنحن لا نعلم أنه وفد عليه. فإذا تركنا هؤلاء الناس إلى ناس آخرين رأينا هذه الأسماء تتردد فى شعر القطامى: «أسماء بن خارجة»، «زفر بن الحارث»، «الأخطل» ووجدنا أسماء أخرى تتردد فى شعره غير أنها لم تحظ منه بكبير اهتمام فنتركها مكتفين بهذه النماذج الكبيرة التى كانت للقطامى بها صلات.

أما أسماء بن خارجة فإنه يذكر حين يعد أجواد العرب، وتروى المراجع عنه بعض القصص التى تدل على أنه جواد وأنه فطن مجرب، يقول

عبدالملك: «بلغنى عنك خصال شريفة وأنا أعزم عليك إلا ذكرت بعضها، قال: أما إذا عزمت على فنعم، فقال عبدالملك: هذه أولها، فقال أسماء: ما سألنى أحد حاجة إلا ورأيت له الفضل على، ولا دعوت أحدا إلى طعام إلا ورأيت له المنة على.. ولا قصد لى أحد فى حاجة إلا وبالغت فى قضائها، ولا شتمت أحدا قط لأنه إنما يشتمنى أحد رجلين إما كريم فكانت منه هفوة فأنا أحق بعفوها، وإما لئيم فأصون عرضى منه»[١٠٦]، ويقول لابنته حين أهداها إلى زوجها : «يا بنية كونى لزوجك أمة يكن لك عبدا، ولا تدنى منه فيملك، ولا تتباعدى عنه فيتغير عليك »[١٠٧]، وتروى له المراجع شعرا فيه تجريب المحنك ورزانة الأريب على أنه لا يخلو من مسحة فنية آخرالأمر[١٠٨].

وقد طمع القطامى فى عطائه لأنه كريم، واطمأن إلى تقديره للشعر لأنه شاعر، فخصه بقصيدة من عيون شعره، فصلته به قائمة على هذا الأساس.. أساس الانتجاع الذى يعرف صاحبه كيف يختار من ينتجعه.

وأما زفر بن الحارث فقد كان يقاتل مروان بن الحكم مع الضحاك بن قيس الفهرى حتى إذا ما هزم الضحاك فر زفر حتى دخل قرقيسياء واعتصم بها[١٠٩] ـ وسنحلل هذه الشخصية حين ندرس شعر المديح عند القطامى ـ، ويكفى هنا أن نقول إن زفر كان ثائرا وعاقلا وشاعرا، ولن ندع هذه الفرصة تمر دون أن نذكر له ما يأتى: رووا أنه حين فر فر معه رجلان من بنى سليم «فقصر فرساهما وغشيتهما اليمانية من خيل مروان فقالا له: انج بنفسك فإنا مقتولان فولى راكضا ولحق الرجلان فقتلا، وفى هذا اليوم يقول زفر:

فلم تر منى نبوة قبل هذه	فرارى وتركى صاحبى ورائيا
أيذهب يوم واحد إن أسأته	بصالح أيامى وحسن بلائيا[١١٠]

أرأيت نفسا حادة تؤرقها الهفوة، وتعذبها النبوة كهذه النفس؟

لقد اتصل القطامى بزفر صلة من نوع جديد أعمق من المديح، وأعمق من العطاء صلة جعلت القطامى يدين بنفسه وبحياته كلها لزفر بعد أن من عليه إثر أسره الذى أشرنا إليه ونحن نتكلم عن حروب قيس مع تغلب فانطلق بلبلا شاديا بتقديس زفر، وصاغ فيه القصائد الخالدات، والديوان مفعم بمدائح زفر، وسندخر الحديث عن كل ذلك إلى أن يأتى أوانه.

ولن يمر الحديث عن القطامى والناس دون أن نذكر الأخطل، ولن نعرف بالأخطل هنا، وكيف أنه كان لسان تغلب عند الأمويين أو سفيرهم بتعبير حديث، وبحسبنا أن نقول هنا إنه على الرغم من حسن رأى الأخطل فى شعر القطامى فإن صورة الأخطل فى شعر القطامى لا تسره، ويلوح لنا أنه كانت هناك خصومه قائمة بين أسرتى الشاعرين حتمت على القطامى أن يكون لسان أسرته، وأن ينال الأخطل ببعض الأهاجى، يقول القطامى:

«ألا أبلغ سراة بنى زهير وحيا للأخاطل والخزار

قال شارح الديوان: «قال أبو عبدالله يعنى الأخطل وقومه»

فقد أبليتم خورا وجبنا غداة الروع إذ عز المنازى(١١١)»

ولعلنا على ذكر من الشعر الذى هجا به الأخطل وتناولناه فى نسبه.

هؤلاء هم الناس البارزون فى حياة القطامى، وهم قوم قليلون مما استتبع أن تكون صلة القطامى بالناس محدودة نوعا ما إذا قورنت بغيره من شعراء العصر البارزين.

القطامى والحياة:

وفى النواحى الأخرى يضطرب القطامى اضطرابا حيا، ولاشك أن الحياة القبلية كانت تفرض على أهلها أنواعا من الالتزام الذى قد لا نجده فى الحضر،

فكل إنسان مسئول عن سلامة القبيلة، والتضامن قائم على أشده بين أفرادها مادام هؤلاء الأفراد يمثلون الأشخاص المدافعين، ويمثلون إلى حد كبير الكيان الذى يدافع عنه، وإذا كان الفرد ممتازا فإن التزاماته تزيد، وضريبة امتياز القطامى كشاعر كانت الدفاع عن القبيلة، ومناقشة موقفها وموقف أعدائها، والافتخار بماضيها وأيامها وبلائها، وتعداد صفاتها المشرفة من الكرم والشجاعة، وبالاختصار تجلية القبيلة وإظهارها بالمظهر المشرف، والمنافحة عنها ضد كل الأعداء مما سنحلله حين نعرض لشعره، أما ضريبته كفرد فقد كانت الاشتراك الفعلى فى أيامها، وتحمله لأهوال الحروب، ووقوعه فى الأسر، وتعرضه لذهاب أمواله مما أشرنا إليه فيما مضى.

ط ـ مولده ووفاته :

إن التاريخ لا يهتم بالناس إلا بعد أن اشتهروا فعلا، أو بعبارة أخرى بعد أن يفرضوا اهتمامه بهم عليه، وقد ترتب على هذا أن أحاط الغموض الشامل بميلاد القطامى، وليس ثمة داع يدعو إلى اهتمام التاريخ به، فهو لم يولد فى حاضره حيث تتسلط الأضواء نوعا ما على الناس، وهو لم يكن ابن عظيم أو مثر فيعنى التاريخ نفسه به، ومن ثم نجد أنفسنا مضطرين إلى افتراض تاريخ تقريبى نؤرخ به لميلاد القطامى، وإذا سلمنا بالرواية التى ورد فيها ذكر القطامى فى حادثة هجاء عبدالرحمن بن حسان على ماروى ابن عساكر(١١٢) وليس لدينا ما يحمل التشكك فيها، علمنا أن القطامى كان يعيش كشاعر فى زمن معاوية، فإذا علمنا أن معاوية توفى سنة ٦٠ هـ، وأن القطامى كان يوصف فى وقتها بالمقذف القناع المنقوص السماع مما يدل على أنه كان شاديا لم يشتهر بعد، فإننا نفترض أن القطامى كان يومها فى مبدأ حياته كشاعر، وإذا كانت عشرون سنة كافية لإنضاج شاعر فإن القطامى يكون قد

ولد حوالى سنة ٤٠ هـ، وعلى الرغم من أن هذا لا يعدو أن يكون مجرد استنتاج قد يبعد عن الحقيقة بالنقص أو بالزيادة فإن الإنسان يجد نفسه مضطرا إلى مثل هذا الاستنتاج فى بعض الأحيان حين تغمره الظلمة من كل جانب فتلجئه إلى التكهن إلجاء.

والمستشرق «برت» يستنتج لنفسه استنتاجا خاصا فى هذه الناحية فيقول: والظاهر أن فترة إنتاجه الشعر كانت بين سنة ٦٦، ٩٠ هـ[١١٣].

فإذا تقدمنا إلى وفاته وجدنا الجو أكثر صفاء، ولكننا لم نجد من حدد تاريخ هذه الوفاة بالضبط فيما عدا حاجى خليفة الذى قال: «القطامى عمرو بن سليم المتوفى سنة ١٠١ إحدى ومائة»[١١٤].

وسنضيف كلمة «عمرو بن سليم» إلى جملة التحريفات التى وقعت فى اسم القطامى، وتحدثنا عنها فى نسبه، قبل أن نقول إن صاحب كشف الظنون لا يطمأن إليه فى هذه الناحية لأنه من المتأخرين جدا، إذ يقع تاريخه بين ١٠٠٤، ١٠٦٧ هـ[١١٥]، وسنتكلم بعد ذلك عن المؤرخين الذين عرضوا لوفاة القطامى ولم يحددوها تحديدا حاسما، فالذهبى يعد القطامى من الطبقة الحادية عشرة[١١٦]، وهذه الطبقة محصورة لديه بين ١٠١، ١١٠ هـ فمعنى هذا أنه يحصر وفاة القطامى بين هذين التاريخين، والذهبى من مؤرخى القرن الثامن، وقال العماد الحنبلى: «قال الذهبى فى العبر: وممن توفى بعد المائة... القطامى الشاعر المشهور»[١١٧].

وقبل أن نختار الرأى الذى نطمئن إليه نحب أن نلقى بعض الأضواء التى تفيدنا فى تقريب التاريخ الذى يمكن أن يكون القطامى قد مات فيه، فالقطامى عاش حتى علا الشيب رأسه وهو يذكر ذلك فى ديوانه أكثر من مرة، ويقول:

فإن أمس قد بدلت شيبا وحكمة   ومشيى من بعد التبختر دالف

ويقول عن الغوانى:

عـــدين كل تحـــيـــة يعلمنهـــا   ونفـرن من شـمط تغـشى مـفـرقى

وفى نسخة القاهرة «وذعرن من شيب تجلل مفرقى»، وهو يذكر أكثر من مرة مفارقة الشباب له، يقول:

هلا طرقت إذ الحـــيـــاة لذيذة   وإذ الشـبـاب قـمـيـصـه لم يخلق

ويقول:

لكن ليـــالى إعـــانات تحـــدثه   سـر الفـؤاد وتعطيـه الذى احـتكمـا

إذ الشـبـــاب علينا لون مـــذهبـــه   ونـحـن فـى زمـن يأتـى بـنـا الأممـا

هذه ناحية، والناحية الثانية أنه عاش إلى ما بعد الأخطل، قال المرزبانى: «قيل للأخطل وهو يموت: على من تخلف قومك قال: على العميرين يريد القطامى عمر بن شييم، وعمير بن الأيهم»(١١٨).

وقد مات الأخطل سنة ٧١٠ م فى خلافة الوليد بن عبدالملك(١١٩) فـإذا علمنا أن الوليد بن عبد الملك مات سنة ٩٦ هـ= ٧١٤ م(١٢٠) كان الأخطل قد مات سنة ٩٢ هـ تقريبا.

لقد افترضنا أن القطامى ولد سنة ٤٠ هـ، فإذا استحضرنا هذه الظروف من انصرام الشباب، وطروق الشيب، ووفاته بعد الأخطل استطعنا أن نطمئن إلى ماردّده المؤرخون من أنه مات بعد المائة بقليل؛ لأننا لا نجد له شعرا يستطيع ربطه بزمن معين بعد القصيدة التى يمدح بها الوليد، وقد توفى الوليد كما ذكرنا سنة ٩٦ هـ فلا يبعد أن يكون القطامى مات فى الحقبة التى تلى ذلك، ولكن انحصار وفاته فى سنة ١٠١ هـ أمر لا دليل عليه، ومن ثم لم يبق إلا أن

نقول بالرأى الذى قاله الذهبى والعماد وهو أن القطامى قد توفى فيما بين سنة مائة وسنة عشر ومائة.

ونحن نشعر أننا لم نصل إلى تحديد حاسم لوفاته، ولكن هذا غاية الجهد.

ى. بيئته الطبيعية:

كانت منازل تغلب بعد الإسلام - حيث عاش القطامى - تقع فى الجزيرة بين دجلة والفرات، يقول الهمدانى: «وديار تغلب الجزيرة بين ديار بكر وبلد قضاعة»(١٢١)

وهى قبيلة بدوية عاشت مخلصة للأسلوب البدوى فى كل مظهر من مظاهره، فهى تنتقل فى الخيام، وتعيش على الغارة، وتتحرك تبعا لمواقع الغيث، وجو السماء، قال أبو الفرج: «وكانت تغلب بدوا بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة»(١٢٢)، ويترجم القطامى أسلوبها فى العيش وتبديها فى مقطوعته الشهيرة:

ومن تكن الحضارة أعجبته فأى أناس بادية ترانا(١٢٣)

فيذكر أنها تعيش على الغارة التى تحقق نفسها بأى شكل فإن لم تجد غريبا أو عدوا حققت نفسها فى محيط الإخوة:

أغرن من الضباب على حلال وضبة إنه من حان حانا

وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

وللأخنس بن شهاب التغلبى قصيدة طريفة حدد فيها أماكن القبائل على النحو التالى:

لكل أناس من مـعـد عـمـارة　　　عـروض إليـهـا يلجـأون وجـانب

لكيـز لهـا البـحـران والسيف كله　　　وإن يأتهـا بأس من الهند كـارب

وبكر لهـا ظهـر العـراق وإن تشـا　　　يحل دونهـا من اليـمـامـة حـاجب

وصـارت تميم بين قف ورملة　　　لهـا من جـبـال منتـأى ومـذاهب

وكلب لهـا خـبت فـرملة عـالج　　　إلى الحـرة الرجـلاء حيث تحـارب

ونحن أناس لا مـجـاز بأرضنا　　　مع الغيث ما نلفى ومن هو غالب(١٢٤)

فقد أعطانا صورة عن قبيلته تغلب، وأنها تسكن الصحراء، ذلك البساط الممتد دون حوائل أو حواجز، وأنها قبيلة غير مستقرة كلما نشر الربيع لواءه بأرض ذهبوا إليها، وغلبوا عليها، وكذلك شأن الأقوياء. فى هذا الجو القبلى، وتحت سماء الصحراء نما القطامى كما تنمو النباتات البرية القوية، ولا يتبادرن إلى الذهن أن القطامى عاش فى بيئة مجدبة تلهبها الشمس، وتجعلها تنضب من كل شىء، فالصحراء تمتعت بكل ما تتمتع به البيئات الأخرى، فقد جاءت عليها الطبيعة بالغيث الذى ينهمر مدرارا فينبت الجنات اللفاء، والزهور المتنوعة، ومع أن هذا الغيث غير دائم إلا أنه لم يكن يخلف وعده حتى تستحيل الصحراء كلها جدبا وجفافا، وفى المصور الذى اقتبسناه وحددنا عليه منازل تغلب نجد بعض الأنهار كالثرثار والخابور علاوة على دجلة والفرات، وهذا من شأنه أن يجعل الجزيرة بيئة القطامى الطبيعية قطاعا خصبا من الأرض.

يقول الأب شيخو: «فهذه البلاد المتدفقة بالنعم الزاخرة بالخير قد أجبتها منذ سالف الأجيال قبائل العرب.. إذا كانوا يجدون فيها ما يصلح لمعاشهم الساذج ولرعية مواشيهم... أما القبائل التى كانت تسكن فى تلك الجهات

فكانت من ذرية نزار بن معد... بن نزار بعد فرارهم من تخوم العجم ومضرب بن نزار منهم النمر بن قاسط، ولاسيما بنى ربيعة منهم خصوصا بنى تغلب وبنى بكر وبنى شيبان،[١٢٥] فالقطامى عاش مع قبيلته فى بيئة غنية بالأنهار والعيون، وهذا مما يجعل البيئة تنمو بها بعض الزروع والرياض، وتتنوع فيها الحياة تنوعا يتدخل فى تشكيل نفسية الشاعر، ويمده بالصور التى يستخدمها فى شعره.

من كتاب «بلدان الخلافة الشرقية»
لسترنج ـ ترجمة كوركيس عواد وآخر

منازل تغلب

خريطة رقم (٢)

تاريخ الآداب العربية لنالينو ١٣١ .



الهوامش :

(١) المؤتلف والمختلف للآمدى ١٦٦، معجم الشعراء للمزربانى ٢٤٤، حماسة أبى تمام للتبريزى ١٨١
(٢) معجم الشعراء ٢٤٤
(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٨٨
(٤) طبقات فحول الشعراء ٤٥٣
(٥) خزانة الأدب ١ : ٣٩٢
(٦) شرح شواهد المغنى ١٥٦
(٧) اللباب فى تهذيب الأنساب ٢ : ٢٦٩
(٨) الأنساب (لندن) ظ ٤٥٦
(٩) اللباب فى تهذيب الأنساب ٢ : ٢٦٩، ٢٧٠
(١٠) المؤتلف والمختلف ١٦٦، ٦٧
(١١) اللباب ٢ : ٢٦٩، ٢٧٠، حماسة أبى تمام (التبريزى) ١ : ١٨٨، سمط اللآلى ١ : ١٣١، الخزانة ١ : ٣٩٢
(١٢) مقدمة الديوان (ترجمة خاصة تفضل بها الدكتور الهمدانى)
(١٣) كان القطامى الصبغى متأخرا عن القطامى التغلبى بعض الشىء، فقد كان أبوه من أصحاب خالد القسرى (المؤتلف والمختلف ١٦٦، وقد توفى خالد سنة ١٢٦ هـ، والقطامى التغلبى توفى بين ١٠٠، ١١٠ هـ على مايأتى تحقيقه، وكان القطامى أبو الشرقى فى أيام يزيد بن المهلب (يزيد بن عبد الملك) (المؤتلف والمختلف ١٦٦)، وقد ولى يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١ (الطبرى الاستقامة ٥ : ٣٣٣)، وكان القطامى مايزال يشارك فى الحكم فيغلب على ظنى بناء على هذا أنه يصغر القطامى الشاعر، وحتى على فرض أنهما متعاصران فشهرة القطامى التغلبى كشاعر تجعلنا نرجح أنه لايبعد أن يلقب بلقب خاص، ثم يؤتسى به.
(١٤) فى اللسان (قطم) «والقطامى الصقر، ويفتح»
(١٥) نهاية الأرب (دار الكتب) ١٠ : ٢٠٤
(١٦) المداخل لأبى عمرو الزاهد ٧٥
(١٧) يظهر أن هذا اللقب للقطامى كان يجرى على ألسنة الناس بالضم فقط اللسان (قطم) والقطامى بالضم الشاعر
(١٨) الخزانة ١ : ٣٩٢، ٣٩٣، الأغانى ٢٠ : ١١٨ ومابعدها (ساسى)
(١٩) ديوانه ٦٧
(٢٠) سمط اللآلى ١ : ١٣١، ١٣٢، معجم الشعراء ٢٤٤، ٢٤٥
(٢١) معجم الشعراء ٢٤٤، ٢٤٥

(٢٢) ١ : ٣٩٢، ٣٩٣
(٢٣) شعراء النصرانية بعد الإسلام ٢ : ١٩١ ، تاريخ الشعر السياسى ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، مقدمة المستشرق «برت» ترجمة خاصة
(٢٤) الأغانى ٢٠ : ١١٨ ومابعدها
(٢٥) دوبل لقب الأخطل لقبه به جرير أو كانت أمه ترقصه به فى صباه (ديوانه الأخطل ١ ، ٣٣٦)
(٢٦) الديوان ١٠٥
(٢٧) الديوان ١٠٥
(٢٨) الديوان ٧٢
(٢٩) جمهرة أنساب العرب ٢٨٦
(٣٠) نهاية الأرب ٢ : ٣٤٥
(٣١) المرجع السابق ٢ : ٣١٠
(٣٢) اللسان ٢ : ١٤٥ (بولاق)
(٣٣) الصحاح ٢ : ٨٨، ٨٩ (بولاق)
(٣٤) نهاية الأرب ٢ : ٣١٠
(٣٥) تاريخ الإسلام السياسى (حسن ابراهيم) ١ : ٢٨
(٣٦) اسم صنم
(٣٧) سيرة ابن هشام (محيى الدين) ١ : ٩٤
(٣٨) راجع ذلك فى كتاب بكر وتغلب ١٢ ومابعدها، والعقد الفريد ٥ : ٢٤٦
(٣٩) العقد الفريد ٥ : ٢٤٦
(٤٠) كتاب بكر وتغلب ١٢ ومابعدها
(٤١) العقد الفريد ٥ : ٢١٣ ومابعدها
(٤٢) العقد ٥ : ٢١٨ ومابعدها، كتاب بكر وتغلب ٤٩ ومابعدها، أيام العرب فى الجاهلية ١٤٢
(٤٣) كتاب بكر وتغلب ٤٩
(٤٤) العقد ٥ : ٢١٨ ومابعدها
(٤٥) المرجع السابق والصفحات
(٤٦) كتاب بكر وتغلب ٣٠
(٤٧) المرجع السابق ٨٩
(٤٨) أغانى دار الكتب ١١ : ٤٢
(٤٩) المرجع السابق ١١ : ٥٢ ومابعدها
(٥٠) تاريخ العرب قبل الإسلام (جواد على) ٤ : ٣٠٦، تاريخ الإسلام السياسى ١ : ٦١ أورد نفس الفكرة
(٥١) أغانى دار الكتب ١١ : ٤٢/٤٩
(٥٢) المرجع السابق ١١ : ٥٢/٥٤
(٥٣) النابغة الذبيانى ٨٤
(٥٤) أغانى دار الكتب ١١ : ٥٣، ٥٤، الخزانة ١ : ٥١٩
(٥٥) تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ : ٣٠٥
(٥٦) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٠١، وقد فصل الأب شيخو فى كتابه «النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١ : ٩٣ ومابعدها «كيف انتشرت النصرانية بين عرب الجزيرة
(٥٧) أغانى ساسى ١٦ : ٥٢
(٥٨) الطبرى (أوربا) ٤ : ٢٠٧٢، وفتوح البلدان ١١٦ ، ١١٧

(٥٩) طبقات ابن سعد ٢: ٥٥، ونهاية الأرب ١٨: ٧٢
(٦٠) فتوح البلدان ١٨٩/١٩١، ابن الأثير (أوربا) ٢: ٤١٠، الطبرى (أوربا) ٥: ٢٤٨٢
(٦١) تاريخ العرب قبل الإسلام ٦: ٢٢٠، ٢٢١
(٦٢) فتوح البلدان ١٨٩/١٩١
(٦٣) وقعة صفين للمنقرى ١٦٢
(٦٤) الديوان ٥١
(٦٥) العقد الفريد ٤: ٢٩٦
(٦٦) راجع التحريض والهجاء فى وقعة صفين ٤١٠، ٤١١
(٦٧) الطبرى (الاستقامة) ٤: ٩
(٦٨) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ١٨٢
(٦٩) كانت لها أيام أخرى مع شيبان (معجم البلدان (ليبزج ٣: ٩٠٣) وغيرها ولكننا اقتصرنا على حروبها مع قيس لأنها هى التى تهمنا فى بحث عن القطامى
(٧٠) أنساب الأشراف (البلاذرى) ٥: ٣١٥
(٧١) كامل ابن الأثير (أوربا) ٤: ٢٥٣ ومابعدها
(٧٢) المرجع السابق ٤: ٢٥٣ ومابعدها
(٧٣) ابن الأثير ٤: ٢٥٣ ومابعدها، أنساب الأشراف ٥: ٣٠٨
(٧٤) راجع ابن الأثير ٤: ٢٥٣ ومابعدها، وأنساب الأشراف ٥: ٣١٥، والأغانى ٢٠: ١٢٧ (ساسى)
(٧٥) الأغانى ٢٠: ١٢٧، ١٢٨ ساسى
(٧٦) من أيامهم ماكسين، الثرثار الأول، الثرثار الثانى، الشرعية، البليخ، الحشاك، الكحيل
(٧٧) راجع لذلك ابن الأثير ٤: ٢٥٣ ومابعدها، وأنساب الأشراف ٥: ٣١٥ ومابعدها
(٧٨) فى نقائض جرير والفرزدق (أوربا) ٣٧٣ أن «عمير بن الحباب السلمى قتلته تغلب يوم سنجار بالجزيرة»، وفى معجم مااستعجم (باريس) ٢١٥، ٢١٦ «وبالثرثار قتلت تغلب عمير بن الحباب»
(٧٩) راجع ابن الأثير ٤: ٢٥٣ ومابعدها، وأنساب الأشراف ٥: ٣٢٣
(٨٠) ٤: ٢٥٣ ومابعدها (أوربا)
(٨١) ٥: ٣٢٨
(٨٢) ساسى: ٢٠: ١٢٧، ١٢٨.
(٨٣) راجع ابن الأثير وأنساب الأشراف نفس الصفحات
(٨٤) من شعراء تغلب «القرثع الشاعر، والأخنس بن شهاب، وأفنون، وعمرو بن أيهم، ومهلهل بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، والأخطل، والقطامى» الاشتقاق (ابن دريد) ٢٠٤، ٢٠٥
(٨٥) تاريخ دمشق ٢٥: ٢٨٨ ومابعدها (مخطوط)
(٨٦) المرجع السابق والصفحات
(٨٧) الخزانة ١: ٣٩٢، ٣٩٣
(٨٨) أغانى ساسى ٢٠: ١١٨ ومابعدها
(٨٩) شعراء النصرانية (القسم الاسلامى) ١٩١
(٩٠) المرجع السابق والصفحات
(٩١) المرجع السابق والصفحات
(٩٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (القسم الثانى) ٢٦٣
(٩٣) شعراء النصرانية ١٩١ ومابعدها
(٩٤) محاضرات فى النصرانية (أبو زهرة) ١١٤، وراجع تاريخ العرب قبل الإسلام ٥: ٤٠١

(٩٥) وافق الدكتور زكى المحاسنى (شعر الحرب فى أدب العرب ٩٠ وما بعدها) الأب شيخو على نصرانية القطامى، ولم يذكر من الحجج إلا أنه حريص على نصرانيته لأن شعره يمثل الجانب القبلى وروح العصبية التى نهى عنها الإسلام فليس بمعقول أن يكون مسلما! ولعلنا قد ذكرنا من قبل أن العصبية عادت جذعةبين المسلمين، وأصبح الضرب على وتر القبيلة نغمة محبوبة معهودة، فلا دلالة فى تمثل الشعر القبلى لدى القطامى على نصرانيته فقد تمثل ذلك فى شعر شعراء مسلمين كالفرزدق وجرير.

(٩٦) الديوان ١٦٤.

(٩٧) الديوان ١٤٣.

(٩٨) أغانى ساسى ٢٠: ١١٩.

(٩٩) الديوان ١٠.

(١٠٠) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزمباور ترجمة زكى محمد حسن ماخر ١: ٣٦.

(١٠١) أغانى ساسى ٢٠: ٩٩.

(١٠٢) أنساب الأشراف ٥: ١٦٢.

(١٠٣) راجع لذلك فتوح البلدان (بريل) ١٨١، جمهرة أنساب العرب ١٠٠، أنساب الأشراف ٥: ١٦٢.

(١٠٤) أغانى ساسى ٢٠: ١٣٠.

(١٠٥) الديوان ١.

(١٠٦) فوات الوفيات لابن شاكر (يحى الدين) ١: ١٩ وما بعدها.

(١٠٧) المرجع السابق والصفحات.

(١٠٨) راجع شعره فى أغانى ساسى ١٨: ١٢٨ وما بعدها، فوات الوفيات ١: ١٩/ ٢١.

(١٠٩) أغانى ساسى ١٧: ١١٢.

(١١٠) مروج الذهب (باريس) ٥: ٢٠٣.

(١١١) ...

(١١٢) تاريخ دمشق ٢٥: ٢٨٨ وما بعدها (مخطوط).

(١١٣) ترجمة خاصة تفضل بها الدكتور الهمدانى.

(١١٤) كشف الظنون ١: ٨٠٦.

(١١٥) معجم المطبوعات العربية.

(١١٦) راجع هذه الطبقة فى تاريخ الإسلام ٤: ٨٥.

(١١٧) شذرات الذهب ٤: ١٨٥.

(١١٨) معجم الشعراء ٢٤٥.

(١١٩) ديوان الأخطل.

(١٢٠) الأعلام ٣: ١١٣٧.

(١٢١) صفة جزيرة العرب ١٧٠.

(١٢٢) أغانى دار الكتب ١٢: ٢٠٥.

(١٢٣) الديوان ١٠٩.

(١٢٤) شرح المفضليات للأنبارى ٤١٤ وما بعدها.

(١٢٥) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (بيروت) ١: ٩٣ وما بعدها.

الباب الثانى

ديــوان القطــامى

الفصل الأول

نُسَخ الديوان وصانعه ومنهج التحقيق



أولًا: النسخ المخطوطة والمصورة :

١ - نسخة ألمانيا:

ورد فى فهرست (أهلوارد) ٦ : ٥٤٨ برقم ٧٥٢٧ الحديث عن هذه النسخة من ديوان القطامى، وقد حصلت على شريط مصغر (ميكروفلم) منها بواسطة مكاتبات بينى وبين جامعة «توبنجن»، وقرأته على جهاز قراءة الأفلام بدار الكتب المصرية. وهذه النسخة عبارة عن ست وسبعين لوحة، وهى بخط قديم كبير ولكنه غير جيد، وهى مضبوطة بالشكل ولكن هذا الضبط غير كامل، وعليها فى اللوحة الأولى هذه العبارة «ديوان القطامى وشرحه»، وتحتها هذان البيتان:

يقولون لى غيِّر مشيبك واختضب

لعل سـواد الرأس منك يعـود

فـقلت لهم ليس الشـبـاب براجع

فـإن عـاد أمس فـالشـبـاب يعـود

وفى آخر اللوحة السادسة والسبعين هذه العبارة «تمت أشعار القطامى فى سنة أربع وستين وثلاثمائة، الحمد لله كما هو أهله، وصلى الله على رسوله

محمد وسلم تسليما» ويلى ذلك لوحة أخرى لا رقم لها عليها بعض الأشعار، وفى النسخة شرح يتخلل الأبيات، وفيها كلمات وعبارات فوق السطور وتحتها وعلى الهامش، بعضها شروح وبعضها اختلاف روايات، ويبدو فيها بلل من أعلاها ومن أسفلها، وبعض كلماتها مطموس، ولايوجد فيها اسم كاتبها، وبها بعض الأخطاء الإملائية واللغوية، وقد اتخذتها أصلا فى التحقيق؛ لقدم تاريخها؛ ولأن مافيها من الشعر أكثر مما فى النسخة المساعدة التى سيأتى الحديث عنها؛ ولأن ما أصابها من بلل لم يذهب بكثير من معالمها، هذا وقد رمزت لها بالرمز «ت».

٢ ـ نسخة القاهرة:

توجد هذه النسخة فى دار الكتب المصرية برقم ٥٤٦ أدب، وهى عبارة عن سبعين ورقة من القطع الصغير، وفى الصفحة الأولى منها كتب ما يأتى «ديوان شعر القطامى بغريبه، وأيضا فيه ديوان شعر أبى حكَيمة راشد بن إسحاق الكاتب» وفى أسفل هذه الصفحة بالقرب من نهايتها «المبارك بن أحمد ابن المبارك يتوكل على الله» ولكن الديوان ينتهى بشعر القطامى، والظاهر أن شعر أبى حكيمة قد اقتطع منه[1].

وعلى هذه الصفحة بخطوط مخالفة «من متملكات الفقير إليه تعالى أحمد ابن ناصر الدين بن على البقعى ...»[2]:

«ومـــاليل يخـــالطه نهـــار
وأقـــمـــار تســـد على..[3] وس
وأنهـــار على النيـــران تجـــرى
وأســـيـــاف تسل على الرءوس

وخاتم نقشه «من متملكات الفقير الحاج مصطفى صدقى غفر له»، وقد ألصقت قبل الصفحة الأولى صفحة كتب فيها بخط حديث اسم القطامى ولقبه ودينه ـ على ماروواه ابن عساكر ـ ورأى الأخطل فيه.

أما خطها فواضح، وقد أصاب أسفلها بلل ضيع علينا كلمات كثيرة أعيتنا قراءتها، والبلل يتناول أعلاها وأسفلها ولكنه فى أعلاها لم يؤثر فى وضوح الخط كثيرا، وقد عمل فى الكلمات التى طمسها البلل خط حديث مكملا النقص، وقد أخذنا بهذه الإصلاحات متى وافقت الروايات الموجودة فى كتب الأدب واللغة.

وفى ظهر الورقة الثالثة عند قول القطامى:

يضنى الهجان التى كانت تكون بها

عرضية وهباب حين ترتحل

جاء فى الهامش: «قلت: صوابه ينضى بتقديم النون على الضاد من الإنضاء، وكتبه محققه محمد محمود الشنقيطى» والورقة السابعة بخط جديد وهى تبدأ من قوله:

ألمحة من سنا برق رأى بصرى

أم وجه عالية اختالت به الكلل

إلى قوله:

أهل المدينة لايحزنك شأنهم

إذا تخطأ عبد الواحد الأجل

وعلق العلامة الشنقيطى فى هذه الورقة عند قوله:

أقول للحرف لما أن شكت أصلا

مت السفار فأفنى نيها الرحل

بقوله: «قلت: صوابه من باللون، وكتبه محققه محمد محمود الشنقيطى»

والنسخة مضبوطة بالشكل ولكن هذا الضبط غير كامل، والكاتب يترك النقط فى أحيان كثيرة، وقد شرحت شرحا يتخلل الأبيات مكتوبا بنفس الخط، وقد استفدنا منه فى التحقيق وأثبتنا مافيه ثمة. ويشير فى الهامش أحيانا إلى روايات أخرى فى نسخ أخرى، وأحيانا يشرح بعض المفردات التى لم تشرح وفى ظهر الورقة السادسة عشرة عند القصيدة البائية:

نأتك بليلى نيـــة لم تقـــارب

ومـــاحب ليلى من فـــؤادى بذاهب

جاء فى الهامش بخط حديث: «وسبب هذه القصيدة أنه نزل فى بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس فنسبها فقالت: أنا من قوم يشتوون القد من الجوع، فقال: ومن هؤلاء ويحك؟ قالت: محارب ولم تقره فبات عندها بأسوإ ليلة فلما أصبح قال هذه القصيدة»

والذى فهمناه من شعر القطامى لايدل على أنه بات عندها؛ فهو يقول:

فلمـا بدا حرمـانها الضيف لم يكن

على مناخ الســوء ضـربة لازب

وقـمت إلى مـهـرية قـد تعـودت

يداها ورجـلاها خـبـيب المواكب

تفرى قميص الليل عنها وتنتحى

كـــأن بزفـــراها بصـــاق الجنادب

ففى هذا دليل على أنه رحل بليل حين لم يكن بد من الرحيل.

وفى آخر النسخة: «تم شعر القطامى، والحمد لله حمد الشاكرين، وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين، وقع الفراغ منه يوم السبت السادس عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، كتبه أبو البركات المبارك ابن أبى الفتح بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب المستوفى أبوه حامدا الله ومصليا على نبيه محمد وآله الطاهرين» (٤).

وروايات كتب الأدب واللغة تتفق فى الكثير الغالب مع مافى هذه النسخة.

وفى النسخة أخطاء إملائية ولغوية بل وفى القرآن الكريم صححتها فى التحقيق وعجبت من صدورها من ابن المستوفى الذى يقول عنه ابن خلكان مايقول.

وقد اتخذتها نسخة مساعدة فى التحقيق، ورمزت لها بالرمز «ق».

٣ ـ توجد نسخة ثالثة بدار الكتب المصرية برقم (٦١٣ أدب)، وهى بخط حديث شبيه بالخط الذى أصلح به المطموس من النسخة المساعدة، وهى منقولة عن هذه النسخة، وبها نقص كثير.

٤ ـ وفى مكتبة العلامة الشنقيطى المضافة إلى دار الكتب نسخة بخطه برقم (٧٠ س) وهى ضمن مجموعة شعرية، وهى منقولة عن النسخة المساعدة، وقد زاد الشنقيطى فى آخرها ترجمة لابن المستوفى.

٥ ـ وهناك نسخة برقم (١٠٢٤١ز) بدار الكتب مصورة عن نسخة الشنقيطى.

٦ ـ ونسخة أخرى برقم (٣٠٤٥٢ ز) صورت من النسخة المساعدة حديثا بعد أن أخذتُ فى التحقيق.

ولم أعول على نسخة من النسخ الأربع الأخيرة؛ لانعدام قيمتها فى العمل الذى أقوم به.

ثانيا: النسخة المطبوعة:

طبع ديوان القطامى فى مطبعة «بريل» بليدن بعناية المستشرق الألمانى «برت» سنة ١٩٠٢م.

وقد كتب لها المحقق مقدمة تفضل الدكتور الهمدانى فأوقفنا على بعض خطوطها التى تهمنا فى البحث، وفى هذه المقدمة تكلم «برت» عن القطامى، وعن الحروب بين قيس وتغلب، وعن نسخ الديوان، ثم ترجم القصائد على طريقته الخاصة، وقد رجع المحقق إلى مجموعة كبيرة من المراجع أثبتها ثمة، ثم جاء نص الديوان فى تسعين صفحة من القطع الكبير، وفى نهاية الديوان ملحق بالزيادات الواردة فى كتب الأدب واللغة وغيرها وهى عبارة عن ثمانية أبيات وشطر بيت، وبعضها ليس للقطامى كما ثبت لنا من البحث مما سنذكره بعد قليل.

وهذه النسخة محققة تحقيقا علميا من حيث إن محققها رجع إلى النسختين الوحيدتين للديوان ـ على مبلغ العلم ـ وهما النسختان اللتان تحدثنا عنهما، ومن حيث استعانته بمجموعة من كتب الأدب واللغة، ومن حيث الدقة البالغة والاجتهاد فى تقويم النص اجتهادا أضاء أمامنا السبيل، وأعاننا كثيرا ونحن نعيد تحقيق الديوان، وقد اتخذ المحقق نسخة «برلين» أصلا، وكان رمزها لديه (B) ونسخة القاهرة مساعدة وكان رمزها عنده (C)، وقد تابعناه فى ذلك وفى تكملة الشرح من النسخة المساعدة ووضع ما أخذناه منها بين معقوفين [ ]، وكنا نجد شرحا فى الهامش أحيانا فنذكره ونذكر الكلمة المشروحة بين قوسين ( ) ولم نلجأ لذلك إلا فى الضرورة ولا ريب أن عمل «برت» هذا عمل عظيم فهو ـ فى حدود فهمه للغتنا كمستشرق ـ لم يأل جهدا، ولكن بقيت ثغرات نفذنا منها إلى تحقيق الديوان من جديد وإخراجه فى صورة أقرب إلى

الكمال مستفيدين فى ذلك بالمراجع اللغوية والأدبية والتاريخية التى لم يرها «برت»، ومستفيدين بنسخة القاهرة التى ذكر المحقق أنها نسخت له فقد ظهر لنا أنه لم يستفد منها كما ينبغى.

وبعد أن حصلنا على نسخة «توبنجن» ووضعناهابجانب نسخة القاهرة، وقارنا ذلك بالنسخة المطبوعة استطعنا أن نضع أيدينا على بعض الملاحظات التى تعتبر عيوبا فى النسخة المطبوعة توجب تحقيق ديوان القطامى من جديد، وسنذكر فيما يلى هذه الملاحظات ناظرين فى نسخة «ت» ومافات «برت» منها، ثم ناظرين فى نسخة «ق» ومافاته منها أيضا.

ونحن لانضع أمام أعيننا سوى اعتبار واحد هو الدقة التامة التى يفرضها التحقيق العلمى، والتى يلتزمها «برت» التزاما صارما فى كثير من الأحيان.

فالناظر فى نسخة «ت» وهى الأصل الذى جرى عليه «برت» وجرينا عليه يلاحظ ما يأتى:

(١) ص ٥ بعد البيت (٢٤) «والرجل مسايل الماء» وردت فى الأصل «مسايل ماء» وقد أصلحها المحقق ولكنه لم يشر إلى ذلك.

(٢) ص ٦ البيت (٣٢) فى الأصل «مت السفاع» بدل «السفار» ولم يشر إلى ذلك.

(٣) ص ٧ يترك المحقق عنوان القصيدة مع وروده فى الأصل، وفى شرح البيت (٤) يبيح لنفسه أن يغير كلمة «أن» إلى «أى» مع أن التعبير فى الأصل صحيح.

(٤) ص٩ يقول إن رواية الأصل «رفعت» مع أنها «دفعت» ويقول إن رواية نفس البيت «اللين السادى» مع أنها «اللين والسادى» ومعنى البيت يعين على ذلك.

(٥) ص ١٢ البيت (٤٤) روايته «حبل يُضَمَّن» ولم يذكر المحقق ذلك، ورواية البيت (٥٠) «فى المجد والشرف» غيرها المحقق إلى «فى المجد والكرم» مع أن «ق» يتفق مع «ت» فى هذه الرواية.

(٦) ص ١٣ لايصلح المحقق خطأ إملائيا بعد البيت (٦٦)

(٧) ص ١٥ البيت (١٠) روايته «وترانا» وقد غيرها المحقق مع أن «ق» تتفق مع «ت»، وبعد البيت (١١) يغير تعبيرا صحيحا فى الأصل.

(٨) ص ٢٥ البيت (٣) رواية «يزجر» وقد غيرها المحقق إلى «زجر» ولم يشر إلى ذلك، والبيت (١٠) روايته «فمشيى»، والبيت (١٣) روايته «وصُلنا» وكذلك روايته فى «ق» وقد غيره المحقق إلى «فصلنا».

(٩) ص ٢٦ بعد البيت (١٤) يغير «وإذا انتصب» إلى «فإذا انتصب» ولم ينبه على ذلك، والمعنى على الأصل أوضح.

(١٠) ص ٢٧ البيت (٢٥) روايته فى الأصل «لاتملك» غيره إلى «لم تملك» مع أن «ق» تتفق مع «ت» فى ذلك ولم ينبه على روايات الأصول.

(١١) ص ٢٩ بعد البيت (٩) ورد خطأ أصلحه المحقق ولم ينبه عليه فى الهامش مما يوهم أنه كذلك فى الأصل.

(١٢) ص ٣٦ بعد البيت (٤٢) يترك شرحا ورد فى الأصل.

(١٣) ص ٣٩ بعد البيت (١٦) يترك شرحا ورد فى الأصل؛ لأنه لايناسب الرواية التى جرى عليها.

(١٤) ص ٤٤ بعد البيت (٦١) يغير كلمة «أمكنت» إلى «أمكنته» ولا يذكر سبب ذلك ولا يشير إليه.

(١٥) ص ٤٧ فى الأصل أن البيت «وذو عسرة.. إلخ» ليس موضعه هنا، وقد حدد موضعه ثمة، ومع أن هذا التحديد الأخير يتمشى مع المعنى فإن المحقق لم يعبأ بذلك، ووضع الأبيات بترتيبها فى الأصل على مافيه من اضطراب، ورواية الشرح بعد البيت (١١) «شبههم بالسحاب» غيرها المحقق إلى «يشبههم» ولم يشر إلى ذلك.

(١٦) ص ٤٩ لايقوس الشرح الذى يضيفه من «ق» بمعقوفين كما هى عادته مما يوهم أنه وارد فى الأصل «ت» كما فعل بعد البيت (٢٧).

(١٧) ص ٥١ البيت (١٤) رواية الأصل «مايفشين» غيرها إلى «لايمشين» مع أن «ق» تتفق مع «ت» فى هذه الرواية.

(١٨) ص ٥٢ يذكر أن رواية البيت (٢٥) فى الأصل «يُخَزِّم» وصحتها «يخزمٍ».

(١٩) ص ٥٥ البيت (٩) ورد فى الأصل «الغصيم» ولم يشر المحقق إلى ذلك.

(٢٠) ص ٥٦ البيت (١٦) رواية فى الأصل «ينْتَطَح» ولم يشر المحقق إلى ذلك.

(٢١) ص ٥٧ بعد البيت (٢٧) ترك بعض كلمات الأصل مما جعل الكلام غير مفهوم.

(٢٢) ص ٥٨ بعد البيت (١) يزيد المحقق حرف عطف يضطرب من أجله المعنى، وهذا الحرف غير موجود فى الأصل.

(٢٣) ص ٥٩ البيت (٣) ورد فى الأصل «وترعية» ولم يشر المحقق إلى هذا.

(٢٤) ص ٦٠ بعد البيت (١٣) وردت عبارة «عادتها أن تلد الذكور» أصلحها المحقق إلى «الذكورة» ولم يذكر سبب ذلك. هذا إلى أنه يترك كلمات فى الأصل دون إصلاح مثل «لرجالهم» فى نفس الصفحة وصحتها «لرجالهن».

(٢٥) ص ٦١ لم يرض المحقق أن يفسر الشارح «غراء» بكلمة «بيضة» فأصلحها إلى «بيضاء»، والسياق يدل على أنه أراد بيضة الظليم أو نحو ذلك.

(٢٦) البيت (٢٦) رواية فى الأصل «وبنومليل» ولم يذكر المحقق ذلك.

(٢٧) ص ٦٥ بعد البيت (٦) ورد «كما تدلف الروايا بالمزاد» وهى صحيحة ولكن المحقق أصلحها إلى «بالمزاود» ولم يذكر سبب ذلك، وبعد البيت (٧) ورد «نجع» فغيرها إلى «نجعت» بدون داع.

(٢٨) ص ٦٦ البيت (١٢) رواية الأصل «تفادى» بضم التاء، والبيت (٣) رواية فى الأصل «إلا ادكرت» ولم ينبه المحقق على ذلك.

(٢٩) ص ٦٩ البيت (١٣) رواية الأصل «مصفّر» ولم يذكرها المحقق.

(٣٠) ص ٧١ البيت (٢٩) رواية فى الأصل «وبطنَ» بفتح النون وقد أهملها المحقق.

(٣١) ص ٧٥ بعد البيت (٢١) زاد فى الشرح «من» بدون داع، وبعد البيت (١) يترك شرحا ورد فى الأصل.

(٣٢) ص ٧٧ البيت (٦) رواية الأصل «تعاور» بضم الراء كتبها المحقق بفتحها، وبعد البيت (٩) يترك شرحا.

(٣٣) ص ٧٨ البيت (٣) يجرى فيه إصلاحا يوقعه فى خطأ، وبعد البيت (٥) ورد فى الأصل «حنتم» ولم يصلحها المحقق وصحتها فيما استظهرت «جشم».

(٣٤) ص ٨٠ البيت (٣) رواية الأصل «غير الظباء» غيرها المحقق إلى «غير السباع» مع أن «ق» تتفق مع «ت» في ذلك.

(٣٥) ص ٨٤ بعد البيت (٤١) ترك كلمة «في العمر» الواردة في الشرح وبها يتضح المعنى.

(٣٦) ص ٨٥ البيت (٤٩) أسقط بعده كلاما ورد في الأصل يتم به الشرح، والبيت (٥١) رواية الأصل «فيّ» ولم يشر إليها المحقق.

والناظر في نسخة «ق» يستطيع أن يستدرك على النسخة المطبوعة مايأتي:

(١) ص ١ جاء في النسخة المطبوعة «إنّي اهتديتُ» مع أنها في «ق» «أنَّي اهتديتَ»، وهي في «ت» بدون تشكيل في «إني» وبفتح التاء في «اهتديت»، وأحسب أن الأنسب بفتح النون والتاء كما ذهبت.

(٢) ص ٢ شرح البيت (٥) جاء في «ق».. يخبل خطا الناس» وقد فهم المحقق أن الكلمة «أعضاء الناس» وأصلحها على هذا الأساس.

(٣) ص ٣ في شرح البيت (١) أثبت «برت» «شبه غرور أعينها» وصحتها «غؤور» كما جاء في «ق».

(٤) ص ٤ البيت (٢٠) يذكر «برت» أن رواية «ق» «واستتب به» والحق أن روايتها «بها»، والبيت (٢١) روايته في «ق» «ماينيخ به» ولم يذكر المحقق ذلك، وبعد البيت يترك شرحا لغويا واستشهادا مهما.

(٥) ص ٦ يترك المحقق شرحا بعد البيت (٣٨).

(٦) ص ٧ يخرج الآية الواردة في الشرح تخريجا خاطئا، ويترك عنوان القصيدة رقم (٢) مع أنه ثابت في «ق»، وفي شرح البيت (١) يهمل تعليقا لغويا مفيدا.

(٧) ص ٨ رواية البيت (٧) فى «ق» «كنية القوم» ولم ينبه عليها المحقق، وفى شرح البيت (١٠) من النسخة المطبوعة «وكانت العرب إذا هدت مائة برقة....» وصحتها «عدت» كما فى «ق».

(٨) ص ٩ رواية البيت (١٧) فى «ق» «من كل بهكنة أدمت» لا «أرمت» كما ذكر «برت» فى هامشه، ورواية البيت (١٩) «بأمرات وطراد» ولم ينبه عليها، ورواية البيت (٢١) «مكاكى النهار» بدل «الفلاة» وقد أهمل المحقق التعليق على ذلك.

(٩) ص ١٠ البيت (٣١) يكتب «مثن» هكذا «مثنى».

(١٠) ص ١١ البيت (٣٦) الضبط فى «ق» «أرديتَ» بفتح التاء ولم يذكره المحقق.

(١١) ص ١٢ البيت (٤٥) رواية فى «ق» «ولا كردّك مالى» ولم ينبه المحقق على ذلك.

(١٢) ص ١٣ البيت (٥٨) رواية «ق» «لسنا بجلاد» ولم يذكرها المحقق.

(١٣) ص ١٥ البيت (١٩) رواية فى «ق» «وتكون فى» ولم يذكرها المحقق.

(١٤) ص ١٦ البيت (٢٥) يذكر المحقق أن رواية «ق» «ألف الدكادك» والحقيقة أنها «يرعى الدكادك».

(١٥) ص ١٨ البيت (٤٦) رواية فى «ق» «ونرجع السرعانا» ومع أن «برت» يذكر مجموعة مع المراجع تروى البيت «ونرجع» إلا أنه لايذكر من بينها «ق».

(١٦) يختار «برت» أحيانا رواية «ق» مع أن رواية «ت» أوضح فى إفادة المعنى كما فى ص ١٩ البيت (٥٢).

(١٧) ص ٢٠ البيت (١) رواية في «ق» «ترحل إخواني» ولم ينبه المحقق على ذلك.

(١٨) ص ٢١ يترك شرح البيت (١٨) مع وروده في «ق».

(١٩) ص ٢٣ البيت (٢٩) يذكر المحقق أن رواية «ق» «لايزال نشاوره» مع أنه لا دليل على ذلك إذ إن الحرف الأول من «نزال» غير منقوط فيحتمل على هذا أنها «لانزال» كما في «ت».

(٢٠) ص ٢٧ البيت (٢٥) يذكر «برت» أن رواية «ق» وترفَضُ» والحقيقة أنها «يرفض»، وبعد البيت (٢٦) يترك شرحا مهما ورد في «ق» فيه استشهاد للطرماح وغيره.

(٢١) ص ٢٨ البيت (٥) في «ق» «أما صادرا» في الشطرين، ولم ينبه «برت» على ذلك.

(٢٢) ص ٣١ البيت (٨) رواية «ق» «فظل يرد الحاتمان ابن ملقط» ولم يذكرها المحقق.

(٢٣) ص ٣٣ البيت (٩) يذكر المحقق أن رواية «ق» «إلى هماهم» والصحيح أنها «هماهما»، وروايتها في نفس البيت «وإذا النجوم» ولم ينبه عليها المحقق، ورواية البيت (١٠) في «ق» «أنقابهن على حداء السوق» ولم يذكرها المحقق.

(٢٤) ص ٣٤ البيت (١٤) رواية في «ق» «لم تلحق» ولم يذكرها المحقق.

(٢٥) ص ٣٥ البيت (٣١) رواية «ق» «مما يقرع» ولم يذكرها المحقق.

(٢٦) ص٣٦ بعد البيت (٣٦) ترك شرحا؛ لأنه يتمشى مع رواية غير التي جرى عليها. وفي الهامش يذكر ماورد في الأصل «... ليزيده حريا» وصحته «جريا».

(٢٧) ص ٣٧ البيت (٢) رواية «ق» «فادى المبارك» ولم يذكر المحقق ذلك، ويذكر أن رواية البيت (٧) فى «ق» «يغبهما» والحقيقة أن الحرف الأول غير منقوط فيحتمل أنها «تغبهما» كما فى «ت».

(٢٨) ص ٣٩ البيت (٢١) رواية فى «ق» «فهيب ما استطاعا» وكذلك فى كثير فى كتب الأدب واللغة، ولكن «برت» يذكرها «وهبب» ومن المحتمل أن يكون ذلك خطأ مطبعيا.

(٢٩) ص ٤٠ رواية «ق» «كلاما لا أريد له» فى البيت (٢٧)، وقد نبه المحقق على كلمة «له» وترك الباقى، والبيت (٢٩) رواية «يُسْتَخْبَرُ» ولم ينبه المحقق على ذلك.

(٣٠) ص ٤١ البيت (٣٣) رواية «ق» «بجيش يبلع الناس»، والبيت (٣٦) ورد «البهاعا» ولم يشر إلى ذلك المحقق، والبيت (٣٩) ذكر المحقق أن روايته فى «ق» يبدى، وهى «بيدى» غير أن الناسخ أسقط نقطة الحرف الأول.

(٣١) ص ٤٢ البيت (٤٣) رواية «ق» «تفضل فوقها» ولم يشر إليها المحقق، والبيت (٤٤) روايته فى «ق» «يمشى بها»، خائفة سراعا» ولم ينبه المحقق على شيء من ذلك.

(٣٢) ص ٤٣ بعد البيت (٥٢) يترك المحقق تعليقا لغويا مهما ورد فى «ق»، ورواية البيت (٥٣) فيها: «يفوقها اتساعا» ولم ينبه عليها المحقق.

(٣٣) ص ٤٤ بعد البيت (٥٨) يترك شرحا لغويا مهما ورد فى «ق».

(٣٤) ص ٤٥ البيت (٧٠) رواية فى «ق» «لعنبسى» ولم يشر إليها المحقق.

(٣٥) ص ٤٩ البيت (٢٣) رواية فى «ق» «لسب عروض» ولم ينبه المحقق عليها.

(٣٦) ص ٥١ يذكر المحقق أن رواية «ق» فى البيت (١٥) «وكنا صريعا» والصحيح أنها «وكن صريعا» ورواية «ق» فى البيت (١٩) تلففت، وروايتها فى البيت (٢٠) «توقد النار كلما»، وفى البيت (٢١) «يكن يخال» ولم يشر «برت» إلى شىء من ذلك وصحتها «ناصب».

(٣٧) ص ٥٢ بعد البيت (٢٥) يترك المحقق تعليقا لغويا مهما، ويذكر أن رواية البيت(٣٠) «ليس بناصب» وصحتها «ناضب».

(٣٨) ص ٥٣ يذكر أن رواية «ق» فى البيت (٣١) «عليّ مبيت السوء»، والصحيح أنها «على مناخ السوء»، ويذكر أن رواية «ق» فى البيت (٣٢) «خبيب المراكب» والكلمة الثانية كتبت بشكل لايمكن أن يقرأ كما قرأه.

(٣٩) ص ٥٤ البيت (٣٩) روايته فى «ق» «بمرٍّ كمر الطير»، والبيت (٤) روايته: «يُقَحَّمُ»، ولم ينبه المحقق على ذلك.

(٤٠) ص ٥٦ البيت (٢٣) روايته فى «ق» «وبنوكليب» ولم يشر إليها المحقق.

(٤١) ص ٥٧ لايذكر المحقق عنوان القصيدة مع أنه وارد فى «ق»، ورواية البيت (٣) فى «ق» «كما كان نعمان»، ورواية البيت (٧) فيها «إلى النسب الرائى»، وقد أهمل المحقق كل ذلك، وأهمل بعد البيت الأخير شرحا طويلا ونسبا مفيدا.

(٤٢) ص ٥٨ يترك المحقق بعد البيت (١٢) تعليقا لغويا مهما ورد فى «ق»، والبيت (١) رواية فى «ق» «ومن تكن...» ولم يذكرها المحقق مع أنها تجنب البيت زحافًا معيبا.

(٤٣) ص ٥٩ البيت (٤) فى «ق» «كفيناه النداد»، ولم يذكر ذلك المحقق.

(٤٤) ص ٦١ البيت (٦) روايته فى «ق» من أمامه»، والبيت (٨) فيها روايته «أرادبها» ولم ينبه المحقق على ذلك.

(٤٥) ص ٦٢ البيت (١٢) روايته فى «ق» «ملاطاه القطارا»، ورواية البيت (١٦) فيها «خلعة» ولم يشر المحقق إلى ذلك.

(٤٦) ص ٦٣ يذكر المحقق أن رواية البيت (٢٤) فى «ق» «ينعس ويمتكر» ولا دليل على ذلك إذ إن الحرف الأول فى الكلمتين غير منقوط، ويذكر أن رواية البيت (٢٥) «كاهن» مع أنها «كاهل» كرواية «ت».

(٤٧) ص ٦٤ البيت (٣) روايته فى «ق» «على سمك الغدر» ولم يشر المحقق إليها، وهو يترك بعد البيت شرحا مفيدا.

(٤٨) ص ٦٥ البيت (٦) روايته فى «ق» «وكيف الروايا» والبيت (٨) روايته فيها «إنكار الغريب» ولم يشر إلى ذلك المحقق.

(٤٩) ص ٦٦ بعد البيت (١٣) جاء فى «ق» كلمة «تغوص» فغيرها المحقق إلى «تغوط» ولم يذكر سبب ذلك.

(٥٠) ص ٦٧ البيت (٥) روايته فى «ق» «وهفاف» بضم الفاء، ولم يشر إليها المحقق.

(٥١) رواية البيت (١٢) ص ٦٧ فى «ق» «تلاهين واستنعت بهن بأربع» ولم يذكرها المحقق.

(٥٢) ص ٦٩ البيت (٨) رواية «ق» «برد الغمامة» كتبها المحقق «بدر»، ورواية البيت (١٤) فيها «قد ألقينه» ولم يشر المحقق إليها.

(٥٣) ص ٧٠ البيت (١٧) رواية «ق» «فى ذى حبول»، والبيت (٢٢) روايته «للناس»، والبيت (٢٠) روايته: «ولم يسقوا بها» ولم يشر المحقق إلى شىء من ذلك.

(٥٤) ص ٧١ البيت (٢٩) روايته «ق» «أوسحما» بدل «إذ سجما» ولم يشر إليها المحقق.

(٥٥) ص ٧٢ البيت (٣٩) روايته فى «ق» «أنساهم تجشمها إجانة»، وفى نفس البيت «شدما احتدما» بدل «طالما احتدما»، ورواية البيت (٤١) «فى يوم القنا» بدل «اللقا»، ورواية البيت (٤٢): «فى مهولته»، ورواية البيت (٤٣) «اعتزما»، ولم يشر المحقق إلى شىء من ذلك.

(٥٦) ص ٧٥ يترك المحقق شرحا مفيدا بعد البيت (٣).

(٥٧) ص ٧٦ فى البيت (٨) كتبت هذه الكلمة هكذا «ممّما» فقرأها المحقق «متمما» واعتبرها مخالفة لرواية «ت» ميمما وكأنه قرأ شدة الميم نقطتين، ورواية البيت (٤) فى «ق» «بعد ياسوع» ولم ينبه على ذلك المحقق.

(٥٨) ص ٧٧ البيت (٩) روايته فى «ق» «بلا شرب» بضم الشين، ولم يذكر «برت» ذلك.

(٥٩) ص ٨٠ رواية البيت (١) فى «ق» «وللطَّرَبُ المتاحُ» ولم يذكرها المحقق.

(٦٠) ص ٨١ البيت (٧) روايته فى «ق» «وكل جذمة حرب»، والبيت (١١) روايته «الشباب» بدل «السنات»ولم يلحظ المحقق ذلك.

(٦١) ص ٨٢ البيت (١٥) روايته فى «ق» «خمر عقار» ، والبيت (١٦) روايته فيها «ولو جهد»، والبيت (١٧) روايته «قلاص» ولم يشر المحقق إلى ذلك، على أنه يترك بعد البيت الأخير شرحا ورد فى «ق».

(٦٢) ص ٨٣ البيت (٣٢) رواية «ق» «انجبار» بدل «اجتبار»، ولم يذكر المحقق ذلك.

(٦٣) ص ٨٩ البيت (١) روايته في «ق» «إذا قابلن»، ولم يشر «برت» إلى ذلك على حين أشار إلى خلاف في الرواية في نفس البيت.

(٦٤) ص ٨٩ الأرجوزة (١٠) يترك المحقق شرحها الوارد في «ق».

هذا إلى أن المحقق يهمل اختلاف الكلمات إذا كانت بالأحرف فمثلا تكون الكلمة في «ت» «ومن» وفي «ق» «فمن» فيذكر إحداهما ولا يشير إلى الأخرى، وهو يفعل ذلك كثيرا.

فإذا انتهينا من هذه الملاحظات على النسخة المطبوعة وجدنا أن المحقق في ملحق الديوان ينسب أبياتا للقطامي ثبت لدينا بالبحث أنها ليست له، فهو مثلا يذكر في الملحق البيت رقم (١):

وأشرق أجبال العوير بفاعل		إذا خبت النيران بالليل أوقدا

والبيت للأخطل، وهو وارد في ديوانه ص ٩٦ ضمن قصيدة طويلة في مدح يزيد بن معاوية، وفي الملحق كذلك أورد المحقق البيت رقم (٤) الذي ثبت لدينا بالبحث أنه للأعشى الكبير.

وتبقى بعد ذلك دواع دعتنا إلى إعادة تحقيق الديوان: منها أن «برت» يذكر تعليقاته وشروحه باللغة الألمانية مما يجعل الديوان غير ملائم للقارئ العربي، ومنها أنه لايخرج الشعر فيذكر مواضعه في كتب الأدب واللغة والتاريخ والبلدان والأنساب.. إلخ، وهو على الرغم من رجوعه إلى مجموعة لابأس بها من المراجع لايذكر هذه المراجع إلا حين تختلف روايتها عن رواية الأصول. وقد تداركنا ذلك برجوعنا إلى كل ما أمكننا الرجوع إليه من المظان، ووثقنا الشعر الذي وجدناه، فإذا اختلفت الرواية ذكرناها وإلا ذكرنا مكان ورود الشعر من المرجع كتوثيق له، وقد لاحظنا أن ترتيب الأبيات كان يختلف في مراجع

كثيرة عن ترتيب الأصول، ومن دواعى تحقيقنا للديوان قلة الزيادات التى أوردها «برت» على الديوان ، فهو لم يستقص هذه الزيادات، وقد حاولنا أن نتلافى ذلك على قدر الجهد فجمعنا ماينيف على الأربعين بيتا ألحقناها بالديوان، وبعض هذا الشعر الذى جمعناه ليس للقطامى وإن كان منسوبا إليه، وبعضه فيه أكثر من رأى، ولكن أكثره له، وقد أشرنا إلى كل ذلك فى موضعه. كذلك ومن الدواعى التى دعتنا إلى إعادة النظر فى هذا الأثر ندرة الحصول عليه، فقد طبع منذ زمن بعيد مما جعل الحصول عليه عسيرا، ولاتوجد منه سوى نسخ قليلة فى بعض المكتبات العامة والخاصة، هذا وقد زودت الديوان بالفهارس التفصيلية التى لاتوجد فى النسخة المطبوعة.

صانع الديوان:

نعترف قبل أن نخوض فى هذه النقطة بغموضها وعدم وصولنا فيها إلى ماكنا نريد، وذلك أن النسختين اللتين بأيدينا قد خلتا من أى إشارة إلى صانع الديوان، والنسختان مختلفتان رواية وشرحا فإذا تحدث الباحث عن صانع الديوان من خلال ما ورد فى المراجع وتوصل إليه فعلا فإن سؤالا يتبقى بعد ذلك وهو:

عن أى النسختين نتحدث من نسخ الديوان حين نقول إن صانعه فلان؟

ومع ذلك فلا نملك إلا أن نستعرض الأقوال التى أثيرت حول هذا الموضوع ونتخذ لنا منها موقفا خاصا. ويبقى السؤال الأخير بدون جواب إلى أن يتوفر لنا فى المستقبل ما قد يكشف الغموض عنه.

قال البغدادى: «قال القطامى فى وصف درة غواص شبه حبيبته بها:

حتى إذا السفن كانت فوق معتلج ... ألقى المعاوز عنه ثمت انكتما

فى ذى جلول يقضى الموت صاحبه ... إذا الصرارى من أهواله ارتسما

.. قال شارح ديوانه **أبو سعيد السكرى**: الصرارى الملاح والصراء الملاحون والواحد صار»(٥).

ولكن ابن النديم يذكر الشعراء الذين عمل أبو سعيد شعرهم فلا يرد القطامى بينهم، قال ابن النديم:

«وعمل السكرى أشعار جماعة من الفحول وقطعة من القبائل؛ فممن عمل شعره من الشعراء امرؤ القيس والنابغتان وقيس بن الخطيم وتميم بن أبى مقبل وأشعار هذيل وهدبة بن خشرم والأعشى ومزاحم العقيلى والأخطل وزهير وغير ذلك.... وعمل شعر أبى نواس... إلخ»(٦).

وقد رفض المستشرق «برت» فى حديثه عن نسخ ديوان القطامى أن يكون شارحه هو السكرى مستدلا على ذلك بدليلين؛ أولهما أن العينى يأتى ببعض شروح السكرى وهى لاتوافق شروح الديوان، وثانيهما أن الشارح يذكر فى شرح بيت «أبو سعيد» فكيف يكون هو الشارح ويستشهد بنفسه؟ (٧).

وقد رجعنا إلى شرح العينى على هامش الخزانة فلم نجد توافقا فى الألفاظ بين شرحه وشرح الديوان وإن كان التوافق فى المعنى موجودا (٨).

فهل يدل كل ذلك على أن صانع الديوان ليس أبا سعيد؟ أما ما اقتبسناه من ابن النديم فمع أنه لم يرد فيه اسم القطامى صراحة إلا أنه يقول بعد أن عدد ماصنعه السكرى: «وغير ذلك.. فبهذه الكلمة لانستطيع أن نقطع بأن السكرى لم يصنع ديوان القطامى، وأما ماذكره «برت» فليس فيه دليل أيضا على انتفاء عمل السكرى للديوان، وسنقوم بتنفيذ الدليلين اللذين استدل بهما. فالدليل الأول لايقطع بما يذكره؛ لأننا حين نرى فى كتب القدماء «قال فلان» لانتوقع أن يكون هذا القول هو نص قول فلان، ويكفى أن يؤتى بمعنى هذا القول، فلم يكن من منهجهم العلمى الحرص على نقل النص بألفاظه مادمنا قد نسبناه لإنسان

معين وجعلناه من قوله كما نصنع نحن الآن، وإذا كان الأمر كذلك فلا دلالة على أن هذا القول ليس قول السكرى بالمعنى المفهوم لديهم لأن المعانى هى هى.

والدليل الثانى (٩) لايعطى أيضا أن شارح الديوان ليس السكرى؛ لأن ذكر أبى سعيد لايحصره فى السكرى فلماذا لايريد به أبا سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى؟، وحتى على فرض أن المراد به السكرى فلا دلالة على ماذهب إليه «برت»؛ لأننا كثيرا مانجد مؤلفا فى المراجع التى بين أيدينا يذكر اسمه ويعنى نفسه، ففى الكامل للمبرد «قال أبو العباس» وفى التنبيه والإشراف «قال المسعودى»، وفى طبقات الشعراء «قال ابن سلام» إلخ، وقد يكون هذا القول ليس من المؤلف وإنما هو ممن أخذ عنه من تلاميذه وسجل هذا الكلام.

بعد ذلك يتبقى قول البغدادى؛ فمن أين جاء به؟ وهل ذكره دون أن يراه فى مصدر من مصادره التى اطلع عليها؟ الحق أن القول بذلك مغامرة لانستطيع أن نتحمل نتيجتها، ولا نرى بدا - بعد أن لم يثبت لنا عدم صنع السكرى للديوان - من أن نميل إلى رأى صاحب الخزانة فنضيف ديوان القطامى إلى أعمال أبى سعيد السكرى. وقد مال الأب لويس شيخو إلى هذا من أول الأمر دون أن يستعرض أقوالا أو يناقش احتمالات فقال:

«ديوان القطامى شرحه كما يروى فى عرض ديوانه أبو سعيد الحسن السكرى» (١٠).

وقد ذكر (أهلوارد) فى حديثه عن الديوان أن المرزوقى صحح النص كما ذكر ذلك «بروكلمان» [١١] «وبرت» والأب «شيخو»، ولعل هذه التصحيحات هى مانجدها على هامش النسخ - وبخاصة نسخة «ت» - من ذكر رواية أو شرح كلمة أو تصحيح شيءمما أشرنا إليه فى حديثنا عن النسخ، وقد وجدنا فى

بعض المراجع مايفيد أن أبا على البغدادى قرأ شعر القطامى على ابن دريد[١٢].

منهج التحقيق:

يقوم المنهج الذى سلكته فى تحقيق الديوان على اتخاذ النسخة الألمانية أصلا، ورمزها فى اصطلاحى «ت»، واتخاذ نسخة القاهرة نسخة مساعدة، ورمزها فى اصطلاحى «ق»، وقد أكملت من هذه النسخة مانقص من النسخة الأم، وصححت منها ماورد خطأ فى الأم، وقد وضعت الشرح الذى أكملت به من هذه النسخة بين معقوفين [ ] اقتداء بصنع «برت». وقد اشتمل التحقيق إلى جانب النص على هامشين، الهامش الأول لتخريج الشعر وقد تبعت فيه رقم البيت فى القصيدة، وذكرت المصادر التى ورد فيها البيت بروايته إن اختلفت هذه الرواية عن الأصل، والهامش الثانى لاختلاف نسخة القاهرة عن الأصل، ولتعليقاتى الخاصة، وقد تبعت فيه ترقيمًا أبجديًا يبدأ بنهاية الهامش المخصّص لرقم البيت فى القصيدة، وينتهى بنهايته، ثم يبدأ ثانية بنهاية هامش لبيت آخر... وهكذا، وقد وضعتُ جميع الهوامش فى نهاية النص المحقق، وسرت فى تحقيق النص على هذا النحو حتى نهايته، وكنت حريصا على التقيد بالنص ما أمكن فلم أغير شيئا له وجه من الصحة، وكنت أذكر الكلمة فى الهامش برسمها إذا لم أستطع قراءتها.

وفى ملحق الديوان جمعت من المراجع كل ماوجدته منسوبا إلى القطامى من شعر، وقسمته قسمين: الأول ذكرت فيه الأبيات التى لم أجد مايعارض نسبتها إلى الشاعر بمعنى أننى لم أجدها منسوبة إلى غيره فى مرجع آخر، والثانى ذكرت فيه الأبيات التى نسبت إلى القطامى وغيره مع الإشارة إلى ذلك فى الهامش، وذكر رأيى فى ترجيح نسبتها إلى القطامى أو غيره، وقد رتبت كل قسم ترتيبا هجائيا مستقلا.

وقـد ضـبطت الشـعـر كله بالشكل الكامل فى كلٍّ من الديوان والملحق، وضبطت من الشرح الكلمات التى تحتاج إلى ضبط.

ثم صنعت فهارس عامة للديوان اشتملت على مايأتى: ١) فهرس للأعلام الواردة فى الشعر ٢) فهرس للأعلام الواردة فى الشرح ٣) فهرس للقبائل والبطون والأماكن ونحوها الواردة فى الشعر ٤) فهرس مماثل للفهرس السابق خاص بالشرح ٥) فهرس لقوافى الديوان تبعت فيه الحروف الهجائية، ولم أتقيد بترتيب خاص فى داخل الحرف الهجائى نفسه ٦) فهرس للأعلام والقبائل والبطون فى الملحق ٧) فهرس لقوافى الملحق.

الهوامش :

(١) فى معجم الأدباء «راشد بن إسحاق بن راشد أبو حليمة الكاتب كان أديبا كاتبا شاعرا.... واتصل راشد بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات وله معه أخبار حسان» ١١: ١٢٢

(٢) كلمة لم أستطع أن أتبينها.

(٣) لم أستطع أن أتبين هذشه العبارة.

(٤) قال عنه ابن خلكان: «... كان رئيسا جليل القدر كثير التواضع واسع الكرم، لم يصل إلى أربل أحد من الفضلاء إلا وبادر إلى زيارته وحمل إليه مايليق بحاله ويقرب إلى قلبه بكل طريق، وخصوصا أرباب الأدب فقد كان سوقهم لديه نافقة، وكان جم الفضائل عارفا بعدة فنون منها الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع مايتعلق به، وكان إماما فيه، وكان ماهرا فى فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافى وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها، وكان بارعا فى علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم، وجمع لأربل تاريخا فى أربع مجلدات (ثم أورد له عدة كتب) وله ديوان شعر أجاد فيه. مولده ٥٦٤ ووفاته ٦٣٧ هـ» وفيات الأعيان (محيى الدين) ٣: ٢٩٤.

(٥) الخزانة (بولاق) ١: ٨١.

(٦) الفهرست (ليبزج) ٧٨.

(٧) ترجمة خاصة تفضل بها أستاذنا الدكتور الهمدانى.

(٨) راجع ٣: ٤٢٨، ٣: ٥٠٦، ٥٠٧، ٣/ ١٨٨ .

(٩) راجع الديوان (١١٩).

(١٠) شعراء النصرانية - القسم الإسلامى ١٩٥.

(١١) انظر تاريخ آداب اللغة العربية الأصل ١: ٦١ والملحق ١: ٩٤.

(١٢) كتاب الفهرسة لأبى بكر بن خير بن خليفة الإشبيلى (سرقسطة) ٣٩٥، ٣٩٦.

الفصل الثانى

الديــوان محققــا



١٠ـ(*)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ(*) الرَّحِيم

الحمدُ للهِ وصلّى اللهُ على رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَسَلَّمَ

ـ ١ـ(*١)

قَالَ القُطَامِى

وهو عُمَيْر بنُ شُيَيْم بن عَمْرو بن عبَّاد بن بكر بن عامر بن أُسَامَةَ بن مالك (ابن جُشم)(١) بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب [قال أبو العباس فى بنى تغلب كلها حبيب بالتخفيف وفى النمر حبيّب مشددة] [قال أبو عمرو: ويقال القُطَامى وقيس يقولون القَطَامى وربيعة يقولون القُطامى. قال أبو سنان: وإنما قطمه قوله:

يَحُطُّهنَّ جـانبًـا فـجـانبـا

حطَّ القطامى القطا القـواربا]

يمدح عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص بن أمية:

١ ـ إنَّا مُـحَـيُّوكَ فـاسْلَمْ أيُّهـا الطَّلَلُ

وَإنْ بَـلِيتَ وَإنْ طَـالَتْ بِـكَ الطِّيَلُ

(*) آثرت أن أضع لنص الديوان رقمين، رقم عام يتسلسل فيه مع الكتاب كله، ورقم خاص حتى يسهل به وضع الفهارس العامة الواردة فى آخره.

٢٠

الطيَلُ الدهورُ يقال طال طِوالُك وطِوَلك وطِيَلك وطُولَك، طُولى وطُوَل مثل كُبْرى وكُبر، وإن طالت عليك الدهور [ويروى الطِّوَلُ أيضا وهو من المطاولة، والطول الرَّسَنُ يطوَّلُ للدابة لترعى وأنشد لطرفة:

لعَمْرك إن الموتَ ما أَخْطأَ الفتى

لكالطِّوَلِ المُرْخى وثِنياه باليَدِ(أ)

قال ومعنى هذا كله طُولاَك، قال ولايقال طُولةٌ، وهو خَطأٌ ممن سمَّوهُ](ب).

٢ ـ أَنَّى اهْتَدَيْتَ لِتَسْلِيمٍ علَى دِمَنٍ

بِالغَمرِ غَيَّرَهُنَّ الأَعْصُرُ الأُوَلُ

[يقول لنفسه أَنى اهتديتَ له فعرفته وهو لايعرف من أنت، والغمرموضع، وعصر دهر وأَعْصُر وأعصار وعُصُور

قال المتلمس: عرفت لأصحاب النجائب حدَّة

إذا عرفوا لى فى العصور الأوائل](أ).

٣ ـ صَافَتْ تَعَمَّجُ أَعْنَاقُ السُّيُولِ بِهِ

مِنْ بَاكِرٍ سَبِطٍ أَوْرَائِحٍ يَبِلُ

أصل التعمج للحَيَّة تلَوِّيها، بها بالدِّمن، وبه يريد بالربع، وصافت منَ الصَّيْف، تَعَمَّج تتثنّى، ويبِلُ مِنَ الوَبْل المطر الشديد [وباكر مطر فى أول النهار، سبط كثير الصب، يبل يفعل من الوبل وهو المطر الشديدُ، أعناق السيول أوائلُها، والطلل المنزل، وقال غيرُه: صافت من الصيف وهو بَعْدَ مطر الربيع].

٤ ـ فَهُنَّ كَالخِلَلِ المَوْشِىِّ ظَاهِرُهَا

أَوْ كَالْكِتَابِ الَّذى قَدْ مَسَّهُ بَلَلُ

.٣٠

[الخلل النقش الذى يكون على جفن السيف واحدهاخِلَّة] .

٥ ـ كَانَتْ مَنَازِلَ مِنَا قَدْ نَحُلُّ بِهَا

حَتَّى تَغَيَّرَ دَهْرٌ خَائِنٌ خَبِلُ

خَبِلٌ مُفسد، والخَبَلُ الفسادُ [يخبل خطا الناس، والعرب تسمى الدهر مُخْبِلا] .

٦ ـ لَيْسَ الجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ

إلاَّ قَلِيلاً وَلاَ ذُو خُلَّةٍ يَصِلُ(أ)

البَشاشة اللذّة والسرور، خُلَّة صَداقةٌ [به يعنى بالدهر، أراد ولا ذو خلة يدوم وصاله] .

٧ ـ والعَيْشُ لاَ عَيْشَ إلاَّ مَاتَقَرُّبِهِ

عَيْنٌ وَلاَ حَالَ إلاَّ سَوْفَ تَنْتَقِلُ

[المعنى لاعيش إلاّ عيش الآخرة كما قال امرؤ القيس:

وهَل ينعمن إلا سعيدٌ مخلَّدُ](أ) .

٨ ـ والناسُ مَنْ يَلْقَ خَيْراً قَائِلُونَ لَهُ

مَا يَشْتَهِى وَلأُمِّ المُخْطِئِ الهَبَلُ

الهبلُ الثكْل، يقال له هبلَتْك أُمُّك [هبلتُ أهبل هبَلاً] .

٩ ـ قَدْ يُدرِكُ المُتَأَنِّى بَعْضَ حَاجَتِهِ

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ(أ)

١٠ ـ أَمْسَتْ عُلَيَّةُ يَرْتَاحُ الفُؤَادُ لَهَا

ولِلرَّوَاسِمِ فِيمَا دُونَهَا عَمَلُ

٤٠

يرتاح يَخِف ويَهشُّ، فى البلد الذى دونَها، عَملٌ دءوبٌ [عُلية امرأة، ويقال للذى يرتاح للمعروف والندى أريحى، وقوله لها أى إليها، والرواسم سير فيه سرعة، وقوله دونها أى دون هذه المرأة عمل يقول دون الوصول إليها]

١١ ـ بِكُلِّ مُنْخَرِقٍ يَجْرِى السَّرابُ بِهِ

يُمْسِى وراكِبُهُ مِنْ خَوفِهِ وَجِلُ

منخرق متسع فضاء، منخرق حيث ينخرق الطريق فى الفلاة [ويروى مَنخَرَق؛ فمن فتح الراءجعله منخَرَقًا للريح، ومن كسر الراء فيريد أنه انخرق فذهب فى الفَلاة]

١٢ ـ يُنْضِى الهِجانَ الَّتِى كانَتْ تَكُونُ بِها

عُرْضِيَّةٌ وَهِبابٌ حِينَ تَرْتَحِلُ(أ)

ينضى يجعلها أنضاء، والهجان الكرام، وعرضية اعتراض فى سيرها، ترتحل تُشَدُّ الرحال عليها، وقوله ينضى يريد المنخرق، هباب نشاط [يضنى يهزل] .

١٣ ـ حَتَّى تَرَى الْحُرَّةَ الوَجْناءَ لاغِبَةً

وَالأَرْحَبِىَّ الَّذِى فى خَطْوِهِ خَطَلُ

حُرَّةٌ عتيقة كريمة، ووجناء غليظةُ الوَجَنات كثيرة لحمُها، ويقال هى الصلْبة مُشَبهة بوَجين الوادى، لاغبة مُعْيِية، الأَرْحبى فحل منسوب إلى أَرْحَب قبيلة من همْدان، خطل سعة الخطو [خطل اضطراب وهو الكثرة فى المنطق وبه سمى الرجل الأخطل، والخطل فى أول السير من نشاطه ثم يستمر به السير فيستقيم فى سيره، وقال غيره الوجناء شبهت بالوجين من الأرض وهو الغليظ المرتفع] .

٥٠

١٤ ـ خُوصاً تُدِيرُ عُيُوناً مَاؤُهَا خَضِلٌ
عَلَى الخُدُودِ إذَا مَا اغْرَوْرَقَ المُقَلُ(أ)

خوص غائرة الأعْيُن ويروى ماؤها سرب أى قاطر.

١٥ ـ لَوَاغِبَ الطَّرْفِ مَنْقُوباً حَوَاجِبُهَا
كَـأَنَّـهَـا قُلُبٌ عَـادِيَةٌ مُكُلُ

يريد تراها لواغبَ، منقوباً حواجبها قد غارت عيونها، قلبٌ جمعُ قليب، عادية قديمة، مكل قليلة الماء الواحدة مَكُولٌ فيستجم ماؤها حتى يجتمع واسم الماء المُكْلة [لواغب الطرف معيبة، كأنها قلب شبه غؤور أعينها ببئر عادية مكلت البئر تمكل مَكْلا ومكولا إذا قل ماؤُها].

١٦ ـ يَرْمِى الفِجَاجَ بِهَا الرُّكْبَانُ مُعْتَرِضاً
أَعْنَاقَ بُزَّلِهَا مُـرْخًى لَهَا الجُـدُلُ

الفجاج طرق واسعة، والأعناق هى المعترضة ترخَى لَهَا الجُدُل؛ لأنها مَعايا. الجدل جمع جديل(أ) وهو الزمام [الفجاج الطرق، معترضا فى اعتراض، والجدل جمع جديل وهو الزمام، يقول أرخيت لها؛ لأنها قد عودت ذلك ليست بصعبة، تعترض بأعناقها من نشاطها، وقوله مرخىً لها الجدل أى قد استوفتها من طُول أعناقها].

١٧ ـ يَمْشِينَ رَهْواً فَلاَ الأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ
وَلاَ الصُّدُورُ عَلَى الأَعْجَازِ تَتَّكِلُ(أ)

رهوا ساكنا يتبع بعضها بعضا [يقول ليست بالضعيفة الأعجاز فلا تخذلها الأعجاز وليست صدورها بضعيفة تتكل على الأعجاز، يقول خلقت خلقا مستويا].

٦٠

١٨ ـ فَهُنَّ مُعْتَرِضَاتٌ وَالحَصَى رَمِضٌ

وَالرِّيحُ سَاكِنَةٌ وَالظِّلُّ مُعْتَدِلُ

معترضات من العُرْضية وهى المرح، رمض من الرَّمْضاء أى حارٌ، والظل معتدل حين استوى نِصف النهار [فهن يعنى النوق والظل معتدل أى لم تزل معترضات من نشاطها وهى على هذه الحال نصف النهار من الهُزال فكيف فى ابتداء أمرها وهذا أشد مايكون من الحر وأشد مايكون من السَّير] .

١٩ ـ يَتْبَعْنَ سَامِيَةَ العَيْنَيْنِ تَحْسَبُهَا

مَجْنُونَةً أَوْ تَرَى مَا لاتَرَى الإِبِلُ

كأنها ترى شيئا لاتراه الإبل فتفزع منه من نشاطها [سامية رافعةٌ، تحسبها مجنونةً من نشاطها يقول لم تنكسر فهى تَنْظُر إلى الشُّخوص من نشاطها فترى مالاتَرى الإبل].

٢٠ ـ لَمَّا وَرَدْنَ نَبِيًّا وَاسْتَتَبَّ بِنَا

مُسْحَنْفِرٌ كَخُطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلُ(أ)

يروى كخطوط السَّحْل وهو ثوبٌ أبيض، والسيح ضرب من البرود يقال برد مُسَيَّح أى مخطَّط مُسيَّر، نبيًا مكان، واستتب استقام وامتد، ومُسْحَنْفِر ممتدّ وأراد طريقاً ماضياً

[روى أبو عمرو نُبيا برفع النون ونصب الباء وهو بلَد، مسحنفر طريق ذاهب بيِّن، منسحل ذاهب أيضا] .

٢١ ـ عَلَى مَكَانٍ غِشَاشٍ مَايُقِيمُ بِهِ

إِلاَّ مُغَيِّرُنَا وَالمُسْتَقِى العَجِلُ(أ)

المغير الذى يغير عن بعيره رحله إذا خاف أن يكون الرحلُ قد عقره [غشاش عجلة، والمغير الذى يغير على الإبل فيه يقال غير على إبلك فزعموا أنها تستريح لذلك، عجلٌ من الخوف، قال والعجل سقى يصل رشَاءه بعمامته فيستقى ثم يبادر رحلها يشد بها رأسه من شدة الحر وأنشد:

جعلت عمامتى صلة لبردى

إليه حين لم تصل النسوع](ب).

٢٢ ـ ثُمَّ اسْتَمرَّ بها الحَادِى وجَنَّبها

بَطْنَ الَّتِى نَبْتُهَا الحَوْذَانُ والنَّفَلُ

[الحوذَان بقله طيبةُ الريح قال أبُو عَمرٍو والنفل أشبه شيء بهذه البَقْلَة].

٢٣ ـ حتَّى وَرَدْنَ رَكِيَّاتِ العَوِيرِ وقَدْ

كَادَ المُلاَءُمِنَ الكتَّانِ يَشْتَعِلُ(أ)

قال يعنى بالكتان هاهنا القطن [ركية وركيات وركايا وهى الآبار، والغوير بلد والكتان يشتعل من الحر].

٢٤ ـ وقَدْ تَعَرَّجْتُ لَمَّا وَرَّكَتْ أَرَكًا

ذَاتَ الشِّمالِ وعَنْ أَيْمَانِنَا الرِّجَلُ(أ)

تعرّجتُ تمكثتُ، وركت عدلت عنها، والرِّجَل مسايلُ الماء(ب) [وأُرُك موضع، ورجل مسايل الماء واحدها رِجْلَة].

٢٥ ـ علَى مُنَادٍ دعَانَا دَعْوةً كَشَفَتْ

عَنَّا النُّعَاسَ وَفِي أَعْنَاقِنَا مَيَلُ

أراد دواعى شوقها [يقول عرجت على المنادى حين دعاميل النعاس].

٨٠

٢٦ ـ سَمِعْتُهَا وَرِعَانُ الطَّوْدِ مُعْرِضَةٌ

مِنْ دُونِهَا وكَثِيبُ الغَيْثَةِ السَّهِلُ(أ)

روى أبو عمرو العيْثة، رعان أنوف جبالٍ، معرضة هى بينى وبينها يعنى عُلّيَّة

[ويُروى الغَيْثَةُ وليس بشيء؛ لأن الغوير وأرك بالشام، قال وروى من ذى نداء دعانا والعيثة بالشام، قال والمنادى الشوق الذى به، والطود جبل ورعانه أوائله].

٢٧ ـ فَقُلْتُ للرَّكْبِ لَمَّا أَنْ عَلَتْ بِهِمُ

مِنْ عَنْ يَمِينِ الحُـبَـيَّـا نَظْرَةٌ قَـبَلُ

علت النظرة رفعوا أبصارهم لينظروا، قَبَل مقابلةٌ ويَروى لَمَّا أَنْ علابهم مِنْ عَنْ يَمين الحُبَيَّا مَنْظَرٌ قَبَلُ [قوله علا بهم نظرة قبل أراد أى علابى فيهم نظر قبل... كرب الهوى.. بقيت كأنى..](أ).

٢٨ ـ أَلَمْـحَـةً مِنْ سَنَا نَارٍ رَأَى بَصَـرِى

أَمْ وَجْهُ عَـالِيَةَ احْـتَـالَتْ بِـهِ الكِلَلُ(أ)

يروى من سنا برق، ويروى اختالت بها عنى أَنَّها جميلة فتختال الكلِة بها وبوجْهِهَا [اختالت أى تبخترت الستور به].

٢٩ ـ تُهْدِى لَنَا كُلَّمَا كَانَتْ عُلاوَتَنَا

رِيحَ الخُزَامَى جَرَى فِيهَا النَّدَى الخَضِلُ

يروى كلما احتلت

وأنشـد: إِذَا نَحْنُ أَدْلَجْنا وأَنت أمَـامَنَا

كَـــفَى لمَطَايَانابِريحِكِ هَادِيا(أ)

[العلاوة الموضع المرتفع]

٩٠

٣٠ـ وَقَدْ أَبِيتُ إِذَا مَا شِئْتُ مَالَ مَعِى

عَلَى الفِرَاشِ الضَّجِيعُ الأَغْيَدُ الرَّتَلُ(أ)

الرتل المُتَفَرِّق الأَسْنَانِ التى لم يركب بعضها بعضا، ويروى الرَّبِل وهو الضخم.

٣١ ـ وَقَدْ تُبَاكِرُنِى الصَّهْبَاءُ يَرْفَعُهَا

إِلَىَّ لَيِّنَةٌ أَعْطَافُـــــه ثَمِلُ(أ)

٣٢ ـ أَقُولُ لِلْحَرْفِ لَمَّا أَنْ شَكَتْ أُصُلاً

مَتَّ السِّفَارِ وَأَفْنَى نِيَّهَا الرِّحَلُ(أ)

نيها شحمها يقال ناقةٌ رَهْبٌ وحَرْفٌ إذا كانت ضامرةً، ومتَّ جذَب السَّيْرُ(ب).

[الحرف الناقة والنى السمن].

٣٣ ـ إِنْ تَرْجِعِى مِنْ أَبِى عُثْمَانَ مُنْجِحَةً

فَقَدْ يَهُونُ عَلَى المُسْتَنْجِحِ العَمَلُ

المستنجح الذى يطلب النجاح يهون عليه العمل.

٣٤ ـ أَهْلُ المَدِينَةِ لاَ يَحْزُنْكَ شَأْنُهُمُ

إِذَا تَخَطَّأَ عَـبْـدَ الوَاحِدِ الأَجَلُ

تَخَاطأَ وأَخْطَأَ واحد يقول إذا تخاطأ هذا الأجلُ فلا يبالى بأولئك.

٣٥ ـ أَمَّـا قُـرَيْشٌ فَلَنْ تَلْقَاهُمُ أَبَداً

إِلاَّ وَهُمْ خَـيْـرُ مَنْ يَحْـفَى وَيَنْتَعِلُ

.١٠.

[قال أبو عمرو الحفوة إذا مشى بلا حذاء، وهو حافٍ من الحفوة، وهو حافٍ وهم حُفَاة، قال الأعشى:

إمَّا تَرَيْنَا حفاةً لانعال لنا

إنّا كذلك قَدْ نَحْفى ونَنْتَعِلُ](أ).

٣٦ ـ إلاّ وَهُمْ جبَلُ الله الّذى قَصُرَتْ

عَنْهُ الجِبَالُ فَمَا سَاوَى بِهِ جَبَلُ

يريد فما ساواه.

٣٧ ـ قَومٌ هُمُ ثَبتُّوا الإسْلاَمَ فَامْتَنَعُوا

قَوْمُ الرَّسُولِ الّذى مَابعْدَهُ رُسُلُ(أ)

٣٨ ـ مَنْ صَالَحُوهُ رَأَى فى عَيْشِهِ سَعَةً

وَلاَ يُرَى مَنْ أَرَادُوا ضَرَّهُ يئِلُ(أ)

وأل يئل ووَلا إذا نجا [يئل ينجو والضر ضد النفع].

٣٩ ـ كَمْ نَالَنِى مِنْهُمُ فَضْلٌ عَلَى عَدَمٍ

إذْ لاَ أَكَادُ مِنَ الإقْتَارِ أَحْتَمِلُ(أ)

أى أحتمل من بلد إلى بلد قال لا أستطيع عن الديار حويلا [الإقتار الإقلالُ والمُقْتر المقل قال الله تعالى: «وكان الإنسان قتورا»](ب).

٤٠ ـ وَكَمْ مِنَ الدَّهْرِ مَاقَدْ ثَبَّتُوا قَدَمى

إذْ لاَ أَزَالُ مَعَ الأَعْدَاءِ أَنْتَضِلُ

روى ابن الاعرابى ننتضل.

•١١•

٤١ ـ فلاهُمُ صَالَحُوا مَنْ يَبْتَغى عَنَتى

وَلاَ هُمُ كَدَّرُوا الخَيْرَ الَّذِى فَعَلُوا

التعنت والعنت واحد يقال للرجل إذا وقع فى هلكةٍ قد عنيتَ.

٤٢ ـ هُمُ المُلُوكُ وأَبْنَاءُ المُلُوكِ لَهُمْ

وَالآخِذُونَ بِهِ والسَّاسَةُ الأُوَلُ

به بالملك.

ـ ٢ ـ

وقال يتشكر لزفر ويمدحه(*٢)

١ ـ مَا اعْتَادَ حُبُّ سُلَيْمَى حِينَ مُعْتَادِ

وَمَـا تَوَقَّـى بِوَاقِي دِيْنِهَـا الطَّادِى(أ)

الطادى الثابت القديم يقول لم يأت فى الوقت الذى كان يأتى، وأراد بالطادى الوطيد، ويقال أراد الواطد أى ديننا الذى هو ثابت عليها [والطادى أراد الواطد فقلب الواو فَصيرها لام الفعل ثم صير الواو ياء لكسرة ماقَبْلَها كقولك رجل واعدٌ فلو صيرت الواو لاماً لقلت عادٍ].

٢ ـ إِلاَّ كَمَا كُنْتَ تَلْقَى مِنْ صَوَاحِبِـهَا

وَلاَ كَـيَـوْمِكَ مِنْ غَـرَّاءِ وَرَّادِ

قال وَّراد أبوها أو قيِّمها [ويروى وذاك دينك من غراء ورَّادِ].

٣ ـ بَيْضَاءُ مَحْطُوطَةُ المَتْنَيْنِ بَهْكَنَةٌ

رَيَّا الرَّوَادِفِ لَمْ تُمْـغِلْ بِأَوْلاَدِ

محطوطة لطيفة، أمغلت الشاة والغنم إذا ولدت فى السنة مرتين.

١٤٠

٤ ـ مَالِلْكَوَاعِبِ وَدَّعْنَ الحَيَاةَ كَمَا
وَدَّعْنَنِى وَاتَّخَذْنَ الشَّيْبَ مِيعَادِى(أ)

يقلن ميعاده الشيبُ أن يقطعنه [قوله ودّعن الحياة دُعاء عليهن يقول أماتهن الله].

٥ ـ أَبْصَارُهُنَّ إِلَى الشُّبَّانِ مَائِلَةٌ
وَقَدْ أُرَاهُنَّ عَنِّى غَيْرَ صُدَّادِ

[ويروى طامحة].

٦ ـ إِذْ بَاطِلِى لَمْ تَقَشَّعْ جَاهِلِيَّتُهُ
عَنِّى وَلَمْ يَتْرُكِ الخُلاَّنُ تَقْوَادِى

أى تقوادى إلى اللهو ورُوِى الإخْوانُ [ويروى ولم يترك الإخوانُ يقول يُدْخِلوننى فى باطلهم وأُدْخُل معهم].

٧ ـ كَنِيَّةِ الحَىِّ مِنْ ذِى الغَضْبَةِ احْتَمَلُوا
مُسْتَحْقِبِينَ أَسِيراً مَالَهُ فَادِى(أ)

احتملوا من مَرْعىً تعذر عليهم حتى نزلوا فى مكانٍ غَيره، كنية الحى يقول ماللكواعب ودعننى كما ودعنى حى كنت كلِفاً بهم فظعنوا واستحقبوا فؤادى وهو الأسير الذى لايفديه أحد [أراد أى ماله من يَفْديه ويروى من (ذى)(ب) الغبطة وهو مكانٌ].

٩ ق ـ ٨ ـ بَانُوا وَكَانَتْ حَيَاتِى فِى اجْتِمَاعِهِمُ
وَفِى تَفَرُّقِهِمْ قَتْلِى وَإِقْصَادِى(أ)

١٠ ـ ٩ ـ أَرْمِى قَصِيدَهُمُ طَرْفِى وَقَدْ سَلَكُوا
بَطْنَ المُجَيْمِرِ فَالرَّوْحَاءِ فَالْوَادِى(أ)

.١٥.

قصيدهم ناحيتهم، والمجيمر أرض [قصيدهم نحوهم، ويروى فالرجلاء فالوادى، والرجلاء الأرض الشّديدة الغَليظةُ].

٨ ـ ١٠ ـ مُحَدِّدينَ لِبَرْقٍ صَابَ فِى خِيَمٍ
وَ بِالـقُـــــرَيَّـةِ رَادُوهُ بِـرُوَّادِ(أ)

محددين قاصدين، وحدد نحوه قصد نحوه، ويُرْوى صاب من خَلَلٍ أى من خلل السحاب، ورادوه طلبوه، قال أبو ليلى محددين أى حددوا إليه بصرهم وشاموه [قال الأصمعى: وكانت العرب إذا عدت مائة برقة فى ليلة من وجه انتجعوا ذلك الوجه لايشكون فى الحيا]

١١ ـ يَخْفَوْنَ طوْراً وأَحْيَاناً إذَا طَلَعُوا
نَجْداً بِدَالِى مِنْ أَجْمَالِهِمْ بَادِى(أ)

[الطود الجبل العظيم].

١٢ ـ وفِى الخُدُورِ غمَامَاتٌ بَرَقْنَ لنَا
حَتَّى تَصَيَّدْنَنَامِنْ كُلِّ مُصْطَادِ

١٣ ـ يَقْتُلْنَنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ
مَنْ يَتَّقِينَ ولاَمَكْتُومُهُ بَادِى

[بادٍ ظاهرٌ ويُروى ولا مَكْنُونه].

١٥ ق ـ ١٤ ـ فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ أَصبْنَ به
مَوَاقِعَ المَاءِ مِنْ ذِى الغُلَّةِ الصَّادِى(أ)

يرمين به يتكلمن، والغلّة حرارة العطش، والصادى العطشان.

■١٦■

١٤ ـ ١٥ ـ أَلْمَعْنَ يَقْصُرْنَ مِنْ بُخْتٍ مُخَيَّسَةٍ

وَمِنْ عِرَابٍ بَعِيدَاتٍ مِنَ الحَادِى

ألمعن أشرن إليه بأَرْدِيَتِهِنّ ليلحق بهنّ، يقصرن يَحْبِسنهن عليه مخيّسة(أ)... [أى سبقن الحادى].

١٦ـ تَبْدُو إذَا انْكَشَفَتْ عَنْهَا أَشِلَّتُهَا

مِنْهَا خَصَائِلُ أَفْخَاذٍ وَأَعْضَادِ

أشلّتها شَلِيلٌ وأَشِلَّةٌ مِسحٌ يُلْقَى على عجز البعير، منها من الإبل والخصيلة لحم العضد والفخذ [والخصائل اللحم الواحد خصيلة وهى العضلة].

١٧ ـ مِنْ كُلِّ بَهْكَنَةٍ أَلْقَتْ إِشَالَتَهَا

عَلَى هِبِلٍّ كَرُكْنِ الطَّوْدِ مُنْقَادِ(ب)

إشالتها ماتُشيلها يعنى يديها، وهِبلٌّ مُسنٌّ من الإبل والرجال والنعام، والطود الجبل وركنه جانبه، والبهكنة التارة العريضة وتجمع البهاكن.

١٨ ـ وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهَا كُلَّمَا دَفَعَتْ

مِنْهَا المُكَرِّى وَمِنْهَا اللَّيْنُ وَالسَّادِى(أ)

المُكَرِّى سَيْرٌلَيِّنٌ بطىءٌ وقال غيره يقذف بيديْه فى سيره يلعب بهما، والسادى يسدو بيده قال المُكَرِّي والمُكَارِى واحدٌ [المكرى الذى يكرى بيديه فى السير].

١٩ ـ حَتَّى إِذَا الحَىُّ مَالُوا بَعْدَمَا ذَعَرُوا

وَحْشَ الُلهَيْمِ بِأَصْوَاتٍ وَطُرَّادِ(ب)

أى مالوا إلى موضع، واللُّهيْم موضع.

٢٠ ـ حَلُّوا بِأَخْضَرَ قَدْ مَالَتْ سَرَارَتُهُ

مِنْ ذِى غُثَاءٍ عَلَى الأَعْرَاضِ أَنْضَادِ(أ)

■١٧■

الأعراض النواحي، أنضاد مُنضَّد، سرارة الوادى وَسَطُه.

٢١ ـ قَـفْـرٍ تَظَلُّ مَكَاكِيُّ الفَـلاَةِ بِهِ
كَـأَنَّ أَصْـواتَهَـا أَصْواتُ نُشَّـاد(ب)

نشاد يطلبون شيئاً نَشَدْتُ الضَالَّةَ إذا طلبتها [المكاكى طير يقال لواحدها المُكّاء]

٢٢ ـ مَـالِى أَرَى النَّاسَ مُزْوَرّاً فُحُـولُهُمُ
عَنِّى إِذَا سَـمِعُـوا صَـوْتِى وَإِنْشَـادِى

يعنى فحول الشعراء [فحولهم يعنى الشعراء].

٢٣ ـ إِلاَّ أُخَىَّ بَنِـى الجَـوَّالِ يُوعِـدُنِى
مَـــاذَا يُرِيـدُ ابنُ جَــوَّالٍ بِإِيعَــادِى

ابن جوال من تغلب.

٢٤ ـ وطَالَمَا ذَبَّ عَنِّى سَيِّرٌ شُرُدٌ
يُصْبِحْنَ فَوْقَ لِسَانِ الرَّاكِبِ الغَادِى(أ)

سُيَّرٌ قوافى، شُرُدٌ قد شردت [قوله سائر يعنى شعرا سائرا قد سار فى الناس ثم وحَّدَ على اللفظ ومعنى الشعر جمعٌ ثم رجعَ إلى المعنى فجمع].

٢٥ ـ وَاسْأَلْ نِزَاراًوَقَدْ كَانَتْ تُنَازِلُنِى
بِالنِّصْفِ مِنْ بَيْنِ إِسْـخَـانٍ وإِبْرَادِ(ب)

النصف مكان، إسخـان صَيْفٌ وإبراد شِتـاء [أى قد نازلونى فى الشتـاء والصيف فعرفونى فاسألوهم عنِّى].

٢٦ ـ وَاسْأَلْ إِيَاداً وكَانُوا طَالَمَا حَضَرُوا
مِنِّـى مَـــوَاطِنَ إِدْنَاءٍ وَإِبْعَـــادِ(ج)

-١٨-

(مواطن) مواقع.

٢٧ ـ عنّى وعنْ قُرَّحٍ كانتْ تضمُّ معى
حتّى تقطَّعْن منْ مثْنى وفُرَّادِ(د)

٢٨ ـ فلاَ يُطيقون حمْلِى إنْ هجوْتهمُ
وإنْ مدحْتهمُ لمْ يبْلُغوا آدى(أ)

(آدى) جهدى، يروى:

فإنْ ركبْتهمُ أدْركْتُ آدهمُ
وإنْ حملتُهمُ لمْ يبْلُغوا آدِى

أى قوّتى.

٢٩ ـ منْ مُبلغٌ زُفرَ القيْسىَّ مدْحتهُ
منَ القُطامىِّ قوْلا غيْرَ إفْنادِ(أ)

أفند القول إذا جاء بكلام قبيح [الإفناد الكذب، أفند فى كلامه جاء بكلام قبيح].

٣٠ ـ إنّى وإنْ كانَ قوْمِى ليْس بيْنهمُ
وبيْنَ قوْمِك إلاَّ ضرْبةُ الهادِى

[الهادى العنق].

٣١ ـ مُثْنٍ عليْكَ بِمَا اسْتبْقيتَ معْرِفتِى
وقدْ تعرَّض منِّى مقْتلٌ بادِى

[والمعنى استبقيتنى لمعرفتك إياى].

٣٢ ـ فلنْ أُثيبكَ بالنَّعْماءِ مشْتمةً
ولنْ أُبدِّلَ إحْسانًا بإِفْسادِ(أ)

٣٣ ـ فَإِنْ هَجَوْتُكَ مَاتَمتْ مُكَارَمَتِى

وَإِنْ مَدَحْتُ لَقَدْ أَحْسَنْتَ إِصْفَادِى(أ)

(مكارمتى) أى مكافأتى بالكرم، (إصفادى) عطيتى.

٣٤ ـ ومَانَسِيتُ مَقَامَ الوِرْدِ تَحْبِسُهُ

بيْنِى وبيْنَ حَفِيفِ الغَابَةِ الغَادِى(أ)

الغابة الرماح، والغادى نعت لحفيف صوت [ويروى مقام الورد تحبسه بينى وبين حفيف الغَبْيَةِ الغادى يعنى مطر الحر].

٣٥ ـ قَتَلْتَ بَكْراً وكَلْباً واشْتَلَيْتَ بنَا

وقَدْ أَرَدْتَ بِأَنْ تَسْتَجْمِعَ الوادِى(أ)

أى أردت أن يستجمع لك الأمرُ قبلنا، قال خالد بن كلثوم اشتليت بنا تداركت، وروى الأصمعىّ واثَّلَثْتَ بنا وهو افتعلت من الثلثة، واشْتَلَيْتَ أى اتَّبعتَنَا مَن قتلتَ.

٣٦ ـ لَوْلاَ كَتَائِبُ مِنْ عَمْرٍو تَصُولُ بِهَا

أُرْدِيتَ يَاخَيْرَ مَنْ يَنْدُو لَهُ النَّادِى(أ)

يندو يجتـمعون إليه، والنادى المجلس، وقد ندا المجلس بهم يندو [يعنى ياخير من يتجاورون ويجتمعون(ب) إليه، والنادى متحدث القوم وهو الندى والمنتدى أيضا].

٣٧ ـ إِذْ لاَ تَرَى العَيْنُ إِلاَّ كُلَّ سَلْهَبَةٍ

وَسَابِحٍ مِثْلِ سِيدِ الرَّدْهَةِ العَادِى

سلهبة طويلة، وسيد ذئب، والردهة نقرةٌ فى جبل أو صخرة فيها ماء [السلهبة الطويلة من الخيل].

٢٠

٣٨ ـ إِذِ الفَوَارِسُ مِنْ قَيْسٍ بِشِكَّتِهِمْ

حَوْلِى شُهُودٌ ومَاقَوْمِى بِشُهَّادِى(أ)

[الشكة السلاح].

٣٩ ـ إِذْ يَعْتَرِيكَ رِجَالٌ يَسْأَلُون دمى

ولَوْ أَطَعْتَهُمُ أَبْكَيْتَ عُوَّادِى(أ)

وينذرون.

٤٠ ـ فَقَدْ عَصَيْتَهُمُ والحَرْبُ مُقبلَةٌ

لابَلْ قَدَحْتَ زِنَاداً غَيْرَ صَلاَّدِ(أ)

زندٌ صالدٌ وصلْدٌ لايُورى وصلادٌ.

٤١ ـ وَالصَّيدُ آلُ نُفَيْلٍ خَيْرُ قَومِهِمُ

عِنْدَ الشِّتَاءِ إِذَا مَا ضُنَّ بِالزَّادِ

٤٢ ـ المانِعُونَ غَدَاةَ الرَّوْعِ جَارَهُمُ

بِالْمَشْرَفِيَّةِ مِنْ مَاضٍ وَمُنْآدِ

ماضٍ مُستقيمٌ ومُنْآد مُعْوَجٌ [ماض يعنى السيف].

٤٣ ـ أَيَّامَ قَوْمِى مَكَانِى مُنْصِبٌ لَهُمُ

وَلاَ يَظُنُّونَ إِلاَّ أَنَّنِى رَادِى(أ)

(رادٍ) هالك.

٤٤ ـ فَانْتَاشَنِى لَكَ مِنْ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ

حَبْلٌ يُضَمِّنُ إِصْدَارِى وَإِيرَادِى(أ)

٤٥ ـ وَلاكَرَدُّكَ عَنِّى بَعْدَمَا كَرَبَتْ

تُبْدِى الشَّنَاءَةَ أَعْدَائِى وَحُسَّادِى(أ)

أى كربت أعدائى دنت، ويروى تبدى الشماتة.

٤٦ ـ فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى يومٍ جَزَيْتُ بِهِ

وَاللهُ يَجْعَلُ أَقْوَامًا بِمِرْصَادِ(أ)

قال زفر له لا أقدرك الله [قال لما سمع زُفَرُ بهذا البيت قال له لاقدرك الله على ذلك].

٤٧ ـ نَفْسِى فِدَاءُ بَنِى أُمٍّ هُمُ خَلَطُوا

يَوْمَ العَرُوبَةِ أَوْرَاداً بِأَوْرَادِ

أوراد جماعات، ويوم العروبة يوم الجمعة، وقتلوا عميرا يوم الجمعة.

٤٨ ـ بِيضًا صَوَارِمَ كَالشُّهْبَانِ نَعْسِفُهَا

فِى البِيضِ مِنْ مُسْتَقِيمَاتٍ وَمُنْآدِ(أ)

[المنآد المنعطف المعوج].

٤٩ ـ نُبِّئْتُ قَيْسًا عَلَى الحَشَّاكِ قَدْ نَزَلُوا

مِنَّا بِحَىٍّ عَلَى الأَضْيَافِ حُشَّادِ(أ)

الحاشد المُكْرِمُ لضَيْفِه يقال إنه محشد على الضيف إذا اجتهد فى إلطافه [الحشاك (ب) موضع].

٥٠ ـ فِى الْمَجْدِ والشَّرَفِ العَالِى ذَوِى أَمَلٍ

وَفِى الحَيَاةِ وَفِى الأَمْوَالِ زُهَّادِ

٥١ ـ الضَّارِبِينَ عُمَيْراً عَنْ بُيُوتِهِمُ

بِالتَّلِّ يَوْمَ عُمَيْرٌ ظَالِمٌ عَادِى(أ)

٥٢ ـ ثَابَتْ لَهُ عُصَبٌ مِنْ مَالِكٍ رُجُحٌ

عِنْدَ اللِّقَاءِ مَسَارِيعٌ إِلَى النَّادِى(ب)

يريد إلى المنادى، رجح حلماء.

٥٣ ـ لَيْستْ تَجَرَّحُ فُرَّاراً ظُهُورُهُمُ

وَفِى النُّحُورِ كُلُومٌ ذَاتُ أَبْلَادِ(أ)

آثارٌ واحدها بَلَدٌ [جمع بلد وهو الأثر وأبلاد آثار].

٥٤ ـ لاَ يُغْمِدُونَ لَهُمْ سَيْفاً وَقَدْ عَلِمُوا

أَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمُ أَيَّامُ إِغْمَادِ(ب)

يقول سيوفهم الدهر مسلولة.

٥٥ ـ لاَيُبْعِدِ اللهُ قَوْمًا مِنْ عَشِيرَتِنَا

لَمْ يَخْذُلُونَا عَلَى الجُلَّى وَلاَ العَادِى

الجُلَّى الأمر العظيم، والعادى يعدوعليهم يجور [الذى يعدو].

٥٦ ـ مَحْمِيَّةً وَحِفَاظاً إِنَّهَا شِيَمٌ

كَانَتْ لِقَوْمِى عَادَاتٍ مِنَ العَادِ

جمع عادة.

٥٧ ـ لَمْ تَرَ قَوْمًا هُمُ شَرٌّ لإِخْوَتِهِمْ

مِنَّا عَشِيَّةَ يَجْرِى بِالدَّمِ الوَادِى

شر لإخوتهم أى نقاتلهم ويقاتلوننا.

٥٨ ـ حَالَ الحَوادِثُ والأَيَّامُ دُونَهُمُ

وَنَحْنُ مِنْ بَعْدِهِمْ لَسْنَا بِخُلَّادِ(أ)

[أى مات منهم من مات وقتل من قتل].

٥٩ ـ مُسْتَلْبِثِينَ ومَا كَانَتْ أَنَاتُهُمُ

إِلاَّ كَمَا لَبِثَ الضَّاحِي عَنِ الغَادِي(أ)

يقال ضَحى وأَضْحَى بمعنىً يقول لم يكن تأخُّر من تخلف من قومنا الذين لم يُقْتلوا إلا مقدار مَن أضحى بعد مَن غدا فلحقوهم.

٦٠ ـ ودَعْوَةٍ قَدْ سَمِعْنَا لايَقُومُ لَهَا

إِلاَّ الحِفَاظُ وَإِلاَّ المِقْنَبُ الآدِي

قال الآدى الجامع للسلاح.

٦١ ـ حَتَّى إِذَا ذَكَتِ النِّيرانُ بَيْنَهُمُ

لِلْحَرْبِ يُوقَدْنَ لاَ يُوقَدْنَ لِلزَّادِ

[ذكت التهبت].

٦٢ ـ فَاسْتَعْجَلُونَا وَكَانُوا مِنْ صَحَابَتِنَا

كَمَا تَعَجَّلَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ(أ)

استعجلونا أى أعجلونا تقدمونا [الفراط الذين يتقدمون الواردة فيُصلحون.... الأرشية (ب) حتى يأتى أولئك بعدهم].

٦٣ـ نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدُّ بِهَا

مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَّادِ(أ)

٢٤٠

٦٤ ـ أَبْلِغْ رَبِيعَةَ أَعْلاَهَا وَأَسْفَلَهَا

أَنَّا وَقَيْسًا تَوَاعَدْنَا لِمِيعَادِ(أ)

٦٥ ـ فَكَانَ قَوْمِي وَلَمْ تَغْدِرْ لَهُمْ ذِمَمٌ

كَطَالِبِ الوِتْرِ مُسْتَوْفٍ وَمُزْدَادِ(أ)

٦٦ ـ وَلَوْ تَبَيَّنتَ قَوْمِي مَارَأَيْتَهُمُ

فِي طَالِعِينَ مِنَ الثُّرْثَارِ نُدَّادِ(أ)

نُدَّاد مُتَفَرِّقون يقول لم ترهم هاربين مع من هرب [نداد فرار الواحد ناد] .

ـ ٣ـ

وقَالَ (*٣)

١ ـ زُورُوا أُمَيْمَةَ طَالَ ذَا هِجْرَانَا

وَحَقِيقَةٌ هِىَ أَنْ تُزَارَ أَوَانَا(أ)

أراد من هجران فنصب، الأوان الأحيان وهو واحد أى أن تزار كل أوان [ويُرى حقيقةٌ من أن تزار أوانا أراد كلّ أوانٍ].

٢ ـ كَيْفَ المَزَارُ ودُونَهَا مُتَمَنِّعٌ

صَعْبٌ يَرِنُّ حَمَامُهُ إِرْنَانَا

[يرن يصيح].

٣ ـ شَمْسٌ بُيُوتُ بَنِى الحُصَيْنِ تُجِنُّهَا

فَتُضِىءُ دُورُهُمُ لَهَا أَحْيَانَا(ب)

٤ ـ تَضَعُ المَجَاسِدَ عَنْ صَفَائِحِ فِضَّةٍ

بِيضٍ تَرَى صَفَحَاتِهِنَّ حِسَانَا(جـ)

.٢٦.

(صفحاتهن) نواحيهن [المجاسد ثياب مصبغة بالزعفران قال الجساد الزعفران وصفحة كل شىء حافته].

٧ ـ ٥ فَتَرَى لَهَا بَشَراً يَعُودُ خُلُوقُهُ
بَعْدَ الحَمِيمِ خَدَلَّجًا رَيَّانَا(د)

وإثر، يقول كلما عَرِدَت تخلّقت، خدلج عظيم، ريان ممتلئ.

٥ ـ ٦ وتَرَى النَّعِيمَ عَلَى مَفَارِقِ فَاحِمٍ
رَجِلٍ تَعُلُّ مُتُونَهُ الأَدْهَانَا(هـ)

فاحم شعر أسود، تعلّ من العَلَل مرّةً بَعْد مرة، وتغُلّ من الغَلَل يريد أنها تجعل فى أصوله الأدهان يعنى أصول الشعر، ويروى تعُل جذوره أى أصوله، ويُروَى تَعل أصولَه [أى يدهن بالدهن مرة بعد مرة].

٦ ـ ٧ ـ فَكَأَنَّمَا التَفَعَ الضَّجِيعُ بِرَيْطَةٍ
لابَلْ تَزِيدُ وَثَارَةً وَلَيَانَا(أ)

التفع اشتمل، بريطة من لينها كأنها ريطة، وثارة وطاءة.

٨ ـ وكَأَنَّ طَعْمَ مُدَامَةٍ عَانِيَّةٍ
شَمِلَ الرِّيَاقَ وَخَالَطَ الأَسْنَانَا(أ)

مُدامة خمْر يدام شُرْبُها، عانية منسوبة إلى عانة قرية من قرى الجزيرة، ورياق جمع ريقٍ.

٩ ـ أَبَتِ الخُرُوجَ مِنَ العِرَاقِ وَلَيْتَهَا
رَفَعَتْ لَنَا بِقُطَيْقَطِ الأَظْعَانَا(أ)

أى كانت ترتحل فترفع أظعانها فى السير، ويروى بِقُطيقطٍ أظْعانا.

١٠ ـ فَتَحُلُّ حَيْثُ تَقَرُّ أَعْيُنُنَا بِهَا

فَنَرَى أُمَيْمَةَ فَيْنَةً وَتَرَانَا(أ)

فينة حين من الدهر.

١١ ـ رَمَتِ المَقَاتِلَ مِنْ فُؤَادِكَ بَعْدَمَا

كَانَتْ جَنُوبُ تَدِينُكَ الأَدْيَانَا(أ)

أي تفعل بك الأفعال ويقال تستعبدك أي أنها كانت تعذبك، تدنيك تجزيك.

١٢ ـ وَأَرَى الغَوَانِيَ إِنَّمَا هِيَ جِنَّةٌ

شَبَهُ الرِّيَاحِ تَلَوَّنُ الأَلْوَانَا

الغواني النساء والغانية المتزوجة ثم قيل لكل شابة غانية.

١٣ ـ فَإِذَا دَعَوْنَكَ عَمَّهُنَّ فَلاَ تُجِبْ

فَهُنَاكَ لا يَجِدُ الصَّفَاءُ مَكَانَا(أ)

الصفاء المودة.

١٤ ـ نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ حَقَارَةً

وَعَلَى ذَوَاتِ شَبَابِهِنَّ هَوَانَا

١٥ ـ وَإِذَا وَعَدْنَ فَهُنَّ أَكْثَرُ وَاعِدٍ

خُلُفًا وَأَمْلَحُ حَانِثٍ أَيْمَانَا(ب)

[أيمانهن وحياتك وعيشتك وما أشبه ذلك].

١٦ ـ وَإِذَا رَأَيْنَ مِنَ الشَّبَابِ لُدُونَةً

فَعَسَتْ حِبَالُكَ أَنْ تَكُونَ مِتَانَا(أ)

-٢٨-

١٧ ـ بَلْ لَيْتَهَا سُئِلَتْ جَنُوبُ فَلَمْ تَقُلْ
كَـــذِبًا عَلَىَّ وَلَمْ تُعَمِّ بَيَــانَا

١٨ ـ أَخْبَرْتِنِى وَلَقَدْ عَلِمْتِ شَمَائِلِى
أَذْرَ الخَـنَـا وأُكَـــارِمُ الخُـــلاَّنَا(ب)

أى جربتنى.

١٩ ـ وَيَكُونُ فِىَّ عَلَى العَــدُوِّ شَكَاسَـــةٌ
وأَلِينُ حِينَ أَرَى أَخًــا لِىَ لاَ نَـا(جـ)

الشكاسة سوء الخلق [شكاسةٌ سوء خلقٍ].

٢٠ ـ وَرَقِيقَةِ الحَجَرَاتِ بَادِيَةِ القَذَى
كَدَمِ الغَزَالِ صَبَحْـتُـهَا النَّدْمَـانَا(د)

الحجرات النواحى وإذا صبت فى الكأس رقت نواحيها وإذا رقت النواحى رقت هى [ويروى صحبتها النُدمانا، الحجرات النواحى إنما يعنى ها هنا صفاءها].

٢١ ـ وَإِذَا تُعَانِينِى الهُمُومُ قَرَيْتُـهَا
سُـرُحَ اليَـــدَيْنِ تُخَـالِسُ الخَطَرَانَا

وتضيفنى ، تعانينى تأتينى من المعاناة من الأمر، سرح سريعة، تخالس تسرع الخطران(أ) بالذنب.

٢٢ ـ حَرَجًا كَأَنَّ مِنَ الكُحَيْلِ صُبَابَةً
نُضِحَتْ مَغَابِنُهَا بِهَا نَضَحَانَا

الكُحَيْل القطران، والحَرَج والحرْجُوج الضامرة من الإبل، والصبابة بقية الشىء فى أسفل الإناء.

[الحرج الضامرُ والشديدُ أيضا].

٢٣ ـ تَصِلُ المَخِيلَةَ بِالذَّراعَةِ بَعْدَمَا

جَـعَلَ الجَنَادِبُ تَرْكَبُ العِـيدَانَا

المخيلة من الخيلاء، والذراعة سعة الخطو وأراد أنها تفعل ذلك فى شدة الحر إذا قام قائم الظهيرة [الذَّراعَةُ السَّعَةُ فى الشىء يقَالُ إنَّه ذَرِيعٌ بيِّنُ الذَّراعة].

٢٤ ـ وجَرَى السَّرَابُ عَلَى الإِكَامِ كَأَنَّهُ

نَسْجُ الوَلاَئِدِ بَيْنَهَـا الكَتَّـانَا

لأن الثوب ينسج بين اثنتين(أ) أو ثلاث.

٢٥ ـ وكَـأَنَّ نُمْـرُقَـتِى فُـوَيْقَ مُـوَلَّعٍ

يَرْعَى الدَّكَادِكَ مِنْ جنُوبِ قِطَانَا(أ)

يروى ألف الدكادك، وقطانا جبل [النمرقة الوسادة والمولع المخطط وهو الثور قطان موضعٌ].

٢٦ ـ بِعوَازِبِ القَفَرَاتِ بيْنَ شَقِيقَةٍ

وكَـثِـيـبِـهَـا يَتَنَظَّرُ الحَـدَثَانَا

عوازب رياض عزبت عن الناس فلم تُرْعِ، وشقيقة غلظ بين رملتين، وكثيب تل من رمل، ينتظر الحدثان يعنى الثور يخاف القانص [والشقيقة... ويقال هى القطعة من الأرض].

٢٧ ـ لَهِقٌ كَسَتْـهُ مِنَ المُحَـرَّمِ لَيْلَةٌ

هَتَنَتْ عَلَيْـهِ بِدِيمَـةٍ هَتَنَانَا(ب)

(لهق) أبيض، هتلت سالت.

٣٠

٢٨ ـ فَثَنى أَكارِعَهُ وَبَاتَ تَحمُّهُ

رِهَمٌ تُسِيلُ تِلاعَهُ إِمْعَانَا(جـ)

تحمه تغسله، إمعانا سيلانا وأصله الماء المعين الجارى على وجه (د) الأرض [ويروى تسيل ومن قال تسيل فهو للتلاع وتُسيل للرهم].

٢٩ ـ أَرِقًا تُضاحِكُهُ البُرُوقُ بِراجِفٍ

كَسَنَا الحَرِيقِ ولَامعٍ لَمَعَانَا

الثور يلمع بياضه لمعانا، تُضاحكه البروق يضحك بياض لبياض البرق ويلمع بياض للثور، راجف سحاب له صوت.

٣٠ ـ فَغَدَا صَبِيحَةَ صَوْبِهَا مُتَوجِّساً

شَئِزَ القِيامِ يُقَضِّبُ الأَغْصَانَا

مُتَوَجِّسا مُتَحَسِّساً، شئز غير مطمئن، يقضب يقطع الأغصان يريد أن يدخل الكِناس.

٣١ ـ بِحَضِيضِ رَابِيَةٍ يَهُزُّ مُذَلَّقًا

صُلْبًا يَكُونُ لَهُ الطِّلالُ دِهَانَا

[الطلال جمع طل وهو الندى].

٣٢ ـ فَتَرى الحَبَابَ كَأَنَّمَا عَبِثَتْ بِهِ

ثَقَفِيَّتَانِ تُنَظِّمَانِ جُمَانَا(ب)

الحباب الماء الذى يصبح على الزرع والشجر ها هنا، والحباب أصله النُّفَّاخاتُ التى تراها فوق الماء الواحدة حَبابة يقول ترى الحباب كأنّه جمانٌ

■٣١■

يتحدر فى خيط تنظمه ثقفيتان [شبه حباب المطر يقع على الشجر(جـ) بالجمان].

٣٣ ـ فَلَبَيْنَمَا هُوَ غَافِلٌ إذْ رَاعَهُ
لَحِمُونَ سَرَّحَهُمْ بَنُو نَبْهَانَا(د)

لحمون قناص وأراد كلابا أرسلتهم بنونبهان من طىء وهو قوله معهم ضوار

[ويروى بنو نبها نا وهم من طىء وذكوان من ثعلبة بن بُهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان].

٣٤ ـ مَعَهُمْ ضَوارٍ مِنْ سُلُوق كَأَنَّهَا
حُصُنٌ تَجُولُ تُجَرِّرُ الأَرْسَانَا(أ)

يروى مَعَهمّ ضِراءٌ، حصان فرس يتحصن على الإناث [سلوق قرية باليمن قال وسمعت أبا عمرو يقول لم تكن العرب تُعرِّفُ الكلاب بالسلوقية حتى أتيت بها من اليمن].

٣٥ ـ فَطَلَبْنَهُ شَأْوًا تَخَالُ غُبَارَهُ
وَغُبَارُهُنَّ إذَا اجْتَهَدْنَ دُخَانَا(أ)

٣٦ ـ وَهِلاً مَخَافَتَهُنَّ ثُمَّتَ رَدَّهُ
ذُكْرُ القِتَالِ لِحِينِ آخَرَ حَانَا(ب)

(وهلا) فزعا.

٣٧ ـ فَسَمَا وَقَامَ يَذُودُهُنَّ بِمُرْهَفٍ
صُلْبِ القَنَاةِ كَأَنَّ فِيهِ سِنَانَا

فَسما ارتفع، يذودهن يدفعهن، بمرهف قرن مُحدَّد.

٣٩ ـ ٣٨ ـ حَرِجاً يَكُرُّ كُرُورَ صَاحِبِ نَجْدَةٍ

خَزِىَ الحَرائِرَ أَنْ يكُونَ جَبَانَا(أ)

حرجا مضطرا، نجدة شجاعة، خزى استحيا.

٤٠ ـ ٣٩ ـ وَيَكُونُ حَدُّ سِلاحِهِ لأَشَدِّهَا

قَرِمًا وأَكْثَرِهَا لَهُ غِشْيَانَا(أ)

٣٨ ـ ٤٠ ـ فَإِذَا انْتَهَيْنَ مَضَى عَلَى غُلَوائِهِ

وإِذَا لَحِقْنَ بِهِ أَصَبْنَ طِعَانَا(ب)

غلواء كل شىء أوله وزيادته هذا قولٌ، والأجود مضى على حاله التى هو فيه من الذهاب، انتهين كففن عن طلبه، ويروى فإذا خنسن.

٤١ ـ فَحَسَرْنَ غَيْرَ مُخَدَّشَاتٍ أَدِيمِهِ

ونَجَا يَرُوحُ تَرَوُّحًا عَجْلانَا(جـ)

٤٢ ـ أَبَنِى زُهَيْرٍ لامْرِئٍ ذِى بِغْضَةٍ

يَتَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ حِينَ يَرَانَا(أ)

تعجب فقال أبنى زهير، يريد التنفس الصعداء [الغرة الغفلة].

٤٤ ـ ٤٣ ـ وَنَحُلُّ كُلَّ حِمًى نُخَبَّرُ أَنَّهُ

مُنِحَ البُرُوقَ وَلاَ يَحُلُّ حِمَانَا(أ)

٤٥ ـ ٤٤ ـ فَإِذَا تَشَنَّعَتِ الحُرُوبُ فَمَالِكٌ

مِنْهَا المُطَاعِنُ وَالأَشَدُّ سِنَانَا(ب)

تشنعت اشتدت وصارت شُنْعة وقال غيره تشنعت شمرت.

.٣٣.

[قال أبو عمرو وهو مالك.. وقال غيره هو مالك بن عتاب(جـ) بن سعد بن سعد بن زهير بن جُشم وكان رأسَ تغلبَ بعد أبيه].

٤٦ - ٤٥ - وَنُطِيعُ آمِرَنَا وَنَجْعَلُ أَمْرَنَا

لِذَوِى جَـــلادَتِنَا وحُـــزْمٍ قُـــوانَا

٤٣ - ٤٦ - وَحَسِبْتَنَا نَزَعَ الكَتِيبَةِ غُدْوَةً

فَـيُـغَـيِّـفُـونَ وَنُوزِعُ السَّـرَعَـانَا(أ)

حسبتنا علمتنا، نزع نكف وَزع يَزَعُ وَزْعًا، وروى ابن الأعرابى فيُغيِّفون ونُوزع وقال التغييف الردّ والمنْع، ويقال أوزعه إذا كفّه ووزعته أى كَفَفْته ورددته، وقال خالد بن كلثوم يغيفون يرجعون، غيَّف رجع، وقال آخر يغيفون ينهزمون ويسرعون فى الهزيمة، ونوزع إذا بلغوا إلينا كففناهم وقاتلناهم، والسَّرعان أوائل الخيل الذين يبادرون أصحابهم إلى القتال، وقال الأصمعى يعيقون، عيّق مُهره إذا لم يتعاهده [يغيفون يجبنون].

٤٧ - وَكَلَتْ فَقُلْتُ لَهَا النَّجَاءَ تَنَاوَلِى

بِى حَـــاجَــتِى وَتَنَكَّبِى هَمْــدَانَا(أ)

وكلت تأخرت وأبطأت وَكَلَ يَكِلُ وكالا [وكلت فترت يعنى ناقته].

٤٨ - وَعَلَيْكِ أَسْمَاءَ بْنَ خَارِجَةَ الَّذِى

عَلِمَ الفِـعَــالَ وَأَدَّبَ الفِـتْـيَــانَا(أ)

٤٩ - فَـسَـتَـعْلَمِـينَ أَصَـادِقٌ رُوَّادُهُ

فِـيــه وَأَىُّ فَـتَـى فَـتَـى غَطَفَــانَا(أ)

يُرْوَى رُوَّادُهُ وَزُوَّارُهُ [رواه الذين يأتونه فينظرون ما عنده واحدهم رائدٌ].

٥٠ ـ قَرْمٌ إذَا ابْتَدَر الرِّجَالُ عَظِيمَةً

سَبَقَتْ إلَيْه يَمِينُهُ الأيْمَانَا(أ)

[إليه إلى الأمر، والقرم المكرَم من الإبل وهو السَّيدُ من القوم].

٥١ ـ فَاخْتَرْتُ أَسْمَاءَ الجوَاد فَلَمْ تَخبْ

يَدُ رَاغِبٍ عَلقَتْ أَبَا حَسَّانَا(أ)

هو عمران؟

٥٣ ـ ٥٢ ـ إنَّ الأُبُوَّةَ والِدانِ تَرَاهُمَا

مُتَقَابِلَيْن شَآمِيًا ويَمَانَا(أ) .

يريد بالشآمى الشُّؤْم وباليمانى اليُمْن وهذا هو المعنى، متقابلين مُتحاذِيَيْن يقابل بعضها بعضا بالخلاف فأحدهما يكون شُوما على ولده والآخر يُمْنا، وروى أبو نصر قساميا وهجانا قَساميا جميلاً وهجانا كريما، وقال ابن الأعرابى شآميا من الشؤم ويمانيا من اليُمن

[الأبوة الآباءُ قَساميا القسامةُ الحُسن يقال إنه لقسم الوجهِ والهجان الكريمُ].

٥٤ ـ ٥٣ ـ فأَبٌ يكُونُ إلَى القِيَامَةِ مَجْدُهُ

وأَبٌ يَكُونُ عَلَى بَنِيهِ ضَمَانَا

[كأنه أراد إن الأبوة والدان هكذا ثم قال فمن الأُبوة كذا ومنها كذا].

٥٥ ـ ٥٤ ـ فترَى الرِّفَاقَ يوجِّهُون رِكَابَهُمْ

نَحْوَ العَرِيضِ مَنَادِحًا وخِوَانَا(ب)

المنَادِح الأَفْنية والمُنْتَدح المتَّسع.

٥٦ ـ ٥٥ ـ يَلِجُونَ مِنْ أَبْوابِ دارةِ ماجِدٍ

لَيْستْ تَهِرُّ كِلابُهُ الضِّيفانا

٥٢ ـ ٥٦ ـ نِعْمَ الفتى عملتْ إِليْه مطيّتى

لا نشْتكِي جَهْدَ السَّفارِ كِلانا(جـ)

هو وناقته [قوله كلانا هو والمطية].

٥٧ ـ وتَراهُ يَفْخَرُ أَن تَحُلَّ بيُوتُهُ

بِمَحلَّةِ الزَّمِرِ القَصِيرِ عِنانَا

أى قصير الشأن ذليل ويُرْوى يكره أن تُحل، قال خالد يفرح أن تحل يقول يفرح حتى يفضل عليه، وقال ابن الأعرابى يفخر عن ذاك ويرفع عنه وقال غيرهما أراد ألا تحل ويقال إنّه لزمِرُ المُروءة قليلُ الخير [يفخر يتعظم بذلك].

٥٨ ـ غطفانَ سيِّدهُمْ أَبوكَ وخيْرهُمْ

ولَدُوكَ حينَ تَذكَّروا الإِحْسانَا(أ)

ابن الأعرابى تذاكروا فيما بينهم.

ـ ٤ ـ

وقَالَ القُطَامِى(**٤)

١ ـ تَرَحَّلَ جِـيـرَانِى بِقَلْبِى إِنَّنِى
أُكَلِّفُ قَلْبِى كُلَّ جَـارٍ أُجَـاوِرُهْ (أ)

يقول أشغله به وأشتاق إليه .

٢ ـ وأَرَّقَـنِـى أَلاَّ يَـزَالُ يَـرُوقُـنِـى
غَزَالُ أُنَاسٍ قَاصِرُ الطَّرْفِ فَاتِرُهْ (ب)

٣ ـ لَهُ مُـسْـتَظَلٌّ بارِدٌ فِى مُـخَـدَّرٍ
كَنِينٍ إِذَا شَعْبَانُ أَحْمَتْ هَوَاجِرُهْ (جـ)

مستظل هودج، خُدِّر عليه خِدْرٌ، أحمتْ التهبتْ .

٤ ـ بِعَـيْنَيْكَ تَنْظَارٌ إِلى كُلِّ هَوْدَجٍ
وَكُلِّ بَشِـيرِ الوَجْـهِ حُـرٍّ مَـسَافِـرُه

بشيرٌ حَسَن، مسافره ما أسفر من نِقابه [حر كريم ، مسافره وجهه] .

٥ ـ تَرَاهُ ومَـا تَسْطِيـعُـهُ غَـيْـرَ أَنَّهُ

يَكُونُ علَى ذِى الحِلْمِ داءً يُخَـامِـرُهْ

٦ ـ إذَا تَاقَ قَلْبِى أَوْ تَطَرَّبَهُ الهَـوَى

فَلَيْستَ لَهُ بُقْيَا وَلاَ الحِلْمُ زَاجِرُهْ (د)

٧ ـ عَصَى كُلَّ نَاهٍ واسْتَبَدَّ بِأَمْرِهِ

فَـمَـا هُوَ إلاَّ كَـالعَـشِـيـرِ تُؤَامِـرُهْ

يروى تُعاشِرُه، استبد تفرد لا يشاور أحدا، يقول هو كصاحب لك تخاف خلافه فأنت تؤامره فيما تريده، والعشير الصاحب الذى تعاشره.

٨ ـ وكَأْسٍ تَمَشَّى فِى العِظَامِ سَبِيئَةٍ

مِنَ الرَّاحِ تَعْلُو المَاءَ حِينَ تُكَابِرُهْ (هـ)

تعلو الماء يغلب لونها لونه، وقال معناه إذا كابرت الماءَ حين تُخرج به كانت هى أعلا منه وأقوى [سبيئة مشتراه يقال سبأت الخمر إذا اشتراها].

٩ ـ كُمَيْتٍ إذا مَا شَجَّهَا المَاءُ صَرَّحَتْ

ذَخِـيـرَةِ حَـانِيٍّ عَلَيْـهَـا تَنَاذُرُهْ (أ)

كُمَيْتٍ فى لونها، شجها مازجها، صرحت خلصت، حانى صاحب حانة، تَنَاذُرُه قد نذر عليها أن لا يبيعها إلا ممن يحكمه [إذا ما شجها إذا ما علاها بالماء ومزجها، تناذره يقول قد نذر عليها لا يبيعها إلا بثمن كثير].

١٠ ـ فَجَـاءَ بِهَـا بَعْدَ الإِبَاءِ وبَعْـدَمَـا

بَذَلْنَا لَهُ فِى السَّوْمِ مَا اسْتَامَ تَاجِرُهْ (ب)

[تاجره الهاء راجعة إلى الخمر وإنما ذكرها أراد الراح].

١١ ـ شَرِبْتُ وفِتْيانٌ كَجِنَّةِ عَبْقَرٍ
كِرَامٌ إذَا ما الأَمْرُ أَعْيَتْ مرائِرُهْ (جـ)

المريرة الحبل المفتول يقول أَسبابه مُحْكَمَةٌ [يقال هم كجنة عبقر إذا وُصِفُوا بالشدة].

١٢ ـ فَقُلْتُ اشْرَبُوا حيَّاكُمُ اللهُ واسْبِقُوا
عَــوَا ذِلَنَا مِنْهَــا بِرِيٍّ نُبَــاكِــرُهْ

١٣ ـ فلمَّا انْتَشَيْنَا وَاسْتَدَارَ بِهامِنَا
وَقُلْنَا اكْتَفَيْنَا بَعْدَ غَفْقٍ تُظَاهِرُهْ (د)

الغَفْق كثرة الشرب يقال فلان يَتَغَفَّقُ، نظاهره نداومه مرّة بعد مرّة [ويروى تنشينا وقوله بعد عفق وهو شرب بعد شرب].

١٤ ـ وَرُحْنَــا أُصَيْلالاً نَجُــرُّ بُرُودَنَا
بِأَنْعَمِ عَيْشٍ لَوْ تَطَاوَلَ آخِرُهْ (هـ)

[أصيلالا تصغير (و) أصيل وهو العشى].

١٥ ـ وَشَدَّ مَطَايَانَا الرِّحَالُ كَأَنَّهَا
قَطاً قَلَّ عَنْهُ المَاءُ صُفْرٌ مَنَاقِرُهْ (ز)

رواية أبى عبدالله وَشُدَّ المطايا بالرحال، وهذه الرواية الصحيحة [ويروى غرائره يريدُ حَواصِلَه الواحدة غرارة].

١٦ ـ تُعَارِضُ بَرَّاقَ المُتُونِ مُوقَّعًا
رَضِيضَ الحَصَى لَيْسَتْ تَنَامُ سَوَافِرُهْ (ح)

براق المتون يعنى طريقًا يلوح بياضاً، و موقعاً موطوءاً قد رض حصاه من كثرة ما وطئ ومرّ عليه، سوافره سُفَّاره من سلكه من الناس لم ينم فيه من

بعده [ويُروى ليست تنام، يُعارض يعنى الإبل براق المتون يعنى طريقاً مُوقعًا فيه آثار الناس] .

١٧ ـ نَعُوجُ البُرَى وَالجُدْلَ مِنْ كُلِّ رَسْلَةٍ

إِذَا شَمَّرَ الحَادِى اسْتُحنَّتْ تُبَادِرُهْ (ط)

نعوج نعطف، والجدل جمع جَديل وهو الزمام، شمّر تشمر، استحنت من الحنين ويروى استُجِنت أى جنّت، تبادره تُسرِع إلى الحادى [تعوج تعطف والبُرى الحلق] .

١٨ـ طَوَاهَا السُّرَى فَالنِّسْعُ يَجْرِى كَأَنَّهُ

وِشَاحُ فَتَاةٍ دَقَّ عَنْهُ مَخَاصِرُهْ

(مخاصره) خصره [طواها السرى أضمرها سَيْر اللّيل، قال أبو عمرو فالنسع يجرى أى يضطرب من ضُمر البُطون دق عنه الوشاحُ، والمخاصر الخصر] .

١٩ ـ تَزَيَّدُ فى فَضْلِ الزِّمَامِ بِصَدْرِهَا

إِذَا اليَوْم عَاذَتْ بِالظِّلَالِ يَعَافِرُهْ (أ)

يريد تَتزيد بصدرها فى السير إذا عاذت (ب) اليعافير وهى الظِّباء بالظلال من شدة الحرّ [تزيد فى سيرها واليعافير الظباء عاذت بالظلال من شدة الحر، والتزيدُ ضرب من السير] .

٢٠ ـ فَظَلَّ يُبَارِيهَا سَمَامٌ كَأَنَّهَا

عَوَالِى عَرِيشٍ قَدْ حَنَتْهُ أَوَاسِرُهْ (جـ)

أواسره نساءٌ يأسرنه ويُروى عوالى لعَرْش [فظل يُبارى هذه الإبل يعارضها سَمام يعنى إبلا شبهها بطير يقال له السَّمام، العوالى العُمد، والعروش الهودج، وأواسرُه اللائى توثقه وتشدُّه يقال أسره بالهمزة] .

٤٠

٢١ ـ وَكُلُّ صُهَابِيٍّ كَأَنَّ عِمَامَةً

عَلَى الرَّأْسِ مِمَّا قَدْ كَسَتْهُ مَشَافِرُهْ

قال الأصمعيّ صهابٌ فَحْلٌ نسبت إليه كرامُ الإبل، وإذا قيل صُهابيةُ العثنونِ فإنمايعنون اللون، وعنى بالعمامة لغامه

٢٢ ـ فَإِنِّي نَفِيسٌ فِي الشَّبَابِ وَرِحْلَةِ الـ

مَطِيِّ وَبَعْضُ العَيْشِ تُعْدِي مَيَاسِرُهْ (د)

إني أنافس فيه وأُحبّه، أي يعين يساره على ما يشتهي، نفيس أي مبالغ في ذاك، تعدي تعين على مايريد الرجل إذا هم بأمر كان له مال يقوى به على ذلك، ومياسر جمع ميسره، يقول اليسار يعين على العيش [قوله فإني نفيس أي راغب في الشباب، وقوله تعدي أي تُعين مَيَاسِرُه ومنه يقال أعدني على فلان أي أقوني عليه وأعنّي].

٢٣ ـ وَفِي صَالِحَاتِ الخَيْلِ إِنَّ ظُهُورَهَا

مَـرَاكِـبُنَا فِـي كُلِّ يَوْمٍ نُغَـاوِرُهْ

٢٤ ـ تَكَثَّـرَ بَادِينَا عَلَى كُلِّ مَنْ بَدَا

قَـدِيماً وَأَغْنَى مِثْلَ ذَلِكَ حَاضِرُهْ

أراد ويكثُر حاضرُنا، أغنى من الغناء أي أغنى في الكثرة كما أغنى البادي في العدد [يقالُ بادينا كثيرٌ وحاضرنا كبير].

٢٥ ـ فَلَيْسَ مِنَ الأَحْيَاءِ إِلاَّ مُسَوَّدٌ

رَبِيعَـةَ أَعْـرَابِيُّـهُ وَمُـهَـاجِـرُهْ

٢٦ ـ وَنَحْنُ أُنَاسٌ لاتَرَى النَّاسَ أَقْرَمُوا

إِلَى قَرْمِنَا قَرْمًا يَجِيءُ يُخَاطِرُهْ (هـ)

ـ٤١ـ

أى أعلموا المقرم المُعلم [أقرموا اتخذوا قرما أى فحلاً].

٢٧ ـ إِذَا مَـاسَمَـا بذَّ القُـرُومَ جِـرَانُهُ
وَمَـهْـمَا تُصِبْ أَنْيَـابُهُ فَـهْوَ عَـاقِرُهْ

٢٨ ـ إِذَا الحَرْبُ شَالَتْ للتَّلَقُّحِ لَمْ تَجِدْ
لَنَا جَـانِبًـا إِلاَّ بِهِ مَنْ يُصَـابِرُهْ (و)

[يقول إلا من] يُصابر الجانب الذى فيه الحرب.

٢٩ ـ نُطِيعُ ونَعْصِى كُلَّ ذَاكَ أَمِيْرَنَا
وَمَـاكُلُّ حِينٍ لاَ نَزَالُ نُشَـاوِرُهْ

يقول ليس فى كل حين نشاوره ربما تركناه وركبنا ما نريد

٣٠ ـ ومَا يَعْلَمُ الغَيْبَ امْرُؤٌ قَبْلَ أَنْ يَرَى
وَلاَ الأَمْرَ حـتَّى يَسْتَبِين دَوَابِرُهْ (أ)

وأواخره.

.٤٢.

ـ ٥ ـ(*٥)

١ ـ أَلاَ أَبْلِغْ سَــرَاةَ بَنى زُهَيْــرٍ
وَحَــيَّــا لِلأَخَــاطِلِ وَالخَــزَازِ

قال أبو عبدالله: يعنى الأخطل وقومه.

٢ ـ فَـقَـدْ أَبْلَيْـتُمُ خَـوراً وَجُـبْنًا
غَــدَاةَ الرَّوْعِ إِذْ عَــزَّ المُنَازِى

عز قهر يقول الذى وا.. بكم قهركم وأبليتم ضعفا فلم تصبروا.

٣ ـ كَـفَـيْنَا الحَىَّ مِنْ جُـشَمَ بنِ بَكْرٍ
سُلَيْـمًـا وَالفَـوَارِسَ مِنْ مُـعَـازِ

جد زفر.

٤ ـ لَعَـمْـرُ أَبِيكَ مَـا جُـشَمُ بنُ بَكْرٍ
بِعِـزٍّ فِى الحَـوَادِثِ لاعْـتِـزَازِ

٥ ـ صَبَـرْنَا الخَيْلَ إِذْ جُشَمُ بنُ بَكْرٍ
تَيَـسَّـرُ فِى الحَـوَادِثِ لا نْحِـيَـازِ

٤٣٠

يروى ضربنا الخيل إذ جشم بن بكر تيسّر وهذه الرواية أصح، يقول لا نأخذ على اليسار لنهرب (أ).

٦ ـ وَمَــا دَهْرِى بِمِنّينَى وَلَكِنْ
جَــزَتْكُمْ يَابَنِى جُــشَمَ الجَــوَازِى

منينى منّ أى لا أمنّ عليكم.

٧ ـ تَصَلّيْنَـا بِهِمْ وَسَــعَى سِــوَانَا
إلَى النَّعَمِ المُسَــيَّبِ والمِعَــازِ

٨ ـ سَلُوا عَنَّا الفَــوَارِسَ مِنْ سُلَيْمٍ
وأَهْلَ الطّلْحِ مِنْ خَـيْلِ الحِجَـازِ

٩ ـ أَكُنَّـا الأَيْمَنِينَ إِذَا اتَّجَــهْنَـا
بِأَيْدِينَـا الصَّــوَارِمُ لِلنِّجَــازِ

للنجاز للقتال ناجزه قاتله، وإذا اجتلدوا فقد تناجزوا.

.٤٤.

ـ ٦ ـ

وقَالَ القُطَامِى(*٦)

١ ـ دَعَانِى الهَوَى إِذْ شَرَّقَ الحَىُّ غُدْوَةً

وَمَاكُنْتُ تَدْعُونِى الخُطُوبُ الضَّعَائِفُ

أخذوا ناحية المشرق أى لم يكن يستخفنى الضعيف من الأمور والهوى.

٢ ـ وَهَيَّجَ أَحْزَانِى حُمُولٌ تَرَفَّعَتْ

عَلَيْهِنَّ غِزْلَانٌ عَلَيْهَا الزَّخَارِفُ

الزخارف النقش من الوشى وغيره [وقال الزخرف النقش من الوشى والرَّقم وغيره وجمعه زخارفُ].

٣ ـ وَبِالأَمْسِ قَدْ كَانَتْ بَدَتْ لِى طَيْرُهُمْ

جَرَتْ بَارِحًا لَوْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ عَائِفُ (أ)

٤ ـ فَيَا قَاتَلَ اللَّهُ الغَوَانِىَ إِنَّهَا

قَرِيبٌ بَعِيدٌ وَصْلُهُنَّ تَنَائِفُ (ب)

٤٥

تنائف جمع تنوفةٍ أراد السعة والبعد، قال ابن الأعرابى وصلهن تنائف بعيد كتباعد التنوفة يقول لست من الغوانى على أمر مستقيم.

٥ ـ تَرَاهُنَّ يَحْتَبِلْنَ الأَقَاوِمَ بِالضُّحَى
وَهُنَّ عَلَى مَا يَحْتَبِلْنَ سَخَائِفُ (جـ)

يحتبلن يصيرنه فى حباله يصدنه.

٦ ـ بَكَرْنَ فَمَا يُنْجِزْنَ عَهْداً عَهِدْنَهُ
إِلَى النَّخْلِ تَحْدُو ظُعْنَهُنَّ المَنَاصِفُ (د)

٧ ـ وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ مَا دَنَوْا لِى نِعْمَةٌ
وَقُرَّةُ عَيْنٍ دَمْعُهَا اليَوْمَ ذَارِفُ (هـ)

٨ ـ وَمِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا حَدِيثٌ وَنِعْمَةٌ
وَلَهْوٌ وَحَاجَاتٌ تُتَلَّى طَرَائِفُ

تُتلى تُقضّى أواخرها، أبو عبدالله تتلى تُتبع، طرائف مُستطرفة [تتلى تقضى ويقال تلّيت حاجتى أى قضيتها].

٩ ـ فَشَتَّ النَّوَى مِنْ بَعْدِ طُولِ إِقَامَةٍ
وَمَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ يُسَاعِفُ (و)

١٠ ـ فَإِنْ أُمْسِ قَدْ بُدِّلْتُ شَيْبًا وَحِكْمَةً
فَمَشْيِى مِنْ بَعْدِ التَّبَخْتُرِ دَالِفُ (ز)

١١ ـ فَكَمْ مِنْ حَبِيبٍ بَانَ أَهْوَى جِمَاعَهُ
وَخَطْبِ خُطُوبٍ كَلَّفَتْنِى التَّكَالِفُ (ح)

١٢ ـ وَرَاحِ سُلَافٍ شَعْشَعَ التَّجْرُ مَزْجَهَا
لِنَحْمَى وَمَا فِينَا عَنِ الشُّرْبِ صَادِفُ (أ)

٤٦

راحٌ خمرٌ يرتاح شاربُها يخف للمعروف، والسلاف ماسال من غير عَصْرٍ، شَعْشَعٍ رقٌّ، وصادف مائل، لنحمى لنسكر [لنحمى لنسكر، وصادفٌ منصرف].

١٣ ـ فَصَالُوا وَصُلْنَا واتَّقَوْنَا بِمَاكِرٍ

لِيُعْلَمَ هَلْ مِنَّا عَنِ البَيْعِ كَانِفُ

صالوا اجترأوا على السوم واجترأنا، واتقونا بماكر جعلوا بيننا وبينهم رجلا يمكر (أ)، كانف عادل، ماكر يماكرك فى البيع ويخادعك [ويروى ليعلم أنا ليس للبيع كانف، صالوا فى سومهم وصلنا فى ...] (ب)

١٤ ـ فَحَطُّوا إِلَيْنَا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّهَا

مِنَ السِّنْدِ مَسْلُوبُ القَمِيصِ وَرَاعِفُ (جـ)

شاصيات زقاق وإذا انتصب فقد شصا [حطوا أنزلوا يقال قد حط القومُ أثقالهم إذا أنزلوا، شاصيات أزقاقٌ، رواعف حين يخرج الشراب منها] (د)

١٥ ـ فَلَمَّا انْتَشَيْنَا عَدَّنِى مِنْ صَدِيقِهِ

وَعَادَ الصَّبُوحُ والشِّوَاءُ السَّدَائِفُ

السنام، عدنى الخمار صديقا، انتشينا سكرنا، وعاد أى أعاد علينا الخمار الصبوح [قال السدائف قِطَعُ السنام].

١٦ ـ أَذَلِكَ أَمْ بَيْضَاءُ مَا لإِنْسٍ حُرَّةٌ

أَتَاهَا بِوُدِّ الصَّدْرِ مِنِّى الخَطَاطِفُ (هـ)

يقول اختطفت الخواطف ودى إليها علقتها العوالق [الخطاطف ما يخطر من القلب].

١٧ ـ لَهَا رَوْضَةٌ فِى القَلْبِ لَمْ تَرْعَ مِثْلَهَا

فَرُوكٌ وَلاَ المُسْتَعْبِرَاتُ الصَّلاَئِفُ

٤٧٠

يقول لها محل من قلبى لم يملكه أحد، والفروك التى يبغضها الرجالُ، والمستعبرات جمع مستعبرة وهى التى تبكى لأن زوجها لا يحبها، والصلفة التى لا تحظى عند زوجها [الفروك التى يبغضها الرجال، والمستعبرات الباكيات، والصلائف اللاتى لا يُحبهن أزواجُهن].

١٨ ـ أرَى الحقَّ لا يَعْيَا علَىَّ سَبِيلُهُ

إذَا ضَافَنِى لَيْلاً مَعَ القُرِّ ضَائِفُ

[يقول أرى الحق لا يُعيينى سبيله أى طريقه].

١٩ ـ إذَا كَبَّدَ النَّجْمُ السَّمَاءَ بِشَتْوَةٍ

عَلَى حِينَ هَرَّ الكَلْبُ وَالثَّلجُ خَاشِفُ

(خاشف) جامد، كبد ارتفع فى كبد السماء [النجم الثريا، وخاشف جامدٌ يقال خَشَفَ الشيء يخشف إذا جمد ويبس].

٢٠ ـ رَبِيعَةُ آبَائِى الأُلَى اقْتَسَمُوا العُلاَ

إذَا عُدَّ بَاقٍ مِنْ زَمَانٍ وَسَالِفُ

٢١ ـ وتَغْلِبُ بَحْرِى طَمَّ سَيْلاً بِأَبْحُرٍ

فَلَمْ يَسْتَطِعْ تَيَّارهُنَّ المَجَاذِفُ

٢٢ ـ وَبَكْرٌ وَعَبْدُ القَيسِ إِخْوَتُنَا مَعًا

كَفَتْنَا لُكَيْزٌ مِنْهُمُ والحَنَائِفُ (أ)

(الحنائف) خندف وعجل [عبدالقيس بن أفصى بن دُعْمىَ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ولكيز من أفصى عبد القيس].

٢٣ ـ وَعَيْلاَنُ مِنَّا كُلَّ يَوْمِ مُلِمَّةٍ

وَنَحْلُبُ غَزْرًا يَوْمَ تُدْعَى الخَنَادِفُ (أ)

نحلب نجتمع حلَب القومُ إذا اجتمعوا [قال أبو عمروٍ إنما ذكر عيلان لأنه تنزر فصير أولاد نزارٍ منه].

٢٤ ومَنْ خِنْدِفَ الدَّاعِي الرَّسُولُ إِلَى الهُدَى
وَمِنْهَا الإِمَامُ والنُّجُومُ العَوَاكِفُ (ب)

التي لاتزول [العواكف ها هنا المُجتمعة].

٢٥ ـ أَخُوكَ الَّذِي لاَ تَمْلِكُ الحِسَّ نَفْسُهُ
وَتَرْفَضُّ عِنْدَ المُحْفِظَاتِ الكَتَائِفُ

يقال إني لأحسُّ لك أيْ أرقّ قال ابن الأعرابي: الحس النصر قال الكميت: هَلْ من بكَى الدار راج أنْ تحس له (أ) ويقال هو الرقة يقول إذا نزل بك أمرٌ يحفظ أي يغضب لم يملك نفسه أو ينصرك ولم يلتفت إلى الكتيفة وهي الحقد والعداوة، وترفض تذهب الأحقاد [ويروى يوم المحفظات يقول أخوك الذي إذا رآك في أمر كريهةٍ رق لك، يقال إنه يحس له إذا أشفق عليه، ويرفض يذهب والمحفظات.. والكتائف الضغينة والموجدة، والكتائف الأحقاد والواحدة كتيفة].

٢٦ ـ فَنَحْنُ الزِّمَامُ القَائِدُ المُهْتَدَى به
وَمَنْ غَيْرُنَا الْمَوْلَى التَّبِيعُ المُحَالِفُ

[التبيع للتابع الذي يتبعك، وقال الطرماح:
غَدَا وغَدَتْ غِزلانهم وكأنها
ضوامنُ دَيْنٍ لذهن تبيع
تبيع غريم وأنشد: كما لاذ الغريم من التبيع] (أ).

٢٧ ـ إِذَا اصْطَكَّ رأسانا احْتَلَلْنَا ببَاذخٍ
بِرُكْنَيْه تَعْتَادُ المَوَالِي الزَّعَانِفُ (ب)

يروى تعتاد التوالي تعتاد تعود، والزعانف اتباع كاتباع الأديم، زعانفه أطرافه التي تسقط [رأسانا جماعتنا وبباذخ بمشرف تعتاد التوالي التباع والزعانف ها هنا الا.. يقال زعنفة من الناس أي قليل].

-٤٩-

٢٨ ـ وَنَحْنُ تَرُودُ الخَيْلُ وسْطَ بُيُوتِنَا

وَيُغْبَقْنَ مَحْضًا وَهْىَ مَحْلٌ مَسَايِفُ (أ)

مسايف مهالك أبو عبدالله مسايف مجدبة وأرض مسيفة مجدبة مسانف وأنشد: جراد يبارى وجهة الريح مسنفُ [قال أبو عمرو يقال أرض مسنفة أى مجدبة وأنشد:

وَجَمْعُ بنى القين بن جسرٍ كأنَّهُمْ

جَرَادٌ تُبَارِى وجهةَ الريح مُسنفُ] (ب)

٥٠

ـ ٧ ـ

وقَالَ(٧*)

١ ـ أتَانِى مِنَ الأَزْدِ النَّذِيرَةُ بَعْدَمَا
تَنَاشَدَ قَوْلِى بِالعِرَاقِ المَجَالِسُ (أ)

٢ ـ فَقَالُوا عَلَيْكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَعُذْ بِهِ
أَبَى اللَّهُ أَنْ أَخْزَى وَعِزٌّ خُنَابِسُ

أخزى أستجير به فأخزى، وخنابس عظيم، أخزى يصيبنى مايخزينى [يريد عبدالله بن الزبير عليك به وخُنابس شديدٌ].

٣ ـ فَإِنِّى امْرُؤٌ فِى العُودِ مِنِّى صَلاَبَةٌ
وَفِى جَبَلَىْ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ حَابِسُ (أ)

٤ ـ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ المُهَلَّبَ فَارِسًا
وَلَكِنَّ أَمْثَالَ الهُذَيْلِ الفَوَارِسُ

الهذيل بن زفر بن الحارث [المهلب بن أبى صُفرة والهُذيل من بنى تغلب]. (أ)

٥١٠

٥ ـ أَخُـو الـحَـرْبِ أَمَّـا صَـادِراً فَـوَسِـيـقُـهُ
جَـمِـيـلٌ وَأَمَّـا وَارِداً فَـمُـغَـامِسُ (ب)

فوسيقه جميل يقول إذا صدر عن الحرب فلا يطرد إبلا ولكنه يأسر أسراء، والوجه الآخر إذا طرد طريدة لم يسرع بها ولكنه يبطئ لعزه وشجاعته لا يخاف أحدا، مغامس يغامس يدخل فى الحرب، وقال غيرهما وسيقه جميل أى طريدته الرجال يأسرهم ولا يأسر الإبل وهو القول الأول [وسيقه مضيه].

٦ ـ يَقُـودُ الخَنَاذِيذَ الجِـيَـادَ عَلَى الوَجَى
تُوَاعِسُ فِى ظَلْمَـائِهَـا مَـاتُوَاعِسُ (جـ)

المُواعسة المواطأة للرمل [الخناذيذ من الخيل المشرفات (د) الطوال، تواعس تطأ والمواعسة المُوَاطأة].

٧ ـ تَعَـادَى المَرَاخِى ضُـمَّـراً فى جُنُوبِهَـا
وَهُـنَّ مِـنَ الـشَّـطِّـىِّ عَـارٍ وَلابِـسُ

بعضها مُجَلّلة وبعضها غير مجلّلة، المراخى ترخى من عدوها، والشطى ضرب من الثياب يقال له الشطية [تعادى من العدو، ومراخى الخيل التى تجرى جريا سهلا، وهن من الشطى أراد من الغبار فذهب إلى الثياب الشطوية فضربه مثلا كأنها لبثت تلك الثياب، شطا قرية من نواحى مصر تنسب إليها الثياب الشطوية].

٨ ـ عَلَى كُلِّ مَـحْـبُـوكِ الـسَّـرَاةِ مُـقَلَّصٍ
تَـخَـدَّدَ عَـنْـهُ لَـحْـمُـهُ المُتَكَاوِسُ (أ)

[محبوك السراة مدمج الخلق يخبب عنه، متكاوس متراكب].

٩ ـ يُطَالِبْنَ دَيْناً فِى قُـضَـاعَـةَ لَمْ يَكُنْ
لِيَـمْـعَكَهُ الأَلْوَى وَلاَ المُتَـشَـاوِسُ (ب)

٥٢.

الألوى المُطول، والمتشاوس مِنَ الأَشْوَس وهو الذى ينظر بمؤخر عينه من الكِبْر (جـ)

[ويروى ولا المتشاكِس ليمعكه أى ليمطله، والأَلوى العسرُ الشديدُ الخصومة، والمتكاوس الكثير الغدر، والمتشاكس العَسِرُ] . (د)

١٠ ـ تَرَكْنَ عُبَيْدَ اللَّهِ يَوْمَ لِقَينَهُ
وفِى النَّفْسِ مِنْ أَرْمَاحِ تَغْلِبَ هَاجِسُ

قال أبو عبدالله فى أنفس أصحاب المقتول ظنوا بتغلب أنهم أثآرهم، أى اختلفوا فى قتلهم وذلك أن تغلب ادعت قتل عبيدالله بن عمر (هـ) قتله محرز ابن الصحصح الحنفى يوم صفين [عبيدالله بن عمر بن الخطاب قتله محرز الحنفى يوم صفين ، وقوله هاجس أى وسواس وأحاديث فى الصدر] .

ـ ٨ ـ

وقَالَ(*٨)

١ ـ قَدْ صَحَبَتْ قُبَاقِبًا صَبَاحَا

٢ ـ مَهْرِيَّةٌ قَدْ غَلَبَتْ مِراحَا (أ)

أى الإبل، موضع

٣ ـ تَحْمِلُ مِنْ قَيْسٍ فَتَىً وَضَّاحَا

٤ ـ سَمْحَ اليَدَيْنِ بِالنَّدَى نَفَّاحَا

٥ ـ كَأَنَّ فى المَوْكِبِ حِينَ لاَحَا

٦ ـ بَدْراً يَزِيدُ النَّظَرَ انْفِسَاحَا

انفساح سعة لشدة ضوئه

٧ ـ أَفْلَحَ سَاقٍ بِيَدَيْكَ امْتَاحَا

٨ ـ وَقَرَّ عَيْنًا وَرَجَا الرَّبَاحَا

أى من امتاح من يدك فقد أفلح .

ـ٥٤ـ

٩ ـ أَلاَ تَرَى مَا غَــشِيَ الأَرْكَــاحَـــا

١٠ ـ وَغَــشِــيَ الخَــابُورَ وَالأَمْــلاَحَـــا

١١ ـ يُصَــفِّــقُــونَ بِالأَكُفِّ الرَّاحَـــا

١٢ ـ لَمْ يَدعِ الثَّلْجُ بِهَــا وَجَــاحَـــا

من الأسف والحزن ممّا أصابهم من القَحْط

يقال ما بينى وبينه وجاح يعنى سترة أى لم يدع سترةً إلاّ هتكها

١٣ ـ بِــاللّهِ تَرْجُــو أَوْبِكَ النَّجَــاحَـــا

ـ ٩ ـ

وقَال(*٩٠)

١ ـ يَازُفَــرُ بنَ الحَــارِثِ بْنِ الأَكْــرَمِ

٢ ـ قَـدْ كُنْتَ فى الحَـرْبِ كَـرِيمَ المُقْـدَمِ

٣ ـ إِذْ أَحْـجَمَ القَــوْمُ وَلَمَّــا تُحْـجِمِ

٤ ـ إنَّكَ وَابْنَيْكَ حَـفِظْتُمْ مَـحْـرَمِى (أ)

٥ ـ قَــدْ حَــقَنَ اللَّهُ بِكَفَّــيْكَ دَمِى

٦ ـ مِنْ بَعْـدِ مَـا ذَبَّ لِسَـانِى وَفَـمِى (أ)

ويُروى: أنت وأبناؤك صنتم محرمى   تحت العوالى بعد ما ذب فمى

وحـقن الـله بـأيديكم دمـى

٧ ـ والرُّمْحُ يَهْـتَـزُّ اهْتِـزَازَ المِحْـجَمِ

٨ ـ مِنْ بَعْدِ مَـا اخْـتَلَّ السِّنانُ مِـعْـصَمى

٩ ـ أنْقَــذْتَنِى مِنْ بَطَلٍ مُــعَــمَّـمِ (ب)

٥٦.

١٠ ـ وَالخَـيْلُ تَحْتَ العَـارِضِ المُسَـوَّمِ

١١ ـ وتَغْلِبٌ يَدْعُـونَ يَالَلأرْقَمِ (جـ)

[الخيل.. والمعمم الذى قُلد الأَمْرَ] .

-٥٧-

- ١٠ -

وقال يمدح زفر(*١٠)

١ ـ يَا نَاقَ خُبِّى خَبَبًا زورًّا
٢ ـ وقَلِّبِى مَنْسِمَكِ المُغْبَرَّا
٣ ـ وَعَارِضِى اللَّيْلَ إِذَا مَا اخْضَرَّا
٤ ـ أَخْبَرَكِ البَارِحُ حِينَ مَرَّا (أ)
٥ ـ سَوْفَ تُلاقِينَ جَوَادًا حُرًّا (ب)
٦ ـ سَيِّدَ قَيْسٍ زُفَرَ الأَغَرَّا
٧ ـ ذَاكَ الَّذِى بَايَعَ ثُمَّ بَرَّا
٨ ـ ونَقَضَ الأَقْوَامُ واسْتَمَرَّا (جـ)
٩ ـ قَدْ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ وَضَرَّا
١٠ ـ وكَانَ فِى الحَرْبِ شِهَابًا مُرًّا

ـ٥٨ـ

ـ ١١ ـ

وقَال(*١١)

١ ـ أَلاَ عَلِّلاَنِى كُلُّ حَىٍّ مُعَلَّلُ
وَلاَ تَعِدَانِى الشَّرَّ والخَيْرُ مُقْبِلُ

يقول عللانى باللهو، يقول كل حى من الناس مُعَلل أى مَنيَانِى الخيرَ .

٢ ـ فَإنَّكُمَا لاَ تَدْرِيانِ أَمَا مَضَى
مِنَ العَيْشِ أَوْ مَا قَدْ تَأَخَّرَ أَطْوَلُ (أ)

٣ ـ وَمَا لِلْفَتَى مَالٌ إِذَا مَرَّ نَعْشُهُ
عَلَى عُمُدٍ فَوقَ المنَاكِبِ يُحْمَلُ (ب)

٤ ـ أَحَادِيثُ مِنْ عَادٍ وَجُرْهُمَ جَمَّةٌ
يُثَوِّرُهَا العِضَّانِ زَيْدٌ وَدَغْفَلُ (أ)

جمة كثيرة، يثورها يحكيها، وروى أبو عبدالله يُثورها ويُنورها، وعضان داهيتان، وزيد بن الكيّس النمرى ودغفل بن حنظلة الذُّهلى [العِض المنكر من الرجال الداهى يقال إنه لعض، قال هشام وهو دغفل بن حنظلة بن يزيد بن

عبدة بن عبدالله بن سعد بن عمْروبن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة كان أنسب أهل زمانه وأعلمهم بالنسب، وزيد بن عمرو بن مالك بن حارثة بن هلال بن ربيعة ابن زيد مناه بن عامرٍ بن سعد بن تيم الله بن النمر بن قاسط،وأنشدنا هشام لمسكين بن عامر الدارمى:

فـــحكم دغــــفــــلا وارحل إليـــه

ولا تـدع المــطــى مــن الـكــلال] (ب)

٥ ـ لَنَا لَيْلَةٌ مِنْهَـا بِعَـيْـسَـاءِ أَسْـهُمٍ

وَلَيْلَتُنَا بِـالجُـدِّ أَصْـبَى وَأَجْـهَلُ

لنا من تلك الأحاديث ليلة بعيساء فعلنا هناك شيئا فذكر.

٦ ـ وَلَمَّـا عَـرَفْنَ الجُـدَّ جُـدَّ ابنِ مِلْقَطٍ

عَـدَلْنَ لَـهُ وَانْصَـاعَ مِنْهُنَّ أَوَّلُ

يقول مال إلى الجد أول إبلنا، أبو عبدالله انصار أى مال.

٧ ـ وَقَعْنَ وُقُوعَ الُوحِشِ المُبْتَغِى القِرَى

بِهِ لِعِـدَادٍ حُـسَّـراً مَـا تُظَلَّلُ

العد الماء القديم الذى له مادة مثل العين القديم أى آبار، الموحش الذى يبيت بلا طعام أى وقعت الإبل حُسّرا لاظلال عليها لا تظلل فى الشمس [الموحش الذى يبيت بلا طعامٍ يقال بات وحشا وغرثا إذا بات بغير طعام، والعِدَادُ الماء الذى له مادة مثل العيْن].

٨ ـ فَظَلَّ يَرُدُّ الحَـائِمَـاتِ ابْنُ مِلْقَطٍ

وَنَادَاهُمُ غُـضْفُ الجِـمَـامِ تَرَحَّلُوا (أ)

٦٠

الحائمات التي تحوم حول الماء من العطش، ابن ملقط عمرو وهو من طيء، غضف قومٌ ذوو شعور، يقول اعتذروا إلينا فقالوا ارحلوا عنا فإنّ ماءنا قليل لا يوصل إليه حتى يفلل المعاول [غُضفُ الشعور أى طوال الشعور جُمة وجمامٌ].

٩ ـ وَقَالُوا قَطَعْنَا اليَومَ عَينٌ بَكِيَّةٌ
وَكَذَّانَةٌ صَاقُورُهَا يَتَفَلَّلُ (ب)

يُروى فقالوا صرانا، وهو الماء القليل والبكية مثله، وصاقور معول [الصاقور الفأس التى لها رأس واحد يكسر بها الحجارة].

١٠ ـ يلُذْنَ بِأَعْقَارِ الحِيَاضِ كَأَنَّهَا
نِسَاءُ نَصَارَى أَصْبَحتْ وَهْىَ كُفَّلُ (أ)

يقول انصرفت عنه وكأنها كافلت الصوم واصلت، والكافل المواصل الذى يصوم صوم الوصال وربما لم يفطر بالليل [يلُذْن يعنى الإبل، والكافل الذى يصل اليَومين].

.٦١.

ـ ١٢ ـ

وقَال(*١٢)

١ ـ طَرَقَتْ جَنُوبُ رِحَالَنا مِنْ مَطْرَقِ

مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَرِيبَ المُعْنَقِ (أ)

المُعْنَق المكان الذى أعنقت منه، لم أظن أنها تقدر على أن تعنق وتسرع من هذا المكان، قال أبو نصر: المُعنق مصدر ها هنا أعنقت إعناقا ومعنقا، أعنقت إليك أتتك من قريب، وما كنت أحسبها تصل إلىّ فى سرعة ، هذا والمعنق بضم الميم أجود [المعنق أراد الإعناق فى المشى].

٢ ـ قَطَعَتْ إِلَيْكَ بِمِثْلِ جِيدِ جَدَايَةٍ

حَسَنٍ مُعَلَّقُ تَوْمَتَيْهِ مُطَوَّقِ

كأنها جاءتك بشخص كأن جيده جيد جداية وهى ظبية [الجدايةُ من الظباء كالعناق من الغنم].

٣ ـ هَلاَّ طَرَقْتِ إِذِ الحَيَاةُ لَذِيذَةٌ

وَإِذِ الزَّمَانُ قَمِيصُهُ لَمْ يُخْلَقِ (أ)

٦٢.

٤ ـ طَرَقَتْ نَواحِلَ حُلِّلَتْ بِمُعَرَّسٍ
وَنُسُوعُهَا بِرِحَالِهَا لَمْ تُطْلَقِ

حُلِّلت أُنيخت قدر تحلة اليمين أى قليلا .

٥ ـ وَمُصَرَّعِينَ مِنَ الكَلالِ كَأَنَّمَا
شَرِبُوا الغَبُوقَ مِنَ الطِّلاءِ المُعْرِقِ (أ)

الكلال الإعياء، المعرق الذى أَقلَّ ماؤه ويقال أعرق لصاحبكَ [يقول طرقت قوما مصرعين من الإعياء شربوا الغبوق والغُبوق شربُ الَّليل] .

٦ ـ مُتَوَسِّدِينَ ذِرَاعَ كُلِّ نَجِيبَةٍ
ومُفَرَّجٍ عَرِقِ المَقَذِّ مُنَوَّقِ (أ)

مفرج بائن اليدين، ومنوق مذلل، ويقال هو سبط الخلق حسنه، وقال غيره المنوق الذى قد اختبر وتُنُوِّق فيه .

٧ ـ بَرَكَتْ عَلَى رُكَبٍ تَهُدُّ بِهَا الصَّفَا
وَعَلَى كَلاكِلَ كَالنَّقِيلِ المُطْرَقِ (أ)

واحد النقيل نقيلة وهى رقاع النعال، مطرق بعضه على بعض، أطرقتُ النعال خصفتها أى شديدة كأنها نعال مرقعة [جثت بركت، تُهدُّ بها الصفا تكسر بها، والكلاكل الصُّدورُ والنَّقيل التى عليها الرقاعُ المطرق] .

٨ ـ فَاقْرِ الهُمُومَ قَلائِصًا عِيدِيَّةً
تَطْوِى الفَيَافِى بِالوَجِيفِ المُعْتِقِ (ب)

٩ ـ فَإذا سَمِعْنَ هَمَاهِمًا مِنْ رُفْقَةٍ
وَمِنَ النُّجُومِ غَوَابِرٌ لَمْ تَخْفِقِ (أ)

٦٣

غَوابِرِ أى منها بقية لم تَغر، تخفق تغيب [غوائر بوَاق لم تخفق لَم تَغْربُ]

١٠ ـ جَعَلَتْ تُمِيلُ خُدُودَهَا آذَانُهَا
طَرَبًا بِهِنَّ إِلَى حُدَاءِ السُّوَّقِ (أ)

روى أبونصر كانَتْ خُدُودُ هِجانِهِنَّ مُمَالَةً أَنْقَابُهُنَّ، أنقابهن آذانهن والواحد نَقَبٌ.

١١ ـ كَالمُنْصِتَاتِ إِلَى الحَدِيثِ سَمِعْنَهُ
مِنْ رَائِعٍ لِقُلُوبِهِنَّ مُشَوِّقِ (أ)

وروى إلى الغناء.

١٢ ـ وَتَرَى لِجِيضَتِهِنَّ عِنْدَ رَحِيلِنَا
وَهَلاً كَأَنَّ بِهِنَّ جِنَّةَ أَوْلَقِ (أ)

جيضتهن صدودُهن عن الإمكان للرحلة، وقال غيره لجيضتهن لميْلهن، جاض عنه مَالَ، ورُوى لحيْضتهن أى تميل عن الرحلة وتعدل عنها لأن ذلك قد شقٍ عليها، أولق جنون [قوله بحيْضتهن أى ميلهن إلى السَّير جاضت تجيض إذا مالت، والوهل الفزع].

١٣ ـ وإِذَا لَحَظْنَ إِلَى الطَّرِيقِ رَأَيْنَهُ
لَهِقًا كَشَاكِلَةِ الحِصَانِ الأَبْلَقِ

لهق أبيض، شاكلة خاصرة.

١٤ ـ وإِذَا تَخَلَّفَ بَعْدَهُنَّ لِحَاجَةٍ
حَادٍ يُشَسِّعُ نَعْلَهُ لَمْ يَلْحَقِ (أ)

١٥ ـ لُعِنَ الكَوَاعِبُ بَعْدَ يَوْمٍ صَرَمْنَنِى
بِشَرَى الفُرَاتِ وَبَعْدَ يَوْمِ الجَوْسَقِ (أ)

٦٤.

بِشَرَى الفرات ما دنا من الفرات والحرم وغيره فهو شرىً [ويروى بعد وصيلتى قوله بشرى(ب) الفرات أى بجانب الفرات ويروى بعد يوم بالنصب] .

١٦ ـ عَدَّيْنَ كُلَّ نَخِيَّةٍ يَعْلَمْنَهَا

وَنَفَرْنَ مِنْ شَمَطٍ تَغَشَّى مَفْرِقِى (جـ)

عدين أى صرفته عنى عدّه عنك، أى بعد وصلهن تركننى حين كَبِرتُ ويُرْوَى أدَّيْن يقول ودعننى ورددن تحيتى ولم يقبلنها

١٧ ـ وأَبَيْنَ شِيمَتَهُنَّ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَأَبَى تَقَلُّبُ دَهْرِكَ المُتَصَفِّقِ

يروى وأنى أى حان أى كانت شيمتهن أول مرة الوصال فقد أبين ذلك أى كنتُ شابا فالآن قد كبرتُ فأبين شيمتهن، المتصفق المتقلب يتردد يجيء ويذهب، أبى تقلب الدهر أن يدوم لى ذلك منها .

١٨ ـ وَلَقَدْ يَرُوعُ قُلُوبَهُنَّ تَكَلُّمِى

وَتَرُوعُنِى مُقَلُ الصِّوَارِ المُرْشِقِ (أ)

المرشق المتعرض أن يرشق ينظر إليها أَرْشَقَ أدَامَ النظرَ [المَرشق الذى ينظر ويطولُ فى نظره] .

١٩ ـ لَئِنِ الهُمُومُ عَنِ الفُؤادِ تَفَرَّجَتْ

وَخَلا التَّكَلُّمُ لِلِّسَانِ المُطْلَقِ

٢٠ ـ لأُعَلِّقَنَّ عَلَى المَطِيِّ قَصَائِداً

أَذَرُ الرُّوَاةَ بِهَا طَوِيلِى المَنْطِقِ

٢١ ـ إِنِّى حَلَفْتُ بِرَبِّ مَنْ عَمِلَتْ لَهُ

بُزْلُ الجِمَالِ بِكُلِّ خَبْتٍ سَمْلَقِ (أ)

خبت مستوى من الأرض، وسملق مستو (ب) لانبات فيه، عملت دأبت.

٢٢ ـ أُدْمًا تُصَانُ وكَانَ أَصْلُ نِجَارِهَا
مِنْ سِرِّ قِنْيَةِ مُنْذِرٍ ومُحَرِّقِ (جـ)

قنيته فأنا أَقْنَاه قِنْية وأقتنيه.

٢٣ ـ لَئِنِ الجَزِيرَةُ أَصْبَحَتْ مَمْنُوعَةً
لَوَدِدْتُ أَنَّ بَرِيَّةً لَمْ تُخْلَقِ

٢٤ ـ وبَنُو أُمَيَّةَ مَنْ أَرَادُوا نَفْعَهُ
نَفَعُوا ومَنْ نَصَبُوا لَهُ لَمْ يَسْبِقِ (د)

أى لم يَفُتْهم ولم يُعْجِزْهم.

٢٥ ـ حلّتْ جَنُوبُ قُمَيْقِمًا برهينها
فَمَتَى الخَلاصُ لِذِى الرَّهِينِ المُغْلَقِ (أ)

برهينها يريد بقلبه. (ب)

٢٦ ـ ونَأَتْ بِحَاجَتِنَا ورُبَّت عَنْوةٍ
لَكَ مِنْ مَوَاعِدِهَا الَّتِى لَمْ تَصْدُقِ

عَنْوة إسارُ عناء وأصله القَهر.

٢٧ ـ كَعَنَاءِ لَيْلَتِنَا الَّتِى جُعِلَتْ لَنَا
بِالقَرْيَتَيْنِ ولَيْلَةً بِالخَنْدَقِ (أ)

يقول كم من عناء عنتك ولم تَصْدُقْكَ فيه.

٢٨ ـ أَوْ قَبْلَ ذَاكَ إِذِ الحَيَاةُ لَذِيذَةٌ
وإِذِ الزَّمَانُ بِصَفْوِهِ لَمْ يَرْنَقِ (ب)

٦٦ـ

رَنِقَ الماءُ يرْنَقُ رنقاً إذا كدر.

٢٩ ـ بَخِلَتْ عليك فما تَجُودُ بنائلٍ
إلاَّ اخْتِلاسَ حَدِيثِها المُتَسَرَّقِ

٣٠ ـ طَرَقَتْ بِأَطْيبِ ما يَحِلُّ لمُسْلمٍ
بالقَرْيَتَيْنِ ولَيْلَةً بالأَبْرَقِ (أ)

يعنى الريق جعله حلالا أطيب ما يحل يعنى الماء.

٣١ ـ مِمَّا يُفَرَّغُ بالأَبَاطِحِ سَيْلُهُ
أَوْ بالقِلاتِ منَ الصَّفَا لَمْ يُطْرَقِ (ب)

القَلْتُ نُقْرة فى الجبل فيها ماء، والطَّرق الذى بالت فيه الدواب وراثت [شبَّه الريق بهذا الماء، لم يُطرق لم يُبَلْ فيه ولم تطرقه الإبل].

٣٢ ـ تُعْطِى الضَّجِيعَ إذا تَنَبَّهَ مَوْهِناً
منْها وقَدْ أَمِنَتْ لَهُ منْ تَتَّقِى (أ)

٣٣ ـ عَذْبَ المَذَاقِ مُفَلَّجاً أَطْرَافُهُ
كالأُقْحُوانِ منَ الرَّشَاشِ المُسْتَقِى

الأقحوان يستقى من الرشاش يشرب منه.

٣٤ ـ نَفَضَتْ أعَالِيَهُ الشَّمَالُ تَهُزُّهُ
وغَدَتْ عَلَيْهِ غَدَاةَ يَوْمٍ مُشْرِقِ (أ)

٣٥ ـ وكَأَنَّمَا جَادَتْ بِمَاءِ غَمَامَةٍ
خَصِرٍ تَنَزَّلَ منْ مُتُونِ العِشْرِقِ

العشرق شجر، أى قطر من شجر فاجتمع تحته.

.٦٧.

٣٦ ـ فَأَرَى المَعِيشَةَ إِنَّمَا هِىَ سَاعَةٌ
فَرَجٌ وَسَاعَةُ كُرْبَةٍ وَتَخَنُّقِ (ب)

تخنق شدة تأخذ بالخناق.

٣٧ ـ وأرَى المَنِيَّةَ لِلرِّجَالِ حَبَائِلاً
شَرَكًا يُعَادُ به لِمَنْ لَمْ يَعْلَقِ (جـ)

٣٨ ـ وإِذَا أَصَابَكَ والحَوَادِثُ جَمَّةٌ
حَدَثٌ حَدَاكَ إِلَى أَخِيكَ الأَوْثَقِ

[يعنى الحدث ساقك إلى أخيك].

٣٩ ـ فَهُمُ الرِّجَالُ وكُلُّ ذَلِكَ مِنْهُمُ
تَجِدَنَّ فِى رُحْبٍ وفِى مُتَضَيِّقِ (أ)

أى تجد ذاك فى السعة والضيق.

٤٠ ـ إِنَّ الرِّجَالَ إِذَا طَلَبْتَ نَوَالَهُمْ
مِنْهُمْ خَلِيلُ مَلاَذَةٍ وتَمَلُّقِ (ب)

إذا طلبت إليهم منهم ملاذ باللسان.

٤١ ـ وأَخُو مُكَارَمَةٍ عَلَى عِلاَّتِه
فَوَجَدْتَ خَيْرَهُمُ خَلِيلَ المَصْدَقِ

يصدق خلانه.

٤٢ ـ ولَمَا رُزِقْتَ لَيَأْتِيَنَّكَ سَيْبُهُ
جَلَبًا ولَيْسَ إِلَيْكَ مَا لَمْ تُرْزَقِ

أى يساق إليك كما تجلب فرسك وتسوقه [قوله جلبا أى عفواً يساق إليك، جلب عا ـ فرسه أى صاح به ليكون سابقا]. (أ)

ـ ١٣ ـ

وقَال يمدح زفر بن الحارث(*١٣)

١ ـ قِفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَاضُبَاعَا
وَلاَيَكُ مَوْقِفٌ مِنْكِ الوَدَاعَا

ضباعة بنت زفر، يقول لا يكونن ذلك وداعاً أى آخر ما يكون منك آخر العهد.(أ)

٢ ـ قِفِي فَادِي أَسِيرَكِ إِنَّ قَوْمِي
وَقَوْمَكِ لاَ أَرَى لَهُمُ اجْتِمَاعَا(أ)

[قومي وقومك يعني قيساً وتغلب في حربهم التى كانت بَيْنَهَم].

٣ ـ وَكَيْفَ تَجَامُعٌ مَعَ مَا اسْتَحَلاَّ
مِنَ الحُرَمِ العِظَامِ وَمَا أَضَاعَا

[حُرْمَة وحُرَم وحُرُمَات].

٤ ـ أَلَمْ يَحْزُنْكِ أَنَّ حِبَالَ قَيْسٍ
وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَتِ انْقِطَاعَا

تباينت تفرقت

٥ ـ يُطِيعُونَ الغُوَاةَ وكَانَ شَرّاً

لِمُؤْتَمِرِ الغَوَايَةِ أَنْ يُطَاعَا

مؤتمر الذى يأتمر الخير والشر يحدّث نفسه ويأمر به نفسه، أى يطيعون جمالهم وشر ما يفعله الإنسان طاعة الجاهل فى.. [المعنى كان شرا طاعة مؤتمر الغواية أى من يأمر بالغَى].

٦ ـ أَلَمْ يَحْزُنْكِ أَنَّ ابْنَىْ نِزَارٍ

أَسَالاَمِنْ دِمَائِهِمَا التِّلاعَا

التلعة مسيل من مكان مشرف (أ) إلى الوادى [ابنا نزار ربيعة ومضر].

٧ ـ وَصَاراَ مَا تُغِبُّهُمَا أُمُورٌ

تَزِيدُ سَنَا حَرِيقِهِمَا ارْتِفَاعَا

يقال غَبَّ وأغَب إذا أتى يوما ولم يأت يوما، يقول تأتيهم كل يوم لا تأتى غبا، قال النبى ـ ﷺ ـ «زُرْغِباً تَزْدَدْ حُبّاً(أ) [الغب فى الشرب اليوم بعد يوم، والسنا الضوء].

٨ ـ كَمَا العَظْمُ الكَسِيرُ يُهَاضُ حَتَّى

يَبِتَّ وَإِنَّمَا بَدَأَ انْصِدَاعَا

يقول كما أن العظم إنما انصدع فلم يتداركه بالجبر حتى يعظم فلم يقدر على إصلاحه، ويروى كما العظيم بالجر وما صلة يريد كالعظم، يُهَاض أى كعظم كلما جُبر هِيضَ فكُسِرَ حتى يبت أى ينكسر وإنما كان صدعاً، ويهاض يُكْسَر بعد الجبر فُيَرَدُّ إلى وَهْيِه.

-٧٠-

٩ ـ فَأَصْبَحَ سَيْلُ ذَلِكَ قَدْ تَرَقّى
إِلَى مَنْ كَانَ مَنْزِلُهُ يفَاعَا

مشرفا عاليا أى من كان منه فى مكان بعيد لم ينج منه وهو كقولهم: «بلغ السيل الزبا»(أ) [ترقى أى صعد، واليَفاعُ المُشرفُ].

١٠ ـ وَكُنْتُ أَظُنُّ لِذَاكَ يَوْماً
يبِزُّ عَنِ الْمُخَبَّأَةِ الـقِنَاعَا(أ)

أظن هاهنا أعلَمُ ما يبز يسلب [قال كان يقال للقطامى ذو القناع بهذا البيت بَزَّ يبُزُّ بزًّا أى سلب].

١١ ـ ويَوْمَ تَلاَقَتِ الفِئَتَانِ ضَرْباً
وَطَعْناً يبْطَحُ البَطَلَ الشُّجَاعَا(ب)

يبطح يُسقط.

١٢ ـ تَرَى مِنْهُ صُدُورَ الخَيْلِ زُوراً
كَأَنَّ بِهَا نُحَازاً أَوْ دُكَاعَا

يقال نَحَزَ البعير يَنْحَزُ، وهو داء يأخذه منه السُّعال. يقال نحز ينحز وهو ناحز والدُّكاعُ السُّعال، وناقة مُنحزّة، ويقال دَكَعَ يَدْكَعُ [الزورُ المائلةُ والنحار السُّعَالُ].

١٣ ـ وَظَلَّتْ تَعْبُطُ الأَيْدِى كُلُوماً
تَمُجُّ عُرُوقُهَا عَلَقاً مُتَاعَا

تعبط تخْرِجه طَرِيًا، والعبط أن تذبحه من غير علة، والدم العبيط الطرى واللحم العبيط[والعبط أن يَعْبط البعيرَ من غير علة فينحره أو يَقْتُل رجلا فالدَّم

٧١

عبيط واللَّحْمُ عبِيط، مَجُّ العروق ما يَخرُجُ منها من الدم والعلقُ ما يخرج من الدَّم].

١٤ ـ قَوارِشَ بِالـرِّمَاحِ كأَنَّ فِيـــــــهَا
شَوَاطِنَ يَنْتَزِعْنَ بِهَا انتِـــــــــزَاعَا

قال أبو عبدالله ابن الأعرابى: قوارش ينال بعضها من بعض يقبل هذا من هذا وهذا من هذا، وقال غيره: القرش صوت الرماح ووقْع بعضها على بعض، والشاطن الذى يمد الدَّلْو أى كأن فيها أيدياً شواطن يشطنون بها ينزعون(أ) بها، وقال الأصمعي: لها قرش لاصطكاك بعهضا ببعض والقرش الصوت [قوارش يضرب بعضُها بَعضاً وصوتها القرش واقترشت الرماح إذا وقع بعضها على بعض].

١٥ ـ كأَنَّ الـــــــــنَّاس كلُّهُم لأُمٍّ
وَنَحْنُ لِعَلَّةٍ علَتِ ارْتِفَاعَا

بنو العَلاَّت لأب واحد وأمهات شتى، علَت ارتفاعا فى العداوة وبُعْد النسب، وقال الأصمعي: تباعدت فى النسب وارتفعت عنهم، وقال ابن الأعرابى: أراد تباعد نسبُهم من نسبنا يقول عادانا أُناس فأبغضونا كأنهم لأم واحدة ونحن لأمهات شتى [بنوُ العلات أن يكونوا إخوةً لأبٍ والأمَّهات شتى]

١٦ ـ فَكُلُّ قَبِيـــــــــلَةٍ نَظرُوا إِلَيْنَا
وَحلُّوا بَيْنَنَا كَرِهُوا الـــــوِقَاعَا(أ)

أراد وكل قبيلة نظرو إلينا حلوا(ب) بيننا وكرهوا الوقاع .

١٧ ـ فَهُمْ يَتَبيَّنُونَ سنَاَ سُيُوفٍ
شَهَرْنَاهُنَّ أَيَّاماً تِبَاعَا

.٧٢.

السنا الضوء، شهرناهن أخرجناهن من الأغماد [يقال تبين كذا وكذا أى أبصَرَهُ].

١٨ ـ ثَبَتْنَا مَامِنَ الْحَيَّيْنِ إِلاَّ
يَظَلُّ تَرَى لِكَوْكَبِهِ شُعَاعَا(أ)

كوكبه معظمه، شعاعا بريق السلاح [قوله كوكَبُ الحيَّين يَعنى السلاحَ].

١٩ ـ وَكُنَّاكَالحَرِيقِ أصَابَ غَابَاً
فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَهُبُّ سَاعَا

يخبو يسكن ويهب يهيج، وساع جمعُ ساعة [يخبو يخمد وهو من قول الله تعالى: «كلما خبت زدناهم سعيرا»] .(أ)

٢٠ ـ فَلاَ تَبْعَدْ دِمَاءُ ابْنَىْ نِزَارٍ
وَلاَ تَقْرَرْ عُيُونُكِ يَاقُضَاعَا

لا تقرر لا تبرُد يقول لازالت سخينة دامعة.

٢١ ـ أُمُورٌ لَوْ تَلاَفَاهَا حَلِيمٌ
إِذَنْ لَنَهَى وَهَيَّبَ مَا اسْتَطَاعَا(أ)

يروى لو تدبرها، وتلافاها تداركها [تَدَبَّرَهَا نظر فى عَواقبها].

٢٢ ـ وَلَكِنَّ الأَدِيمَ إِذَا تَفَرَّى
بِلِىً وَتَعَيُّنَاً غَلَبَ الصَّنَاعَا

تفرى تقطع، قال والمعنى أن الأديم يدبغ على فساد فيرى فيه مثل العيون، وأخبرنى أحمد بن على بن موسى الطلحى عن التوزى قال: الرواية ولكن

اللَّديَم، قال أول ما يُدْبَغُ أَديم فإذا رد فى الدباغ مرة أخرى فهو اللَّديُم [تَفَرى تَشَقَّق، ويقال رجُل صَنَعُ اليدين واللسَان وقوم صنَاع وامرأة صنَاع].

٢٣ ـ ومَعصيةُ الشَّفيقِ علَيْكَ ممَّا
يَزيدُكَ مَرَّةً منْهُ اسْتِمَاعَا

مما يزيدك أى مما يُحرصك إذا عرفت عاقبة أمرك أن تسمع منه مرة أخرى، يقول إذا وقعت مرة فى بلية ذكرت نصحه فوددت أنك سمعته، يقول إذا عرفت حقيقة ما نهاك عنه وددتَ أنك سمعت ما كان يأمرك به.

٢٤ ـ وخَيْرُ الأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ منْه
ولَيْسَ بأَنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعَا(أ)

أراد تتبَّعه تتبُّعا، واتبعت اتباعا معناه كمعنى تتبعه فوضع أحد المصدرين فى موضع الآخر.

٢٥ ـ كَذَاكَ ومَا رأَيْتُ النَّاسَ إلاَّ
إلَى مَا جَرَّ غَاوِيهِمْ سِرَاعَا

[ويروى إلى ما ضرَّ غاويهم أى ما جر عليهم من الغى يكون من الجريرة].

٢٦ ـ تَرَاهُمْ يَغْمِزُونَ مَنِ اسْتَرَكُّوا
ويَجْتَنِبُونَ مَنْ صَدَقَ المِصَاعَا

(المصاع) القتال، يغمزون يضيمون، من استركوا من استضعفوا [المِصَاعُ المجَالدَةُ بالسيُوف].

٢٧ ـ وأَمَّا يومَ قُلْتُ لِعَبْدِ قَيْسٍ
كَلاَمًا مَا أَرَدْتُ بهِ خِدَاعَا(أ)

[عبد قيس أخو القطامى] .(ب)

٢٨ ـ تَعَلَّمْ أَنَّ بَعْدَ الغَيِّ رُشْداً
وَأَنَّ لِهَذِهِ الغُمَرِ انقِشَاعَا(أ)

أضمر جواب القول وأضمر معه الفاء، ويقال غُمرة وغمر، ويُرْوى الغُبَر، والغُبْرَةُ القَتْمَة وما أظلك من الأمور العظام، وقال الأصمعى: الرُشد الهُدَى والرَّشَدُ القَصْدُ [أى الدهرُ لا يَبقى على حالة] .

٢٩ ـ وَلَوْ تَسْتَخْبِرُ العُلَمَاءَ عنَّا
وَمَنْ شَهِدَ المَلاحِمَ وَالوِقَاعَا(أ)

٣٠ ـ بِتَغْلِبَ فِى الحُرُوبِ أَلَمْ يَكُونُوا
أَشَدَّ قَبَائِلِ العَرَبِ امْتِنَاعَا

٣١ ـ زَمَانَ الجَاهِلِيَّةِ كُلُّ حَيٍّ
أَبَرْنَا مِنْ فَصِيلَتِهِمْ لِمَاعَا(أ)

قال ابن الأعرابى: لماعا سيدا مشهورا بمنزلة الشمس لامع مشهور، وقال أبو عمرو: لِمَاعاً التمعناهم وأخذناهم، ولماع شيء بعد شئ، والتمعناهم ذهبنا بهم.. قتلناهم [ويروى لماعا بضم اللام يقال لمعة ولماع] .

٣٢ ـ أَلَيْسُوا بِالأُلَى قَسَطُوا قَدِيماً
عَلَى النُّعْمَانِ وَابْتَدَرُوا السِّطَاعَا(أ)

السطاع عمود البيت الذى فى وسطه فإذا نزع عموده سقط، أراد قتل عمرو بن كلثوم عمرو بن هند(ب) [قال هَدَمُوا البيتَ عليه، قال أبو عمرٍو ولهُ حَديثٌ] .

٣٣ ـ وَهُمْ وَرَدُوا الكُلابَ عَلَى تَمِيمٍ
بِمَوْجٍ يَبْلَعُ النَّاسَ ابْتِلاعَا(جـ)

-٧٥-

يُرْوى بجيش، وموج جيش شبهه بموج البحر، وبلِع بَلْعاً مثل ابتلع ابتلاعاً، وأراد يوم الكُلاب الأول حين قتلوا شرحبيل عم امرئ القيس

٣٤ ـ فمَا جبُنوا ولَكِــــــــنّا أُنَاسٌ
نُديـــمُ لِمَنْ يُقَارِعُنَا الــقِرَاعَا(د)

٣٥ ـ فَأَمَّا طيِّئٌ فإذَا أَتاهَا
نَذَائِرُ جيْشِنَا لَجُوا الـــــــــقِلاعَا

دخلوا الحصون وأراد جبالهم [أنشد في النذيرة للقطامي يريد الأزد:

أتانِي مـــن الأَزْدِ الـــنــذيـــرةُ بَعْدَمَا
تناشد قـولاً بالعـراق المـجَالسُ](هــــ)

٣٦ ـ وأَمَّا الـــــــحَيُّ مِنْ كلْبٍ فإنَّا
نُحِلُّهُمُ الـــسَّوَاحِلَ وَالـــبِقَاعَا(و)

بقعة وبقاع أراد سواحل البحور، وقال ابن الأعرابي: البقاع موضع بدمشق من أرض كلب [نحلهم ننزلهم، والسَّوَاحِلُ جَانِبُ البحر].

٣٧ ـ ومَنْ يكُنِ اسْتَلَامَ إِلَى ثَوِيٍّ
فَقَدْ أَكْرَمْتَ يـــازُفَرُ الـــمَتَاعَا(٢)

استلام فعل ما يُلام عليه، والثوى الضيف المقيم، والمتاع الزاد يقول زودت وأحسنت [الثويّ الضَّيفُ يقال استلام من اللوم].

٣٨ ـ أَكُفْراً بعْدَ ردِّ الـــــمَوْتِ عنِّي
وبَعْدَ عطَائِكَ الــمِائَةَ الرِّتَاعَا(أ)

أي أأجزيك كفرا بعدما مننت علي وأطلقتني، وكان القطامي قد أسر في تلك الحروب فأطلقه ووهب له مائة من الإبل فشكر ذلك له، والرتاع التي ترتع، ويروى الرِّباعا وهي التي تنتج في الربيع.

٣٩ ـ فَلَوْ بِيَدَيْ سِوَاكَ غَدَاةَ زَلَّتْ
لِيَ الـقَدَمَانِ لَمْ أَرْجُ اطِّلاَعَا

أي نهوضا [أي لم أَرْجُ النَّجاة].

٤٠ ـ إِذاً لَهَلَكْتُ لَوْكَانَتْ صِغَارٌ
مِنَ الأَخْلاَقِ تُبْتَدَعُ ابْتِدَاعَا(أ)

أي لو كانت أخلاقكم صغارا تُبْتَدَع.

٤١ ـ فَلَمْ أَرَ مُنعِمِيـنَ أَقَلَّ منَّا
وأَكْرَمَ عِنْدَمَا اصطَنَعُوا اصْطِنَاعَا(ب)

٤٢ ـ مِنَ الـبِيضِ الـوُجُوهِ بَنِي نُفَيْلٍ
أَبَتْ أَخْلاَقُهُمْ إِلاَّ اتِّسَاعَا

٤٣ ـ بَنِي الـقَرْمِ الَّذِي عَلِمَتْ مَعَدٌّ
تَفَرَّعَ فَوْقَهَا سَعَةً وبَاعَا(أ)

[القرم الفحلُ من الإبل].

٤٤ ـ وَظَهَرِ تَنُوفَةٍ حَدْبَاءَ تُمْسِي
بِهَا الـرُّكْبَانُ خَائِفَةً جِيَاعَا(أ)

روى خائفة سِراعا أي يمرون سراعا من الخوف، وحدباء ليست على طمأنينة فيها نشوز وجبال.

٤٥ - قِذَافٍ لاَيُضَاعُ الـمَاءُ فِيــــهَا

وَلاَيَرْجُو بِهاَ الـــــقَوْمُ اضْطِجَاعَا

لا يضاع الماء فيها لايشربون إلاَّ بقدرٍ من خوف العطش [قذاف بعيدة، اضطجاعاً يعنى لا يُقْدَرُ على النوم بهامن هو لها أى من خوفها].

٤٦ - قَطَعْتُ بِذَاتِ أَلْوَاحٍ تَرَاهَا

أَمَامَ الـــرَّكْبِ تَنْدَرِعُ انْدِرَاعَا(أ)

ألواحها عظامها، تندرع تسبق وتتقدم [وليس من ناقة إلاَّ ولَها ألواح، ولكنه إذا قال ذاتَ ألواحٍ أراد العظيمة الألواح].

٤٧ - وَكَانَتْ ضَرْبَةً مِنْ شَدْقَمِىٍّ

إِذَا مَا اسْتَنَّتِ الإِبِلُ اسْتَنَاعَا

كانت هذه الناقة ضربة من ماء هذا الفحل الشدقمى، وشدقم فحل، استناع تقدم وسبق، واستنت أسرعت يقول إذا أسرعت سبقها [استنت أى هاجت].

٤٨ - وَمِنْ عَيْرَانَةٍ عَقَدَتْ عَلَيْهَا

لَقَاحاً ثُمَّ مَاكَسَرَتْ رِجَاعَا

عيرانة ناقة شبه صلابتها بصلاته العيْر وسرعتها بسرعته أراد وكانت ضربة من شدقمى ومن عيرانة ماكسرت أى أتمت حملها، ويقال للناقة إذا ألقت ماء الفحل رجعت .

[يقول لقاحها من تلك الضربة الواحدة لكرمها وكرم الفحل، ماكسرت رجاعها من حُبِّها للفحل، والعيرانة من العير وهو الحمار وشبهت به لصلابتها].

٧٨

٤٩ ـ لِأَوَّلِ قَرْعَةٍ سَبَقَتْ إِلَيْهَا
مِنَ الذُّوْدِ المَرَابِيعَ الضِّبَاعَا

أى سبقت المرابيع من الذود بالحمل، والمرابيع اللاتى ينتجن فى أول الربيع، والضباع التى تشتهى الفحل الواحدة ضبعة، قال ابن الاعرابى: لأول قرعةٍ أى قرعة الفحل، إليها إلى الناقة، يقول لقحت هذه الناقة لأول قرعة سبقت إليها من الفحل، يقول قرعها الفحل قبل الضباع التى معها فلقحت لأول قرعته [قرعة ضربة ضربها الفحل، وناقة ضبعته تريد الفحل].

٥٠ ـ فَلَمَّا رَدَّهَا فِى الشَّوْلِ شَالَتْ
بِذَيَّالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعَا

الشول طروقة الفحل، ردها لأنه ظن أنها لم تحمل فشالت بذنبها لأنها لاقح، وذيال ذنب طويل، ولفاع ثوب تلتفع به [قال إذا لقحت الناقة شالت بذنبها،واللِّفاعُ القِنَاعُ].

٥١ ـ فَتَمَّ الحَوْلُ ثُمَّتَ أَتْبَعَتْهَا
وَلَمَّا يُنْتِجِ النَّاسُ الرِّبَاعَا(أ)

يقال تبعها وأتبعها بمعنى واحد أى نتجت قبل أن تنتج الرباع، تبعه خرج فى إثره وأتبعه أدركه [الُّربع ولد الناقة والأنثى رُبَعه وهما من نتاج الّربيع، وأتْبعتها أى نُتجت من تلك القرعة فصارمعها ولد تبعها يعنى هذه الناقة].

٥٢ ـ فَصَافَتْ فِى بَنَاتِ مَخَاضِ شَوْلٍ
يُخَلْنَ أَمَامَهَا قَزَعاً نِزَاعَا

أمام ناقته، قزع قطع السحاب أى هى أعظم منها كأنها سحابة وهى قزع، يقول لداتها أمام هذه الناقة من عظيم هذه بمنزلة سحاب صغار.

٧٩

[أي هي بنت لقوح وهي في جسم مخاض أي قد علتها فصارت أعظم منها، فصافت من الصيف، قال أبو عمرو: وسمعت رجلا من قيس يقول ناقة مخوض ونوق مخض ومخاض].

٥٣ ـ وَصَافَ غُلاَمُنَا رَجُلاً عَلَيْهَا
إِرَادَةَ أَنْ يُفَوِّقَهَا رِضَاعَا(أ)

أي خلى الغلام يعلفها ويصنع بها ما أحب، والرجل الذي يسرح البَهْم على أمّهاتها ترضع كيف شاءت، ويفوقها يرضعها مرة بعد مرة من الفواق [قال أبو عَمْرو ويتركُها مع أُمّها].

٥٤ ـ فَلَمَّا أَنْ مَضَتْ سَنَتَانِ عَنْهَا
وَصَارَتْ حِقَّةً تَعْلُو الجِذَاعَا

الجذاع أكبر من الحقة يقول صارت وهي حقة تعلو الجذاع [أي صارت حقة وهي في جسم الجذعة يقال جَذَعَةٌ وَجَذَعٌ والجمع جِذَاع وجُذْعان وجُذُع].

٥٥ ـ عَرَفْنَا مَا يَرَى البُصَرَاءُ فِيهَا
فَآلَيْنَا عَلَيْهَا أَنْ تُبَاعَا(أ)

[أي لما رأينا كرمها حلفنا عليها أن لا تُباعَ].

٥٦ ـ وَقُلْنَا مَهِّلُوا لِتَنِيَّتَيْهَا
لِكَيْ تَزْدَادَ لِلسَّفَرِ اضْطِلاَعَا

قوة احتمال، مهلوا أي دعوها حتى تخرج ثنيتاها أي انتظروا لا تركبوها حتّى تُثنى [أي اتركوها من الركوب لكي تُلقى ثنيتيها وهي ساعية فيكون أقوى

٨٠

لها فلم يحمل عليها ولم تركب] .

٥٧ ـ فَلَمَّا أَنْ جَرَى سِمَنٌ عَلَيْهَا
كَمَا بَطَّنْتَ بِـــالْــفَدَنِ الـــسِّيَاعَا

السياع الطين، قال ابن الأعرابى: أراد كما بطنت الفدن بالسياع فقلب، فدن قصر [أى كما بطنت بالفدن السياع فجاء أملس أى امتلأت سمنا] .

٥٨ ـ أَمَرْتُ بِهَا الـــرِّجَالَ لِيَأْخُذُوهَـــا
وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنْ لَنْ تُسْتَطَاعَا

أى أمرتهم ليروضوها [الظَنُّ هاهُنا اليقينُ، والظن أيضا الشك] .

٥٩ ـ إِذَا الـتَّيَـــازُ ذُو الـعَضَلَاتِ قُلْنَا
إِلَيْكَ إِلَيْكَ ضَاقَ بِهَا ذِرَاعَا

التياز الكثير اللحم الغليظ، وإليك إليك أى خذها، والعرب تقول إليك عنى أى تنح عنى، يقول إذا نقول له اضبطها لم يقوَ عليها.

٦٠ ـ فَلَأْيًا بَعْدَ لَأْيٍ وَجَّهُوهَا
عَلَى مَاكَانَ إِذْ طَرَحُوا الرِّقَاعَا(أ)

لأْ يا بعد بطؤ، وجهوها قوموها على ما أرادوا وراضوها، يقول تجردوا لها حتى قوّموها، والرقاع ثياب خُلْقَان، طرحوا ثيابهم وتجرّدوا لها.

٦١ ـ فَمَا انْفَلَتَتْ مِنَ الـــرُّوَّاضِ حَتَّى
أَعَارَتْهُ الأَخَادِعَ وَالـــــنُّخَاعَا

أعارته الأخادع يقول ما تركها الرائض حتى ذلت ولانت بعد صعوبة وأعارته

-٨١-

عنقها، والأخدعان عِرْقان فى العنق أى أمكنت من عنقها وظهرها والنخاع [النخاع هُوَ الأبيضُ الممتدُّ فى جدد الظهر].

٦٢ ـ وَسَارَتْ سِيرَةً تُرْضِيكَ مِنْهَا
يَكَادُ وَسِيجُهَا يَشْفِى الصُّدَاعَا[أ]

وسيج ضرب من السير [وسَجتِ الناقةُ تسجُ وعَسَجت تَعْسَج عسجا هذا كله من السَّيْر].

٦٣ ـ كَأَنَّ نُسُوعَ رَحْلِى حِينَ ضَمَّتْ
حَوَالِبَ غُرَّزًا وَمِعًا جِيَاعَا

حوالب عروق، غرّز لالبن لها، ومعاً جياعا يقول جاعت بعدما ركبها وسار عليها يريد حين أتعبها وبلغ جهدها وسافر عليها [حَوالبُ عروقُ الضَّرع التى يجرى فيها اللَّبَن، ومِعاً جِياعاً أراد جوفها أنهُ خالٍ مِنَ الوَلد].

٦٤ ـ عَلَى وَحْشِيَّةٍ خَذَلَتْ خَلُوجٍ
وَكَانَ لَهَا طَلاً طِفْلٌ فَضَاعَا

خَلوج خُلج ولدها عنها نزع، وقال أبو عمرو خَلَجَتْ خَلُوجًا وخُلجتْ خُلوجًا [أى كأنها من نشاطها وحشية نافرة حين رأت ولدها قد أُكِل].

٦٥ ـ فَكَرَّتْ عِنْدَ فَيْقَتِهَا إِلَيْهِ
فَأَلْفَتْ عِنْدَ مَرْبِضِهِ السِّبَاعَا

الفيقة ما يجتمع من اللبن بين الحلبتين [عندَ فيقتها أى عند نزول لبنها].

٦٦ ـ لَعِبْنَ بِهِ فَلَمْ يَتْرُكْنَ إِلاَّ
إِهَابًا قَدْ تُمُزِّقَ أَوْكُرَاعَا

أراد وكراعا.

٦٧ - فَسَافَتْهُ قَلِيلاً ثُمَّ وَلَّتْ

لَهَا لَهَبٌ تُثِيرُ بِهِ النِّقَاعَا

أى شمته، لهبٌ عدو شديد، النقاع جمع نقع وهو الغبار [ولها للوحشية].

٦٨ - أَجَدَّ بِهَا النَّجَاءَ فَأَصْحَبَتْهَا

قَوَائِمُ قَلَّمَا اشْتَكَتِ الظُّلاَعَا(أ)

الغمز، أجدبها أى بالوحشية، أصحبتها طاوعتها أصحب الرجل انقاد.

٦٩ - كَأَنَّ سَبِيبَةً مِنْ سَابِرِيّ

أُعِيرَتْهَا رِدَاءً أَوْ قِنَاعَا

سبيبة شقة كتان رقيقة، أعيرتها الوحشية لأن ظهرها أبيض.

[قال السبائبُ من الكتان خاصة ولا يكونُ من القطن، يعنى(ب) البقرة يقُول كأن على ظهرها سبيبة بيضاء من الكتان]

٧٠ - وَمَا غَبَرَّ الغُوَاةَ بِعَنْبَسِيٍّ

يُشَرِّدُ عَنْ فَرَائِسِهِ السِّبَاعَا(أ)

[العنبسيّ الأسدُ هاهنا يَعنى نفسه، يُشرد يُفرق وفريسةُ السبع ما افترَسَ].

٧١ - إِذَا رَأْسٌ رَأَيْتُ بِهِ طِمَاحًا

شَدَدْتُ لَهُ الغَمَائِمَ وَالصِّقَاعَا(أ)

خيط يكون على وجه الفرس، والغمامة شىء يدخل فى أنف الناقة إذا أرادوا أن تعطف على غير ولدها، والصقاع حبل يُشد على هامتها إلى أسفل لحييْها إذا كانت صعبة حتى تَذلّ [الغمامَة خيط يُرْبَط بمنخرها، والصقاع حبلٌ يَعْصبون به فوق عينها لئلا ترى ولدها هكذا رَوَى أبو عمرٍو].

ـ ١٤ ـ

وقَال(١٤٠*)

يمدح هَمَّامَ بن مُطرِّف بن مَعْقِل بن عَبْد شمس بن عمرو بن عامر بن مالك ابن جُشَم بن بَكْر بن حُبَيْب بن عمْرو بن غنْم(أ).

١ق ـ ١ت ـ أَلا يَا دِيَارَ الحَيِّ بِالأَخْضَرِ اسْلَمِى
وَلَيْسَ عَلَى الأَيَّامِ وَالدَّهْرِ سَالِمُ

٢ ـ ٢ ـ تُرَاوِحُهَا العَصْرَيْنِ طَوْراً مُسِفَّةٌ
وَطَوْراً صَباً مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ خَازِمُ(أ)

مُسفّة ريح قريبة من الأرض، خازم باردة، قال خازم تخازمها أى تُعارضها بالهبوب، وروى ابن الأعرابى جارِم تجرِم الآثار تدرُسها وتُغطيها [مُسفّة ريح على وجه الأرض، وكذلك أَسَفَّ الطّائرُ إذا دنا من الأرض فى طيرانه].

٣ ـ ٣ ـ تَحُلُّ بِهَا الحَىُّ حَىٌّ بِغِبْطَةٍ
تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنَاكَ لَوْدَامَ دَائِمُ(ب)

-٨٤-

يريد لو أن عيشا يدوم أو نعيما.

١٢ - ٤ - ومَجْهُولَةٌ قَدْ خَرَّمَ السَّيْلُ نُؤْيَهَا

إِذَا اعْتَادَ عُثْنُونٌ مِنَ الصَّيْفِ كَالِمُ(ب)

أى هى مجهولة يعنى النار، وعثنون أول الريح يقول أصابتها السيول فى وقت العجاج والريح، وكالم يكْلِم آثار الديار ويمحو.

١٣ - ٥ - تَرَى فَرْطَ حَوْلَيْهَا الأَثَافِى كَأَنَّهَا

لَدَى مَوْقِدِ النَّارِ الحَمَامُ الجَوَاثِمُ(د)

فَرْطَ بعدَ مضىّ حولَيْن، جُثوم الطير كرُبوض من الغنم.

١٤ - ٦ - وآسٍ أَوَارِىُّ الدِّيَارِ كَأَنَّهَا

حِيَاضُ عِرَاكٍ هَدَّمَتْهَا المَنَاسِمُ(هـ)، (و)

العراك إبل ازدحم على الماء، والمناسم مقاديم الأخفاف [وآسُ أوارى الأس أثر الشىء وبقيته، وحياض عراك شبهُ الأوارىّ قد تهدّمت] .

١٦ - ٧ - أَلاَ طَالَمَا احْلَوْلَى نِدَامِى وَجَرَّنِى

إِلَى الفَضَلاَتِ الأَغْيَدُ المُتَنَاعِمُ

الأغيد المتثنى من اللين والنعمة، الفضلات الشراب.

١٧ - ٨ - أَخُو مَنْ خَلاَ لِلَّهْوِ مَا إِنْ يُهِمُّهُ

مُرَاحٌ وَلاَغَادٍ عَلَى الحَىِّ سَائِمُ

يقول كنت أخا(ز) من خلا للهو أو أخى من يلهو ولا يهتم بمُراح يريد مراح الإبل من السرعى، والسائم المال الذى يرعى ، مُراح يريد مالا يُراح على الحى.

-٨٥-

[يقول هذا الرجل الذى همه مراح الإبل، والسائمُ المالُ الذى يرعَى فلا يهمه من ماله ما راحَ وماَغدا].

١٥ ـ ٩ ـ وَذُو عُرَّةٍ ضَخْمِ الـسَّوَادِ إِذَا ضَوَا
إِلَى الأَشْعِرَاتِ الـرَّائِعُ الـمُتَزَاحِمِ(ح)، (ط)

ذو عرة جيش يعر أعداءه بشر، والسواد الجماعة، ضوا مال يقال هل ضوا إليكم خبر أى إذا نودى بالشعار شِعار وأَشْعِرَةٌ [أراد بذى غرة جيشاً كثير السواد].

١٨ ـ ١٠ ـ إِذَا حَلَّ جَنْبَىْ عَرْعَرٍ رَكَزَتْ بِهِ
زِجَاجَ الـــرِّمَاحِ الأَكْثَرُونَ الأَكَارِمُ(ى)

يقول إذا نزلوا بجنبى عرعر ركزوا الرماح.

١٩ ١١ ـ بِقَوْدٍ وَأَسْلَافٍ وَسَدٌّ كَأَنَّهُمْ
مَخَارِمُ مَوْصُولٌ بِهِنَّ مَخَارِمُ(ك)

قَوْد خيل تُقَادُ، وأسلاف متقدمون وسد جماعة شبههم بالسحاب ما شبه كثرتهم بالطرق فى الجبال، مخارم جبال يقول هم مثل الجبال.

٢٠ ـ ١٢ ـ وَحَلَّ بَنُو سَعْدٍ بِبَيْـرِينَ فِـيهِمُ
طِوَالُ الـقَنَا والـمُقْرَبَاتُ الـصَّلَادِمُ

المقربات خيل تعرب من البيوت لكرامتها [الصلادم الخيل الشداد].

٢١ ـ ١٣ ـ وَحَلَّ بَنُو قَيْسِ بن عَيْلَانَ دُونَهُم
وَنَاءَتْ بَنِى بَكْرٍ هُنَاكَ الأَعَاجِمُ(ل)

٨٦.

ناعت أراد نأت فقلب، قال ناعتْ عادت من المعاداة وأصله من النأى وهو البعد يقول عادوا الأعاجم.

٢٢ ـ ١٤ ـ تَذَكَّرْتُ هَمَّامًا وَذَكَّرَنِى بِهِ
زَمَانٌ كَأَحْنَاءِ الرِّحَالَةِ آزِمُ

أحناء الرحالة هنا خشبها، والحنوان مقدم الرحل ومؤخره، يقول زمان شديد يعض الناس كأحناء الرحالة، ويقال زمان أعوج كأحناء الرحالة.

٢٣ ـ ١٥ ـ بِأَبْيَضَ مَا يَنْفَكُّ عَاقِدَ رَايَةٍ
لِمُرْدٍ عَلَى جُرْدٍ لَهُنَّ هَمَاهِمُ

[جرد خيلٌ قصارُ الشعر، هَماهمُ صوت تَسمعه ولا تَفْهَمُهُ].

٢٤ ـ ١٦ ـ وَخُيِّرَ فَاخْتَارَ الجِهَادَ وَقَدْ تُرَى
لَدَيْهِ نِسَاءٌ مُرْشِقَاتٌ نَوَاعِمُ(م)

المرشقات المُتعرضَات لينظر إليهن، ويقال مرشقات نواظر مديمات النظر [المرشِقُ الذى إذا نظرَ مدّ عُنقَهُ].

٢٥ ـ ١٧ ـ لأَفْرَاسِهِ يَوْماً عَلَى الدَّرْبِ وَقْعَةٌ
تَصَلْصَلُ فِى أَشْدَاقِهِنَّ الشَّكَائِمُ(ن)

اللجم، الشكيمة الجديدة التى تعترض فى فم الدابّه.

٢٦ ـ ١٨ ـ نَمَا بِكَ يَا هَمَّامُ شَيْخٌ وَرِثْتَهُ
بَنَى لَكَ وَالآبَاءُ بَانٍ وَهَادِمُ

أى يهدم قديم شرفه.

-٨٧-

٢٧ ـ ١٩ ـ فَقُلْ لِبَنِى مَرْوَانَ لاَ تَجْعَلَنَّهُ

كـــــــآخَرَ تَمْتَدُّ الضُّحَى وَ هُوَ نَائِمُ (س)

٢٨ ـ ٢٠ ـ فَأَصْبَحَ قَوْمِى قَدْ تُفُقِّدَ مِنْهُمُ

رِجَالُ العَوَالِى والــخَطِيــبُ الــمُرَاحِــمُ

[رجال العوالى الذين يقاتلون بالرماح، وعَالية الرمح مايلى السّنان].

٢٩ ـ ٢١ ـ وَمَا لِمَثَابَاتِ الـــعُرُوشِ بَقِيَّةٌ

إِذَا اسْتُلَّ مِنْ تَحْتِ الـــعُرُوشِ الــدَّعَائِــمُ

المثابة مقام الساقى صخرة يقوم عليها عند شفير البئر، والعرش الخشب الذى يطوى به رأس البئر، والمثابة مقام الساقى، والعرش خشبة معترضة على رأس البئر [والعروش الواحدُ عرش بنى من خشب على رأس البئر تظلّلُ به فإذا نُزِعت الدعائم سقطت العرُوش ضربه مثلاً].

٤ ـ ٢٢ ـ فَلَمْ أَرَ ذَا شَرٍّ تَمَايَـــــــلَ شَرُّهُ

عَلَى قَوْمِهِ إِلاَّ أنْتَـــهَى وَهْوَ نَادِمُ(أ)

٥ ـ ٢٣ ـ فَلَوْ أَنَّنِى هَانَتْ عَلَيَّ عَشِيـــرَتِى

لَسُبَّتْ عُرُوضٌ وَاسْتُحِلَّتْ مَحَارِمُ(أ)

٦ ـ ٢٤ ـ إِذاً لاَنْــطَوَتْ مِنِّى شُعُوبٌ وَأَقْبَلَتْ

عَلَيَّ شَكَاةٌ مِنْهُمُ وَمَلاَوِمُ

إذا لانطوت عنى.. أى كنت أوسعهم سبا.. يقول لو سببتهم(أ) لهجونى وقطعونى يقول تركونى لا يأتوننى ولا يقربوننى.

٨٨٠

٧ ـ ٢٥ ـ وَذِى شَفَقٍ مـا يأْتَلِينى نَصيـحَةً
عَصَيْتُ وقَلْبِى لِلَّذِى قَالَ فَاهِمُ

٨ ـ ٢٦ ـ فقُلْتُ لَهُ لا أَنْتَ راجِـعُ مَامَضَى
عَلَىَّ ولاَ مَـا فِـى غَدٍ أَنْتَ عالِمُ

٩ ـ ٢٧ ـ فَأَ قْبَلَ مِنِّى حِيـنَ وَدَّعْتُ بَاطِلِـى
أَخٌ لَكَ ذُو شَغْبٍ عَلَى مَنْ يُرَاجِمُ

[من المُراجمة وهو القَوْلُ بالشتم].

١٠ ـ ٢٨ ـ ومَا هِنْدُوانِىٌّ تَنَقَّاهُ صَيْقَلٌ
لِضَرْبَتِهِ يَوْمَ الـكَرِيـهَةِ خَازِمُ (ب)

١١ ـ ٢٩ ـ بِأَ صْدَقَ مِنِّى تَبْـتَلِينى وَ تُبْتَلَى
لَهُ وَقْعَةٌ فِيـهَا تُثَرُّ الـجمَاجِمُ

[قوله تبتلينى أى تجربنى فى الكريهة].

٣٠ ـ ٣٠ ـ أَلَمْ تَرَ لِلْبُنْيَانِ تَبْكِى بيوتُهُ
وتَبْقَى مِنَ الـشِّعْرِ الـبُيُوتُ الـصَّلاَدِمُ (أ)

ـ٨٩ـ

ـ ١٥ ـ

وقَال(*١٥)

١ ـ نأَتك بلَيلَى نيَّةٌ لمْ تقَارِب
وَمَا حُبُّ لَيْلَى مِنْ فُؤَادِي بِذَاهِبِ

يريد لم تقارب نيتنا [تقارب من المقاربة يقال قد قرب الأمرُ].

٢ ـ مُنَعَّمَةٌ تَجلُو بِعُودِ أَرَاكَةٍ
ذُرَى بَرِدٍ عَذْبٍ شَتِيتِ المَنَاصِبِ

المناصب مراكز الإنسانِ يعني أنه مفلج [بعودِ أراكةٍ بالسواك، ذرى أعالي، والشنيب البارد، والمناصبُ المنابتُ واحدها منصب].

٣ ـ كأَنَّ فَضِيضاً مِنْ غَرِيضِ غَمَامَةٍ
عَلَى ظَمأٍ جَادَتْ بِهِ أُمُّ غَالِبِ

فضيض ماءٌ سائلٌ، غريض (أ) طري، ظمأ عطش [قال أبو عمرٍو وكل ما سقط من السماء فهو فضيضٌ من الماء، والغريض الطري من الماء وغيره].

٤ ـ لِمُسْتَهْلِكٍ قَدْ كَادَ مِنْ شِدَّةِ الهَوَى
يَمُوتُ وَمِنْ طُولِ العِدَاتِ الكَوَاذِبِ

-٩٠-

مستهلك هالك فى الشوق، والمستهلك الجاد فى الأمر كأنه جعله ها هنا للجد فى الحب (أ) قال الجعدى: تهالك فى سبسبِ.

٥ ـ صَرِيـــــــعُ غوانٍ رَاقَهُنَّ وَرُقْنَهُ
لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سُودُ الذَّوائبِ

[راقهنّ أعجبهنّ ورُقنَه أَعجَبْنه].

٦ ـ وَثِنْتَيْنِ مِمَّا قَدْ يَلَذُّهُمَا الــــفَتَــى
جَمَعْتُهُمَا رَاحٍ وَبَيْضَـــــــاءَ كَاعِبِ(٢)

٧ ـ قُدَيْدِيـمَةَ الــتَّجْرِيــبِ وَالـحِلْمِ إِنَّنــي
أَرَى غَفَلَاتِ الـــعَيْشِ قَبْلَ الــــتَّجَارِبِ

قديديمَة تصغير قدام أراد قبل أن أصير كبيرا، وإذا كان فى نعيم ورخاء فهو فى غفلة.

٨ ـ وَمَارِيـــــــحُ رَوْضٍ ذِى أُقَاحٍ وَحَنْوَةٍ
وَذِى نَفَلٍ مِن قُلَّةِ الْحَزْنِ عَازِبِ

الحنوة صفراءُ الثمرةِ، والنفل بقلةٌ طيبة.

٩ ـ سَقَتْهُ سَمَــــــاءٌ ذَاتُ طَلٍّ فَنَقَّعَتْ
نِطَافًا وَلَمَّا يَأْتِ سَيْلُ الـــــــمَذَانِبِ

نقَّعت استنقعت المياهُ فى الحفَرَ ولم يزد على ذلك فيسيل، وإنما على أنها كانت نفحة أصابتها ففاحت ريحها لأن كثرة المطر يذهب بريحها (أ)، والمذانب مجارى الماء إلى الرياض [المذانبُ المسَايلُ واحدها مذنبٌ].

-٩١-

١٠ ـ بِأَطْيَبَ مِنْ لَيْلَى إذَا مَــا تَمَــايَلَتْ
مِنَ اللَّيْلِ وَسْنَى جــانِبًــا بَعْــدَ جَــانِبِ

١١ ـ تُلاَعِبُ أَتْرَابًا مِنَ الحَىِّ مَــــوْهِنًا
قِـصَـارَ الْخُطَى مُـسْـتَـرْخِـيَـاتِ المَنَاكِبِ

[يقال مضَى من اللَّيل موهِّن أى ساعةٌ].

١٢ ـ تَلاَهَيْنَ وَاسْــتَنْعَتْ بِهِنَّ خَــرِيدَةٌ
إِلَـى مَـلْعَبٍ نَـاءٍ مِـنَ الْـحَـىِّ نَـاصِبِ (أ)

استنعت لجت وتمادَتْ لم تزل تلتهى بالحديث حتى برزت بهنّ إلى ملعبٍ [استنعتْ تقدمت، والناصب البعيد].

١٣ ـ وَبِيضٍ حِـسَانٍ يَتَّبِعْنَ إِلَى الصِّبَى
رَسُولاً كَـمَـا انْقَـادَتْ عِـتَـاقُ النَّجَـائِبِ (ب)

يروى كَمُنْقَادِ العِتَاقِ النَّجائِبِ، الرسول الغزل والداعى إلى الصبا كأنه رسول يتبعنه.

١٤ ـ فَــأَقْــبَلْنَ مَــا يمْشِــيْنَ إلاَّ تَأَوُّدَا
حِــسَــانَ الوُجُــوهِ صَــافِــيَــاتِ الذَّوَائِبِ

تَأَوُّداً تمايُلاً وتثنّياً، ضافيات طويلات، ويروى صافيات الترائب.

١٥ ـ فَلَمَّــا الْتَــقَــيْنَا قَــامَ لِلْعَــاجِ رَنَّةٌ
وَمِلْنَا قُــرَانَى مِنْ سَلِيبٍ وَسَــالِبِ (جـــ)

سليب سُلِب لُبُّـه من الحبّ، رنّة يقول تقعقع الحلى، وقرانى اثنين اثنين

٩٢٠

يغرى كل واحد قرينه للمصاحبة كل واحد مع آخر [الرنة الصوت للعاج وللسوار من المسك].

١٦ ـ وإنِّى وإنْ كانَ المُسافِرُ نامياً
وإنْ كانَ ذا حقٍّ على النَّاسِ واجِبِ (أ)

١٧ ـ ولاَ بُدَّ أَنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرُ ما رأى
مُخَبِّرُ أَهْلٍ أَوْ مُخَبِّرُ صاحِبِ

١٨ ـ سأُخْبِرُ بِالأَنْباءِ عَنْ أُمِّ مَنْزِلٍ
تَضَيَّفْتُهَا بيْنَ العُذَيْبِ فَرَاسِبِ (أ)

يروى لمُخبِرُكَ الأنباءَ، تضيَّفتها أتيتها ضيفا.

١٩ ـ تَلَفَّعْتُ فى طَلٍّ ورِيحٍ تَلُفُّنِى
وفى طِرْمِساءٍ غَيْرِ ذاتِ كَوَاكِبِ (أ)

تَلَفَّعْتُ تلحَّفت واشتملت، طرمساء ليلة مظلمة [والطل (ب) الندى، والطرمساء الظلمة، تلُفنى تأخذُنى من كلِّ وجه].

٢٠ ـ إِلَى حَيْزَبُونٍ تُوقِدُ النَّارَ بَعْدَمَا
تَلَفَّعَتِ الظَّلْمَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (أ)

حيزبون عجوز، تلفعت تلحفت، حيزبون فيها بقية... [الحيزَبُون العَجُوزُ المُسِنَّةُ].

٢١ ـ تَصَلَّى بِهَا بَرْدَ العِشاءِ ولَمْ تَكُنْ
تَخَالُ وَبِيصَ النَّارِ يَبْدُو لِرَاكِبِ (أ)

بها بالنار، ويُروَى ذاتَ العِشاء، ويبص ضوء [تصلى العجوز بهذه النار]. (ب)

٢٢ ـ فمَا راَعهَا إلاّ بُغَامُ مَطِيَّةٍ
تُرِيحُ بِمَحْسُورٍ مِنَ الصَّوْتِ لاَغِبِ (أ)

محسور ضعيف، تريح بمحسور أى تخرج نفسها، تريح تسرع الناقة إلى الرعا.

٢٣ ـ تَقُولُ وَقَدْ قَرَّبْتُ كُورِى وَنَاقَتِى
إلَيْكَ فَلاَ تَذْعَرْ عَلَىَّ رَكَائِبِى (أ)

٢٤ ـ وَجُنَّتْ جُنُوناً مِنْ دِلاَثٍ مُنَاخَةٍ
وَمِنْ رَجُلٍ عَارِى الأَشَاجِعِ شَاحِبِ

دلاث ناقة ماضية، ويقال التى تركب رأسها، ومناخة أناخها عندها، جنت حين أنختها [يقال للناقة إذا أسرعت فى السير ومرت كأنَّ بها جُنوناً، وجُنَّت الأرض كثر نباتها، وشاحب مُتَغَيِّر].

٢٥ ـ سَرَى فى جَلِيدِ اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا
يُخَزِّمُ بِالأَطْرَافِ شَوْكُ العَقَارِبِ (أ)

يقول أصاب أطرافه الجليد فكأن شوك العقارب تخزمت أطرافه أدخلت فيها (ب) [قال أبو عمرو الجليدُ والضريبُ والسقيط (جـ) والحليب بلُغةِ طىءٍ، وكله الذى ينزلُ بالليل].

٢٦ ـ فَسَلَّمْتُ وَالتَّسْلِيمُ لَيْسَ يَسُرُّهَا
وَلَكِنَّهُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ جَانِبِ

غريب أجنبى [الجانب الغريب].

-٩٤-

٢٧ـ فَرَدَّتْ سَلَامًا كَارِهًا ثُمَّ أَعْرَضَتْ
كَمَا انْحَاشَتِ الأَفْعَى مَخَافَةَ ضَارِبِ (أ)

يروى كما انحازت، وانحاشت حاذت وعدلت ومالت.

٢٨ ـ فَقُلْتُ لَهَا لا تَفْعَلِي ذَا بِرَاكِبِ
أَتَاكِ مُصِيبِ مَا أَصَابَ فَذَاهِبِ

٢٩ ـ فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الحَدِيثَ سَأَلْتُهَا
مَنِ الحَيُّ قَالَتْ مَعْشَرٌ مِنْ مُحَارِبِ (أ)

٣٠ ـ مِنَ المُشْتَوِينَ القِدَّ مِمَّا تَرَاهُمُ
جِيَاعًا وَرِيفُ النَّاسِ لَيْسَ بِنَاضِبِ

بعيد ذاهب، أي مما تراهم كثيرا، وإن شئت جعلته مصدراً أي من رؤيتك إياهم جياعا، قال: وريف الناس ليس بناضب، أي ليس لهم من العزّ ما يوجهون إلى الريف فيمتارون، يقول ليس عندهم خير وإن كان الريف منهم قريبا.

٣١ ـ فَلَمَّا بَدَا حِرْمَانُهَا الضَّيْفَ لَمْ يَكُنْ
عَلَيَّ مُنَاخُ السُّوءِ ضَرْبَةَ لَازِبِ

يقول لم يكن مناخ السوء أمرا واجباً عليّ [يقال ضربة لازبٍ ولازم].

٣٢ ـ وَقُمْتُ إِلَى مَهْرِيَّةٍ قَدْ تَعَوَّدَتْ
يَدَاهَا وَرِجْلَاهَا خَبِيبَ المَوَاكِبِ (أ)

يقول قد اعتادت أن تحب في الموكب.

٣٣ ـ تُفَرِّي قَمِيصَ اللَّيْلِ عَنْهَا وَتَنْتَحِي
كَأَنَّ بِذِفْرَاهَا بُصَاقَ الجَنَادِبِ (ب)

من العرق، تفرى قميص الليل يعنى ظلمة الليل أى كأنها تدرعته فإذا خرجت منه فقد شقته [تُفرى تشقق، وبزاق الجنادب من العرق، قال أبو عمرو: وواحد الجنادب جُنْدَبٌ وجُنْدُب مثل مُنْصَلَ ومُنْصُلٍ].

٣٤ ـ تَرَى كُلَّ مِيلٍ جَاوَزَتْهُ غَنِيـــمَةً
سُحَيْراً وَقَدْ صَارَ الـــقُمَيْرُ بِحَاجِبِ (جـــ)

يقول قد صار موضوع الحاجب يحجبه أنْ تنظر إليه.

٣٥ ـ تُخَوِّدُ تَخْوِيـــدَ الْنَّـــعَامَةِ بَعْدَمَا
تَصَوَّبَـــتِ الْجَوْزَاءُ قَصْدَ الـــمغَارِبِ

تُخَوِّد تسرع، تصويت مالت [يريد وقت الغداة وقد سارت ليلتها فهو وقت الكُلال والإعياء].

٣٦ ـ كأَنِّى وَرَحْلِى مِنْ نَجَاءِ مُوَاشِكٍ
عَلَى قَارِحٍ بِـــالْمُنْـــصُلِيَّةِ قَارِبِ

مواشك سريع من نعت النجاء، قارح حمار، المنصلية موضع، قارب قرب من الماء [قارب يطلب الماء].

٣٧ ـ حَدَا فِى صَحَارَى ذِى حَمَاسَ وَعَرْعَرٍ
لِقَاحاً يُغَشِّيـــهَا رُءُوس الصَّلَاهِبِ (أ)

[حَدا ساق، وذى حماسٍ موضع، وعَرعرٌ وادٍ، والصَّياهب الأرض المستوية].

٣٨ ـ مُوَقَّحَةَ قُبّاً خِفَافاً بُطُونُهَا
وَقَدْ وَازَنَتْ جِحْشَانُهـــا بِالْحَوَالِبِ (ب)

٩٦٠

موقحة صلاب الحوافر، قب ضوامر البطون، وازنت حاذت، الحوالب عروق البطن فقد بلغت جحشانها إلى موضع الحوالب، يقول كبرت الجحشان حتى بلغت بطون الأمهات[وازنت صارت معها أي كاثرت، قال والحوالبُ الخواصر]

٣٩ - تَمُرُّ كَمَرِّ الطَّيْرِ في كُلِّ غَمْرَةٍ
وَيَكْتَحِلُ التَّالي بِمُورٍ وَحَاصِبِ (جـ)

[التَّالي التابعُ يَعْني الحمار، والمُور الغبارُ].

٤٠ - أَلاَ إِنَّمَا نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا شَتَوْا
لِطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الحُبَاحِبِ

[قال أبو عمرو: وسمعتُ العرب تقول نارُ الحباحب ونارُ حباحب بلا ألف ولام، وهي النار التي تخرج من تحت حوافر الدوابّ].

٤١ - إِذَا مِتُّ فَانْعِيني بِمَا كُنْتُ أَهْلَهُ
لِتَغْلِبَ إِنَّ الحَقَّ لابُدَّ غَالِبِي (أ)

٤٢ - إِذَا الحَيُّ حَلُّوا فَرْطَ حَوْلٍ بِغَائِطٍ
جَدِيبٍ مُنَدَّاهُ أَنِيقٍ لِحَاطِبِ (ب)

فَرْط حول بعد سنة، الغائط المطمئن من الأرض يقال منداه جديب، والتندية أن ترد الإبل فلا تُجيدُ الشرب فتُردّ إلى المرعى فترعى ساعةً ثم ترد إلى الماء، يقول فمنداها الغائط.

ـ ١٦ ـ

وقَال(*١٦٠)

١ ـ أَلاَ مَنْ مُــبْلغٌ زُفَــرَبْنَ عَــمْــرٍو

وَخَــيْــرُ القَــولِ مَــا نَطَقَ الحَكيمُ

٢ ـ رأَيْتُ ابن النُعَــامَــةِ يدَّرِينى

ولَمْ يَكُ يَدَّرِى مِــثْلِى الحليمُ (أ)

رجل يحمقه (ب) جعله كالنعامة، أبو عبد الله أَلَمْ تَرَ للنعَّامَة، يَدَّرِينى أى يختلنى، وقال غيره يجعلنى كالدرية [النعامةُ رجل لم يعلم ما اسمه]

٣ ـ أَتَخْــتِلُنى وتَحْــسبُنى كَــخِشْفٍ

مِنَ الغِــزْلانِ أَخْــرَقُ مَــا يَرِيمُ (جـ)

الأخرق الذى لم يستقم قوائمه فيه التواء من الضعف.

[أعقل يعنى الخشف فى قوائمه التواء لاتستقيم قوائمه، يقال ظبى أعقل وظبية عقلاء].

٤ ـ تَقَــحَّمُ فى الخَــبَــارِ وتَخْــتَلِينى

وَضِــغْثُ الْمُــخْــتَلى كَــلأٌ وَخِــيمُ (د)

٩٨.

التقحم فى الخبار شاقٌ، يقول تكلف من تعرضك لى مشقة وتظن أنى خلاة [الخبار الحفرة وما استرخى من الأمر، وتختلينى كما يختلى الحشيش].

٥ ـ لَعَلَّ الصَّيْدَ سَوْفَ يَصِيرُ شَثْناً

يُبَيِّنُ حِينَ يَنْهِمُ أَوْ يَقُومُ (هـ)

[شَثْناً أى أسداً ضربه مثلا لنفسه، والشَّثْنُ الغَلِيظ الكف، يَنْهَمُ يَصيحُ يقال نهمه إذا صاح به وزجره].

٦ ـ هِزَبْراً يَرْهَبُ الأَقْرَانُ مِنْهُ

مِنَ اللَّائِى تَبِيتُ لَهَا نَئِيمُ

صوت.

٧ ـ أَبَنَّ مَوَارِدَ الْغَمْرَيْنِ عَصْراً

وَطَوْراً مِنْ مَسَاكِنِهِ الْقَصِيمُ (و)

[القصيم منابت الغضا، وأبن أقمن (ز) بهذا الموضع].

٨ ـ أَذَلِكَ أَمْ رِيَاضَةُ رَأْسِ قَرْمٍ

تَخَمَّطَ وَهْوَ تَرْكَبُهُ الهُمُومُ (ح)

تخمط يقول أذلك يكون صيدا أم تبتلى بفحل همومه تهيجه (ط) [التخمُّط أخذُ الشىء بالغضب].

٩ ـ مِنَ العُصْلِ الشَّوَابِكِ نَشْرُ جَرْبٍ

عَلَنْدَى الْمَنْكِبَيْنِ بِهِ العَصِيمُ (أ)

قال: نشر جرب نبات الوبر بعد الجرب، العصيم الهناء، ابن الأعرابى نَشَرَ جربهُ انتشر جربه[العُصل الأنياب المعوجةُ التى قد تركت].

١٠ - إِذَا سَمِعَتْ لَهُ الـقَعْدانُ عَزْفاً
ذَرِقْنَ وَهُنَّ مِنْ فَزَعٍ كُظُومُ (ب)

قعود وقِعدان، كظوم سواكتُ [الذَّرفان المشي الضَّعيفُ].

١١ - مُعَرًّى فَهْوَ يُرْفَضُ حَيْثُ أَمْسَى
مِنَ الإِهْمَالِ تَعْرِفُهُ النُّجُومُ

يرفض يُترك لا يقدر على أخذه، تعرفه النجوم هو أبدا تحتها [مُعرًّى أى مَتْرُوكاً مُهْمَلاً أى أنهُ يرْعَا وحده فكأنّه لايفارق النجومَ].

١٢ - تَبِيتُ الغُولُ تَهْزِجُ أَنْ تَرَاهُ
وَصَنْجُ الجِنِّ مِنْ طَرَبٍ يَهِيمُ (جـ)

يهيم الصوت يذهب ويجى..

١٣ - أَبِيٌّ مَا يُقَادُ الدَّهْرَ قَسْراً
وَلاَ لِهَوَى المُصَرِّفِ يَسْتَقِيمُ

أبىٌّ يأبى أن يُقَاد، المصرف الرجل الذى يصرفه.

١٤ - تَصُدُّ عَضَارِطُ الرُّكْبَانِ عَنْهُ
وَشَهْرًا مِنْ تَخَمُّطِهِ يَصُومُ (د)

عضارط يعنى الراضة، الفحل إذا اغتلم لايأكل شهرا شيئا [العضارصة التُّبَّاع]. (هـ)

١٥ - أَنُوفٌ حِينَ يَغْضَبُ مُسْتَعِزٌّ
جَنُوحٌ يَسْتَبِدُّ بِهِ العَزِيمُ (و)

-١٠٠-

أنوف ذو أنف، جنوح يجنح ويميل فى أمره فلا يردّه ويعزم على الشىء فيُمضى، مستعز عزيز النفس [مستفز أى شديد لا يقدرُ عليه].

١٦ ـ وَقَبْلَ ابـــنِ الـــنَّعَامَةِ كُنْتُ نِكْلاً
مُلِدّاً حيـــــنَ يَنْتَطِحُ الــــخُصُومُ

نكلا يقول أكون لجاماً لهم لا يتكلمون، ملدٌ شديد الخصومة [النكلُ لجامٌ عَظيم يكون للبريد].

١٧ ـ ومَادَنّى بِغَايَتِهِ أَبُونَا
إِذَا عدَّ الـــخُؤُولَةُ والــــعُمُومُ (ز)

دَنّى قصر.

وأنشـــد: وَكُنْتُ إِذَا كلَّفْتُ صَاحِبَ ثَلَّةٍ
سُرَى الَّلـيـل دَنَّى عَنْ فُرُوجِ الـمَخَارِمِ (ح)

١٨ ـ فَخَالِى الـــشَّيْخُ صَعْصَعَةُ بْنُ سَعْدٍ
وتَنْمِيــــنِى لأَكْرَمِهَا تَمِيــــــمُ

١٩ ـ ويَرْفِدُنِى الأَرَاقِمُ خَيْرَ رِفْدٍ
وَشَيْبَانُ بــــنُ ثَعْلَبَةَ الـــقُرُومُ (ط)

٢٠ ـ أَبَى عَنْهُ وَرِثْتُ سَوَامَ مَجْدٍ
وكُلُّ أَبٍ سَيُورِثُ مَا يُسِيــــــمُ (أ)

يسيم يرعى سائمته أسَمْتُ الراعية إذا رَعيتها [أى يورث ما يرعى من المال عن ابن الأعرابى].

٢١ ـ فَمَا آلُ الـــــحُبَابِ إِلَى نُفَيْلٍ
إِذَا عدَّ الـــمُمَهَّلُ وَالـــقَدِيــــمُ (أ)

نفيل جد الصعق وهو خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب سمي الصعق لصاعقة أصابته، ممهل سابق، وروى أبوعبد الله الممهل أي المتروك المنسي [أراد ما تقدم من الشرف وهو القديم يقال اجعل لفلانٍ مهلة أي قدمة، وآل حباب جد عميرين حباب].

٢٢ ـ كأَنَّ أَبَا الْحُبَابِ إِلَى نُفَيْلٍ

حِمَارٌ عَضَّهُ فَرَسٌ عَذُومُ

عضوض.

٢٣ ـ بَنَى لَكَ مَالِكٌ وَبَنُو كِلَابٍ

أُرُوماً مَا يُوَازِنُهُ أُرُومُ (أ)

٢٤ ـ إِذَا عُدَّتْ هَوَازِنُ أَوْسُلَيْمٌ

فَأَنْتُمْ فَرْعُهَا الشَّرَفُ الصَّمِيمُ

٢٥ ـ وَجَدْنَا الصَّعْقَ كَبْشَ بَنِي نُفَيْلٍ

جَرَى بِالْمَجْدِ قَدْ عَلِمَ الْعَلِيمُ (ب)

٢٦ ـ وَكَانَ إِذَا يَعَضُّ سَفِيهَ قَوْمٍ

عَصَى الرَّاقِينَ فِي الْحُمَةِ السَّلِيمُ

عصى الراقين أراد عصى السليم الذي فيه الحمة الراقين، أرادوا برأه وأبى فلايبرأ عصى هذا السليم الذي فيه الحمة الراقين بالبرء فلم يبرأ [السليم الملدوغ وإنما قالوا تطيرا].

٧٢ ـ بِعَضَّةِ رَأْسِ أَقْرَعَ ذِي لُغَامٍ

يُسَكِّرُ أَوْ يُسَنِّيهِ الْعَلِيمُ (جـ)

١٠٢. بعضة بهذه العضة التى أصابته من رأس حية، أقرع قد قرع من كثرة السم، يسكر هذا الأقرع مَنْ يَعضه أو يلقى عليما فينطلق بالرقى، يسنيه العليم يلقى (د) رجلا عالما فيرفق به ويلطف لعلاجه من المساناة.

.١٠٣.

ـ ١٧ ـ

وقَال(*١٧)

١ـ إنّي لـمُهْدٍ مِـدْحَةً وهَدِيَّةً
لأسْمَاءَ ذي الفَضْلِ العَظِيمِ القُمَاقِمِ(أ)

٢ ـ ومَا قَائِلٌ خَيْراً ومُثْنٍ بِنائِلٍ
علَى آلِ بَدْرٍ في مَعَدّ بِنَادِمِ(ب)

٣ ـ وَجدُّكَ حِصْنٌ قَدْبَنَى لكَ في العُلاَ
كَمَا أنَّ نُعْمَاناً بَنَى لِلْعَلاَقِمِ(جـ)

[قال هشام نعمان بن زُرعة بن هَرِم بن السَّفّاح بن خَالد بن كَعْب بن زُهَيْر ابن أسَامَة(د) بن مَالك بن بَكْر بن حبيْب بن عَمْرو بن غَنْم بن تغلب].

٤ ـ أغَرُّ إذا اصطَكَّ الجِبَاهُ كأنَّهُ
هلاَلٌ بدَا منْ مُسْجِفَاتِ الغَمَائِمِ

اصطك الجباه قاتل بعضهم بعضا، مُسْجفات رقاق، غمامة وغمائم [اصطك الجباهُ استقْبَل بَعضُهم بعضاً في المفاخَرة وفي الحربِ والخُطبِ، قال ومُسجِفات مظلمات].

.١٠٤.

٥ - إِذَا نَحْنُ زُرْنَـــــابِيْتَهُ قَالَ مَرْحَباً

لِجُوا ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَنَا بِالــــسَّخَائِمِ

أي بالعداوة التي كانت بين قيس وتغلب [السَّخائمُ الأَحقادُ].

٦ - أَلَـــــمْ تَرَ أَنَّا قَدْ كَسَوْنَاكَ حُلَّةً

نَمَتْ بِكَ لَيْسَتْ لِلِّئَامِ الـــدَّمَائِمِ(هـــ)

دميمة ودمائم [حُلَّة مدحة، الذمائم القبائح]

٧ - مُفَدَّاةُ بِنْتُ الـــحِصْنِ أُمُّكَ فَانْتَسِبْ

إلى النَّسَبِ الرَّابي الرَّفـــيعِ الدَّعَائِمِ(و)

الحصن ثعلبة بن عُكابة، الدعائم معتمد كل شيء [قال هشام مُفَدَّاة بنتُ ثَعلبَة بن عكابة وهي...... ان وأنمار وعامر بني بَغيض بن رَيْب بن غطَفان، قال وأم فَزَارَةَ وسَعْد وعامر وسلامان بني ذُبيان هندُ بنتُ الأَوْقَصِ، قال وأم بَغيض وأشجع وحرب وأهرن ومازن بني ريث رَيْطَةَ بنتُ لُجَيْمْ بن صعب بن على بن بكر بن وائل].

٨ - وأُمُّ بَنِي بَدْرٍ فَلاَ تَنْسَيَنَّهَا

وَبَدْرٌ أَبُو تِلْكَ الـــبُحُورِ الـــخَضَارِمِ(ز)

٩ - تَظَلُّ سَــــرَاةُ الـــحَيِّ بَكْرٍ تَعُودُهُ

وَتَغْلِبَ مِنْ مُعْطِي الـــخِزَامِ ورَائِمِ(حـــ)

رائم عاطف قابل لما يكلَّفه، ومعطى الخزام منقاد.

.١٠٥.

١٠ ـ لَعَمْرِى لَقَدْ سَادَ ابنُ بَدْرٍ بِفَضْلِه

عَلَى وُدِّ مَسْرُورٍ بِذَاكَ وَرَاغِمِ

١١ ـ وأَسْنَدَ أَمْرَ الحَىِّ بَعْدَ الْتِبَاسِه

إلى كُلِّ جَلْدٍ مُبْرِمِ الأَمْرِ حَازِمِ(ط)

١٢ ـ فأَنْتَ الَّذِى تَرْجُوكَ قَيْسٌ لِفَضْلِه

وحَىُّ لُكَيْزٍ مِنْ وَرَاءِ اللَّهَازِمِ(ى)

سُمُّوا اللهازم؛ لأنهم اجتمعوا، من وراء من بعد [قال أبو عمرو: اللهازم بنو (ك) تغلب وسعد وعوف ومالك وبنومالك بن بكر.... وامرؤ القيس ابناتيم وأُسامة].

١٣ ـ فَضَلْتَ نِزَاراً يا ابْنَ حِصْنٍ تَكَرُّمًا

وَحَزْمًا بِشَدَّاتِ الفُحُولِ الصَّلَادِمِ(ل)

[الصلادمُ الشدادُ من الخيل(م) واحدها صلدمٌ].

١٤ ـ بِحَمَّالِ أَثْقَالٍ إذا خَطَرَتْ بِه

فَزَارَةُ فِى يَوْمِ الثَّأَى المُتَفَاقِمِ(ن)

الثأى الفساد تثاءى ما بين القوم إذا فسد، ومتفاقم عظيم، تفاقم الأمر عظُم.

ـ١٠٦ـ

ـ ١٨ ـ

وقَال(*١٨)

١ ـ وَمَـــــنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ
فَـــــأَيُّ أُنَاسِ بَادِيَةٍ تَرَانَا(أ)

يقال من البَدْو البداوة .

٢ ـ وَمَنْ رَبَطَ الـــجِحَاشَ فَإِنَّ فِيـــنَا
قَـــنَا سُلُباً وَأَفْرَاساً حِسَانَا

[السُّلُبُ الطوَالُ] .

٣ ـ وكُنَّ إِذَا أَغَـــرْنَ عَلَى قَبِيـــلٍ
وأَعْـــوَزَهُنَّ كُوزٌ حَيْثُ كَانَا(أ)

وكن الخيلُ، ويرُوَى علَى جنَابٍ وأعوزهن كوز، جناب من كلب، وكوزمن بنى أسد

٤ ـ أَغَرْنَ مِنَ الـــضِّبَابِ عَلَى حِلاَلٍ
وَضَبَّةَ إِنَّهُ مَـــنْ حَانَ حَانَا(أ)

■١٠٧■

يقال حَيٌّ حِلالٌ إذا كانوا أشرافا [الضِّباب من بنى كلاَبٍ] .

٥ ـ وأَحْيَانَاً عَلَى بَكْرٍ أَخِيـــــــــــــــنَا

إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلاَّ أَخَانَا

[يقول إذا.... أخينا أغرنا عليهم فإن لم نجد (إلا)(أ) أخانا بكرا أَغَرْنَا عليهم] .

.١٠٨.

ـ ١٩ ـ

وقَال(*١٩٠)

١ ـ أَلاَ بَكَرتْ مَيٌّ بِغَيـــــرِ سفَاهَةٍ
تُعَاتِبُ وَالْـــمَوْدُودُ يَنْفَعهُ الْـــعزْرُ

عذلته في تفريق ماله، من عاتبه من يوده ينفعه ذاك، وإذا عزره من يحبه نفعه ذلك، والعزر أصله الضرب ويقال الأدب [العزر أن يلامَ]

٢ ـ فَقُـــلْتُ لَهَا إِنِّي بِحِلْمِكِ وَاثِقٌ
وَإِنَّ سِوَى مَا تَأْمُرِيـــنَ هُوَ الأَمْرُ

٣ ـ وَتَرْعِيَّةٍ لَمْ يَدرِمَا الْـــخَمْرُ قَبْلَهَا
ســـقَيْنَاهُ حتَّى كَانَ قَيْدًا لَهُ الـسُّكْرُ(أ)

٤ ـ وَثَمَّ كَفَيْنَاهُ الْـــبدَادَ وَلَمْ نَكُنْ
لِنُنْكِدَهُ عمَّا يَضَنُّ بِهِ الْـــصَّدْرُ(أ)

* البداء النِّهْدُ أن يجتمع القوم فيخرج كل واحد منهم شيئا فيشتروا(ب) به ما يريدون، يَرْعِيَّةٍ ويَرْعايةراع، النِّهْدُ إخراجُ القوم نفقةً بينهم، نُنكدهُ نلجئه إلى النكد.

٥ ـ فظَلَّ إِلَى أَنْ بَاتَ عِنْدِى بِنَعْمَةٍ

إِلَى أَنْ غدَا لا لَوْمُ أَهْلٍ ولاَ خمْرُ(جـــ)

من الخمار ويقال لم يشتر (د) خمرا (أبوعبدالله لا لوم أهل ولا خمر يقول غدا من عندنا لم يلُمْه أهله في ثمن خمر لأنا كفيناه ذلك)(هـ) [لالوم أهلى أى ليس علَيهِمْ لَوْمٌ،وقوله ولاخمرُ أى لم يبق حتى يَسْكَرَ] .

٦ ـ غطَارِيـــفُ يدْعُونَ الـــكَرِيم أَخَاهُمُ

وإِنْ لَمْ يكُنْ فِيـــــهِ لَهُمْ مِنْهُمُ صِهرُ(و)

٧ ـ وتَغـــــــلِبُ حَيٌ ورَّثَتْ مَجْدَ وَائِلٍ

مَرَاسِيـــــــــلُهَا حُشْدٌ ومَرْفِدُهَا غزْرُ(ز)

يُرْوَى ورَّثُوا المجْدَ وَائِلا، مراسيلها رجالُها، ومرفدها عطيتهم،مراسيل سراع

٨ ـ دعـــــوا النِمْرَ لاَ تنثُوا علَيْهِمْ خيَانَةً

فَقَدْ أَحْسَنَتْ فِيـــــمَا خَلاَ بيْنَنَا النِمْرُ(أ)

لاتنثوا لاتذكروا منهم قبيحا .

٩ ـ وَكـــــنَّا كمَا كَانُوا إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ

مِنَ الْمُعْضِلاَتِ لاَ عوَانٌ وَلاَبِكْرُ(ب)

١٠ ـ وكُنَّا إِذَانَابَتْ مِنَ الـــــدَّهْرِ نَوْبَةٌ

كفَتْهَا الـــهوَادِى مِنْ بَنِى جُشَمِ الـــزُّهْرُ(جـــ)

الهوادى السادةالمتقدمون .

-١١٠-

١١ ـ أَلَـــــمْ تَرَ هَمَّاماً فَتَى تَغْلِبَ الَّذِى

تَعَاوَرَهُ الأَيَّامُ وَاضْطَرَّهُ الـــــدَّهْرُ(د)

همام بن مطرّف سيد تغلب فى الإسلام.

١٢ ـ بَنَى بَيْنَ حَيَّىْ وَائِلٍ بِصَنِيــــعَةٍ

فَلاَ تَغْلِبٌ لاَمَتْ أَخَاهَا وَلاَبَكْرُ(هـــــ)

بصنيعة أى أرضاهما كليهما فرضوا (و) أبو عبدالله اضطرّه الدهر أى اضطره إلى أن يبنى بين تغلب وبكر.

١٣ ـ لَعَمْرُ أَبِى أُمِّ الأَرَاقِمِ إِنَّهَا

لَغَرَّاءُ مِذْكَارٌ تَجَنَّبَهَا الـــــنَّزْرُ(أ)

يُروَى لَعَمْرُ بنى أمّ، مذكار عادتها أن تلد الذكور، نذر قلة الولد.

١٤ ـ وَلَـــوْ ثَوَّبَ الـــدَّاعِى بِشَيْبَانَ زُعْزِعَتْ

رِمَاحٌ وَجَاشَتْ مِنْ جَوَانِبِهَا الـــقِدْرُ(أ)

[جاشت فارتْ وغلَتْ].

١٥ ـ لُجَيْمِيَّةٌ خَرْسَاءُ أَوْ ثَعْلَبِيَّةٌ

يَحُشْنَ حُمَيَّاهَا الـــمُسَاعِرَةَ الـــزُّهْرُ(ب)

من ثعلبة بن عكابة.

١٦ـ هُـــــمُ يَوْمَ ذِى قَارٍ أَنَاخُوا فَجَالَدُوا

كَتَائِــــبَ كِسْرَى بَعْدَمَا وَقَدَ الـــجَمْرُ

١٧ ـ فَظَلَّتْ بَنَاتُ الـــحِصْنِ بِالْمِسْكِ تَطَّلِى

لَدَيْهِمْ وقَدْ طَابَتْ بِأَيْدِيـــــهِمُ الــــخَمْرُ(أ)

أراد أنّ النساء يطلين بالمسك لرجالهن(ب) [الحصنُ بن ثعلبة بن عُكابةَ ابن صَعْب بن عليّ بن بكرِ بن وائل، يقول يطلين بالمسك لأزواجهن] .

ـ ٢٠ ـ

وقَال(*٢٠)

١ ـ أَرقْتُ ومُعْرِضَاتُ اللَّيْلِ دُونِى
لِبَرْقٍ بَاتَ يَسْتَعِرُ اسْتِعَارَا

معرضات ما اعترض من ظلمته، استطار البرق فى السَّحاب أخذ بناحيتَيْه.

٢ ـ تَواضَعَ بِالسَّخَاسِخِ مِنْ مُنِيمٍ
وَجَادَ السِّرَّ وَافْتَرَشَ الغِمَارَا(أ)

تواضع أقام وثبت، والسخاسخ الوطاء من الأرض واحدها سَخْسَخٌ وهى مطمئنَة

[تواضع يعنى اطمأن،والسجاسج ما اطمأن من الأرض، ومُنيم مَوْضِعٌ، والعين مَوْضِعٌ، والغمار المياه الكثيرة غَمْرَةٌ وغِمَارٌ] .

٣ ـ وبَاتَ يَحُطُّ مِنْ جَبَلَىْ نِزَارٍ
غَوَارِبُ سيْلِه حُزَماً كِبَارَا(أ)

.١١٣.

غوارب أمواج، أراد جبال نزار.

٤ ـ بِسَحٍّ تَـغْــرَقُ الـنَّـجَــوَاتُ مـنْـهُ

وَيَبْـعَثُ عَنْ مَـرَابِضِـهَـا الصُّـوَارَا(أ)

البقر، النجوة ماارتفع من الأرض [النجوات ما ارتَفَعَ من الأرض واحدُها نَجْوَةٌ].

٥ ـ وَيَـصْـطَـادُ الـرِّئَـالَ إِذَا عَـــلاَهَـا

وَإِنْ أَمْــعَــنَّ مِـنْ فَــزَعٍ فِـــرَارَا

هذا السحاب يصطاد الرئال فلا تقدر أن تذهب يريد (أن)(أ) يمنعها أن تصير إلى مواضعها [السيل يغرّق الرئال ويقول إن أمعن فى الفرار غرقهن السَّيْلُ، والرئال أولاد النعام].

٦ ـ وَحَـبْلٍ مِنْ جُـمَـانَةَ مُـسْـتَـجِـدٌّ

أَبَـيْـتُ لأَهْـلِـهِ إِلاَّ ادِّكَــارَا(أ)

حبل مابينهما، مستجد يريد أن تجدّده.

٧ ـ يُطَـالِـعُنِـى بِـدُومَـــةَ يَـالَـقَــوْمِ

إِذَا مَـاقُلْتُ قَـدْ نَـهَضَ اسْـتَـحَـارَا(أ)

تحير [يطالعُنى الوصلُ، يا لَقومٍ استغاثةٌ، وقوله استحارتحيَّرَ].

٨ ـ فَـمَـا غَــرَّاءُ فِى دَمَثٍ هَيَــامٍ

تَرُودُ بِـهِ الـسُّـهُـولَةَ والقَــرَارَا(ب)

غراء بيضة، دمث لين من الأرض، هيام سائل، ترود تجيء وتذهب [دَمث يَعنى رَملاً ليناً سَهْلاً].

.١١٤.

٩ ـ بِأَحْسَنَ مِنْ جُمَانَةَ حَيْثُ رَدُّوا
جِمَالَ الحَيِّ فَاحْتَمَلُوا نَهَارَا(جـ)

[رَدّوا جمال البين ردوها من البين...](د)

١٠ ـ وَقِيدَ إِلَى الظَّعِينَةِ أَرْحَبِيٌّ
جُلَالٌ هَيْكَلٌ يَصِفُ القِطَارَا

أرحَبى فحل منسوب إلى أرحب حيّ، يصف يتقدم،قال أبو عبدالله يصف أى يصف لهما المشىَ ويعلمها، أرحب من همدان.

١١ ـ فَقُلْنَ لَهَا ارْكَبِي لاتَحْبِسِينَا
أَبَتْ خَفَراً وَخَالَطَتِ انْبِهَارَا(أ)

أراد أبت إلا خفرا أى حياء.

١٢ـ تَهُدُّ مَحَالَ آدَمَ دَوْسَرِيٍّ
يَخُونُ بِهَا مِلَاطَاهُ الفَقَارَا(ب)

(الفقار) الظهر، بها بالمرأة، مَلاطاه عضداه[آدم جمل أبيضُ يقول المرأةُ تهدّ فقارَ هذا الجمَلِ من ضِخَمها، والدَّوْسَرِيُّ الغليظ].

١٣ ـ تُدَافِعُ بِالمَنَاكِبِ مِنْ بَعِيدِ
وَتُسْتَرُ بِالمَطَارِفِ أَنْ تُضَارَا(جـ)

تضارا يصيبها ضرر من العين، تدافع بالمناكب يمشى (د) عن يمينها وشمالها جوارٍ

١٤ ـ تَرَى السُّمُكَ الطِّوَالَ يَحِدْنَ عَنْهَا
وَتَبْهَرُ فِي المُقَاوَمَةِ القِصَارَا

-١١٥-

يحدن عنها لا يُشْبِهنها هن (هـ) أطول منها، السمك الطوال من النساء، سامكة طويلة [إذا قامت معهن].

١٥ ـ فلَمَّا قام كبَّرَ مَنْ يَلِيـــــــــهَا
وَقَــــــالُوا خَالَطَ الـــــجَمَلُ انْكِسَارَا

١٦ ـ فمَا ذِكْرِى جُمَانَةَ غيــــــرَ أَنِّى
كَصَاحِبِ خِلْعَةٍ ذَكَرَ الـــــــقِمَارَا(و)

قَمِرَ ماله وخلع منه فذكره فاغتم [صاحبُ خُلْعَةٍ خُلِعَ من أهله وطُرد].

١٧ ـ وَخُصَّى فـــى الـــحوَادِث أَنَّ قَيْساً
أَصـــــــابُوا بَعْدَ خِصْبِهِمُ غِيَارَا(ز)

خصّى أَبْلِغيهم ذلك دون الناس أى تَغَيَّرَت حالهم بعد الخصب [وقوله وخُصّى ولم يذكرُ أحدا قبلَ ذلك، وهَذا يكونُ فى كلامهم كثيراً، والغيار ما غيَّرَ ما بِهِمْ].

١٨ـ وَتَغْلِبُ جِدَّعَ الـــــــسَّرَوَاتُ مِنْهَا
وَلاَقَتْ مِــــــنْ تَخَمُّطِهَا الــــــبَوَارَا(أ)

الهلاك.

١٩ ـ وَمــــــا كَلْبٌ بِجَارِيَةِ بِنُعْمَى
وَلاَ بَهْرَاءَ تَطَّلِعُ الـــــــــوِبَارَا(ب)

قال ابن الأعرابى: أى ولا بهراء التى كانت تطلع من الوبار كانت هاربة فآمناها.

١١٦.

٢٠ ـ فَلَوْلاَ الحَيُّ مِنْ غَارَىْ كِلاَبٍ
وَحَيُّ بَنِي الحُبَابِ وَمَنْ أَجَارَا(جـ)

الغاران الجمعان، بنى الحباب من سليم.

٢١ ـ لَمَا دُعِيتْ غَدَاةَ الرَّوْعِ قَيْسٌ
وَلاَ كَانَتْ نِزَارُهُمُ نِزَارَا

٢٢ ـ وَإِنَّا يَوْمَ نَازَلَهُمْ شُعَيْثٌ
كَلَيْثِ الغَابِ أَصْحَرَ فَاسْتَعَارَا(أ)

استعار ذهب يميناً وشمالاً، وروى خالد واستغار، أغارَ عدَاً.

[شعيب من بنى تغلب، فاستغار أى أغار].

٢٣ ـ ظَلِلْنَا مَا مِنَ الحَيَّيْنِ إِلاَّ
يَرَى الصَّبْرَ التَّمَجُّدَ وَالفِخَارَا(ب)

٢٤ ـ بِضَرْبٍ تَنْعَسُ الأَبْطَالُ مِنْهُ
وَتَمْتَكِرُ اللِّحَى مِنْهُ امْتِكَارَا

تنعس يصيرون حيْرَى كأنهم نيامٌ، تُمْتَكر تلطخ بالدماء، والمكْرة المغْرة.

أبو سعيد المِغْرَة وأبو ليلى المغْرة(أ) [تمتكر اللحى تختضب، والمكرة المغرة].

٢٥ ـ تَجَدَّلَ كَاهِلٌ وَنَجَا ابْنُ بَدْرٍ
نَهَاراً مِنْ أَسِنَّتِنَا فِرَارَا(ب)

تجدّل صُرع، كاهل من فزارة وكذلك ابن بدر [والأرض تسمى الجدالة].

٢٦ ـ وَغــــــــــودِرَ هَوْبَرٌ وَبَنُومُلَيْلٍ

كَمَنْ قَدْ مَاتَ فِى زَمَنٍ فَبَارَا(جـــــــ)

[هوبر.... من بنى تَغْلب](د).

٢٧ ـ فَلاَ شَمِتَ الأَعَادِى مِنْ شَبِيـــــــبٍ

وَمِنْ قَاسٍ وَمَنْ بِالــــسَّرْوِ غَارَا(هــــ)

السرو بين مكة وأُضاخ.

٢٨ـ وَإِنِّى قَدْ وَجَدْتُ بَنِى نُــــــــفَيْلٍ

يَشُنُّونَ الــــقَنَابِلَ وَالــــغِوارَا(و)

الغوار المُغاورَة فى القتال ، يشنون يصبون عليهم.

٢٩ ـ عَلَى كَلْبٍ وَأَهْلِ الــــــشَّامِ طُرًّا

كَــــــشَدِّ الأُسْدِ غَصْباً وَاهْتِصَارَا(ز)

ـ ٢١ ـ

وقَال(*٢١)

[يعرض برَجُلٍ كانت له أختٌ فَزوجها من قوم فأتاهم فأَرْعوْهُ وَسَقَوْهُ].

١ ـ مَـــنْ يَكُ أَرْعَاهُ الـــحِمَى أَخَوَاتُهُ

فَمَـــا لِيَ مِنْ أُخْتٍ عوَانٍ وَلاَبِكْرِ(أ)

يقول من كانت له أختٌ عند أمير أو سيد فمالى من أخت عند أمير فتحميني، أنا سيد أحمِي ولا أحمَى [أى صيّرته يرعى الحمى، قال والعوان النِّصفُ].

٢ ـ تَعَادَى السُّنون عَنْ مَـــهَارِيسَ جِلَّةٍ

جرَاجِـــبَ لَيْسَتْ مِنْ دِيَاتٍ وَلاَمَهْرِ(ب)

تعادى تنبو ولا تؤثر،مهاريس شديدات الأكل يريد الإبل،جراجب طوال الواحد جرْجَبٌ [أى جازتها السنون الجدبةُ، والجلة المسان من الإبل الضخام، المهاريس من الإبل الشداد،والجراجب منها العظام].

٣ ـ تُنَاصِي ضَرِيــبَ الــحَمْضِ لَيْلَةَ غِبِّهَا

نِصَاءَ بَنِــي سَعْدٍ عَلَى سَمَلِ الــغُدْرِ(جـــ)

تناصى تأكل أعاليه وهو من المناصاة أى تجذب، سمل جمع سملة وهى بقية ماء، غُدر جمع غدير [تناصى تناولهُ، وأصله من المناصاةِ والأخذ بشعر الرجُلِ يأخذُ هذا بناصية هذا وهذا بناصية هذا ويتجاذبان فهذه المناصاة، والحمض ما كان من النبت فيه ملُوحة، والخلّةُ ما كان حلوا، وضريبهُ قيل ما أكل منه](د).

٤ ـ إِذَا احتَطَبَتْهُ نِيبُهَا قَذَفَتْ بِهِ

بِلاَ عِيـــمُ أكْرَاشٍ كأَوْعِيَةِ الـــغفَرِ(أ)

يروى إذا اختطفته، النيب المسان جمع ناب، البلعوم وجرى الطعام فى الحلق، الغفر الوعاء الذى يُجعَل فيه المتاع واختلف اللفظان، حكى خالد عن حماد كأوعية الغفر، وأوعيتها كهافها(ب) [احتطبته أكلته، والبلاعيم الواحدة بلعوم، وقوله كأوْعِية الغفر أى المتاع يقال اغفر متاعك فى الوعاء أى أدخله].

٥ ـ جِفَـــارٌ إِذَا صَافَتْ هِضَابٌ إِذَا شَتَتْ

وَبِالـصَّيْفِ يَعْطِفْنَ الـمِيَاهَ عَلَى الـعِشْرِ(أ)

يريد أنها كثيرةاللبن، ويروى يَرْدُدْن المياه يريد أنها تَرِد(ب) العِشْرَ وفى أجوافها بقية من شربها الأول، ترد(جـ) الماء بعد أن تمكث عشرا [حفالٌ أى عظام، هضاب عظام أيضا شبهها بالجبال العظام، وقوله يَعطفن المياه على العِشر،يقول إذا شربت ورَويت مكثت عشراً].

٦ ـ مِيَاهَ الـــسَّوَى يَحْمِلْنَهَا قَبْلَ الــعُرَى

دَلِيـــفَ الــرَّوَايَا بِالـــمُثَمَّمَةِ الـــخُضْرِ(أ)

قال ابن الأعرابى: سوى أرضٌ (ب) يقول شربت من مياه السوى ثم تَوجهت قبل العرى ترعى فيها، العروة بقية تبقى من الشجر والنبات ويذهب

غيرها، قال أراد يعطفن مياه السَّوَى، والعرى الكلأ الكثير، يقول يحملن الماء فى أجوافهنّ إلى مرعاهنّ، دليف الروايا كما تدلف الروايا بالمزادِ [مياه سوى مكان فيه ماءٌ، وقوله قبل العرى الكلأ الواحدة عُرْوَة، المثمم من قولهم الثُّمَة وهى القبضةمن الحشيش]

٧ ـ بنَاتُ علَنْدَى المَنْكِبَـــــيْنِ كأَنَّمَا

يـــــزَيِّنُهُ الإِخْصَابُ بالْمغَرِ الـــحُمْرِ

الإخصاب جمع خَصبَ، مغَر جمع(جـ) مغْره، أخبر أنها رعت الخضِر فَنجع فيها كأنما طلاها بمغرة لحُمْرة ألوانها وصفاء بشرتها [العلندى الغليظ]

٨ ـ إِذَا رَفَعَ الـــرَّاعِى الـــهـــرَاوَةَ فَوْقَهُ

تَخَمَّطَ إِنْكَارَ الـــعَزِيـــزِ مِنَ الـــقَسْرِ(د)

فوقه فوق الفحل ويقال فوق نفسه، تخمّط تغضب لرفع العصا كما يغضب العزيز أن يقسر أى يقهر [التخمط أخذ ببغى، الأصمعى وغيره يقول تغضب]

٩ـ يَعَـــضُّ علَيْهَا الــــحَاسِدُونَ بنَانَهمْ

ولَيْسَ بأَيْدِيـــــهِمْ غِنَاىَ وَلا فَقْرِى

يقول يحسدوننى ويعضون علىّ بنانهم ويحبون هلاكها وذلك إلى الله جل وعزّ

١٠ ـ طِوَالَ الـــذُّرَى مايَلْعَنُ الـــضَّيْفُ أَهْلَهَا

إِذَا هُوَ أَرْغَى وَسْطَهَـــا بَعْدَمَـــا يَسْرِى(هــ)

أرغى أناخ الضيفُ فأرعى بعيرَهُ ليُعْلَمَ به(و).

.١٢١.

١١ ـ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيـــــهَا حَلُوبٌ تَكَشَّفَتْ

عَنِ الـــــسَّيْفِ مَصْقُولاً وَأَبْيَضَ كَالْبَدْرِ

تكشّفت نفرت عن السيف، أراد عن السيف المصقول فحذف الألف واللام فنصب

[يقول تكشفت هذه الإبلُ عن السَّيْفِ لأنه يعْقِرُهَا، وأبيض كالبدر يَعنى صَاحِبَها]

١٢ ـ وَلاَ أَتَّقِي الـــــسَّاقَ الَّتِي تَتَّقِي بِهَا

إِذَا مَا تَفَادَى الـــرَّاتِكَاتُ مِنَ الـــعَقْرِ(ز)

يريد ساق الفحل والناقة الكريمة، ويُرْوَى يُتَّقَى بها، وتَفَادى استتر بعضُها ببعض، الراتكات المُسْرِعَاتَ، إذا ما تفادى يقول تعدو كلها فيُدْرَكُ(حـ) أثقلُها وأبطأها كما قالت ليلى:

إِذَا مـــــــــارَأتْهُ مُقْبِلاً بِسلاَحِه

تَقَتْهُ الـــخِفَافُ بِالـــثِّقَالِ الـــبَهَازِرِ(ط)

١٣ ـ وَيَكْفِيـــكَ أَلاَّ يَرْحَـــلَ الـضَّيْفُ لاَئِماً

كَرَادِيـــسُ مِنْ نَابٍ تَقَمَّسُ فِي الـــقِدْرِ(ى)

تَقَمَّس تَغَيَّب وترتفِع، كُرْدوس مُلْتَقَى المنصلَيْن، يقول لا أتقى أن أضرب أسمن إبلى وخيرها بالسيف ولكنى أعقر خيرها إذا نزل الضيفُ

[يقول الكراديسُ يمنعُ من لوم الضَّيف أى من أن يرحَلَ الضَّيْفُ وهوَ لائمٌ والواحد كُرْدوسٌ وهو مجتمع كل عظمتين يعنى أن الأعضاءَ تَغَامَسُ أى تغوص فى القِدرِ].

.١٢٢.

ـ ٢٢ ـ

وقَال(*٢٢)

١ـ أَلاَ أيّهَا اللاَّحِي كَفَاكَ عِتَابَا
فَنَفْسَكَ وفِّقْ مَا اسْتَطَعْتَ صَوابَا(أ)

[اللاحى الذى يَلُومُ، واللاَّحى الشاتم].

٢ ـ فَإنَّ رُعَاةَ الحِلْمِ قَدْ رَجَعُوا بِهِ
عَلَىَّ وَآذَنْتُ السَّفَاهَ فَآبَا

بَعُد وغاب، آذنت (ب) اسعت، وقوله قد رجعوا به أى قد صرتُ حليما، وقوله آب أى رجع عنى [آذنت أسعت](جـ).

٣ ـ خَلا أنَّه لَيْستْ تُغَنِّى حَمَامَةٌ
عَلَى سَاقِهَا إلاَّ ادكَرْتُ رِبَابَا(أ)

٤ ـ وَمَا مَتَعَتْنَا وَالرِّكَابُ مُنَاخَةٌ
عَلَى عَجَلٍ حبَّ الْمَتَاعُ وَطَابَا(ب)

[متَعتنا زودتْنا وخَفَّ المتَاعُ الذى زوَّدَتْنَا إيَّاهُ].

٥ ـ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا مُسْفِراً أَقْبَلَتْ بِهِ

عَلَيَّ وَهَفَّافَ الغُرُوبِ عِذَابَا(أ)

يعنى بالمُسفِر وجْهَهَا، يقال أسفر وجهه إذا حسُن، يقول قبلتها [والهفاف الثغر الدقيق، والغُروب حد الأسْنَان]

٦ ـ كأَنَّ ثَنَايَاهَا ذُرَى أُقْحُوَانَةٍ

عَلاَهَا نَدَى الشُّؤْبُوبِ سَاعَةَ صَابَا

[الشؤبُوب أولُ كلّ شَيءٍ وأشَدُّه، ويقال حدُّ كل شيء أوله، وقوله ساعة صابا أى انصَبَّ من صوْبِ المطَرِ، وذُرَى أى أعالى، أقحوانةِ الأقحوان نبت له نور أبيض]

٧ ـ وَسِرْبَ عذَارَى بَيْنَ حيَّيْنِ مَوْهِناً

مِنَ اللَّيْلِ قَدْ نَازَعْتُهُنَّ ثِيَابَا(ب)

[سربٌ جماعة من النساء، وأصله من الظباء والقطا، ومَوْهِناً وقتاً من اللّيْلِ].

٨ ـ وَقُلْنَ لَنَا أَهْلٌ قَرِيبٌ فَنَتَّقِي

عُيُوناً يَقَاظَى مِنْهُمُ وكِلاَبَا(جـ)

[يَقَاظَى جمعُ يقظان].

٩ ـ دَبِيبَ الْقَطَاحِينَ اجْتَعَلْنَ نَحِيزَةً

مِنَ اللَّيْلِ دُونَ الكَاشِحِينَ حِجَابَا

[أى وبين دبيب القطا، واجتعلن جعلنَ، والنحيزَةُ هاهنا ظلمةُ الليل، قال والكاشحون الأعداءُ].

-١٢٤-

١٠ ـ وَهُنَّ كَرَيْعَانِ الـــــمَخَاضِ سَبَقْتَهَا
بِأَوَّلِهَا لاَبَلْ أَخَفُّ جِنَابَا

أى هن يتبعننى كما تتبع أوائل المخاض أوائلها، ثم قال لا بل هى أشد انقيادا

[ريعان كل شىء أوّله، والمخاضُ الحواملُ من الإبل، والمعنى فهن أحسنَ اتباعاً مِن الإبل].

١٢ق ـ ١١ ـ تَلاهَيْنَ وَاستُهْلِكْتُ حتَّى تَجَهَّمَتْ
قُلُوبًا وَهَامَاتٍ وَرَدْنَ لِهَا بَا

يقول تلاهَيْن تحدثن حتى فتنّ وتجهمت قلوبُ(د) الذين كانت قلوبهم عطاشا إلى حديثهنّ (حين) أردن الانصراف [استهلكت من الحبّ، وتَجَهّمت أعرضت، ولهاب عطاشٌ].

١١ ـ ١٢ ـ تَلاَهَيْنَ عنّى وَاسْتَنَعْتُ بِأَرْبَعٍ
كَهـــــــمّةِ نَفْسِى شَارَةً وَشَبَابَا(أ)

استناع إلى اللهو عاد، (شارة) حسْن [تَلاَهَيْنَ تغافَلْنَ، واستنعت بهن ذَهَبْت بهنّ، وأربع يُريد أربع نسوةٍ ، كهمة نفسى أىْ كما شئت، وشارةٌ هيئةٌ وزِى]

١٣ ـ إِذَا الـــمِعْصَمُ الـــرِّيَّانُ بَاشَرْتُ بَرْدَهُ
بِكَفِّى لاَعَبْتُ الـــــــــوُقُوفَ لِعَابَا

باشرت مَسست ولعبت بحليها [الوقوف جمع وَقْف وهو السوار من المَسْك أى القرون، هذا عن ابن الأعرابى، قال غيره المسك هو السّوارُ من القرون وهو مَسْكَةٌ وجمعه مَسَكٌ وليس القرون نفسها مسْكاً،والمَسْك جلد الشاة، والمِسْكُ الطيب].

.١٢٥.

١٤ ـ وَمَا انْطَلَقَ الــتَّيْمِيُّ يَطْلُــبُ حَاجَةً
وَلاَ كـــــــانَ أَكْرَى بِالْعِرَاقِ رِكَابَا(ب)

إبلا.

١٥ ـ ولَكِنَّمَا كَانَ الــــقُطَامِيُّ يَبْتَغِي
نَوَاعِمَ خَلاَّهَا الــعَزِيــبُ عِرَابَا(جـ)

يُروَى خلاها الغزِيُّ، والعزيب الذين أعزبوا بإبلهم وخلاهو بهن .

ـ ٢٣ ـ

وقَال(*٢٣)

١ـ بَانَتْ رَمِيـــــــمُ وَأَمْسَى حبلُهَا رِممَا

وَطَاوَعتْ بِكَ مَنْ أَغْرَى وَمَـــــنْ صَرَمَا

٢ ـ ولَمْ يَكُنْ مَا ابْتُلِيـــــنَا مِنْ مَوَاعِدِهَا

إلاَّ الـــــتَّهَاتِه وَالأُمْنِيَّةَ الـــسَّقَمَا(أ)

تهاته أباطيل واحدها تهته، والسقم الذى يسقمنا.

٣ ـ قَوْلاً يَكُونُ مِنَ الإِخْلاَفِ صَاحِبُهُ

غَيْرَ الـمُرِيــحِ وَلاَ الـمُوفِي بِمَا زَعَمَا(ب)

يكون صاحب القول الذى يقوله غير المريح لصاحبه الذى يقال له.

٤ ـ ومَا الْبَخِيـــــلَةُ إِلاَّ مِنْ صَوَاحِبِهَا

مِمَّنْ يَخُونُ ومِمَّنْ يَكْذِبُ الـقَسَمَا(جـــ)

٥ ـ ومَا تَقَاضِى غَرِيـــــمٍ لاَ تَنَجَّزُهُ

إِلاَّ التَّوَى لِمَحَلِّ الـــدَّيْنِ أَوْظَلَمَا(د)

.١٢٧.

تنجزه تطلب نجاز ذاك، والنجاز الوفاء (لا) (هـ) تنجزه لا تقوى على أن تأخذه، تَنَجَّزتُ حقى منه أخذته.

٦ ـ لَكِنْ لَيَالِىَ عَانَاتٍ تُحَدِّثُهُ

سِرُّ الفُؤَادِ وتَعْطِيهِ الَّذِى احْتَكَمَا(و)

٧ ـ إِذِ الشَّبَابُ عَلَيْنَا لَوْنُ مُذْهَبِهِ

وَنَحْنُ فِى زَمَنٍ يَأتِى بِنَا الأَمَمَا(ز)

يُروَى ظِلُّ غيْطَلَةٍ، يقول كأنه ماء الذهب، يأتى بنا الأمما يقصد بنا إلى ما نشتهيه لايُبعِد بنا (ح).

٨ ـ قَامَتْ تُرِيكَ وَتَجْلُو عَنْ مَحَاسِنِهَا

مِثْلَ الغَمَامَةِ تَسْقِى بَلْدَةً حَرَمَا(ط)

كل ما استحسنت منها فهو محاسنها، والحرم مكة، وسحاب الغور أحسن السحاب فى الصيف، والحرم بلاد الغَوْر.

٩ ـ خَوْدٌ مُنَعَّمَةٌ نَضْخُ العَبِيرِ بِهَا

إِذَا تَمِيلُ عَلَى خَلْخَالِهَا انْفَصَمَا(ى)

انكسر الخلخال [انفصما أى انكسر].

١١ق ـ ١٠ ـ مِثْلُ السِّرَاجِ عَلَى ظَهْرِ الفِرَاشِ إِذَا

ضَوْءُ القُمَيْرِ عَلَى السَّارِى بِهِ عَتَمَا(ك)

عتم أبطأ، يقول فى الساعة التى يبطئ(ل) بها ضوء القمر.

١٠ ـ ١١ ـ لَيْسَتْ تَرَى عَجَباً إِلاَّ بَدَا بَرَدٌ

غُرُّ المَضَاحِكِ ذُو نَوْرٍ إِذَا ابْتَسَمَا

.١٢٨.

أى لا ترى عجبا إلا تبسمت فبدأ ثغرها.

١٢ ـ كَـأَنَّـهَـا بَيْـضَـةٌ غَـرَّاءُ خُـدِّلَهَـا

فِى عَـثْـعَثٍ يُنْبِتُ الحَـوْذَانَ وَالْغَـذَمَـا

[خدلها حفرلها، والعثعث من الأرض السَّهْلُ، والحوذان نبتٌ].

١٣ ـ أَوْ دُرَّةٌ مِنْ هِجَـانِ الدُّرِّ أَدْرَكَـهَـا

مُـصَـفَّـرٌ مِنْ رِجَـالِ الهِنْدِ قَدْ سَـهِمَـا(أ)

مصفّر قد تغير لونه من لزومه الغوص [الساهمُ المتغيِّرُ الضَّامِرُ].

١٤ ـ أَوْفَى عَلَى مَـتْنِ مِـسْـحَاجٍ تَقُـدُّ بِهِ

غَـوَارِبَ المَاءِ قَـدْ أَلْقَتْ بِهِ قُـدُمَـا(ب)

به بالرجل، قدمًا أ (ى) قُدَّامها(جـ)، مسحاج سفينة، ومشجاج تشجج الماء تقطعه، تقدبه فى الماء أى قذفتها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا [أو فى أشرف على ظهر مسحاج أى على ذى متن].

١٥ ـ جَـوْفَـاءَ مَطْلِيَّـةٍ حَـتَّى إِذَا اجْـتَنَحَتْ

بِهَـا غَـوَارِبُهُ قَـحَّـمْنَهَـا قُـحَـمَـا(أ)

[جوفاء أى واسعةُ الجوف، واجتنحت مالت إلى الأرض].

١٦ ـ حَـتَّى إِذَا السُّفْنُ كَـانَتْ فَوْقَ مُـعْـتَلِجٍ

أَلْـقَى الـمَـعَـاوِزَ عَنْهُ ثُمَّتَ انْكَتَـمَـا

المعـتلح الموج، روى خـالد فـوق مُـوتَلخٍ وهو المتـراكب، يقـال ايتلخ الكلأ ايتلاخًا إذا غمر بعضه بعضا، انكتم فى الماء غاص فيه وانكتم انكتاما، المعاوز الخلقان، معوز واحد.

[الاعتلاجُ اصطكاك الأمواج والمطر.. وانكتم رمى بنفسه وغاص].

١٧ ـ فِي ذِي جلّولٍ يُغشّى الموْتَ صاحِبهُ
إذَا الصّرّارِيُّ مِنْ أَهْوالِهِ ارْتَسمَا (أ)

ذو جلول البحر يغشى صاحبه الموتَ، قال هو بحرٌ ذو هَوْل اشتق من الأمر الجليل، جل الأمرُ يَجِل جُلولا، والصرارى الملاح، والصارى القاطع، ارتسم كبر وتعوذ ودعا الله عزّ وجلّ، يُروى فى ذى جُلولٍ يُقضّى الموت راكبها(ب)،والجلول الشراع [الصرارى الملاح والجمع الصراريون]

١٨ ـ غوّاصُ ماءٍ يمُجُّ الزّيْتَ مُنْغمساً
إذَا الغمُورةُ كانتْ فوْقهُ قِيمَا

يأخذ الغواص الزيت فى فمه إذا غاص فيضىء له الزيت ما حوله إذا صبه فى البحر، ولأن دواب البحر إذا وجدت ريحه هربت، قامة وقيم [قالوا الذى يغوص يأخذ الزيت فى فيه ليكون أصبرَ له فى الماء، والغمورةُ كثرةُ الماء قِيماً وقامةٌ وقِيمٌ للجميع].

١٩ ـ حتّى تناولها والْموْتُ كاربُهُ
فِي جوْفِ ساجٍ سوادِيٌّ إِذِ اقْتحمَا (جـ)

[الساجى الساكن يعنى البحر، فحما اسودّ].

٢٠ ـ ما لِلْبِلادِ كأنّ الحيَّ لمْ يرِدُوا
نهْيَ الخِلاطِ ولمْ يسْقُوا بِهِ نعمَا (د)

٢١ ـ ولمْ يحلُّوا بِأحْوازِ الغمِيسِ إلَى
شطَّيْ عُويْقة فالرّوْحاءِ مِنْ خِيمَا (أ)

ـ١٣٠ـ

[هذه كلها مواضع].

٢٢ ـ وَالعَيْشُ ذُو فَرَحٍ وَالأَرْضُ آمِنَةٌ
وَالدَّهْرُ بِالنَّاسِ لَمْ يَأْزِمْ كَمَا أَزِمَا(ب)

٢٣ ـ نَرْجُو البَقَاءَ وَمَا مِنْ أُمَّةٍ خُلِقَتْ
إِلاَّ سَيُهْلِكُهَا مَا أَهْلَكَ الأُمَمَا

٢٤ ـ أَمَا سَمِعْتَ بِأَنَّ الرِّيحَ مُرْسَلَةً
فِى الدَّهْرِ كَانَتْ هَلاَكَ الْحَىِّ مِنْ إِرَمَا

٢٥ ـ وَقَوْمِ نُوحٍ وَقَدْ كَانُوا يَقُولُ لَهُمْ
يَاقَوْمِ لاَ تَعْبُدُوا الأَوْثَانَ وَالصَّنَمَا

٢٦ ـ فَكَذَّبُوا مَنْ دَعَا لِلْحَقِّ وَاجْتَنَبُوا
مَا قَالَ وَامْتَلأَتْ آذَانُهُمْ صَمَمَا(جـ)

٢٧ ـ فَلاَ هُمُ رَهِبُوا مَا قَدْ أَظَلَّهُمُ
وَلاَ نَبِيُّهُمُ عَمًّى وَلاَ كَتَمَا

٢٨ ـ ذَرْ ذَا وَخُذْ فِى سَرَاةِ الحَىِّ إِذْ ظَعَنُوا
مُحَدِّدِينَ لِبَرْقٍ يُمْطِرُ الدِّيَمَا(د)

محددين حددوا أبصارهم إليه وشاموه، وقال ابن الأعرابى محددين مائلين إليه قاصدين له.

٢٩ ـ سَارَ الظَّعَائِنُ مِنْ عِتْبَانَ ضَاحِيَةً
إِلَى النَّبِىِّ وَبَطْنِ الوَعْرِ إِذْ سُجِمَا(هـ)

٣٠ ـ إِذَا هَبَطْنَ مَكَانًا وَاعْــتَــرَكْنَ بِـهِ

أَحَلَّهُنَّ سَنَامًــا عَــافِـيًــا جُـشِـمَــا(و)

عافيا قد كثر نبته، جُشِم تُكُلِّفَ وأتاه الناس وانتجعوه.

٣١ ـ ظَعَــائِنًا لايَرَيْنَ الدَّهْرَ مُـغْـتَـرِبًا

مِنَ الأَرَاقِمِ إِلاَّ القَــيْلَ أَوْفَــحَــمَــا(ز)

القيل شُرب نصف النهار، والفحم بالليل، قال أبو عبدالله الفحمة فحمة العشاءِ من أول الليل إلى أن ينام الناس وإنما ذلك فى القيظ يقول ليس لهم هم إلا الاصطباح والتغبق، لسن بأصحاب سفر أى يقيلن فى وقت القائلة يُسْقَون القيل، ويغبقن بالعشى يشربن بالعشى.

[القيلُ شرب القَائلة، والفَحم بالعَشِىّ].

٣٢ ـ أَفْـهَـمْـتُـهُم يَوْمَ جَــدَّ البَـيْنُ بَيْنَهُمُ

لَوْ كَـانَ فِـيهِمْ غَـدَاةَ البَـيْنِ مَنْ فَـهِـمَا(ح)

فهّمتهم.

٣٣ ـ حلُّوا الرَّحُـوبَ وَحَلَّ الْعِـزُّ سَـاحَـتَـهُمْ

يَدْعُــو أُمَــيَّـــةَ أَوْمَــرْوَانَ وَالْحَكَمَــا(أ)

٣٤ ـ كَمْ مِنْ بِنَاءٍ بَنَى الكَيَّــالُ قَــبْلَهُمُ

وَأَحْــمَــرُ القَــوْمِ لَوْلاَ عِــزُّهُ انْهَــدَمَــا

[الكَيال بطن من بنى زُهَيْرِبن جُشم، قال وأَحْمَرُ القوم رجلٌ منهُمْ].

٣٥ ـ جَرَّ الخُـيُـولَ ابْنُ لَيْلَى وَهْىَ سَاهِمَـةٌ

حَــتَّى أَغَــرْنَ مَعَ الظَّلْمَــاءِ إِذْ ظَلِمَــا(ب)

١٣٢.

٣٦ ـ أَوْلَى لآلِ سُلَيْمٍ أَوْ أَبِى عُمَرٍ

مِنْ ضَرْبَةٍ تُورِثُ الأَضْغَانَ وَالْفَقَمَا(جـ)

من تفاقم الأمرُ.

٣٧ ـ إِذَا الطَّبِيبُ بِمِحْرَافَيْهِ حَاوَلَهَا

زَادَتْ عَلَى النَّقْرِ أَوْ تَحْرِيكِهَا ضَجَمَا

المحراف الميل، يقول إذا نقرها بالميل ازدادت سعةً، وضجمًا اعوجاجا وشرا يقدر الضربة بالميل يَنْظُر ما غَوْرُها.

٣٨ ـ نَادَى المُنَادِى بِلَيْلٍ فَاسْتُجِيبَ لَهُ

وَاللَّيْثُ مِثْلِى إِذَا لَمْ يَسْتَبِنْ عَزَمَا(أ)

يقول إذا لم يضح له الأمرُ دخل فيه ولم يشك، يقول والليث إذا أشكل عليه أمرٌ لم يقف ولم يهبه ولكنه مضى فيه.

٣٩ ـ وَمِثْلُ حَرْبِى أَرْكَى مِنْ تَجَشُّمِهَا

إِجَّانَةٌ مِنْ مُدَامٍ شَدَّمَا احْتَدَمَا(أ)

احتدم غلا في وعائه حتى صلُب، أركى قال أبو عبدالله أهون، هذا أركى عليك من هذا، يقول شربُ المدام أهونُ عليهم من مُحارَبتى [قال أبو عمرو: بل غَيْرُ حَرْبِى أركى من تجشمها] .(ب)

٤٠ ـ إِنَّ الأُخَيْطِلَ لَيْسَ الدَّهْرَ ثَائِرَهُمْ

أَوْيَبْعَثَ اللّهُ عَاداً أَوْتَرَى إِرَمَا

٤١ ـ حَلَّتْ بَنُومَالِكٍ وَالْبَحْرُ دُونَهُمُ

وَذَمَّمَ القَوْمُ فِى يَوْمِ اللِّقَاجُشَمَا(جـ)

٤٢ - فَمَا يَجُوزُ أَخُوهُمْ فِى مُهَوَّلَةٍ

وَلا يُجِدُّ إِذَا مَا مُزْمِعٌ أَزِمَا (د)

٤٣ - وَدَوْبَلٌ لاَ يَكُونُ المَجْدُ غَايَتَهُ

وَلَنْ يَجِدَّ إِذَا شَيْطَانُهُ عَزَمَا (هـ)

يُروَى ولا يَمُدُّ إذا استَبْطَأَتَهُ عَزَمَا أى لا يمد عزما، يقول إذا عزم شيطانه على أمر جَبُنَ هو وخذله ولم يجدّ.

.١٣٣.

- ٢٤ -

وقَال(*٢٤)

١- تَخَاذَلَ جِفْرَانَا وَلَوْ قَدْ تَعَاوَنَا
رَوِيـنَا ومَنْ يَخْذُلْ عَنِ الـحَقِّ يُغْلَبِ

قال أبو عبد الله كان بعضهم يرد قُلُب بعض فلما تضاغنوا منع كل قوم مياههم فقال تخاذل جفرانا، يقول كانوا متعاونين فلما تحاربوا خذل بعضهم بعضا، والجفر البئر.

٢ - قَبِيـلاَنِ لَمْ يُجْعَلْ سَوَاءً جِبَاهُمَا
لأهـلٍ ولاَ جَارٍ عَلَى حِيـنِ مَرْغَبِ

أى نحن أفضل منهم للجار جباً ما (ء). (أ)

٣ - تَدَاعَى وَلَمْ تَظْلِمْ لِقَاحِي عَلَى الـمَلاَ
عَلَى حِيـنِ لَوْحِ الـرَّاكِبِ الـمُتَعَصِّبِ

تداعى أى تداعت من العطش ولم تظلم فى دعائها، ولوح عطش، ومتعصب تعصب بعمامته من الحر، أخبر أنه قد مُنِعَ الماءَ حتى... (أ)

.١٣٥.

٤ ـ وَحنَّتْ إِلَى ذِى الْهَضْبِ حتَّى كــأَنَّهَا

حـــنِىٌّ وَمَا حَامَتْ عَلَيْه لِمَشْرَبِ

٥ ـ فَلمَّا رأَتْ أَنَّ الــخُطُوبَ اضْطَرَرْنَهَا

إِلَى ذَائِدٍ عمَّا يلِى الْحَوضَ مُرْهِبِ

٦ ـ سَمَتْ فَوْقَهَا أَعْنَاقُهَا فَتَجَاوبَتْ

تَجَاوُبَ رجَّافِ الــضُّحَى الــمُتَحلِّبِ

(متحلب) قاطر، سمت أشرفت بأعناقها فوق أنفسها لما مُنعت الماء سطعت أعناقها.

٧ ـ فَبَاتَ يُبَارِى الــنِّيْبَ مِنْ بَكَرَاتِهَا

رَعِيــلٌ كأَسْرَابِ الــقَطَــا الــمُتَسَرِّبِ

(أسراب) جماعات.

٨ ـ إِذَا عَارَضَتْ مِنْ عَالِجٍ مُكْفَهِرَّةٍ

زَبُونَ الــذُّرَى مِنْ ظَهْرِهَا الــمُتَقَبِّبِ

عالج رمل، مكفهرة هضبة من رمل بعضها على بعض، وقوله زبون الذرى لايقع عليها شىء ولا يقدر أن يُعْلَى، متقبب مشرف كأنه قبة.

٩ ـ تَفَرَّعْنَ مِنْهَا رَأْسَهَا فَاتَّخَذْنَهَا

طَرِيــقاً فَنَالَتْهَا عَلَى مِثْلِ مِثْقَبِ

قال مثقب طريق العراق إلى مكة، أى هذه المكفهرة على مثل مثقب، أى سهلت عليها فكأنها(ب) على مثل مثقب.

.١٣٦.

١٠ ـ لَهَا ساطِعٌ سَامٍ حَوَالَىْ عَمُودِهَا

كثَيـــفَانِ مِنْهَا مِنْ ذَلُولٍ ومُصْعَبِ

قال خالد ساطع غبار، عمودها قال: تطرُّقها وتتابُع بعضها فى إثر بعض، كثيفان غباران، ذلول لاصق بالأرض ومصعب مرتفع، قال أبو عبدالله عمودها جماعتها، كثيفان كثيف من الغبار،ذلول ومصعب من الأرض ماصعب وسهل،أصعب جعله الله مُصْعَبا، عمودها اعتمادها فى البيد.

١١ ـ ومَرَّتْ بِمُعْتَمِّ الــــجِبَالِ كأَنَّهَا

عَصَائِبُ فُرْسَانٍ عَلَى إِثْرِ مَطْلَبِ(جـــ)

معتم عميم طويل

١٢ ـ فَصبَّحْنَ قبْلَ الـــصُّبْحِ أوْبَعْدَ مَا بدَا

زُلالاً كمَاءِ الــــعَارِضِ الـــمُتَحَلِّبِ

١٣ ـ ألاَ رُبَّ يومٍ صَائِفٍ قَدْ رَأَيْتُهَا

تُرَاعِى بِخَبْتٍ عَازِبٍ أمٌ رَبْرَبِ(د)

١٤ ـ إِذَا مَا أَهَابَ الـــرَّاعِيَانِ تَرَاجَعَتْ

إِلَى رِزٍّ مَحْبُوكِ الـبَضِيــــعَةِ مُنْجِبِ

محبوك طرائق شحم، والبضيعة اللحم،منجب كريم

١٥ ـ صِلَخْدٌ عَظِيــمُ الـــمَنْكِبَيْنِ كأَنَّمَا

عَلَيْهِ خَمِيــلٌ جِيــبَ لَمَّا يُهَذَّبِ

خميل قطيف من كثرة وبره أى وبر البعير، والتهديب الفتل، روى صَلَخْدَى.

١٦ ـ تَرَى الشَّوْلَ تَأْوِى جَانِبَــــيْهِ كَأَنَّهَا

عَـــــــذَارَى تَهَادَى بَيْنَ أَهْلٍ ومَلْعَبِ(أ)

جانبيه جانبى الفحل.

١٧ ـ طِوَالَ الــــذُّرَى أَعْنَاقُهَا مِشْمَخِرَّةٌ

كَنَخْلِ الـقُرَى عِيـــــدَانُهَا لَمْ يُشَذَّبِ(ب)

الذرى الأسنمة، ومشمخرة طوال عظام، وعيدان طوال.

١٨ ـ تَرَى كُلَّ حُرْجُوجٍ دِلاَثٍ ضَلِيــــعَةٍ

رَفُودٍ تُوَفَّى مَحــــــلَباً بَعْدَ مَحْلَبِ

حُرْجُوج طويلة على الأرض، دلاث ماضية، وضليعة عظيمة قوية، رقود غزيرة(أ) تملأ الرِّفْد وهو القدح الضخم.

١٩ ـ ذَوَارِفُ عَيْنَيْهَا مِنَ الحَفْلِ بِالضُّحَى

سُجُومٌ كَتَنْضَاحِ الــــشِّنَانِ الــــمُسَرَّبِ

ذوارف سُجُوم، الحفل اجتماع اللبن فى الضرع فتسيل عيناها من وجع الحفل،وقال أبو عبدالله المسرَّب هاهنا الذى قد نقبه وسال منه

٢٠ ـ وأُخْرَى عَلَى عَسْنٍ بَنَى الصَّيْفُ نَيَّهَا

عُرُورٌ بِهَا لَوْلاَ الــــــغِنَى لَمْ تُحلَّبِ

العرور خفة السنام، وعسنٌ شحم حولى، لولا الغنى لم تحلّب يقول لولا أنهم استغنوا عنها لم يحلبوها فى ذلك الوقت، ناقة عراء مخفف(أ) عنها يقول الحفل أضربها حتى صارت عراء خفّت بعض الخفّة، وقال غيره لم تحلب استُغنى عنها لكثرتها فألبانها تقطر، وروى خالد عررور، قال والعرور خفة

اللحم، وقال أبو عمرو عرور بها لزوم لأعُرنك بشرّ وقال الغنى اللبن،وقال عزُورٌ بها أيضا.

٢١ ـ رَشُوفٌ وَرَاءَ الـــخُورِ لَوْ تَنْدَرِئْ لَهَا

صَــــــبًا وَشَمَالٌ حَرْجَفٌ لَمْ تَقَلَّبِ

رشوف ترشف الماءَ تشرب، وتندرئْ تعرض، صبا وشمال يعنى أنها مدفأة وهذه أبرد الرياح (أ) فلو أصابتها لم تتحرك، حرجف باردة شديدة، قال أبو عبدالله رشوف وراء الخور يقول إذا كانت الإبل على الحوض فلم تصل هذه التى وصفها إلى الشرب جاوزت بعنقها من فوق الإبل التى على الحوض وألقت مشافرها فى الحوض فشربت، والخور الغزار من الإبل(ب)

٢٢ – تَلُوذُ الـــحَوَاشِي لَيْلَةَ الـــقُرِّ تَحْتَهَا

لُزُوقَ الـــقَطَا بِالـــنِّيـــقِ مِنْ رُأْسِ غُرَّبِ

(النيق) الجبل، (غرب) جبل، الحواشى الفصال والصغار، يقول تلوذولدها تحتها تدفأ بها.

ـ ٢٥ ـ

وقَال(*٢٥)

١ ـ حَلَّ الشَّقِيقَ مِنَ الْعَقِيقِ ظَعَائِنٌ
فَحلَلْنَ رامَةَ أَوْ حلَلْنَ نواهَا(أ)

شقيق غلظ بين رملتين .

٢ ـ ولَقَدْ شَفَى نَفْسِى وأَبْرَأَ سُقْمَهَا
دَارُ ابْنَةِ الْغَنَوِىِّ حيْثُ أَرَاهَا

٣ ـ ولَقَدْ نزَلْتُ بِهَا فَمَا أَحْمَدْتُهَا
عِنْدَ الْمَبِيتِ ولاَ ذَمَمْتُ قِرَاهَا(ب)

يقول لم أجد بها أحدا فأحمده أو أذمه [أى ما وجدت عندها ما أحمدها عليه، وما ذممت قِراها أى قريتها عند رحيلى فأحمدتُ ذاك ولم أذمه] .

٤ ـ فرَحلْتُ يَعْمَلَةَ النَّجَاءِ شِمِلَّةٍ
تُرْضِى الزَّمِيلَ إِذَا الزِّمَامُ عوَاهَا

.١٤٠.

يعملة سريعة السير كثيرته، عواها عطفها وجذبها، إذا جذب زمامها وقفت حتى يركب الزميل ولم تصعب [يَعْمَلَةَ ناقة يُعْمَل عليها، وشملّة سَرِيعه، والزميل الرديف].

٥ ـ تلْوِى بأَسْحَمَ وارِدٍ حِين اغْتَدَتْ
تَنْفِى الذُّبَاب إِذا الذُّبَابُ عراها

(تلوى) تسير، (وارد) كثير الشعر [تلوى بأسحم بذنب أسود]

٦ ـ شِبْهَ الأَتَانِ تَوجَّسَتْ فِى قَفْرَةٍ
يَهْمَاءَ واخْتَلَس السِّبَاعُ طَلاَهَا(أ)

[طلاها ولَدُها].

٧ ـ لَيْسَ المُرِيبُ بِمَنْ أَتَى سُلْطَانَهُ
طَوْعاً وطَالِبَ حَاجَةٍ فَقَضَاهَا(ب)

٨ ـ أَرْجُو الخَلِيفَةَ إِذْ رَحلَتُ مُيَمِّماً
والنَّفْسُ تُدْرِكُ فِى الرَّحِيلِ مُنَاهَا

٩ ـ وَإِذَا علِقْتُ مِنَ الوَلِيدِ بِذِمَّةٍ
سَكَنَتْ إلَىَّ جوانِحِى وحَشَاهَا

١٠ ـ أَنْتَ الإِمَامُ ابْنُ الإِمَامِ لأُمَّةٍ
أَضْحَى بِكَفِّكَ فَقْرُهَا وغِناهَا

ـ ٢٦ ـ

وقَال(*٢٦٠)

١ ـ وَقَالُـــــــــوا فُقَيْمٌ قَيِّمُ الْمَاءِ فَاسْتَجِزْ
عُبَادَةَ إنَّ الـمُسْتَجِيـــــــــــزَ علَـى قُتْرِ

استجز اطلب أن يسقى إبلك، يقال أجزنا أى اسقنا، ونجيزك نسقيك جوازك، والجواز الذى تشربه من ماء قوم ثم تمرّ، على قتر أى على حرف، ويقال على خَطر وحذَر من أن لايُسْقَى.

٢ ـ فَبَيْنَا عُمَيْرٌ طَامِحُ الـــــطَّرْفِ يَبْتَغِى
عُبَادَةَ إذْ وَاجَهْـــتُ أَضْجَمَ ذَا حَبْـــرِ(أ)

أبو عبدالله حبْر وحِبْر صُفرةٌ فى أسنانه يعنى عُمَيراً، أضجم فى شدقه اعوجاج

[عُمَيْرٌ هُو القطامى، طامحٌ رافعٌ، أضجمُ فى فيه هَوَجٌ].

٣ ـ شَنِئْتُكَ إذْ أَبْصَـــرْتُ جَهْـــرَكَ سَيِّئاً
وَمَـــا غَيَّبَ الأَقْوَامُ تَابِعَـــةُ الـــجُهْرِ

جهره ظاهره أى ما ظهر منه، يقول وما غيَّبتَ من خُلقك فإنه يتبع منظرك ويدل عليه

[جهرك منظرك إذا رأيته فقد جهرتَه، تابعة الجهر يقول إذا كان المنظرُ قبيحاً فالخبرُ(ب) تابع المنظر، يقال ما غاب تابعٌ لما ظهر]

٤ ـ وقَدْ كُنْتَ تُدْعى عبْدَ ياسُوعَ مرَّةً

وأَخْلَفْتَ والأخْلافُ منْ سيِّئِ الــذِّكْرِ(أ)

[ياسوع اشتقاق(ب) من عيسى، وهو عبديسوع بن كرب بن معد يكرب ابن مرة بن كلثوم بن غياث بن سعد التغلبى أخلف فى الوعد]

٥ ـ وأَعْيَيْتَ قَيْساً أَنْ تَجِيءَ كَضَرْبِه

وَمَا كُلُّ ذِى عِرْقٍ ولَوْنَسبوا يَجْرِى(جـ)

[كضربه أىْ كنحوه ، قال والضرب النسب إليه هذا من ضرب هذا الفحل، وما كل ذى عرق خليقته فرس يكون جواداً، وهذا مثلٌ]

٦ ـ وبَاتَتْ لِقَاحِى بــالـقُرَى كأَنَّمَا

تَعَاوَرُ دُفًّا مـنْ عـوَانٍ ومَـنْ بِكْرِ(د)

يقول تصيح فكأنما تضرب دفا من شدة صيامها، وإنما تصيح من العطش

٧ ـ ومَا ضرَّهَا أَنْ لَمْ تكُنْ رَعَتِ الحمَى

ولَمْ تَطْلُبِ الخَيْرَ المُلاَوَذَ منْ بِشْرِ(هـ)

[يعنى لقاحه، الملاوذ المعنى أن الخير يلاوذُ أى يمتنع من بشر ويراوغ]

(الملاوذ) المطلوب.

٨ ـ وَرَدْنَ مُدِلاَّتٍ وأُصْدِرْنَ ذُبَّـــــــلاً

وَقَدْ لاَحَتِ الْجَوْزَاءُ فِي مَطْلَعِ الــــفَجْرِ(و)

أى لم يسقنى فيبست من العطش عند طلوع الجوزاء مع الفجر، وذلك أشد أوقات الحرّ.

٩ ـ فَلَوْكَانَ حَوْضُ ابْنِ الـــسَّلِيــلِ تَعَطَّنَتْ

أَصَابَتْ بِلاَشُرْبٍ قَلِيـــــلٍ وَلاكَدْرِ(ز)

[يقال كدْرٌ ويريد كَدَرٌ، قال سمعت كَدِرٌ وكَدْر]

١٠ ـ أُلاَكَ بَنُولَيْلَى الأُلَى يُهْتَدَى بِهِمْ

إِلَى الــــيَوْمِ فَارْحَلْ عَنْ مَقَاوِلَةٍ زُهْرِ(ح)

أى ارحل عنهم لاتنزل فى دارهم [المقاولة دون الملوك].

١١ ـ فَـــوَارِسُ بِسْطَامٍ عَلَيْـــكَ لأُمِّـــه

بَنُو الــشَّمْسِ جَادَتْ لِلــسُّعُودِ إِلَى الــبَدْرِ(ط)

يقول أخوته لأمه أى من قبل أمه فوارس ومن قبل أبيه أيضاً

(قال هشام ابن السليل عمير بن السليل، والسليل وبسطام ابناقيس(ى) بن مسعود ابن قيس بن خالد بن عبدالله وهو ذو الجدَّين بن عمرو بن الحارث بن همام ابن مرة بن ذُهل بن شيبان، قال وأم السَّلِيل وبسطام ليلى بنت الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم).

١٢ ـ وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ جَفَوْنِى رَمَيْتُهُمْ

بِدَاهِيَةٍ شَنْعَاءَ بَاقِيَةِ الْحَـــــــبْرِ(أ)

(الحبر) الأثر.

ـ ٢٧ ـ

وقَال(*٢٧)

١ ـ لَيْسَ الــوكَــاءُ بِأَهْلٍ أَنْ يَســُودَ ولاَ

عَــمْرٌو بِأَوَّلِ مَسْئُولٍ بِــهِ ذَهَــبَا

الوكاء نُعَيْم بن مُجَيَّة بن ربيعة أخو بنى جشم بن ربيعة، وإنما سمى الوكاء لبخله، وعمرو رجل من النمر، يقول إنّ عمراً ليس بأوّل مَن يُسأل عنه إذا فُقد.

٢ ـ قَدْ هَجَّنُوا الأَوْسَ حَتّى ما يُصَابُ لَهُ

فِى الــخَيْلِ جَرْىُ جَوَادٍ يــأْخُذُ الــقَصَبَا

٣ ـ سَــادَ ابْنُ قَيْــسٍ بُيُوتَ النِّمْرِ وَاعْتَرَفَتْ

لَهُ أَتَــمُّ ذِرَاعَـــاً فَوْقَهَا غَرَبــاَ(أ)

ذراع غرب طويلة تامة.

٤ ـ مَدَّ الــيَمِيــنَ فَلَمْ تَقْصُرْ أَنَامِلُهُ

وأَدْرَكَ الــسُّورَةَ الــعُلْيَا الَّتِى طَلَبَا

-١٤٥-

٥ ـ أَيُّوبُ أَنْتَ زِمَامُ الـــنَّمْرِ إِذْ نُسِبَتْ
إِذَا الـــمُخَبِّرُ عَنْ مَجْهُولِهَا نَسَبَا

أى نسبها (ب) الناس، أى أنت من خيارهم إذا نسبها من يعرفها، أيوب بن القريّة هو أيوب بن زيد بن قيس (جـ) بن الأسود بن جشم (د) بن مالك ابن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر، القرّية خماعة (هـ) بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة، زيد (و) بن قيس ابن زُرارة بن مسلمة بن جشم بن مالك هذا عن الكلبى .

٦ ـ أَنْتَ الـــمُوَطِّئُ أَكْنَافَ الـــرِّجَالِ إِذَا
هَزَّ الـــقَنَاةَ وَرَدَّ الـــقَوْلَ وَانْتَصَبَا

أراد إذا تكلم ورد القول.

١٤٦٠

ـ ٢٨ ـ

وقَال(*٢٨)

كان بلكوث تزوج إلى أبى سعد، وهما من الأبناء جميعا من بطنين شتى، وإن بلكوث جاء زائرا فألفاه أبو سعد وهو متكئ فى حجرها تفلى رأسه، وإن أبا سعد طعنه بالرمح فى رانفة(أ) إليته وقال أقم رأسك فقام بلكوث مُغْضَبا، فلقى أبا سعد بعد ذلك وهو يرعى ذوداً له يقود فرسا، فلما رآه أبو سعد عرف فى وجهه الزّماعَ فأراد ركوب الفرس وتبعه بلكوث فبصر به فهرب (ب)

فقال القطامى(جـ)

١ ـ عفَا مِنْ آلِ عَالِيَةَ الـــــفُرَاتُ
فَشَطًّا ذِى حمَاسَ فحَابِلاَتُ(أ)

[الواحدة حائلةٌ وهى الحبال الصغار].

٢ ـ وبِالـــصَّحْرَاءِ والـــثَّمدَيْنِ منْهَا
منَـــازِلُ لَـــمْ تُعَفَّ وعَافِيَاتُ

٣ ـ وأَسْـرَعَ فِى امْـرِىءِ القَـيْسِ بنِ تَيْمٍ
نَوَى قَـذَفٌ وأَبْطَأَتِ السُّعَـاةُ(ب)

[القَذَفُ الأرض البعيدةُ، والسُّعاة الذين يسعون ويصلحون]

٤ ـ تَغَـمَّـدَهَا وأَنْتَ لَهَا سُـفَـيْـحٌ
وَخَـيْـرُ بُحُـورِكَ المُتَـغَـمِّـدَاتُ(جـ)

[تعمدها أى اعلها] قال خالد: تغمدها احتملها، وخير بحورك اللواتى تتغمّد، سُفيح جد هشام بن عمرو التغلبى أبو(د) بسطام بن سفيح، فأدى عنه سفيح، وبلغ طريفا حيث هم فأقبلوا وقد أدّى صدرا، فلما بلغ بنى أبى سعد ورهطه قدوم بنى طريف ولم تتام إليهم الدية طلبوا بلكوث ليقتلوه (هـ) فقال فى ذلك الشاعر ولم يُسَمَّ لى وقال بعضهم هو الأخطل :

١ ـ أَطَـفْنَ بِبَلْكُوثٍ ثَلاَثًا يَعُـدْنُهُ
وَيَوْمَـيْنِ لاَ يَطْعَنَّ إلاَّ الشَّكَائِمَـا(١)

الشكيمة العارضة التى فى فم الدابة

٢ ـ يُطَالِبْنَ دَيْنًا بَعْـدَمَـا قَـدْ مَنَعْنَهُ
وَكَـانَ طِوَالاً بِالأَسِنَّةِ عَـالِمَـا

وإن خالد بن طريف لقى الأخطل وقد كان قال حين حُمِلت الدية:

ـ أَمَّـا أَبُو سَـعْـدٍ فَلَمْ يَثْـأَرُوا بِهِ
وَلَكِنْ أَقَـامُـوا رَأْسَـهُ إِذْ تَصَـوَّبَا(٢)

فقال خالد: ويلك يا أخطل أنت ضررتنى فهل تستطيع أن تنفعنى؟ فقال: نعم، فقال الأخطل :

١٤٨ـ

١ ـ لَوْ كَانَ حَبْلُ ابْنَىْ طَرِيفٍ مُعَلَّقًا
بِأَحْقِى كِرَامٍ أَحْدَثُوا فِيهِمَا أَمْرًا[٣]

٢ ـ أَأَصْبَحَ جَارًا هُمْ قَتِيلاً وَنَافِيًا
أَصَمَّ فَزَادُوا فِى مَسَامِعِهِ وَقْرَا

(وقرا) صمم

وإنّ أبا علقمة الأصم حين بلغه ذلك سار إلى بنى طريف فجعل لهم دية ما وجب عليهم من حقهم [٤].

ـ ٢٩ ـ

وقال [يمدح عبد الملك بن مروان](*٢٩)

١ ـ أَمِنْ طَرَبٍ بَكَيْتَ وَذِكْــــــرِ أَهْلٍ
وَلِلْطَــــرَبِ الــــمُتَاحِ لَكَ ادِّكَارُ (أ)

الطرب خفة تأخذ من فرح أو حزن، المتاح المقدر لك، أتيح قُدِّر .

٢ ـ وَأَطْلاَلٌ عَفَتْ مِنْ بَعْــــدِ أُنـــسٍ
وَدَارُ الـــحَىِّ مُنْكَـــــرَةٌ قِفَارُ

٣ ـ خَلَتْ غَيْرَ الـــظِّبَاءِ بِهَا وَعِيـــنٍ
وَظِلْمَانِ الـــــــــنَّعَامِ لَهَا عِرَارُ

العرار صوت النعام الذكر، والزمار صوت الأنثى.

٤ ـ فَـــإِنَّ بِكُـــلِّ مَحْنِيَةٍ وَسَفْـــحٍ
مُقَابِـــلَ مَنْظَـــرٍ مِنْهَـــا صِوَارُ (ب)

محنية ما انعطف من الوادى ، سفح أسْفَل الجبل حيث يرتفع عن الوادى، مُقابل حذاء حيث ما قابلت نظرك رأيت صوارا.

١٥٠

٥ ـ خَوَاذِلُ مِـــنْ مُصَـــاحِبَةٍ وَفَـــرْدٍ

كَـــبُلْقِ الـــخَيْلِ تَتْبَعُهَا الـــمِهَـــارُ(جـــ)

مصاحبة معها إلْفها، جعلها كالبُلَق لأن أسوقها وخدودها سود(د)

٦ ـ وَقَدْ دَرَسَتْ سِوَى مَلْثُـــومِ نُـــؤْيٍ

وَآرِيٌّ تَنَصَّفُـــــهُ الـــــغُبَارُ(هـــــ)

النؤى الحاجز حول الخيْمة من التراب كى لايدخْلها سيل، تنصفه صار إلى نصفه

[أى صار الغُبارُ إلى نصفه، والنؤى الحاجز بين الخيمة والماء] .

٧ ـ وَمِنْهُ جِذْمَـــــةٌ خَلَـــقٌ مُحِيـــلٌ

كَـــــأَنَّ بَقِيَّةً مِنْهَا جِـــــدَارُ(و)

جـذام الشىء أصله (يقول من هذا الآرى قطعة خلق كأنه جدار)(ز)

[مُحيل أتى عليه الحوْلُ] .

٨ ـ وَأَوْرَقُ كَـــالـــحَمَامَةِ مُقْـــشَعِرٌّ

وَشُعْـــــثٌ شَجَّجَتْهُنَّ الـــــفِهَارُ(ح)

(الفهار) جمع فِهْر، مقشعر ثائر بملتبد، اقشعر انتفش وازبأرَّ، شعث أوتاد

[الفهار الواحدة فِهْرَةٌ وهى حجر مدور].

٩ ـ وَمُحْتَدَمُ الـــقُدُورِ عَلَـــى ثَلاَثٍ

كَأَنَّ مَنَاكِبَ الأَحْجَارِ قَارُ(ط)

احتدمت القدر غلت [محتدم موضع النار على ثلاث تعنى الأثافىّ] .

١٠ ـ ومَلْعَبُ رَبْرَبٍ أُدْمٍ هِجَـــــانٍ

تَـــأَوَّدُ عِنْدَ مِشْيَتِهَـــا انــــفِتَارُ(ى)

ربرب جماعة بقر استعاره للنساء [بوادى متفرقات، وكان الأصمعى يقول: البوادى من كلِّ شيء أوله].

١١ ـ بَوارِقُ تَرْقُدُ الـــــصُّبَحَاتِ خُرْدٌ

بِهِنَّ مِنَ الـــــسِّنَاتِ ضُحَى انْبِهَارُ(ك)

بوارق تبرق وجوههنّ، الصبحات (ل) جمع صبحة اصطبح صبحة، يقول إذا مشت ضحى انبهرت، ابن الأعرابى بوادِنُ ترقد الصبحات غِيدٌ، ويروى حُورٌ بهن [ترقُد الصبحات يرقُدن بالغَدوات].

١٢ ـ وَنَادَيْنَا الـــرُّســـومَ وَهـــنَّ صُمٌّ

وَمَنْطِقُهَـــا الـــمَعَاجِمُ والـــسِّطَارُ

المعاجم كتب مُعجمة، إجابتها إيانا أن أرتنا(م) علاماتها كأنها سطار كتب [أى منطقها السُّطور والآثار وكُلُّ ذلك لايُجيبُ].

١٣ ـ وكَانَ الْيَأْس أَجْمَـــلَ فَانْصَـــرَفْنَا

وَدَمْعُ الـــــعَيْنِ أَلْبَثُهُ انْحِدارُ(ن)

[أى أبطؤه انحدار].

١٤ ـ وَعَارَضْــتُ الـمَطِيَّــةَ وَهْــيَ تَهْـوِى

وَأَهْوَنُ سِيَرةٍ مِنْهَا انْسِجَارُ(س)

١٥ ـ وَقُلْتُ لِصَـــاحِبَيَّ أَلاَ اصْبَحَانِى

لِتُسْلِيَ عَبْرَتِى رَاحٌ عُقَارُ(ع)

.١٥٢.

عبرته دمعُه وحزنه، عُقار على ضربين إن شئت أنها تعقر ألباب الرجال، وإن شئت سُمِّيَتْ عُقارا لأن شرّابها يديمون شربها، ويقال عقار تعاقر الدن تلزمه [العقار التى عاقرتِ الدنَّ].

١٦ ـ فَشَعْشَـــع بِالإِدَاوَةِ شَرْمَحِىٌّ
وَلَيْسَ بِنَا وَإِنْ جَهَـــدَ انْتِظَارُ(ف)

شعشع فرج، يقول سقانا على عجلة ولوجهد بنا لم ننتظر لأنا مسافرون، شرمحى طويل شابّ [شعشع إذا أرق المزاج].

١٧ ـ وَنَحْنُ عَلَى قَلائِص يَعْمَـــلاتٍ
أَضَرَّ بِهَا الـــتَّرَحُّــلُ وَالـــسِّفَـارُ(ص)

(السفار) جمع سفر[قوله يعملات أى صبرعلى الدَّأبِ].

١٨ ـ كـــأَنَّ لُغَامَهُـــنَّ سَبِيـــخُ قُطْنٍ
عَلَى الـــمَعْـــزَاءِ تَنْدِفُـــهُ الـــوِتَارُ

سبيخ قِطَع وهو على المعزاء أظهر وأبقى لأنها لاتنشفه (الوتار) جمع وتر [اللُّغام الزَّبَد، وسبيخ قُطنٍ قطعُ قطن، والمعزاء أرض غلَيظة].

١٩ ـ وتَسْمَعُ مِنْ أَسَادِسِهَـــا صَرِيـــفاً
كَمَا صَاحَتْ عَلَى الـــحَدَبِ الـــصِّقَارُ

السديس السنّ التى تلى الناب، صريفا صوتا، الصقار جمع صقر، الحدب ما أشرف من الأرض [السديسُ السنُّ الذى قبل الناب].

٢٠ ـ سَوَاهِمَ تَغْتَلِى فِى كُلِّ فَرْعٍ
كَمَا يُرْمَى لِذِى الـــغَرَضِ الـــقِتَارُ(أ)

تغتلى تذهب وتُسرع، والفرع الواسع من الأرض، وكأنّها من سرعتها سهام، والقترة نصلٌ سريع وجمعها قتار [سواهم ضمّر، تغتلى تمضى وتذهب، والفرع الأرض الدقيقةُ التراب الواسعةُ المدَى، والقِتار نصال صغار دقاق].

٢١ ـ وَبَشَّرَنَا البَشِيرُ بنُعْمِ طَيْرٍ

وَمِمَّا أَنْ تقَبَّلَنَا البِشَارُ

هذا مقلوب أراد ومما نتقبل البشارِ (ب)، يريد نحب أن نبشر ونقبل ذلك (جـ)

٢٢ ـ بِظُعْنٍ لَجَّجَتْ فِى يَوْمِ صَيْفٍ

وَقَالُوا لَيْس بِالأَنْهَى قِطَارُ

الأنهى جمع نِهْى أى ليس هناك ماء (قطار) قطرة ماء [لججت رحلت فى السير، الأنهى الغُدران الواحد نِهْىٌ، والقطار من المطر].

٢٣ ـ دَعَتْهُنَّ الهَوَاجِرُ نَحْوَ نَجْدٍ

وَصَابَ الهِيفُ فَابْتَدرَ الغِمَارُ(د)

الغمار ماء كثير، ويُروَى المواردُ نَحْوَ نجدٍ.

٢٤ ـ فَشَمَّرَتِ الحُدَاةُ بِكُلِّ رَسْلٍ

عَلاَهُ الرِّيْطُ أَشْعَلَهُ احْمِرَارُ

رسل سريع سهل، علاه الريط جلل بالملاء الأبيض، أشعل الريط أى عمَّ يريد أن فيه صبْغاً أحمر، ويروى المرار وهو نبت، أسعله مثل أزعله أى نشّطه.

٢٥ ـ فَلَمَّا أَنْ لَحِقْنَا بَعْدَ لأيٍ

بِبِيضٍ فِى مَحَاجِرِهَا احْوِرَارُ

المحاجر ما يبدو من النقاب، احورار بياض.

-١٥٤-

٢٦ ـ تنَازَ عْنَا الحَدِيثَ فَحدَّثَتْنَا
عَطَابِيلٌ تُقَتِّلُ مَنْ يَغَارُ

عطَابيل طوال الأعناق، تقتل تعذّب وتقتل.

٢٧ ـ وَجُدْنَ بِفِدْيَةٍ قَصَدَتْ إِلَيْنَا
وَطَرْفٍ يعَافِرٍ فِيهِ انْكِسَارُ

بفدية قلن فديناك ، يعافرظباء، انكسار فتور.

٢٨ ـ وَعُجْنَ سوَالِفًا وَقَدَتْ عليْهَا
قَلَائِدُهَا كَمَا تَقِدُ الجِمَارُ

عجن عطفن، سوالفا أى سالفةَ العنقِ، وقدت التهبت.

٢٩ ـ إِذَا مَا احْتَلَّ بِالْبَطْحَاءِ حَيٌّ
بَدَتْ غُرَرٌتَرَادَفَهَا الْبِشَارُ

ترادفها ركبها وتظاهر عليها، البِشَارُ الحُسْنُ امرأة بشيرة.

٣٠ ـ أَذَاكَ هُدِيتَ أَمْ مَا بَالُ ضَيْفٍ
تَضَمَّنَهُ المَضَاجِعُ والشِّعَارُ

٣١ ـ وأَرَّقَنِى بَدَائِعُ فِى مَعَدٍّ
أَرَاهَا الْيَوْمَ لَيْسَ لَهَا ازْدِجَارُ(أ)

ويروى وأرّقَها، بدائع ما يبتدع من الأمور، زجرته نهيته فازدجر انتهى.

٣٢ ـ إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ جُبِرَتْ صُدُوعٌ
تُهَاضُ وَلَيْسَ لِلْهَيْضِ اجْتِبَارُ(أ)

الهيض الكسر والرجوع فى المرض(ب)

٣٣ ـ كَـــذَاكَ المُفْـــسِدُونَ إِذَا تَوَالَــوْا
عَلَى شَىْءٍ فَـــأَمْـرُهُمُ التَّــبَـــارُ(جـ)

التبار الهلاك، ويروى الدمار.

٣٤ ـ فَـــأَيْنَ ذَوُو البِطَاحِ ذُرَى قُـــرَيْشٍ
وَأَحْلاَمٌ لَهُمْ مَـــا تُسْـتَـــعَـــارُ(د)

ما تستعار أى هى معهم أبداً لاتذهب.

٣٥ ـ وَنَحْـــنُ رَعِـــيَّـةٌ وَهُـمْ رُعَـاةٌ
وَلَوْلاَ رَعْـــيُـــهُمْ شَنَعَ الشَّنَارُ(أ)

شنع انتشر، شنع شُنوعا وشَنَاعة، والشنار العيب.

٣٦ ـ فَـإِنْ لَـمْ تَأْتَمِـــرْ صُلْحـاً قُـرَيْشٌ
فَلَيْسَ لِسَـــائِرِ العَـــرَبِ ائْتِـمَـــارُ(أ)

تأمر أنفسها ومن أطاعهَا ، ويروى تأتبر كما يُؤْبَرَ (ب) النخل يُصْلح.

٣٧ ـ وَفَـــضَّلَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ صَـــبْــرٌ
وَضَـرْبٌ لِلأَعَـادِى وَاحْـــتِـــقَارُ(جـ)

٣٨ ـ فَـيَـا قَـوْمِى هَلُمَّ إِلَـى جَـمِـيعٍ
وَفِـيـمَـا قَـدْ مَضَى كَـانَ اعْـتِـبَـارُ(أ)

٣٩ ـ أَلَمْ يُخْـزِ التَّـفَـرُّقُ جُنْدَ كِـسْـرَى
وَأُجْلُوا عَنْ مَـــدَائِنِهِمْ فَطَـارُوا(أ)

٤٠ ـ وَشُقَّ الْبَـحْـرُ عَنْ أَصْحَـابِ مُوسَى
وَغُـــرِّقَتِ الْفَـــرَاعِنَـةُ الْكِفَـارُ(أ)

(الكفار) جمع كافر.

٤١ ـ فَكَمْ مِـــنْ مـــدَّةٍ سبقــتْ لِقــوْمٍ
زَمَـــاناً ثـــمَّ يلْحقُهَا انبْتَارُ(ب)

كانوا فى سلطان ومدّ لهم فى العمر ثم لحقهم انقطاع.

٤٢ ـ فَمَــا مِــنْ جِــدَّةٍ إلاَّ ستبــلَى
وتَقْضَـــأُ بعْدَ جِدَّتِهـــا الْــحِبَـــارُ(جـ)

تقضأ تخلق فى حسبه قُضأةٌ (الحبار) [الأثر].

٤٣ ـ فأُنْذِرُكُمْ مَصَائِـــر قــوْمِ نــوحٍ
وكَانَــتْ أُمَّةً فِيـــــــــها انْتِشَارُ(د)

(انتشار) اختلاف [أى تفرق]

٤٤ ـ وكَانَ يسبِّحُ الـــــــرَّحْمَنَ شُكْرَاً
ولِلَّهِ الـــــمَحَامِدُ والــــوَقَارُ(هـ)

(الوقار) [العظمة].

٤٥ ـ فَلَمَّـــــا أَنْ أَرادَ الـــــلَّهُ أَمْرَاً
مَضَى والــــــــــمُشرِكُون لَهُمْ جُؤَارُ

(جؤار) صياح.

٤٦ ـ ونَادى صَاحِـــــبُ الــــتَّنُّور نُوحاً
وَصُبَّ عَلَيْهِمُ مِنْهُ الــــــــوبَارُ(أ)

من التنور الهلاك.

٤٧ ـ وضَجُّوا عِنْدَ جَيـــــئَتـــه إلَيْهِمْ
ولاَيُنْجِى مِنَ الــــقَدَرِ الـــــحِذَارُ

-١٥٧-

جيئته حين جاء الطوفان، ويُروى وَفَرَّوا.

٤٨ ـ وَجَاشَ الـــمَاءُ مُنْــهمِراً إِليْهِمْ
كَـــأَنَّ غُثَـــاءَهُ خِـــرَقٌ نِشَارُ

ويروى خرق تسار(أ)، يريد كأن زبده ملاءةٌ مبسوطة منشورة

٤٩ ـ وَعَامَـــتْ وَهْـــىَ قَاصِـــدَةٌ بِإِذْنٍ
وَلَوْلاَ الـــلَّهُ جَارَ بِهَا الـــجَوَارُ

عامت سبحت إلى الجودى، الجوار الجور أى لولا الله لجار بالسفينة الجور حتى لاتقف على الجودى أى لجارت بالسفينة الحيْرة فكانت تجور ولاتهتدى، وقال أبو عمرو الجَوَار الماء الغَمْر والجوار من الجور.

٥٠ ـ إِلَــى الـجُــودِىِّ حتَّى صَــارَ حِجْراً
وَحَانَ لِتَالِكَ الــــــــغُمَرِ انْحِسَارُ

حـجرا مـانعـا أى منعـها الجـودى أن تبـرح، منعَ الجـودى السـفـينة، الغُمـر الغمرات الشىء الذى يَغْمُرُ ويُغْرِق، انحسار انكشاف.

٥١ ـ فَهَذَا فِيـــــــهِ مَوْعِظَةٌ وَحُــكْمٌ
وَلَـــــكِنِّى امْرُؤٌ فِـــــىَّ افْتِخَارُ(أ)

٥٢ ـ مِنَ الْفِتْيَانِ أَقْذِفُ كُلَّ عَبْدٍ
بِجُــرْبٍ لَــيْسَ فِيـــــــــهِنَّ اعْتِذَارُ

جُرْب قوافٍ جرب(ب) كأنها جربة لفظاعتها ولا أعتذر من ذلك.

٥٣ ـ وَعِنْدَ الْحَقِّ تَعْتَزِلُ الْمَوَالِى
إِذَا مَـــــا أُوقِدَتْ لِلْحَرْبِ نَارُ(جـــــ)

الموالى الذين ليسوا بصريح يعتزلون ويثبت الصريح.

■١٥٨■

٥٤ ـ أَكَلْبُ هَلُمَّ نَحْنُ بَنُو أَبِيكُمْ
وَدَعْوَى الزُّورِ مَنْقَصَةٌ وَعَارُ

٥٥ ـ وَقَدْ عَلِمَتْ كُهُولُهُمُ القُدَامَى
إِذَا قَعَدُوا كَأَنَّهُمُ النِّسَارُ

النسر من أعز الطير وأقهرها.

٥٦ ـ بِأَنَّ قُضَاعَةَ الأُولَى مَعَدٌّ
لِقَرْمٍ لاَتَغِطُ لَهُ الْبِكَارُ

لاتغط لاتهادره صغارُ الإبل وأفتاؤها ولكن الفحولة الجلّة، لاتغط لاتصيح ولاتوعده.

٥٧ ـ إِذَا هَدَرَتْ شَقَا شِقُهُ وَنَشْبَتْ
لَهُ الأَظْفَارُ تُرْكَ لَهُ المَدَارُ

حيث يدور يُقبل ويُدبر لايزاحمه أحد، وأراد نشِبت وتُرِك فخفف.

٥٨ ـ وَمَنْ يَتَوَلَّ لِلرَّحْمَنِ نَصْراً
فَنَطْحُ ذَوِى القُرونِ لَهُ اجْتِبَارُ(أ)

أى يجبره الله.

٥٩ ـ وَمَنْ يَنْطَحْ بِهِ جَبَلا نِزَارِ
يُفَرَّثْ مِنْ مَدَامِعِهِ انْتِثَارُ

يُفَرَّثْ أى يُقْطع (ب) ويُكْسر ويفرق، انتثار ما انتثر منها.

٦٠ ـ إِذَا اصْطَكَّا بِأَرْعَنَ مُكْفَهِرٌّ
تَفَارَطَ أَنْ تَنَاوَلَهُ القِصَارُ

أى جاوز أن يتناوله القصارُ لايُدْرَك.

.١٥٩.

٦١ ـ هَلُمَّ فَعِنْدَنَا عَدْلٌ وَنِصْفٌ
وَأَحْكَامٌ تُسَدُّ بِهَا الثِّغَارُ

(الثغار) جمع ثغر.

٦٢ ـ وَإِنْ يَعْطِفْكُمُ نَسَبٌ إِلَيْنَا
فَلَيْسَ عَلَيْكُمُ مِنَّا ظِهَارُ

أى لانتظاهر عليكم نتعاون.

٦٣ ـ أَبُونَا فَارِسُ الفُرْسَانِ عَلَّقَتْ
بِكَفَّتِهِ الأَعِنَّةُ وَالْغِوَارُ

٦٤ ـ وَأَفْضَلُ مَا اقْتَنَيْنَا مِنْ سَوَامٍ
ذُكُورُ الْخَيْلِ وَالأَسَلُ الْحِرَارُ

رماح عطاش إلى الدم.

٦٥ ـ وَرِثْنَا الْخَيْلَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ
وَمِنْ عَادَاتِهِنَّ لَنَا اخْتِيَارُ

يروى اجتبار يَجْبُرْنَنَا.

٦٦ ـ تُرَاثًا عَنْ أَبِى صِدْقٍ إِيَادٌ
وَعَيْلاَنٌ وَخِنْدِفُهَا الكُثَارُ

٦٧ ـ أَبَاعِرُهُ فَكُلٌّ سَاقَ نَهْبًا
لَهُ مِنْهُ الْعَرَارَةُ وَالخِيَارُ

العرارة الشرف والنجدة، نَهْبًا أى صار نهبا فى يده.

٦٨ ـ فَصَارَتْ بِالجُدُودِ بِنُونِ زَارٍ
فَسُدْنَاهُمْ وَأَثْعَلَتِ الْمِضَارُ

■١٦٠■

أى سدنا نحن بنى نزار، وأثعلت كثرت مضر.

٦٩ ـ فَـكَانَ لَنَـا ولِلْمُضَرِيْنَ حَـظٌّ

وَلِلْحُسَّادِ فِى الأَثَرِ الـغُبَارُ

٧٠ ـ فَـصَارَ الـعِزُّ وَالـبَسَطَاتُ فِينَا

وَأَعْـلامٌ قَـدَامِسَةٌ كِبَـارُ

البسطة الزيادة فى كل شىء، قدامسة قديمة.

٧١ ـ وَمِنَّـا الأَنْبِيَـاءُ وَكُلُّ مَلْكٍ

وَأَحْكَـامُ الأَئِمَّةِ حَيْثُ صَـارُوا

٧٢ ـ غَلَبْنَا الـنَّاسَ فِى الـدُّنْيَا بِفَضْلٍ

وَنَرْجُو أَنْ يَكُـونَ لَنَا الـمَحَـارُ

المحار أن يكون لنا خير المنقلب.

٧٣ ـ وَإِسْمَاعِيـلُ بَعْدَ الـلَّه يَقْضِى

لَنَا بِالـحَقِّ إِذْ رُفِعَ الـخِطَارُ

٧٤ ـ فَعِنْدِى الـفَصْلُ لِلْجُهَّـالِ مِنْكُمْ

كَمِنْهَاجِ الـطَّرِيـقِ بِهِ الـمَنَارُ(أ)

[المنهَاجُ الطريقُ البيِّن].

٧٥ ـ قُضَاعَةُ كَانَ حِـزْبًا مِـنْ مَعَدٍّ

فَحَطَّهُمُ الـمَعَاتِبُ وَالـضِّرَارُ(ب)

يروى قُضَاعَةُ كَانَ رُكْنًا مِنْ مَعَدٍّ، حزبا طائفة وفرقة، فحطهم المعاتب يقول عتبوا على معد فانتقلوا عنهم فحطهم ذاك من شرفهم.

٧٦ ـ فَإِنْ تُعْزَلْ قُضَاعَةُ مِنْ مَعَدٍّ
تَصِرْ تَبَعاً وَلِلتَّبَعِ الصَّغَارُ

٧٧ ـ وَيَلْقَوْا تَرْشُخْبِ مِنْ مَعَدٍّ
يَدِرُّ لِمَنْ يُشَارِكُهُ الغِرَارِ

يُروى ويلفوا، شُخْب الحلبة الواحدة ، الغرار قلة اللبن.

٧٨ ـ وَتَعْرِفْ مِنْ بَنِى قَحْطَانَ بُعْداً
وَتُظْلَمْ وَهْىَ لَيْسَ لَهَا انْتِصَارُ

٧٩ ـ وَمَنْ يَكُ يَوْمَ دَعْوَتِه غَرِيباً
يَخُنْهُ مِنْ جَنَاحَيْهِ انْكِسَارُ

٨٠ ـ وَنَصْرُ ذَوِى الأَبَاعِدِ مِنْكَ رَيْثٌ
وَأَحْشَاءُ ابْنِ عَمِّكَ تُسْتَطَارُ

تُرعَد من الغضب.

٨١ ـ وَمَنْ يَنْزِعْ أُرُومَتَهُ لِأُخْرَى
فَذَاكَ لِثَابِتِ الأَصْلِ اعْتِقَارُ

اعتقار (مذَلة).

٨٢ ـ كَمَا الزَّيْتُونُ لاَيَمَّازُ نَخْلاً
وَلاَ الجَبَّارُ تُبْدُ لَهُ صُحَارُ

صحار أرض عُمان وهى كثيرة النخل، (لايمّاز لايتميز فيفارقُ شجر الزيتون). (جـ)

٨٣ ـ وَلاَالتَّمْرُ المُكَمَّمُ حَوْلَ حِمْصٍ
إِذَا مَا حَانَ مِنْ هَجَرِ الجِزَارُ

يقول ليس هجر إذا أتى جزاره وأدرك ثمره يكون بحمص أبدا .

٨٤ ـ وَآنَفُ أَنْ يَكُونَ أَخِى تَبِيـــــعاً
لذى يمَـــنٍ وقَدْ قَهَـــرَتْ نِزَارُ

٨٥ ـ ويَأبَى الصَّيـــدُ منْ سَلَفَىْ نِزَارٍ
وأَرْفَادٌ محَالِــــبُهَا غِزَارُ

رِفْد قَدَح عظيم.

٨٦ ـ إذَا الــرِّيــحُ الــشَّآمِيَةُ اسْتَحَنَّتْ
ولَعْبَ بِهاَ مَعَ الــلَّيْلِ الـــعِصَارُ(د)

استحنت هبت فحنت حنينا ، والإعصار الغبار.

٨٧ ـ فَأُدْبَتُنَا الــجَوَافِــلُ كُلَّ يَوْمٍ
وبَعْضُ الــــنَّاسِ أُدْبَتُهُ انْتِقَارُ

الأدبة الدعاء، الجفلى أن يدعو جماعة والانتقار أن يدعو واحدا واحدا.

٨٨ ـ وَقَــولُ المَرْءِ يَنْفُذُ بَعْدَ حِـينٍ
أَماكِنَ لاتُجَاوِزُهـــا الإبَـــارُ

(الإبار) جمع إبرة.

٨٩ ـ أَمِيـــرُ الـمُؤْمِنِيـنَ هُدَىً ونُورٌ
كمَا جلَّى دُجَى الـــظُّلَمِ الـــنَّهارُ

٩٠ ـ قَرِيـــعُ بَنِى أُمَيَّةَ مِـــنْ قُرَيْشٍ
هُمُ الـــسِّرُّ الــمُهَذَّبُ وَالـــنُّضارُ

٩١ ـ فَعَبْدُ الـــمَلِكِ لِلْفُقَــرَاءِ طَـعْمٌ
وَحِـــرْزٌ لَيْـــسَ مَعْقِـلُهُ يُضَـــارُ

(ليس معقله يضار) لايضرب.

٩٢ ـ وقَدْ حَمَلَ الخِلَافَةَ ثُمَّ حَلَّ
بِهَا عِنْدَ ابْنِ مَرْوَانَ القَرَارُ

٩٣ ـ وَقُلْتُ لِذِى الكَلَاعِ وَذِى رُعَينٍ
أَحَقٌ قَوْلُ حِمْيَرَ أَمْ جَوَارُ

(جوار) جور.

٩٤ ـ تَدَعَّيهِمْ قُضَاعَةَ بَعْدَ دَهْرٍ
وَفى الدَّهْرِ التَّقَلُّبُ والغِيَارُ

٩٥ ـ وَأَنْمَارُابْنُ بَجْلَةَ قَالَ قِيلاً
وَلَيْسَ لَهُ إِذَا عَدُّوا غِدَارُ

٩٦ ـ مَتَى تُرْعِشْ إِلَى الإِلْجَامِ يَوْمًا
يقمْ سُوقَ الطِّعَانِ لَهَا تِجَارُ

٩٧ ـ وَمَعْقِلُنَا السُّيُوفُ إِذَا أَنَخْنَا
وَقَدْ طَارَ القَنَازِعُ وَالشَّرَارُ

يريد شرار الناس.

٩٨ ـ بِضَرْبٍ تُبْصِرُ العُمْيَانُ مِنْهُ
وَتَعْشَى دُونَهُ الحَدَقُ البِصَارُ

أى لبريق السلاح.

٩٩ ـ وَإِسْحَاقٌ أَخُونَا قَدْ عَلِمْتُمْ
عَلَيْنَا مِنْ مَوَاسِمِهِ النِّجَارُ

.١٦٤. [قال الأصمعى: يقال هُو على نجاره أى على قدّه وخليقَته، وغيره يقول: هو اللون، والأول أحب إلى أبى نصر].

١٠٠ ـ نَهُـــزُّ الـــمَشْرَفِـــيَّةَ ثُمَّ نُعْدِى
وَلَـــيْسَ بِنـــا عَـــنِ الـــحَـــقِّ ازْوِرَارُ(أ)

يُروَى ثم نغْدو (ب) أى نعدى الخيل فى الطلب .

ـ١٦٥ـ

ـ ٣٠ ـ

وقَال(*٣٠)

١ ـ ظُعُنٌ إذا جَاوَزْنَ قَصْرَ مُقَاتِلٍ
فَالْقَلْبُ فِى إِثْرِ الَّذِينَ تَيَمَّمُوا(أ)

٢ ـ نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِمُقْلَةٍ مَكْحُولَةٍ
نَظَراً يَكَادُ بِطَرْفِهِ يَتَكَلَّمُ

.١٦٦.

ـ ٣١ ـ

وقَال أيضا(*٣١)

١ ـ أُنَادِى خَلِيــطاً نائِياً حِيــنَ أعْصَفَتْ
شآمِيَّـــةُ الأَقْرَابِ نَكْبَـــاءُ حَرْجَــفُ

يريد الشمال، والأقراب الخواصر، القربان الجنبان .

٢ ـ وَمَنْ لاَيَزَلْ يَسْتَحْمِلِ الــنَّاسَ نَفْسَهُ
يُعَنِّفْ ويُنْكِـــرْهُ الَّذِى كَانَ يَعْرِفُ

▪١٦٧▪

- ٣٢ -

وقَال أيضا(*٣٢)

١ - قَدْ عَلِمَ الأَبْنَاءُ مَنْ غُلاَمُهَا

٢ - إِذَا الصَّرَاصِيرُ اقْشَعَرَّ هَامُهَا

الأبناء من تغلب ربيعة وعائذ وامرؤ القيس بنوفهم بن أسامة، والصراصير العظام من الإبل .

٣ - أَنَا ابْنُ هَيْجَاهَا مَعِي زِمَامُهَا

٤ - لَمْ أَنْبُ عَنْهَا نَبْوَةً أُلاَمُهَا

٥- فِي طُولِ مَا جَرَّبَنِي أَيَّامُهَا

٦ - لَسْتُ كَمَنْ حَلَّ لَهُ حَرَامُهَا

٧ - وَلاتُرَى حَانِيَةً أَرْحَامُهَا

٨ - وَلَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ مَا أَنَامُهَا

٩ - أَحْيَيْتُهَا حَتَّى أنْجَلَى ظَلاَمُهَا

١٠ - بِذَاتِ لَوْثٍ ضَرِعٍ بُغَامُهَا

ضرع ضعيف، بغامها صوتها.

.١٦٨.

١١ـ يَهْدِى مَطِىَّ الـــــنُّجُبِ اعْتِزَامُهَا

١٢ ـ وأَمُّهَا فِى الـــــبِيدِ وَاهْتِزَامُهَا

(اهتزامها) شدة مسيرها..

١٣ ـ وبَلْـــدَةٍ طَامِســـةٍ أَعْلاَمُهـــاَ

١٤ ـ يَضْغُو جَمِيــــعاً بُومُهَا وَهَامُهَا

طامسة قد طمست فى التراب، ويضغو يصيح .

١٥ـ إنَّ رَزَامـــاً غـــرَّهَا قـــرْزَامُهَا

١٦ ـ قَبِيــــلَةٌ أَجْمَـــلُهَا غُلاَمُهَا

رزام بن امرئ القيس بن عبيد بن وهب بن جشم بن بكر بن تغلب، والقرزام الشاعر الذى ليس بالحذاق، يقال هو يقرزم الشعر .

٨ ـ (قُلْفٌ علَى) زِبَابِهَا كِمَامُهَا (أ)

١٨ ـ لَمْ تَدرِ مَا مُوسَى وَلاَ سِطَامُهَا

الزباب جمع زب يُريد به ذكر الرجُل، وموسى يريد الخائن، والسطام جيد الحديد، وهو الذى يُحدَّ الحديد به الذى يسميه الناس مسحة، يقال اسطموا سكينكم اى أحدُّوهاَ .

الهوامش :

(*) فى الأصل «الرحمان».
(* ١) فى «ق» رقم (١).
(أ) لاتوجد فى الأصول وهى من جمهرة ابن حزم ٢٨٨ برفنسال (راجع ترجمتنا للقطامى).

١ ـ اللسان (طول)، تاج العروس (طول)، الصحاح (طول)، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، جمهرة ابن شبة ق ١٦٦/ ١٦٧ رواية كل هذه الكتب: الطول، غرر الفوائد ودرر القلائد ظ ١٣٨، تاريخ ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨، مجمع الأمثال ١ : ٣٨١، خزانة الأدب ١ : ٣٩٢، ٣٩٣، الأغانى ٢٠ : ١١٨ ومابعدها، شرح الشواهد الكبرى ٣ : ٢٩٧، ٢٩٨، شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٠، ١، معاهد التنصيص ٨٧، ٨٨، شرح شواهد المغنى ٢٢٣، العمدة ١ : ١٩٢ (يوجد فيه الشطر الأول)، ديوان الأدب ٣٢١، إصلاح المنطق ظ ٦٨، تاريخ الإسلام ٥ : ١١٣٤، ٣٥، شمس العلوم ١ ق ١ : ١٢، شرح شواهد الكشاف ٢٤٩، ٥٠ روايته: وإن بكيت وإن طالت بك الحيل.

(أ) ديوان طرفة (الشنتمرى) باريس ٢٣ .

(ب) فى الأصل «مماء».

٢ ـ شرح الشواهد الكبرى ٣ : ٢٩٧، ٢٩٨ بالغمز، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/٣١٦، شرح شواهد المغنى ٢٢٣، تاريخ الإسلام ٥ : ١١٣٤، ٣٥ روايته: وماهداني لتسليم على دمن .·. بالعمر، وكذلك ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨، شرح شواهد الكشاف ٢٤٩، ٢٥٠ روايته: أما اهتديت، جمهرة أشعار العرب لابن شبة ق ١٦٦، ١٦٧ روايته: بالعمر، الخصائص ١ : ٧٠

(أ) ينقل ناشر ديوان المتلمس (ليبزج) هذا البيت فى زياداته عن ديوان القطامى.

٣ ـ اللسان (سبط) روايته: أعراف السيول... يبل، الأساس (عمج)، تاج العروس (سبط) روايته: ضاقت.. ثبل، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: تمعّج... يئل، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ روايته: تبل.

٤ ـ جمهرة أشعار العرب ٣١٣ / ٣١٦، العمدة ١ : ١٦١ روايته: كالحلل... البلل، جمهرة ابن شبة روايته: أو الكتاب، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ روايته: فهن كالحلل.... البلل.

٥ ـ جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ روايته: قد تحُل، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ روايته: كانت منازل منا ماتجهمنا .·. حتى يملك دهر مخبل خبل

٦ ـ حماسة البحترى ١٨٣، ٣٣٣، الأغانى ٢٠ : ١١٨ ومابعدها، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٠، ٥٠١، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ روايته: ليس الجديد الذى يبقى، غرر الفوائد ودرر القلائد ظ ١٣٨.

■١٧٠■

(أ) «ق» ليس الجديد مقيما فى..

٧ ـ مجموعة المعانى ٥ روايته: ينتقل، وكذلك معجم الشعراء ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، حماسة البحترى ١٨٣ ، ٣٣٣ ، شرح الشواهد الكبرى ٣: ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، شرح شواهد المغنى ٢٢٣ . جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: ولا حالة إلا ستنتقل، زهر الآداب ٣: ١٢ روايته: والعيش ما العيش.... ينتقل، الأغانى ٢٠: ١١٨ ومابعدها، حماسة أبى تمام ١: ١٨١ ، ١٨٢ ، الحماسة البصرية ق ١٢٨ ، شرح نهج البلاغة ٤: ٥٠٠ ، ٥٠١ .

(أ) ديوان امرئ القيس (السندوبى) ١٣٨ وعجز البيت: قليل الهموم مايبيت بأوجال.

٨ ـ مجموعة المعانى ٥، العقد ١: ١٤٤ ، ٣: ١١٨ ، الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها، معجم الشعراء ٢٤٤ ، ٤٥ ، حماسة البحترى ٣٧٤ روايته: الناس، حماسة أبى تمام ١: ١٨١ ، ١٨٢ ، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ ، زهر الآداب ٣: ١٢ ، نهاية الأرب ٣: ٧٤ ، الفائق ١: ١٥٣ ، جمهرة ابن شبة ١٦٦ ، ١٦٧ روايته: ماتشتهى، وكذلك غرر الفوائد ظ ١٣٨ ، ابن عساكر ٢٥: ٢٨٨ روايته: مايكون له... مايشتهى.

٩ ـ اللسان (بعض) غير منسوب، العقد ١: ١٨٦ ، عيون الأخبار ٣: ١٢١ بهامشه «كذا فى ديوان القطامى وهى الرواية المشهورة فى كتب الأدب وفى الأصل «قد يدرك المتأنى بعد حاجته» وهى رواية جيدة»، معجم الشعراء ٢٤٤ ، ٤٥ ، حماسة أبى تمام ١: ١٨١ ، ١٨٢ ، الحماسة البصرية ق ١٢٨ ، ديوان المعانى ١: ١٢٤ ، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ ، زهر الآداب ٣: ١٢ ، لباب الآداب ٤٢٦ ، نهاية الأرب ٣: ٧٤ ، الموشى ١٨٩ ، جمهرة الأمثال ١٠٨ ، قواعد الشعر ٣٠ غرر الخصائص ٣٤٦ روايته: نجح حاجته. ويلاحظ أن رواية هذه الكتب كلها: مع المستعجل.

(أ) «ق» مع، وبعض المراجع تذكر بعد هذا البيت بيتا آخر للقطامى هو:

وربما فات قوما جل أمرهم .·. من التوانى وكان الحزم لو عجلوا

وهذا البيت يرد فى مراجع أخرى مثل الأغانى (ترجمة القطامى) ومعاهد التنصيص ٨٧ على لسان أعرابى استمع إلى بيت القطامى: قد يدرك.. إلخ فأكمل بهذا البيت، هذا والبيت الأخير يروى بروايات كثيرة غير التى أثبتناها.

١٠ ـ جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: أضحت... يهتاج، جمهرة ابن شبة ١٦٦ ، ١٦٧ روايته: أضحت.. يحتاج، رسائل المعرى ٧٦ روايته: فيها دونها.

١١ ـ جمهرةأشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: مخترق، جمهرة ابن شبة ١٦٦ ، ١٦٧ روايته: محترف تجرى.

١٢ ـ جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: به .·. عِرَضْنَةً، جمهرة ابن شبة ١٦٦ ، ١٦٧ روايته: به عرضنة.. حين يحتمل، عبث الوليد ١٢٧ روايته: تنضى.

(أ) «ق» يضنى.

١٣ ـ الأساس (خطل)، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ ، جمهرة ابن شبة ١٦٦ ، ١٦٧ روايته: لاعبة.. فى خطره خطل.

١٤ ـ جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ ، جمهرة ابن شبة ١٦٦ ، ١٦٧ روايته: حوضا يدير... إذا ما أغرق.

(أ) «ق» ماؤها سرب

١٥ ـ جمهرة أشعارالعرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: محاجرها .·. كأنه، جمهرة ابن شبة ١٦٦ ، ١٦٧ روايته: لواعب.. فصونا محاجرها .·. كأنه، مسالك الأبصار جـ ٢ قسم ٢ ورقة ٣٨٥ روايته: مثقوبا جوانبها، شروح سقط الزند ٣١١ فيه عجز البيت، وكذلك الخصائص ١: ١٦ .

١٦ ـ الحماسة البصرية ورقة ٢٤١ روايته: ترى الفجاج، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: ترمى، جمهرة ابن شبة ١٦٦ ، ١٦٧ روايته كرواية الحماسة البصرية.

(أ) «ت» جمع الجديل.

١٧ ـ ديوان المعانى ٢ : ١٩ روايته: زهوا وكذلك معاهد التنصيص ٨٧، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ ومابعدها، الأغانى ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: هونا، زهر الآداب ٣ : ١٢ روايته: جازلة، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ روايته: زهوا... خادلة، شرح المفضليات ٢ : ٨٦، ١٣٢، الخزانة ٣ : ١٢٤، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، الموشح ١٤٧، اللسان (رها)، تاج العروس (رها)

(أ) «ق» يمشين هونا، وجاء فى الخزانة ٣ : ١٢٥ مايأتى: «نسب صاحب الكشاف هذا البيت للأعشى ظانا أنه من قصيدته التى أولها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وليس كذلك».

١٨ ـ ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ ومابعدها روايته: يمشين معترضات... والريح ساكرة، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧، نهاية الأرب ١٠ : ١١٩، زهر الآداب ٣ : ١٢، الحيوان ٥ : ٧٩، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، ديوان المعانى ٢ : ١١٩، الحماسة البصرية ورقة ٢٤١، تاج العروس (رمض)، مجموعة المعانى ١٨٣.

١٩ ـ ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ ومابعدها روايته: من كل شامية العينين، الخصائص ١ : ١٠ روايته: مسعورة، زهر الآداب ٣ : ١٢ روايته: سامية القيدين، الحيوان ٦ : ٢٤٦ روايته: أو ترى مالاترى، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧.

٢٠ ـ اللسان (نبا) روايته: نبيا.. كخطوط النسْج، تاج العروس (نبو) روايته: كخطوط النسج، معجم البلدان ٨ : ٢٤٩ روايته: كخطوط الشيح، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: منسجل، معجم ما استعجم ١٢٩٦ روايته: لما وردنا... منسحل، جمهرة ابن شبة١٦٦، ١٦٧ روايته: مستحقر... منسجل، شمس العلوم ٢ : ظ ٢٨٠ روايته: واستنب... النسج.

(أ) «ق» بها

٢١ ـ اللسان (غشش) روايته: ماينيخ، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: لاينيخ، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ روايته: لاينيخ... والمتقى، تهذيب اللغة ١ : ١١٩٤ (الشطر الأخير) .

(أ) «ق» ماينيخ .

(ب) البيت للقحيف العقيلى (شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ٢/ ١٣٨ برقم ١١٧٢٣ز وروايته: صلة لحبل.... حين لم يرد.

٢٢ – اللسان (نفل)، تاج العروس (نفل)، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، شرح التبيان ٣ : ٣٠٦ روايته: بطن التى بطنها، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ روايته: بطن الذى.

٢٣ ـ اللسان (عور) روايته: العوير، الحماسة البصرية ٢٤١ روايته: الغدير، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: الغوير، الحيوان ٥ : ٧٩ روايته: الغوير، ابن عساكر ٥ : ٢٨٨ ومابعدها روايته: الغوير، معجم ما استعجم ٩٨١، نظام الغريب ١٨٧ روايته: حتى لقحناهم رأد النهار وقد .٠.

(أ) «ق» الغوير.

٢٤ ـ جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: لما أركت، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ روايته: لما أركت.. وعن أيمانها، تاج العروس (أرك) .

(أ) «ق» أُركا . (ب) فى الأصل «مسايل الماء».

٢٥ ـ معجم البلدان ٦ : ٢٤٥، الحماسة البصرية ورقة ٢٤١، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧.

٢٦ ـ اللسان (عيث) روايته: السهل؟، تاج العروس (عيث)، معجم البلدان ٦ : ٢٤٥، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: من دوننا... الغينة، التكملة ١ : ١٤٧، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ روايته: من دوننا... الغيبة، تهذيب اللغة ١ : ٤٠٠.

(أ) «ق» العيثة.

٢٧ ـ اللسان (عنن)، تاج العروس (عنن)، الحماسة البصرية ٢٤١، الصحاح (عنن)، شرح الشواهد الكبرى ٣: ٢٩٧، ٢٩٨ وفيه: «يروى علالهم»، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، شرح شواهد المغنى ٢٢٣، شرح شواهد الأشمونى ٢١٨، المقصور والممدود للقالى ظ ٧٠، الاقتضاب ٤٢٧ وفيه «ويروى علت بهم»، شرح أدب الكاتب ٢: ٣٣٢، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧، رسائل المعرى ٧٦، الخزانة ٣: ١٢٤، شرح أدب الكاتب للجواليقى (القدس) ٣٤٩ روايته: الحجيا.

(أ) فى «ق» بيت من الشعر كاستشهاد لم أستطع أن أتبين منه سوى ما أثبته.

٢٨ ـ الأساس (خيم)، الحماسة البصرية ٢٤١، شرح الشواهد الكبرى ٣: ٢٩٧، ٢٩٨، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، شرح شواهد المغنى ٢٢٣ روايته: رأى بصر، رسائل المعرى ٧٦، الخزانة ٣: ١٢٤، شواهد الأشمونى ٢١٨، الاقتضاب ٢٤٨.

(أ) «ق» من هذا البيت حتى رقم ٣٤ بخط حديث.

٢٩ ـ الأساس (علو)، شرح الشواهد الكبرى ٣: ٢٩٧، ٢٩٨ روايته: يهدى، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ روايته: كلُّ من... علاوتنا.

(أ) البيت لعمرو بن شأس (أغانى ساسى ١٠: ٦٢ روايته: بوجهك).

٣٠ ـ جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، تهذيب الألفاظ ٣١٩ روايته: الريل، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ روايته: بات معى.

(أ) «ق» بات معى.

٣١ ـ جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: ترفعها.. أطرافها، وكذلك جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧

(أ) «ق» ترفعها... أطرافها.

٣٢ ـ جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: فأفنى، زهر الآداب ٣: ١١، ١٢ روايته: طول السفار... فيئها، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ فأفنى.

(أ) «ت» مت السفاع، «ق» فأفنى. (ب) فى الأصل جذب السير.

٣٣ ـ الأساس (نجح) روايته: مع المستنجع، الأغانى ٢٠: ١١٨ ومابعدها، زهر الآداب ٣: ١١، ١٢ روايته: منجعة.. مع المستنجع، ابن عساكر ٢٥: ٢٨٨ روايته: إن تصبحى، شرح نهج البلاغة ٤: ٥٠٠، ٥٠١، جمهرة الأمثال ١٧٧، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦.

٣٤ ـ معجم البلدان ٨: ١٧، فتوح البلدان ١٨٩، نسب قريش ١٦٩، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧، الأساس (خطأ) روايته: لايحزنك حالهم... تخاطأ، زهر الآداب ٣: ١١، ١٢: تخطى عبيد الواحد.

٣٥ ـ حاشية الأمير على المغنى ١: ٣٦٠، ٣٦١ روايته: أما قريشا وكذلك ابن عساكر ٢٥: ٢٨٨، الخزانة ٣: ١٢٥، الأغانى ٥: ٦٣ (ساسى).

(أ) ديوان الأعشى الكبير تحقيق د.م. محمد حسين ٥٩ روايته: ما نحفى.

٣٦ ـ شرح الشواهد الكبرى ٣: ٢٩٧، ٢٩٨ روايته: سوى، الخزانة ٣: ١٢٥.

٣٧ ـ شرح الشواهد الكبرى ٣: ٢٩٧، ٢٩٨ روايته: وامتنعوا وكذلك جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، الخزانة ٣: ١٢٥، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧، شرح شواهد المغنى ٢٢٣ روايته: قوم هم أمراء المؤمنين وهم .٠. رهط الرسول فما من بعده رسل، وكذلك تاريخ الإسلام ٥: ١١٣٤، ابن عساكر ٢٥: ٢٨٨ روايته: قوم هم أمراء المؤمنين وهم .٠. رهط النبى فما من بعده رسل، شرح شواهد الكشاف ٢٤٩، ٢٥٠ روايته: قوم هم بينوا الإسلام واتبعوا: إلخ

(أ) «ق» وامتنعوا.

٣٨ ـ شرح الشواهد الكبرى ٣: ٢٩٧، ٢٩٨ روايته: من أرادوا حربه، وكذلك حاشية الأمير ١: ٣٦٠، ٣٦١،

الخزانة ٣: ١٢٥، جمهرة أشعار العرب ٣١٣، ٣١٦، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧، شرح شواهد الكشاف ٢٤٩، ٢٥٠ روايته: من سالموه... حربه سبل.

(أ) «ق» ولاترى.

٣٩ ـ كتاب سيبويه ١: ٢٥٩ روايته: فضلا، شرح الشواهد الكبرى ٣/ ٢٩٧، ٢٩٨ روايته: فضلا... «قال وروى أحتمل وما أظنه صحيحا»، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، المقتضب ٤٦٣ روايته: فضلا، الدرر اللوامع ٢١٢ روايته: فضل، شرح شواهد الكشاف ٢٤٩، ٢٥٠ روايته: كم نابنى.

(أ) «ق» «أنتقل» وفى هامش النسخة «أحتمل وهو أصح».

(ب) الإسراء (١٠٠) والآية كاملة «قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذن لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا».

٤٠ ـ شرح الشواهد الكبرى ٣: ٢٩٧، ٢٩٨ روايته: تزال ... تنتضل، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧ روايته: يزال... ينتضل وكذلك الخزانة ٣: ١٢٥، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦.

٤١ ـ الخزانة ٣: ١٢٥ روايته: فما هم... من ينتقى، شمس العلوم ٣: ٨٩، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧، شرح الشواهد الكبرى ٣: ٢٩٧، ٢٩٨.

٤٢ ـ أمالى ابن الشجرى ١/ ٦٩، ٢: ٣٣٢، شرح الشواهد الكبرى ٣: ٢٩٧، ٢٩٨، جمهرة أشعار العرب ٣١٣/ ٣١٦ روايته: والسادة، شرح التبيان ١: ٦٩ روايته: **وأبناء الملوك هم**، جمهرة ابن شبة ١٦٦، ١٦٧، أمالى المرتضى ١: ١٤٥، غرر الفوائد ٤٢، الخزانة ٢: ٣٨٤.

(* ٢) - «ق» رقم (١٠) وقال يمدح زفر بن الحارث.

١ ـ اللسان (وطد) صدر البيت مضطرب، وهو فى (وطد) حين... ولاتقضى، وفى (طدى) وماتقضى... دينها، عبث الوليد ٧٠ روايته: ولاتقضى، تاج العروس (طادية) روايته: وماتقضى، وكذلك مجالس ثعلب ٥٧٨، الأضداد لأبى الطيب ٣٦٨ روايته: ولاتقضى بقايا، كتاب البحث ١٩ روايته: وقد تقضت، معاهد التنصيص ٢٤٨ روايته: غير معتاد ∴ ولاتقضى بوافى دينها الصادى، المخصص ١٢: ٧١ روايته: ولاتقضى، غاية الأرب ٢٣٧ روايته: ولاتقضى تراقى، مختارات (١٨٤٥ أدب) ٦٨ روايته: حبها.

(أ) فى الأصل: وماتوقى، «ق» ولا تقضى.

٣ ـ اللسان (جطط)، (مغل)، تاج العروس (حطط، مغل)، الصحاح (مغل)، معاهد التنصيص ٢٤٨، المخصص ١٥: ١٨٤ (الشطر الأخير)، كتاب الشاء، إصلاح المنطق ١٢٠، شرح ديوان الحماسة ١: ٢٧٦.

٤ ـ الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها روايته: ماللعذارى؟، معاهد التنصيص ٢٤٨، شرح شواهد الأشمونى ٣٧٧.

(أ) «ق» وجَعَلْنَ الشَّيْبَ.

٥ ـ اللسان (صدد) روايته: عنهم، شرح الشواهد الكبرى ٤: ٥٢١، أمالى الزجاجى ٣٩، تاج العروس (صدد) كاللسان، الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها، التصحيف والتحريف (ط الظاهر) روايته: عن الشيخان ١: ٨٨ ثم رواه كرواية الديوان.

٦ ـ الأساس (قشع)، الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها، معاهد التنصيص ٢٤٨، مختارات ٦٨ (١٨٤٥) أدب.

٧ ـ الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها روايته: من ذى القيظة.... مستحقبين فؤادا، معاهد التنصيص ٢٤٨ روايته: اليقظة... فؤادا، الخصائص ٢: ٤٦ روايته: فؤادا.

(أ) «ق» كنية القوم... مستحقبين فؤاداً . (ب) فى الأصل «من الغبطة».

٨ ـ الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها، معاهد التنصيص ٢٤٨، مسالك الأبصار ١٠: ظ ١٤٢ روايته: فكانت.

(أ) «ق» موتى.

٩ ـ الأساس (قصد) روايته: بين المجيمر، المقصور والممدود للقالى ظ ١٠١ روايته: يرمى... بين المجيمر فالرجلاء.

١٧٤

١٠ ـ اللسان (حدد) روايته: من خلل.. رادوه برداد، وكذلك رواية تاج العروس (حدد) شرح سقط الزند ٥٦٢ روايته: من خلل.

١١ ـ الأساس (طلع) روايته: طلعوا طودا.

(أ) «ق» طلعوا طودا بدالهم؟».

١٢ ـ الزهرة ١٤، زهر الآداب ١ : ١٤، الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها، البيان والتبيين ١ : ٢٧٤.

١٣ ـ حماسة الخالديين ورقة ١٨ روايته: ليس يفهمه.. ولا مكنونه، الكامل ١ : ٣٨٣ روايته: ولامكنونه، وكذلك زهر الآداب ١ : ١٤، والشعر والشعراء ٢٧٧ كرواية الخالديين، سمط اللآلى ١ : ١٨ روايته: ولا مكنونه، وكذلك الأغانى ٢٠ : ١١٨ ومابعدها، قواعد الشعر ١١ روايته: تَقْلُننا.. ولا مكنونه، الزهرة ١٤، معاهد التنصيص ٨٧ روايته: ولا مكنونه.

١٤ ـ اللسان (صدى)، مجموعة المعانى ١٧٩، حماسة الخالديين ورقة ١٨، الكامل ١ : ٢٢٠، ٣٨٣، الزهرة (خط) ١٨ روايته: يبدين، العقد ٣ : ١٤٤، زهر الآداب ١ : ١٤، عيون الأخبار ٤ : ٨٢ روايته: وهن، الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها، معجم الشعراء ٢٤٤، ٢٤٥ روايته: وهن، سمط اللآلى ١ : ١٨، الأغانى ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: فهن تنبذن، ديوان المعانى ١ : ٢٤٢، الحيوان ٥ : ١٤١ روايته: وهن، المتون إلى شرح رسالة ابن زيدون ٣٥ روايته: مواقع الماء، فى قواعد الشعر ١١ روايته: مواضع الماء. مع ملاحظة أن كل المراجع السابقة روايتها: يصبن .

(أ) «ق» يصبِن به.

١٥ ـ الكامل ١ : ١٩٤ روايته: قرين.. من بُزْلٍ، ديوان المعانى ٢ : ١٢١ روايته: من نُجْب مُخَلَّسَةٍ.

(أ) مطموس فى الأصل. (ب) «ق» أَدْمَتْ.. على هبَلِ.

١٨ ـ اللسان (سدا) روايته رفقت، تاج العروس (كرو)، الغريب المصنف ٣٠٧ (الشطر الأخير)، مجالس ثعلب ٥٧٨ (الشطر الأخير)، الإبل (ضمن مجموعة) ١٠٧ روايته: رفعت.. ومنها الزالج، التصحيف والتحريف (الظاهر) ١ : ١١٢ روايته: رفقت.

(أ) «ق» ... اللّن والهادى.

(ب) «ق» بأمرات.

٢٠ ـ مسالك الأبصار ١٠ : ظ ١٤٢، ١٤٣، أمثال العرب ظ ٣٤ روايته: أسرته.

(أ) «ق» من ماء مزن . (ب) «ق» مكاكى النهار.

٢٢ ـ مسالك الأبصار ١٠ ظ ١٤٢، ١٤٣.

٢٤ ـ مسالك الأبصار ١٠ : ظ ١٤٢ ،١٤٣ روايته: فطالما ... الرائح الغادى.

(أ) «ق» سائر... فوق السمان. (ب) «ق» فأسأل.. فقد. (ج) «ق» منى بواطن. (د) «ق» حتى تقطع.

٢٨ ـ مسالك الأبصار ١٠ : ظ ١٤٢.

(أ) «ق» فلا يطيقون هجوى إذ، وفوقها «حملى».

٢٩ ـ الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها روايته: عن القطامى، وكذلك طبقات الشعراء ١٧٩ ومابعدها، الموشح ١٥٨، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨، الأغانى ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: أفناد.

(أ) «ق» عن القطامى.

٣٠ ـ الكامل ١ : ١٩٤، الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها، طبقات الشعراء ١٧٩ ومابعدها، الأغانى ٢٠ : ١١٨ ومابعدها، شروح سقط الزند ١٨٢، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨، أنساب الأشراف ٥ : ٣٢٨، نهاية الأرب ٩ قسم ١ ورقة ٣٠ روايته: إلا حرمة الهادى.

٣١ ـ الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها روايته: بما أوليت من حسن، طبقات الشعراء ١٧٩ ومابعدها روايته: بما أسلفت من حسن، الأغانى ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: وقد تعرض لى فى، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ كرواية

طبقات الشعراء، أنساب الأشراف ٥ : ٣٢٨ كرواية الشعر والشعراء.

٣٢ ـ طبقات الشعراء ١٧٩، الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: فلن أبدل بالنعماء مشتمة، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨.

(أ) «ق» ولن أكافئ إصلاحا .

٣٣ ـ الجمهرة (وصف) روايته: لئن هجوتك، طبقات الشعراء ١٧٩ روايته: ماتمت محافظتي، الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: فقد أحسنت، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ كرواية طبقات الشعراء.

(أ) «ق» وإن هجوتك... وإن مدحت لما.

٣٤ ـ الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: تحسنه... الصادي، مسالك الأبصار ١٠ : ظ ١٤٢، ١٤٣ .

(أ) «ق» تجعله بيني... العادي.

٣٥ ـ اللسان (شلا) روايته: قتلت كلبا وبكرا.. فقد أردت، تاج العروس (شلا) كرواية اللسان.

(أ) «ق» وأتلثت، أقول: ولعلها اتلثت كرواية الأصمعي.

٣٦ ـ اللسان (ندا) روايته: يصول بها، تاج العروس (ندا) كاللسان، الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: يصول.. من يندى.

(أ) «ق» أرديت، من بكر، وفي الهامش «عمرو». (ب) في الأصل «يجتمعن».

٣٧ ـ الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: مثل سيل، سر الصناعة لابن جني ٧٣٩ روايته: الرهدة.

٣٨ ـ الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: إذا الفوارس.. وقومي غير أشهاد، عبث الوليد ١٠٦

(أ) «ق» وقومي غير شهاد، وفيها «ويروى وماقومي بشهاد».

٣٩ ـ طبقات الشعراء ١٧٩ روايته: ولو تطيعهم، الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ كرواية طبقات الشعراء.

(أ) «ق» يسألون.

٤٠ ـ طبقات الشعراء ١٧٩ ومابعدها روايته: وإذ يقولون أرضيت العداة بنا .. لابل قدحت بزند، الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: غير أصلاد، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ كرواية طبقات الشعراء.

(أ) «ق» صلاد.

٤١ ـ الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها، مسالك الأبصار ١٠ : ظ ١٤٢، ١٤٣ روايته: إذا ماظن.

٤٢ ـ الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: من قاص ومن ناد.

٤٣ ـ الأغاني ٢٠ : ١١٨ وبعدها روايته: منصت، مسالك الأبصار ١٠ ظ ١٤٢و ١٤٣ روايته: ياقوم قومي

(أ) «ق» واد.

٤٤ ـ الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: فأنتأتني من عماء.

(أ) «ق» خيْلٌ.

٤٥ ـ طبقات الشعراء ١٧٩ ومابعدها روايته: ولا كردك مالي.. تبدي الشماتة، وكذلك الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ ومابعدها روايته: ولا كردك مالي.

(أ) «ق» ولا كردك مالي.... الشماتة.

٤٦ ـ الشعر والشعراء ٢٧٧ ومابعدها، طبقات الشعراء ١٧٩ روايته: على قوم، الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: على خير، الموشح ١٥٨، ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ ومابعدها.

(أ) «ق» على شيء.

٤٧ ـ الجمهرة (برع) روايته: نفسي الفداء لأقوام، وكذلك رواية المعرب من الكلام الأعجمي ١٠٧ .

(أ) «ق» بيض صوارم.. تصفها .

٤٩ ـ معجم ما استعجم ٤٥٠.

(أ) «ق» تبيت قيس على الحشاد. (ب) فى الأصل «الحشاد».
٥٠ ـ عبث الوليد ٦٣ روايته: ذوى أرب.
٥١ ـ أمالى ابن الشجرى ١: ١٣٢، شرح التبيان ٤: ١٥٨ روايته: الضاربون... بالنبل.
(أ) «ق» فى بيوتهم فالتل.
٥٢ ـ العباب ١٧٩ روايته: ثابت لهم.
(أ) «ق» نابت.
٥٣ ـ اللسان (بلد)، تاج العروس (بلد)، الصحاح (بلد) روايته: وبالنحور، وكذلك تهذيب الألفاظ ١٠٨، الخزانة ٣: ٣٥٤، العباب ١٧٩.
(أ) «ق» «بيوتهم» فى الأصل، ثم صححت إلى «ظهورهم». (ب) أن لاتكن.
٥٦ ـ شروح سقط الزند ١٢٢٠، مسالك الأبصار ١٠ ظ ١٤٢، ١٤٣ روايته: إنهم شيم.
٥٧ ـ الكامل ١: ٣٧، الحماسة البصرية ورقة ٣٤.
(أ) «ق» بجلاد.
٥٩ ـ اللسان (ضحا) روايته: مستبطئونى.
(أ) لايوجد فى «ق».
٦١ ـ الأساس (ذكى) روايته: يوقِدْن فى الموضعين.
٦٢ ـ اللسان (فرط) روايته: كما تقدم فراط، وفى (عجل) كرواية الديوان، تاج العروس (فرط، عجل)، الصحاح (فرط)، وفى (عجل) واستعجلونا، الأضداد لأبى الطيب اللغوى ٢٧٤ روايته كرواية اللسان فى (فرط)، الأضداد لابن الأنبارى ٥٩، شرح المفضليات للأنبارى ٦٢٠ روايته: واستعجلونا وكذلك شرح شواهد إصلاح المنطق ٦٤.
(أ) «ق» واستعجلونا. (ب) فى الأصل «الماشية».
٦٣ ـ الكامل ١: ٣٧، الحماسة البصرية ورقة ٣٤، معاهد التنصيص ٨٧، شرح أبيات الإيضاح ٥٦.
(أ) «ق» سرّاد.
٦٤ ـ مسالك الأبصار ١٠ ظ ١٤٢، ١٤٣.
(أ) «ق» توافينا ويروى تواعدنا.
٦٥ ـ مسالك الأبصار ١٠ ظ ١٤٢، ١٤٣ روايته: كصاحب الدَّين.
(أ) «ق» كطالب الدين.
٦٦ ـ معجم ما استعجم ٣٣٨، شرح مشكل أبيات المتنبى (غير مرقم) روايته: بداد.
(أ) «ق» ماوجدتهم.
(*٣) «ق» رقم (٥) وقال أيضا يمدح أسماء بن خارجة.
(أ) «ق» أمامة.
(ب) «ق» «يهون بنى الحسين.. وتضىء.. بها» وفيها «ويردى لها».
(جـ) «ق» فضة.. بيض.
(د) «ق» وترى.
(هـ) «ق» تعل أصوله.
٧ ـ اللسان «وثر» روايته: وكأنما اشتمل، وكذلك تاج العروس (وثر)، الصحاح (وثر).
(أ) «ق» اشتمل الضجيع.
٨ ـ اللسان (ريق)، تاج العروس (تريق).
(أ) «ق» مدامة.

٩ ـ اللسان (قطط) روايته: بقطيقط أظعانا، وكذلك تاج العروس (قطط) وفيه «ووقع في التكملة قطيط كزبير وهو غلط»، وكذلك معجم ما استعجم ١٠٨٤ .

(أ) «ق» بقطيقط أظْعَانا.

(ب) «ق» ونرى أمامة تارة.

١١ ـ سمط اللآلي ٢ : ٦٤٢ روايته: كانت نوار، وكذلك أمالي القالي ٢ :٢٩٥ .

(أ) «ق» كانت ظلوم.

١٢ ـ سمط اللآلي ٢ :٩٤٢ روايته: فأرى.

١٣ ـ سمط اللآلي ٢ : ٩٤٢ روايته: وإذا، وفيه «ويروى: وإذا دعونك عمهن فإنما .·. هو حين لا يجد الصفاء مكانا»، الموشي ١٠٣ روايته: وإذا.

(أ) «ق» وإذا.. لا تَجِدُ الصفَاءَ.

(ب) «ق» حلَقْنَ... وأكثرُ حالف.

١٦ ـ سمط اللآلي ٢ : ٩٤٢، الموشي ١٠٣ روايته: فعسى.

(أ) «ق» فعسى.

(ب) «ق» الأخدانا.

(جـ) «ق» وتكون.

(د) «ق» ندْمانا.

٢١ ـ اللسان (نضخ) روايته : وإذا تضيّفني، وكذلك تاج العروس (نضخ)، الصحاح (نضخ)، العباب ورقة ٦٩ روايته: وإذا تضيفني.. سرح، تهذيب اللغة ١ :٤٢١ .

(أ) في الأصل «تسرع بالخطران».

٢٢ ـ اللسان: (نضح) روايته: نضحت قال ورواه المؤرج: نُضخت، وأورده في (نضخ): نُضخت، تاج العروس (نضح) روايته: مغابنها به قال ورواه المؤرج نضخت، وفي (نضخ) نضخت نضخانا، الصحاح (نضخ) روايته: نضخت نضخانا، وكذلك رواية العباب ٦٩، تهذيب اللغة ١ :٥٧٣ روايته: مغابنها به قال: ورواه المؤرخ نضخت.

(أ) في الأصل «بين اثنين».

٢٥ ـ معجم ما استعجم ١٠٨١ روايته: ألف الدكادك.

(أ) «ت» جنوب قطانا، «ق» جنوب.

(ب) «ق» سقته من المحرم.. هتلت عليه.. هتلانا.

(جـ) «ق» تجمُّه .. تسيل تلاعه.

(د) في الأصل «على وحمة».

٣٠ ـ اللسان (قضب)، الأساس (قضب)، تهذيب اللغة: ١ : ١٢٤٨ .

(أ) «ق» نشر القيام.

(ب) «ق» ينظمان.

(جـ) في الأصل «كالجمان».

(د) «ق» أرسلهم بنو ذكوانا.

٣٤ ـ اللسان (سلق)، تاج العروس (سلق)، معجم البلدان ٥ :١١٥، الصحاح (سلق)، البخلاء ٣٣٠، معجم ما استعجم ٧٥١، الغريب المصنف ٣٤١ ، المقصور والممدود وللقالي ورقة ١١٦ .

(أ) «ق» حصن تجول.

٣٥ ـ معجم ما استعجم ٢٧٧ روايته: وطلبنه.. وغبارهن بذي بُكى.

(أ) «ق» التهبن.

(ب) «ق» فحين.

٣٨ ـ تهذيب اللغة ١ : ١٠٧٤ روايته: حرجا وكر، وكذلك رواية شمس العلوم ١ :ظ ١١٨ .

(أ) «ق» وكركرور.

(ب) «ق» حد سنانه.

٤٠ ـ اللسان (مضى) روايته: فإذا خنسن مضى على مضوائه، تاج العروس: (مضى) روايته: وإذا ثم يكمل كرواية اللسان، المخصص ١٦ :٦٩ كرواية اللسان، ديوان الأدب للفارابي ٣٦٤ كرواية اللسان، المجمل ٢ : ١٦٤ روايته : مضى على مضوائه، شمس العلوم ٣: ظ ١٩٥ روايته: فإذا حبسن مضى.

(أ) «ق» خنسن مضى على مضوائه .. أصاب.

(ب) «ق» وغدا.

٤٢ ـ المقصور والممدود للقالى ظ ١٣٢ روايته: ذى غرة.

(أ) «ق» ذى غرة.

٤٣ ـ المقصود والممدود للقالى ورقة ٤٨ روايته: يُخبر.. وما يحل، المخصص ١٥ : ١٤٧ روايته: وما يحل.

(أ) «ق» تشعشعت.. والمرد سِبَانا.

(ب) «ق» وما يحل.

(جـ) فى الأصل «ابن عباد» والتصحيح من جمهرة الأنساب لابن حزم (ليفى بروفنسال) ٢٨٧ .

٤٦ ـ اللسان (غيف)، تاج العروس (غيف)، الصحاح (غيف)، الغريب المصنف ٤٤٢، المخصص ١٢ :١٣٠، الخصائص ٣:٣٩، مجالس ثعلب ٥٢٥، المجمل ٢ نظ٦، تهذيب اللغة ١ :٢١٧ روايتها كلها: ونرجع، وفى تهذيب اللغة ١ : ١١٩٩ فنرجع.

(أ) «ق» ونرجع

٤٧ ـ اللسان (وكل) روايته: وتجنبى، تاج العروس (وكل) كرواية اللسان.

(أ) «ق» النجاة.

٤٨ ـ طبقات الشعراء ١٧٩ ومابعدها روايته: ورفع البنيانا.

(أ) «ق» وعلم الفتيانا.

٤٩ ـ طبقات الشعراء ١٧٩ ومابعدها روايته: رواده عنه.

(أ) «ق» عنه.

٥٠ ـ شرح المفضليات للأنبارى ٦٥٩ .

(أ) «ق» قرماً... بدرت إليه.

(ب) «ق» واختترت.

٥٢ ـ اللسان (قسم) روايته: إن الأبوة والدين؟.. قساميا وهجانا.

(أ) «ق» قساميا وهجانا.

(ب) «ق» وترى .. وخوانا.

٥٦ ـ اللسان (عمل).

(أ) «ت» لاتشتكى.

٥٧ ـ اللسان (فخر)، تاج العروس (فخر)، التكملة ٣ : ٦٩ .

(أ) «ق» تذاكروا.

(*٤) فى «ق» رقم (١١) وقال أيضا.

(أ) «ق» إخوانى بعقلى... تكلف.

(ب) «ق» مالايزال.

(جـ) «ق» كبير.

(د) «ق» الهوى.

(هـ) «ق» تكاثره.

٩ ـ اللسان (حنت) روايته: ذخيرةُ حانوت، تاج العروس (حانوت) كرواية اللسان.

(أ) «ق» ذخائر حانوتِ.

(ب) «ق» ما استام فى السوم.

(جـ) «ت» وفتيانٍ.. كرامٍ.

(د) «ق» عفق.

(هـ) «ق» ذيولنا.. بأنعم ليل قد.

(و) فى الأصل «صغير».

(ز) «ق» وشِد المطايا بالرحال.. غراغره.

(ح) «ق» يعارضن .. ما إن تنام.

(ط) «ق» تعوح .. فى كل.. إذا كمش.. استحثت.

١٨ ـ محاضرات الأدباء ٢: ٣٨٦ .

(أ) «ق» فى فضل العنان.

(ب) فى الأصِل «إذا عاذت الظباء وهى اليعافير وهى الظباء».

(جـ) «ق» عروش.

(د) «ق» نعيش.

(هـ) ما تحته خط مطموس فى «ق».

(و) «ق» سالت للنعلح.

٣٠ ـ مجموعة المعانى ١٤٣ روايته: قبل ما يرى .. تستبين دوائره، حماسة البحترى ٢٣٩ روايته: قبل مايرى .. تستبين، محاضرات الأدباء ١: ١٤ روايته: ومايعلم الخير.. ولا الشر... دوائره.

(أ) «ق» «يستبان دوائره» وفى هامشها «نسخة يستبين أواخره».

(*٥) لا توجد هذه القصيدة فى «ق».

١ ـ تاج العروس: (خز) روايته: وحىٍّ، التكملة ٣: ١٢٢ .

(أ) عبارة الأصل «لنهرب يقول لا نأخذ على اليسار».

٦ ـ اللسان (منن)، وفى (جزى) روايته: يمنينى، تاج العروس (من ماجزى)، المقصور والممدود ظ٥٥ ، المخصص ١٦: ٤ .

٧ ـ اللسان (معز) روايته: فَصلّيْنَا.. إلى البقر، تاج العروس (معز) كرواية اللسان.

(*٦) «ق» رقم (٤) وقال أيضا.

(أ) لا يوجد فى «ق».

(ب) «ق» الغوانى فإنها.

(جـ) «ق» يختلن... بالصبى... على ما يختتلن.

(د) «ق» وعداً وعدنه.

(هـ) «ق» سهلاً مادنوا.

(ز) «ت» يساعف.

(ح) «ق» حلماً وشيبة.. ومشيى.

.١٨٠.

(ط) «ق» تهوى.

١٢ ـ اللسان (ريف) روايته: وراف... شعشع البحر... لتحمى، تاج العروس (رأف) روايته: ورأف قال «ويروى وراح، وهذه الرواية أصح وأكثر قاله الصاغاني»، وهو ما جاء في التكملة ٤ : ٢٠١ .

(أ) «ق» شعشع النحر، «ت» لنحمى.

١٣ ـ اللسان (كنف) روايته: «مافينا عن البيع، قال «قال الأصمعي ويروى كاتف قال أظن ذلك ظناء، تاج العروس (كنف) كرواية اللسان، وكذلك الصحاح (كنف) وكذلك الغريب المصنف ٤٤١، وكذلك شمس العلوم ١٦٨:٣ وتهذيب اللغة ٢٢٩:٢ والمخصص ١١٣:١٢ .

(أ) في الأصل «رجل».

(ب) خرم بالأصل.

(جـ) «ق» رواغب.

(د) في الأصل «منه».

(هـ) «ق» من أنس.. بود القلب.

١٧ ـ اللسان (عبر)، (صلف): «بكسر الباء وفتحها في المستعبرات: روايتان»، تاج العروس (عبر)، (صنف)، وفي (فرك): لم يرع مثلها، الصحاح (صلف)، تهذيب الألفاظ ٣٥٠ ، جواهر الألفاظ ٣٠٥ .

١٨ ـ اللسان (هرر)، تاج العروس (هرّ)، التنبيه والإفصاح ٢٦٨ .

١٩ ـ اللسان (هرر، خشف)، تاج العروس (هرر، خشف)، الصحاح (خشف)، التنبيه والإفصاح ٢٦٨ .

٢٠ ـ سمط اللآلي ٢ : ٩٠٣ .

(أ) «ق» كفينا.

٢٣ ـ سمط اللآلي ٢ : ٩٠٣ .

(أ) «ق» كل يوم كريهة .:. وتُحلب... تدعو.

(ب) «ق» ومنا النجوم والإمام.

٢٥ ـ اللسان (حسس) ويروى عند المخطفات، تاج العروس (حفظ) لا يملك.. ويرفض، الأساس (حفظ)، النقائض ٨٣، سمط اللآلي ١ :٤٣٨ روايته: لا يملك، أمالي القالي:١ :١٧٦، ٢ : ٢٦٤، الصحاح (حسس، رفض، كتف)، جمهرة الأمثال ٩٠ روايته: لا يمكن الحس، تهذيب اللغة ١ :٤٨٨، شرح شواهد الكشاف ٢٩٣ نسبة لذي الرمة.

(أ) البيت في اللسان (حسس) وعجزه: أو يبكي الدار ماء العبرة الخضل.

٢٦ ـ سمط اللآلي ١ : ٤٣٨ .

(أ) عجز بيت للشماخ (اللسان: تبع) وصدره: تلوذ ثعالب الشرفين منها، هذا ولم أجد بيت الطرماح المذكور قبله في ديوانه المطبوع في أوربا مع ديوان طفيل الغنوي.

(ب) «ق» حللنا.. تعتاد التوالي.

٢٨ ـ اللسان (سنف) روايته: نرود الخيل، تاج العروس (سنف).

(أ) «ق» وهي كلٌ.

(ب) لم أعثر على قائل هذا البيت.

(*٧) «ق» رقم (٢٣) وقال أيضاً.

١ ـ أنساب الأشرف ٥ :٣٢٨ روايته: بالحجاز، شرح المفضليات للأنباري ١٥٢ .

(أ) «ق» من الأسْد... قولاً.

٢ ـ اللسان (خنس) روايته: فلذبه.. أُخزى، تاج العروس (خنس) كرواية اللسان، الصحاح (خنبس)، الغريب المصنف ٩٨ «فيه الشطر الأخير»، أنساب الأشراف ٥ : ٣٢٨، التنبيه والإفصاح ٣٣٤ .



(أ) «ق» وإنى.
٤ ـ أنساب الأشراف ٣٢٨:٥.
(أ) أرجح ما جاء فى شرح «ق» لأن المقام مقام الفخر بعصبيته تغلب وابن زفر بن الحارث من قيس.
(ب) «ق» رواية: «إمّا» فى الشطرين، «صادراً» فى الشطرين أيضاً.
(جـ) «ق» يجرّ.
(د) فى الأصل «المسرفات».
٧ ـ اللسان (شيط) روايته: فى جنوحها.. من الشّيْطى، تاج العروس (شيط) كاللسان، التكملة ٥٩:٤ روايته: من الشيطى.
٨ ـ الحيوان ١٣٤:١ روايته: على كل خنديذ.. تخنث منه.
(أ) «ت» المتكادسِ، «ق» يخبّب.
(ب) «ق» المتكادسِ.
(جـ) فى الأصل «الكبَر».
(د) فى الأصل «المشَاكس».
(هـ) فى الأصل «عمرو».
(*٨) لا وجود لهذه الأرجوزة فى «ق».
(أ) فى الأصل «مهرية».
٥ ـ الأغانى ٢٠: ١١٨ ومابعدها روايته: كأن فى المركب حين راحا.
٦ ـ الأغانى ٢٠: ١١٨ ومابعدها روايته: يزيد البصر انفضاحا.
٧ ـ الأغانى ٢٠: ١١٨ ومابعدها روايته: ذا بلج ساراك أنى امتاحا.
٩ ـ الصحاح (ركح)، الأغانى ١١٨:٢٠ ومابعدها روايته: الأكراحا، تهذيب اللغة ٥٣٦:١ روايته: أما ترى وفيه «رواه بعضهم الأكراحا»، اللسان (ركح)، وقد ورد فى كثير من المراجع كتاج العروس (ركح) والمخصص ٢٥٦:١٣، والغريب المصنف ٣٧٨: ألا ترى ما غشى الأركاحا .٠. لم يدع الثلج بها وجاحا، وأحيانا يرد: «ماركب الأركاحا» كما فى الجمهرة، وأحيانا «لم يدع الثلج لهم» كما فى تاج العروس، ويلاحظ على العموم اضطراب المراجع فى هذه الأرجوزة اضطرابا كبيرا.
(*٩) «ق» رقم (١٨) وقال أيضا.
١ ـ الأغانى ٢٠ :١١٨ وما بعدها.
٢ ـ الأغانى ٢٠ : ١١٨ وما بعدها رواية : فى الحى قديم.
٣ ـ الأغانى ٢٠ : ١١٨ ومابعدها.
٤ ـ الأغانى ٢٠ :١١٨ وما بعدها.
(أ) «ق» وصلتم.
٥ ـ الأغانى ٢٠ : ١١٨ وما بعدها روايته : وحقن الله.
٦ ـ الأغانى ٢٠ : ١١٨ وما بعدها روايته : من بعد ما جف.
(أ) ترتيب «ق» وروايتها : إنك وابنتيك ... إلخ ثم :

بعد العوالى بعدما ذب فمى … وحقن الله بأيديكم دمى
والرمح يهتز اهتزاز المحجم … من بعد ما امتل السنان معصمى

(ب) «ق» أقعدتنى.
(جـ) لا وجود لهذه الأرجوزة فى «ق».
(*١٠) فى «ق» رقم (١٧) وقال أيضا.

١٨٢.

١ ـ اللسان (خضر) أورد الشطرات الثلاث الأولى، وفى (زور) أورد الشطرين الأولين، تاج العروس (غبر، زور)، وفى (خضر) الأراجيز ١، ٢، ٣، الصحاح (زور) الأرجوزتين الأوليين، غاية الأرب ٢٥٨ الأولى وروايتها: مزورا، والثالثة، الفاخر للكوفى ٤٤ الأولى وروايتها: سيرى، والثالثة، الأغانى ٢٠: ١١٨ ومابعدها روايته: مزورا شرح الحماسة للتبريزى ٢: ١٣٤ روايته: سيرى عنقا فِسْبَراً، والأرجوزة الثانية، والثالثة وروايتها: وبادرى الليل، تهذيب اللغة ١: ١١٧٢ الأرجوزة الثانية.

(أ) «ت» أخبرك.

(ب) «ق» أن سوف تلقين.

(جـ) «ق» ونقض الآباء.

(*١١) «ق» رقم (٦) وقال أيضا.

١ ـ اللسان (وعد) روايته: ولا تعدانى الخير والشر، حاشية ابن سعيد على الأشمونى ١: ٣٢ روايته: كل خير، الزهرة ٦٨، ٥٩ ط، التنبيه والإفصاح ٢٢.

٢ ـ الزهرة ٦٨ روايته: من الدهر أم ما قد تأخر أطول.

(أ) «ق» مِن الدهر.

(ب) «ق» عمد .. تحمل.

٤ ـ اللسان «عضض» روايته: أحاديث من أبناء عاد وجرهم، الأساس (عضض)، الجمهرة (ضعع) كرواية اللسان، تاج العروس (عضض) كرواية اللسان، مجمع الأمثال ١: ١٥ روايته: من أبناء عاد وجرهم، الصحاح (عضض) كرواية اللسان، التكملة ٤: ٣١، تهذيب اللغة ١: ٣٣ وجاء فى تاج العروس (عضض) «ووجد بخط الجوهرى من أبناء عاد.. وفى الحاشية بخطه أيضا من أبناء ويروى ينورها».

(أ) «ق» عاد بن جرهم.. العضان.

(ب) لم أعثر على هذا البيت فى مرجع آخر.

٥ ـ معجم ما أستعجم ٩٨٥، المقصور والممدود ورقة ٩٧ ظ.

(أ) «ق» الحاتمان ابن.

(ب) «ق» صرانا.

١٠ ـ اللسان (عقر) روايته: يلدن، وفى (كفل) يلدن، الأساس (كفل) يلذن، الأساس (كفل) نساء النصارى، معجم مقاييس اللغة ٥: ١٨٨، المجمل ٢: ظ ١١٦، شمس العلوم ٣: ظ ١٦٤ كرواية الأساس.

(أ) «ق» نساء النصارى.

(*١٢) «ق» رقم (١٤) وقال أيضا.

١ ـ اللسان (عنق) روايته: مطرق.. أحسبها.. المعنق، الأغانى ٢٠: ١١٨ ومابعدها، شرح الشواهد الكبرى ٤: ٤٠، شرح نهج البلاغة ٤: ٥٠١، غرر الفوائد ظ ٣٨، تهذيب اللغة ١: ٩٨.

(أ) «ق» أحسبها.

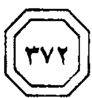
٢ ـ الأغانى ٢٠: ١١٨ ومابعدها روايته: حسن المعلق ترتجيه مطوق، شرح الشواهد الكبرى ٤: ٤٠ روايته: حسن معلق تومتيه معلق.

٣ ـ شرح الشواهد الكبرى ٤: ٤٠.

(أ) «ق» وإذا الشباب، «ت» وإذا.

٥ ـ اللسان (سمر) روايته: سمروا، وكذلك الأساس (سمر)، تاج العروس (سمر)، الأغانى ٢٠: ١١٨ ومابعدها روايته: بكروا.. من الرحيق المعتق، المقصور والممدود للقالى ظ ١١٨، التكملة ٣: ١٥ كرواية اللسان، تهذيب اللغة ١: ٨٧ روايته: شربوا الطلاء من الغبوق.

(أ) «ق» المعتق.



-١٨٣-

٦ ـ اللسان (فرج) روايته: زمام كل، الأغاني ٢٠ :١١٨ ومابعدها روايته: كل شملة .. عزق المقد، التكملة ١ :١٩٢ روايته: متوسدين زمام.. عرق المقد، تهذيب اللغة ٢ :٣٣٩ روايته: زمام.

(أ)لا يوجد في «ق».

٧ ـ الأغاني ٢٠ :١١٨ ومابعدها روايته: وجلت .. كالثقيل.

(أ) «ت» كالنكيل، «ق» وجثث.... وعلى الكلاكل بالنقيل.

(ب) لا يوجد في «ق».

٩ ـ الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها روايته: وإذا سمعن إلى هماهم.. لم تلحق.

(أ) «ق» وإذا النجوم غوائرا.

١٠ ـ اللسان (نقب) روايته: كانت حدود هجانهن مُمالة .٠. أنقابهن إلى حداء السوق، قال «ويروى أنقاً بهنّ أي إعجابا بهن، تاج العروس (نقب) كرواية اللسان، الأغاني ٢٠ :١١٨ ومابعدها روايته: حداة.

(أ) «ق» أنقابهن على حداء.

١١ ـ الأغاني ٢٠ :١١٨ ومابعدها روايته: إلى زئير سمعنه.

(أ) «ق» «كالمصغيات إلى الغناء» وفيها «ويروى كالمنصتات».

١٢ ـ اللسان (وهل)، الأساس (جيض)، تاج العروس (وهل)، الصحاح (جيض، وهل)، تهذيب اللغة ٢ :٣٦٨، روضة المحبين ٣٢ .

(أ) «ق» بجيضتهن... رحالنا.

١٣ ـ تاج العروس (لهق) روايته: وإذا شَفَنّ، الصحاح (لهق) كتاج العروس، الأغاني ٢٠ :١١٨ ومابعدها روايته: فإذا نظرن، اللسان (شفن) نسبه إلى الأخطل.

١٤ ـ الأغاني ٢٠ :١١٨ ومابعدها.

(أ) «ق» لم تلحق.

١٥ ـ اللسان (شرى) روايته: وصلنني.. يوم، معجم البلدان ٥ :٢٤٥ روايته: وصلنني، الجمهرة (رشى) روايته: وبعد يوم الخندق، معجم ما استعجم ٧٨٥ كرواية اللسان، المقصور والممدود ورقة ٢٠ كرواية اللسان، وكذلك الفائق ١ :٣٢٤ .

(أ) «ق» صريمتي.

(ب) في الأصل «بشرا».

(جـ) «ق» كل وديعة.. وذعرن من شيب تجلل.

١٧ ـ اللسان (صفق)، تاج العروس (صفق).

١٨ ـ اللسان (رشق) روايته : ولقد يروق.. ويروعني، تاج العروس (رشق، مقل) روايته: ويروعني، معجم مقاييس اللغة ٢ :٣٩٦ (الشطر الأخير)، المجمل ١ :٣٥٧ نسب فيه إلى الأخطل.

(أ) «ق» ويروعني... الغزال.

١٩ ـ الأغاني ٢٠ :١١٨ ومابعدها روايته: ليت الهموم.. وحلي، وقد ذكر الأب لويس شيخو ـ خطأ ـ أن هذا البيت لم يرد في الديوان (شعراء النصرانية ـ القسم الإسلامي ١٩٩).

٢٠ ـ الخزانة ٢ :٤١٣ .

(أ) «ق» خوص المطي.

(ب) في الأصل «مستوي».

(جـ) «ق» آدم .. من شر.

(د) «ق» يسبق.

٢٥ ـ اللسان (قمم) روايته: برهانها.. بذي الرهان، تاج العروس (قمم) كرواية اللسان، معجم ما استعجم ١١٩٥ روايته: برهانها.. لذا الرهان.

(أ) «ت» ما تحته خط مطموس، «ق» برهانها... لذى الرهان.

(ب) في الأصل «بقلب».

٢٦ ـ اللسان (عنا)، معجم مقاييس اللغة ٤ :١٤٧، تهذيب اللغة ١ :٤٢١ .

٢٧ ـ اللسان «خندق»، تاج العروس (خندق)، معجم ما استعجم ١٠٦٩، المعرب من الكلام الأعجمي ٥٨ .

(أ) «ق» طعناء .

(ب) لا يوجد في «ق».

٢٩ ـ اللسان (سرق) روايته: يجود، تاج العروس (سرق).

(أ) «ق» بالمشرق.

(ب) «ق» مما يقرع.

٣٢ ـ شرح الشواهد الكبرى ٤ :٤٠ .

(أ) «ق» يتقى.

٣٣ ـ شرح الشواهد الكبرى ٤ :٤٠ .

٣٤ ـ شرح الشواهد الكبرى ٤ :٤٠ .

(أ) «ق» أعاليها .

(ب) «ق» وأرى، «ت» فَرَحٌ.

(جـ) «ق» يصاد به.

٣٨ ـ عيون الأخبار ٢ :٣٢ روايته: وإذا يصيبك، الأغاني ٢٠ :١١٨ كالرواية السابقة، اليواقيت للثعالبي ٥٦ روايته: وإذا تصبك من الحوادث محنة .٠. فالجأ بها نحو الصديق الأوثق، جمهرة الأمثال ١٧ روايته: حذاك إلي، رسالتان لأبي حيان (الجوائب) ١٨١ أورده بقوله «شاعر» وروايته: وإذا ينوبك.

٣٩ ـ العمدة ٢ :٢٦١ روايته: يحزنْ في رحب.

(أ) «ق» وهم... فيهم... تجدنّ.

(ب) «ق» طلبت إليهم... خليل مودة.

٤٢ ـ الدرر اللوامع ٢ :٥٠ جلْبا، الخزانة ٤ :٥٣٩ .

(أ) في نسخة «ت» جاء بعد القصيدة رقم (١٤) ما يأتي: «يقال جلب على فرسه يجلب وجلب إذا مر به فصاح به ليزيد جريا، وأجلب في الجلبة في جمع الرجال، وأجلب رحله إذا ألبسه جلبنا وهو جلد يلبسه إياه فيجف عليه».

(*١٣) «ق» رقم (٢) وقال يمدح زفر بن الحارث الكلابي.

١ – اللسان (ودع)، تاج العروس (ودع، ضبع) روايته: فلايك، خزانة الأدب ١ : ٣٩١، الأغاني ٢٠ : ١١٨ وما بعدها، معاهد التنصيص ٨٦، ٨٧، شرح التبيان ٢ :١٣٩، شرح شواهد المغني ٢٨٧ قال في هامشه «ويروى ولايك موقفي بياء الإضافة»، الضرائر للألوسي ٢٣٣، تكميل المرام (غير منظم)، شرح أبيات الإيضاح ١٩، جامع الشواهد ١٩١ .

(أ) «ق»ضباعة بنت الحارث الكلابي.

٢ – خزانه الأدب ١ : ٣٩١، الأغاني ٢٠ : ١١٨ ومابعدها، معاهد التنصيص ٨٦، ٨٧، شرح شواهد المغني ٢٨٧، فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل ١٥٦ روايته: قفي وافدي، تكميل المرام (غير منظم)، شرح أبيات الإيضاح ١٩، جامع الشواهد (طهران) ١٩١ .

(أ) «ق» «فادي المبارك» وفي الهامش: «فافدي أسيرك» .

٣ – خزانة الأدب ١ : ٣٩١روايته: من الحرم الكبار، شرح شواهد المغني ٢٨٧، جامع الشواهد ١٩١ روايته: وهما استحلا .

٤ – طبقات الشعراء ١٧٩ وما بعدها، خزانة الأدب ١: ٣٩١، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها، الصاحبى ١٨٢ روايته: تباينتا، وكذلك فقه اللغة ٢٢١، الأضداد لأبى الطيب ٣٤.

٥ – خزانة الأدب ١: ٣٩١.

٦ – خزانة الأدب ١: ٣٩١.

(أ) فى الأصل «مشـ...»

٧ – حماسة البحترى ٢٠٨ روايته: تَغَبُّهُمَا، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها روايته: قصارى ما نبثهما أمورا ندير سنا حريقتها.

(أ) الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى (تحقيق أبى الفضل والبجاوى) ٢/ ٢٠٥.

٨ – حماسة البحترى ٢٠٨ روايته: حتّى يُفَتَّ، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها روايته: وإنما أبدى.

٩ – اللسان (يفع) روايته: وأصبح، وفى (نما) روايته: قَدْ تَنَمَّى، الأساس (نمى) كرواية اللسان فى (نما) وكذلك تاج العروس (نمى)، حماسة البحترى ٢٠٨، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها روايته: حين ترقى، المنجد لكراع ٨١.

(أ) مجمع الأمثال للميدانى (بولاق) ١: ٧٩.

١٠ – الأضداد لأبى الطيب اللغوى ٣٧٥.

(أ) «ق» القناعا.

(ب) «ق» الفتيان؟.

١٢ – الجمهرة (حزن) روايته: رءوس الخيل زَوْراً، تاج العروس (دكع)، الصحاح (دكع)، معجم مقاييس اللغة ٢: ٢٩١، المجمل ١: ٢٩٢، شمس العلوم ٢: ظ ٣٥.

١٣ – اللسان (عبط)، تاج العروس (عبط)، الصحاح (تبع) روايته: وظلت تغيظ؟، الغريب المصنف ١٠٢ (الشطر الأخير)، المخصص ٥: ٨٢ (الشطر الأخير) روايته: يمج، معجم مقاييس اللغة (الشطر الأخير) ١: ٣٥٨، تهذيب اللغة ١: ٢٥٢ (الشطر الأول)، وفى ٣٩٦ (الشطر الأخير).

١٤ – اللسان (قرش)، تاج العروس (قرش)، وفى (نزع) روايته: فوارس، شرح الحماسة للتبريزى ٢: ٢٧٠ كتاج العروس فى (نزع)، شرح المفضليات للأنبارى ٢٣٩، ٦٨٦.

(أ) فى الأصل «ينزعن».

١٥ – المخصص ١٣: ١٩١، ديوان الأدب ظ ٢٣٥، شمس العلوم ٣: ظ ٤٥.

١٦ – تاج العروس (وقع) روايته: وكل قبيلة.

(أ) «ت» وخَلُّوا.

(ب) فى الأصل «خلوا».

١٧ – تاج العروس (تبع).

(أ) يظل يرى.

١٩ – اللسان (سوع) روايته: لدى كفاح، شروح سقط الزند ٧٥٢، الأضداد لابن الأنبارى ١٥٠، الكامل ١: ١٦٥ روايته: ويشب، تاج العروس (ساع)، كتاب سيبويه ٢: ١٨٩ روايته: فكنا.. ويهيج ساعا، المقتضب ٣٣٠.

(أ) الإسراء (٩٧) والآية كاملة: «وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا»، ويلاحظ أنه كان هناك خطأ بالأصل إذ كان كلما خبت نيرانهم زدناهم سعيرا.

٢٠ – الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها روايته: بنى نزار.

٢١ – طبقات الشعراء ١٧٩ وما بعدها روايته: لوتدبرها، وكذلك معجم الشعراء ٢٤٤، ٢٤٥، خزانة الأدب ١:

٣٩١، الاقتضاب للبطليوسى ١٧٧ روايته: لو تدبرها حكيم، وكذلك التمثيل والمحاضرة للثعالبى (غير مرقم)، الطبرى ١١: ٣١٠ روايته: لويدبرها.
(أ) «ت» وهبَ، «ق» تدبَّرها.

٢٢ – اللسان (عين)، الأساس (عين)، وفى (لدم) روايته: اللديم، مجموعة المعانى ١٥٧، تاج العروس (عين)، طبقات الشعراء ١٧٩ ومابعدها، معجم الشعراء ٢٤٤، ٢٤٥، خزانة الأدب ١: ٣٩١ روايته: وتعيبا، كذلك الطبرى ١١: ٣١٠، الغريب المصنف ٧٢، مبادئ اللغة ٥٠.

٢٣ – العقد ١: ٢٠، عيون الأخبار ١: ٣٣، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، طبقات الشعراء ١٧٩ وما بعدها، معجم الشعراء ٢٤٤، ٢٤٥، خزانة الأدب ١: ٣٩١، حماسة البحترى ٢٧٤ روايته: ومعصية.. تزيدك، نهاية الأرب ٣: ٧٤، الاقتضاب ١٧٧، شرح أدب الكاتب للجو اليقى ٢: ٤٠١، جمهرة الأمثال ١٨، التمثيل والمحاضرة (غير مرقم) روايته: ومغضبة، الطبرى ١١: ٣١٠ روايته: الشقيق.

٢٤ – اللسان (تبع)، مجموعة المعانى ٢٥، عيون الأخبار ١: ٣٣، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، طبقات الشعراء ١٧٩ وما بعدها روايته: وخير الرأى، معجم الشعراء ٢٤٤، ٢٤٥، خزانة الأدب ١: ٣٩١، حماسة البحترى ٢٣٩، أمالى ابن الشجرى ٢: ١٤١، الصحاح (تبع) كتاب سيبويه ٢: ٢٤٤، أدب الكاتب ٢٨٨، المقتضب للمبرد ٥٥٨، نهاية الأرب ١٤: ١٨٧، الفائق ٢: ٣١٩، الإيجاز والإعجاز ٤٣ روايته: وخير الرأى، مقامات الزمخشرى ١٧١، الخصائص ٢: ٣٠٩ (الشطر الأخير).
(أ) «ق» يتبعه.

٢٥ – عيون الأخبار ١: ٣٣ الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، خزانة الأدب ١: ٣٩١ روايته: كذلك ما رأيت... إلى ماضر، نهاية الأرب ٣: ٧٤، وفى نهاية الأرب (مصور) ق١ جـ٣ ١٠٧ روايته: جانبهم.

٢٦ – اللسان (مصع، ركك)، الأساس (ركك) وفى (مصع) روايته: أراهم، تاج العروس (مصع، رك)، عيون الأخبار ١: ٣٣، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، معجم الشعراء ٢٤٤، ٢٤٥، خزانة الأدب ١: ٣٩١، حماسة البحترى ٢٦٤، التمثيل والمحاضرة (غير مرقم) روايته: أراهم يغمرون، شمس العلوم ٢: ١٠٠ روايته: أراهم، وكذلك نهاية الأرب ٣: ٧٤.

٢٧ – خزانة الأدب ٤: ٢ روايته: لا أريد به.
(أ) «ق» ما أُريد له.
(ب) فى الأصل عبد القيس.

٢٨ – اللسان (تفسير هذا) روايته: وأنَّ لتَالكَ الغُمَرِ، أمالى المرتضى ٢: ٧٧ روايته: وأن لشابك الغبر، الخزانة ٤: ٢ روايته: الغبر، الدرر اللوامع ١: ٤٩ روايته: وأن لنالك.
(أ) «ق» الغمم.

٢٩ – اللسان (وقع) (الشطر الأخير)، تاج العروس (وقع)، الخزانة ٤: ٢، تهذيب اللغة ١: ٣٥٧ (الشطر الأخير).
(أ) «ق» يُستَخبَر.

٣٠ – تاج العروس (وقع)، الخزانة ٤: ٢.

٣١ – اللسان (لمع)، تاج العروس (لمع)، شرح المفضليات للأنبارى ٦٠٨ روايته: من فصيلته.
(أ) «ق» فصيلته.

٣٢ – اللسان (سطع)، تاج العروس (قسط، سطع)، معجم البلدان ٥: ٨١، أمالى ابن الشجرى ٢: ٣٠٧ روايته: قسطوا جميعا، الصحاح (سطع)، الغريب المصنف ١٠٩، الأضداد لأبى الطيب ٣٠٠، الأضداد لابن الأنبارى ٤٨، معجم مقاييس اللغة ٣: ٧٠، المجمل ١: ٤٧٠، شمس العلوم ٢: ٢٩٧ رواية هذه المراجع كلها: قسطوا جميعا، نظام الغريب ٨٦ روايته: قسطوا وجاروا.
(أ) «ق» السِّطاعا.

(ب) نرجح أن حادثة تقويض خيمة النعمان التى أشار إليها القطامى ليست هى حادثة قتل ابن كلثوم ابن هند كما أشار الشارح، وقد جمع الفرزدق بين الحادثتين إذ قال: قوم همو قتلوا ابن هند عنوة .·. عمرا وهم قسطوا على النعمان (ديوانه ٨٨٢).

(جـ) «ق» بجيش.

(د) «ق» نقيم.

(هـ) الديوان ٤٩ وهذه رواية «ق» أما رواية «ب» النسخة الأصل فهى «تناشد قولى».

(و) «ق» والبهاعا.

٣٧ – الأساس (لوم)، الخزانة ٣: ٤٤٣، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها روايته: ومن يكن استنام إلى التوقى .·. فقد أحسنت يا زفر المناعا، شرح الشواهد الكبرى ٣: ٥٠٥، معاهد التنصيص ٨٦، ٨٧، ابن عساكر ٢٥: ٢٨٨، أنساب الأشراف ٥: ٣٢٨، المقصور والممدود للقالى ورقة ٩٤، تكميل المرام (غير منظم)، ورواية كل هذه المراجع: فقد أحسنت.

(أ) على هامش «ق» «نسخة أحسنت».

٣٨ – اللسان (سمع) (الشطر الأخير)، والبيت كله فى (عطا)، والشطر الأخير فى (زهف)، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها روايته: أأكفر، طبقات الشعراء ١٧٩ وما بعدها روايته: أأكفر بعد دفع، الخزانة ٣: ٤٤٢، ٤٤٣، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها، شرح الشواهد الكبرى ٣: ٥٠٥، معاهد التنصيص ٨٦، ٨٧، شرح شواهد المغنى ٢٨٧، شرح شواهد شذور الذهب ١١٩، شرح ديوان كعب [هامش] روايته: بعد رد المال ٢٥٦.

(أ) «ق» أكفرٌ.

٣٩ – الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، الخزانة ٣: ٤٤٢، ٤٤٣، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها روايته: فلم يبدو سواك، شرح الشواهد الكبرى ٣: ٥٠٥، معاهد التنصيص ٨٦، ٨٧، المنجد لكراع ظ٢٤.

٤٠ – الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، الخزانة ٣: ٤٤٢، ٤٤٣، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها روايته: لو كانت صغارا... تنتزع انتزاعا، شرح الكبرى ٣: ٥٠٥ روايته: صغارا، معاهد التنصيص ٨٦، ٨٧ روايته: صغارا .·. من الأخلاف.

(أ) «ق» صغاراً.

٤١ – طبقات الشعراء ١٧٩ وما بعدها روايته : ولم أر، الخزانة ٣/٤٤٢,٤٤٣ روايته: عندنا أصطنعوا، الأغانى ١١٨/٢٠ ومابعدها، شرح الشواهد الكبرى ٣: ٥٠٥، معاهد التنصيص ٨٦، ٨٧، ابن عساكر ٢٥: ٢٨٨.

(أ) ق «اصنطعوا؟»

٤٢ – طبقات الشعراء ١٧٩ وما بعدها، وفى مرة أخرى «إلا اتساعا»، الخزانة ٣: ٤٤٢، ٤٤٣ الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها، شرح الشواهد الكبرى ٣: ٥٠٥، معاهد التنصيص ٨٦، ٨٧، ابن عساكر ٢٥: ٢٨٨.

٤٣ – طبقات الشعراء ١٧٩ وما بعدها روايته: بنى القرم .. بأفضل فوقهم حسبا، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها روايته: القوم.. تفضل، ابن عساكر ٢٥: ٢٨٨ روايته: يفضل فوقهم حسبا.

(أ) «ق» تفضلُ.

٤٤ – شمس العلوم ٢: ١١٩ روايته: تنوفة يمهاء يمشى .·. بها الرجّال خائفة سراع.

(أ) «ق» تمشى ... سراعا

٤٥ – شروح سقط الزند ١٢٩٣ روايته: لا يرام الماء.

٤٦ – تاج العروس (درع)، الغريب المصنف ٤٤٤ روايته: أمام الخيل (الشطر الأخير).

(أ) «ق» «القوم» ويروى «أمام الركب».

٤٧ – تاج العروس (نوع)، الصحاح (نوع)، الغريب المصنف ٤٠٢.

٤٨ – تاج العروس (رجع)، تهذيب اللغة ١: ١٣٨.



١٨٨.

٤٩ – تاج العروس (رجع).
(أ) «ق» تبعتها.
٥٢ – شروح سقط الزند ٦٨٢ روايته: وصافت.
٥٣ – اللسان (رجل) روايته فصاف، وكذلك تاج العروس (رجل)، الغريب المصنف ٢٩١، المخصص ٧: ٤١.
(أ) «ق» اتساعا.
٥٤ – حاشية الأمير على المغنى ٢: ٣١١.
٥٥ – حاشية الأمير على المغنى ٢: ٣١١.
(أ) «ق» البصراء منها.
٥٦ – حاشية الأمير على المغنى ٢: ٣١١ روايته: لَنُبَيِّنَنْهَا.
٥٧ – شمس العلوم ٢: ٣٦٤ (الشطر الأخير) روايته: كما طينت بالقدْر، شرح المفضليات للأنبارى ٢٩٢، اللسان (سيع، تيز)، المغنى ٢: ٢٠٠ روايته: طينت، الأساس (سيع، فَدن)، الجمهرة (سعى)، تاج العروس (ساع) روايته: طينت، وكذلك الصحاح (سيع)، ومعاهد التنصيص ٨٦، ٨٧، الأضداد لأبى الطيب ٣٩٨، الأضدادلابن الأنبارى ٨٤ روايتها كلها: طينت، سمط اللآلى ٢: ٨٣١، أما لى القالى ٢: ٢١١ (الشطر الأخير).
٥٨ – اللسان (تيز) روايته: أن لا ، سمط اللآلى ٢: ٨٣١، معاهد التنصيص ٨٦، ٨٧، حاشية الأمير على المغنى ٢: ٣١١، تكميل المرام (غير منظم)، التنبيه والإفصاح ٢٨٣ روايته: أن لا.
٥٩ – اللسان (تيز، إلى)، وجاء فيه «ورواه أبو عمرو الشيبانى لديك لديك وهو أشبه بكلام العرب لأن لديك بمعنى عندك وعندك فى الإغراء تكون متعدية»، ومثل ذلك فى التنبيه والإفصاح ٢٨٢، الصحاح (تيز)، سمط اللآلى ٢: ٨٣١، خزانة الأدب (محيى الدين) ٢: ٢٣٣ روايته: ذو الفضلات، ديوان الأدب ٣٢٤، الخصائص ٣: ١٠٢، معجم مقاييس اللغة ١: ٣٦٠، المجمل ١: ١٤٤.
٦٠ – معاهد التنصيص ٨٦، ٨٧ روايته: أدركوها، تكميل المرام (غير منظم) روايته: أدركوها .·. على ما كان قد، شرح الحماسة للتبريزى ٤: ١٣٣.
(أ) فى هامش «ق» أدركوها
٦٢ – تاج العروس (صدع) روايته: وشيجها، شرح مشكل أبيات المتنبى للشريف الأربلى (غير مرقم) روايته: يرضيك... وشيجها.
(أ) «ق» سَيْرَةً.
٦٣ – اللسان (غرز)، (معى)، تاج العروس (غرز)، (معا)، المقصور والممدود للقالى ظ٥١، المخصص ١٥: ١٧٦، الفائق ١: ١٧٣ روايته: قتود رحلى، وكذلك رسائل المعرى ٨٦، وكذلك شرح شواهد الكشاف ١٧٦، تهذيب اللغة ١: ٤٣٦.
٦٤ – تاج العروس (جاع)، رسائل المعرى ٨٦ روايته: خلجت خلوجا .·. وكان لها على.
٦٥ – كتاب سيبويه ١: ١٤٣ روايته: فكرت تبتغيه فوافقته .·. على دمه ومصرعه السباعا، وفى أسفل الصفحة «عين الذهب للشنتمرى» روايته: «فصادفته «قال «وغير سيبويه يرويه: فكرت ذات يوم تبتغيه .·. فألفت فوق مصرعه السباعا، النوادر لأبى زيد ٢٠٤ كرواية الكتاب ثم قال «الرواية الأخرى التى لا اختلاف بين الرواة فيها: فكرت عند فيقتها إليه .·. فألفت عند مصرعه الشباعا، الخصائص ٢٤٦ كرواية الكتاب، وكذلك ضرائر الشعر ١٠٧، رسائل المعرى ٨٦ روايته: عند فيئتها.
٦٦ – رسائل المعرى ٨٦.
٦٧ – تاج العروس (نفع).
(أ) فى الأصل «قل ما»، «ق» الطِّلاعا.



٧٠ – اللسان (عبس).
٧١ – اللسان (صقع، غمم)، تاج العروس (صقع) روايته: العمائم، وكذلك الصحاح (صقع)، الغريب المصنف ٣٢٦ روايته: والصفاعا، معجم مقاييس اللغة ٣: ٢٩٨، المجمل ١: ٥٩٤، تهذيب اللغة ١: ١١٢٢، شمس العلوم ٢: ٥٠٩، شرح المفضليات للأنبارى ٣٧٦.
(أ) فى الأصل «من البقرة».
(ب) «ق» لعنبسِيّ.
(جـ) «ق» رأيت.. شددتَ.
(*١٤) – «ق» رقم (٢٠) وقال أيضا
٢ ـ البحث ١٩ روايته: تراحها إما شمال مُسفَّةٌ وإما صبا....، وكذلك مجالس ثعلب ٤٣٧.
(أ) «ق» يمدح همام بن المطرف بن معقل بن مخلد بن عبد شمس بن عمرو عامر بن مالك بن جشم بن بكر، وفى مفتتح القصيدة رقم (٢٠) من «ت» جاء ما يأتى «همام الذى ذكره فى شعره هو همام بن مطرف بن مجالد بن معقل بن عبد شمس بن عمرو بن عامر بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم بن تغلب».
(ب) «ق» تَراوحها العصْران.
(جـ) «ق» تحلوابها.
(د) «ق» ومجهولةٍ... من الصيف رَازِمُ.
(هـ) «ت» موقَد.
(و) فى «ت» كتب فوق هذا عبارة «ليس هذا موضعه»، ولكنا آثرنا وضعه هنا لأن المعنى متلائم، ولأنه يوافق وضعه فى «ق».
(ز) «ق» وأسِ... المواسِم.
(ح) فى الأصل «أخو».
(ط) كان ترتيب هذا البيت فى «ت» قبل قوله «ألا طالما احلولى.. إلخ»، وكذلك فى «ق»، ولكن ورد فى «ت» قبل البيت الذى يليه فى الترتيب الجديد وهو قوله «إذا حل جنبى عرعر...» عبارة: «وذو عرة موضعه هاهنا»، وقد تأملنا المعنى فوجدناه مناسبا إذ الحديث مطرد عن الجيش فآثرنا وضعه هاهنا.
(ى) «ق» وذى غرةٍ... إذا هوى.
(ك) «ق» ذكرتْ به.
(ل) «ق» بقود.
(م) «ت» فِي الأصل «بين بكر»، وعلى الهامش «بنى»، «ق» وبَاتَ بنوبكر.
(ن) «ق» يرى.
(س) «ق» على الدرب غَارَةٌ.
(ع) «ق» يمتد.
٢١ – اللسان (عرش)، الأساس (عرش)، تاج العروس (ثاب، عرش)، الصحاح (ثوب، عرش)، الغريب المصنف ١٩٤، المنجد لكراع ظ١٩ روايته: فما، المخصص ١٠: ٤٢، معجم مقاييس اللغة ١: ٣٩٤، المجمل ١: ١٥٥، تهذيب اللغة ١: ١٥٧، شمس العلوم ١: ٢٧١.
٢٢ – اللسان (عرش) روايته: تماثل شره، حماسة ابن الشجرى (مصور) ورقة ٣٩ روايته: ولم أر.
(أ) «ق» ولَمْ.
٢٣ – حماسة ابن الشجرى ورقة ٣٩ روايته: ولو أننى.
(أ) «ق» لسُبَّ.

▪١٩٠▪

٢٤ – حماسة ابن الشجرى ٣٩روايته: عنى شعوبى.

(أ) فى الأصل «سيتم».

(ب) «ق» بضربته عند... صارم.

٣٠ – اللسان (عرش)، حماسة ابن الشجرى ورقة ٣٩.

(أ) «ق» الصوارم.

(*١٥) «ق» رقم (١٣) وقال أيضا.

١ – خزانة الأدب ٣:١٨٨، الأغانى ٢٠:١١٨ وما بعدها، شرح الشواهد الكبرى ٣:٤٢٧، معاهدالتنصيص ٨٧، شرح شواهد المغنى ١٥٦ روايته: نأية، وكذلك حاشية الأمير على المغنى ١:٢٣٦.

٢ – مجموعة المعانى ٢١٤روايته: المناصب، خزانة الأدب ٣:١٨٨، شرح الشواهد الكبرى ٣:٤٢٧، الموشى ٤٤ روايته: ذرى.

٣ – مجموعة المعانى ١٤، خزانة الأدب ٣:١٨٨، شرح الشواهد الكبرى ٣:٤٢٧، شرح شواهد المغنى ١٥٦، الموشى ١٤٤، تكميل (غير منظم)، جامع الشواهد ١٢٦روايته: من قريض.

(أ) فى الأصل «غضيض»

٤ – خزانة الأدب ٣:١٨٨، سمط اللآلى ١:١٣١، ١٣٢، شرح الشواهد الكبرى ٣:٤٢٧، شرح شواهد المغنى ١٥٦، الموشى ١٤٤، تكميل المرام (غير منظم)، جامع الشواهد ١٢٦.

(أ) فى الأصل «الجد».

٥ – عبث الوليد ٦٩، خزانة الأدب ١:٣٩٢، ٣٩٣، ٣:١٨٨، سمط اللآلى ١:١٣١، ١٣٢، أمالى ابن الشجرى ١:٢٢٣، الأغانى ٢٠:١١٨ وما بعدها، شرح الشواهد الكبرى ٣:٤٢٧، شرح التبيان ٢:٢٤٢، معاهد التنصيص ٨٧، شرح شواهد المغنى ١٥٦، شواهد الأشمونى ٢٢٨، حاشية الأمير على المغنى ١: ٢٣٦، تكميل المرام (غير منظم)، الدرر اللوامع ١:١٨٤، جامع الشواهد ١٢٦

(أ) لا يوجد فى «ق».

٧– اللسان (قدم) قال ابن برى من كسر «إن» استأنف، ومن فتح فعلى المفعول له، المقتضب ٣٦٧، ٦٩٥، الأساس (قدم) نسب فى الأساس إلى علقمة، تاج العروس (قدم)، خزانة الأدب ٣:١٨٨، تكميل المرام (غير منتظم)، معجم مقاييس اللغة ٢:٣٤٠ روايته: لدى غفلات، وفى ٥:٣٤ كرواية الديوان، جامع الشواهد ١٢٦ روايته: فديدنه.

(أ) فى الأصل «بريحه».

١٠ – ديوان المعانى ١:٢٥٩ روايته:.. من مىَّ إذا ما تقلبت، وكذلك نهاية الأرب ٢:٦٥.

١٢ – الأساس (لهو).

(أ) «ق» ناصب.

(ب) «ق» كميعاد العتاق.

(جـ) «ق» وكنَّ صريعاً من سليب.

١٦ – الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، خزانة الأدب ٣:١٩٠، زهر الآداب ٣:٧١، ٧٢.

(أ) «ق» نازلاً.

١٧ – الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، خزانة الأدب ٣:١٩٠ روايته: فلابد، أمالى ابن الشجرى ٢:٥٨ وما بعدها روايته: مخبر أهله بما قد رآه، الحماسة البصرية ورقة ٢٠٦ روايته: مخبر أهله بما قد رأوه، الأغانى ٢٠:١١٨ وما بعدها روايته: يخبر، زهر الآداب ٣:٧١، ٧٢ روايته فلابد.. يخبر، معاهد التنصيص ٨٧ روايته: يخبر، مختصر الأغانى ق٢:٤٥٧روايته: يخبر ما جرى.

١٨ – الأغانى ٢٠:١١٨ وما بعدها، معجم ما استعجم ٦٢٦، معاهد التنصيص ٨٧ رواية هذه المراجع:

سأخبرك الأنباء، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها روايته: لمخبرك الأنباء، وكذلك الخزانة ٣: ١٩٠، أمالي ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها روايته: أخبرك الأنباء... وراسب، وكذلك الحماسة البصرية ورقة ٢٠٦، زهر الآدب ٣: ٧١، ٧٢ روايته: لمخبرك الأنباء، سمط اللآلى ١: ١٣١، ١٣٢.

(أ) «ق» لمخبرك الأنباء.. ويروى فواشب

١٩ – العقد ٣: ٢٥٤ روايته: تضيفت فى برد، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها روايته: تقنعت، الخزانة ٣: ١٩٠، سمط اللآلى ١: ١٣١، ١٣٢ روايته: تعممت وفى ٨٩٦، ٨٩٧ روايته: تقنعت، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها، الحماسة البصرية ٢٠٦ روايته: وطرّ مساء، التنبيه ١٢٨ روايته: تعممت، الأغانى ٢٠: ١٨٨ وما بعدها، البخلاء ١٩٩، ٢٠٠ لرواية التنبيه، الغفران ١٦٦، زهر الآداب ٣: ٧١، ٧٢ روايته: تلفت فى ظل... إلى طرمساء، معاهد التنصيص ٨٧ روايته: تلففت، تهذيب الألفاظ ٣٣٧.

(أ) «ق» تلففت فى ظل.

(ب) فى الأصل «والظل..».

٢٠ – رسالة الغفران ١٦٦ روايته: إلى حيزبون توقد النار بعدما .٠. تصويت الجوزاء قصد المغارب، اللسان (حزين) روايته: إذا حيزبون، وكذلك تهذيب الألفاظ ٣٣٧، الغيث المسجم ٢٥٤، العقد ٣: ٢٥٤، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، الخزانة ١: ١٩٠، سمط الآلى ١: ١٣١، ٣٢، ٨٩٦، ٨٩٧، أما لى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها، الحماسة البصرية ورقة ٢٠٦ روايته: عندما، أمالى القالى ١: ٢٩، التنبيه ١٢٨ روايته: الظلماء، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها، البخلاء ١٩٩، ٢٠٠، مقامات الحريرى للشرشى ٢: ٢١٤ روايته: تلفقت، مختصر الأغانى ق ٢: ٤٥٧ روايته: تلفقت للظلماء.

(أ) «ق» كلما.

٢١ – العقد ٣: ٢٥٤ روايته: وميض النار يبدى، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها روايته: برد الشتاء، تخال وميض، زهر الآداب ٣: ٧١، ٧٢ روايته: وميض، وكذلك معاهد التنصيص ٨٧

(أ) «ق» يكن يخال.

(ب) عبارة الأصل «تصلى النار بهذه العجوز.

٢٢ – الغيث المسجم ٢٥٤ روايته: مطيتى، العقد ٣: ٢٥٤ روايته: مطيتى.. من الصدر، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها روايته: مطيتى، وكذلك الخزانة ٣: ١٩٠، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨، الحماسة البصرية ورقة ٢٠٦، الأغاني ٢٠: ١١٨، رسالة الغفران ١٦٦ روايته: تروح، معاهد التنصيص ٨٧.

(أ) «ق» مطيتى.

٢٣ – الغيث المسجم ٢٥٤، العقد ٣: ٢٥٤، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، الخزانة ٣: ١٩٠، زهر الآداب ٣: ٧١، ٧٢، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها، الحماسة البصرية ٢٠٦، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها، رسالة الغفران ١٦٦، معاهد التنصيص ٨٧، الفائق ٢: ٢٧٧ شمس العلوم ٢: ظ ٧٥.

(أ) لا يوجد فى «ق».

٢٤ – الغيث المسجم٢٥٤ روايته: فجنت، العقد ٣: ٢٥٤ روايته: فجنت.. من أولات، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها روايته: فجنت، الخزانة ٣: ١٩٠ روايته: من الأرض، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها، الحماسة البصرية ورقة ٢٠٦، رسالة الغفران ١٦٦، زهر الآداب ٣: ٧١، ٧٢، روايته: فجئت إليها من دلاص.

٢٥ – اللسان (وكع) روايته: تَحَرَّمَ... وكع، الحيوان ٢: ٢٣٦ روايته: جليد الأرض، الأساس (شوك)، الغيث المسجم ٢٥٤ روايته: يحزم، وكذلك العقد ٣: ٢٥٤، تاج العروس (وكع) روايته: تحرم، وفى (خزم) كرواية الديوان، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها روايته: فى حليك الليل.. يحزم، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها روايته: نخزم فى الأطراف، وكذلك الحماسة البصرية ورقة ٢٠٦.

.١٩٢.

(أ) «ق» تخزَم.

(ب) الأصل «فيه».

(جـ) الأصل «السفيط».

٢٦ – الغيث المسجم ٢٥٤، العقد ٣: ٢٥٤، الشعر والشعراء ٢٧٧، الخزانة ٣: ١٩٠، سمط اللآلى ١: ١٣١، ٣٢ روايته: ليس يسوءها، وفى ١: ٨٩٦، ٨٩٧ روايته: «ليس يضرها» قال «وإنما هو ليس يسرها»، أمالى القالى ٢: ٢٥٩ روايتـه: ليس يضـرها.. ولكنه حـتم، البخـلاء ١٩٩، ٢٠٠، زهر الآداب ٣: ٧١، ٧٤، شـرح الهاشميات لأبى رياش ظ ٩١ روايته: ولكنه منى.

٢٧ – اللسان (حوز) روايته: تَحَوَّزُ عنّى حيفةَ أنْ أضيفها .·. كمَا انْحازَت...، ويروى «تَحيَّز منى»، وفى نفس المادة «تحيز منى خشية أن أضيفها .·. كما انحازت، ويروى «تحوز منى»، زهر الآداب ٣: ٧١، ٧٢، اللسان (ضيف) روايته: تحيز عنى خشية أن أضيفها .·. كما انحازت، الجمهرة (صفى) روايته: تحيز منى، الغيث المسجم ٢٥٤ روايتـه: كما انحازت، شرح التبيان ٤: ٢٦٣ روايتـه: تحيـز منى خشـية أن أضيفها .·. كما انحازت، العقد ٣: ٢٥٤، تاج العروس (ضيف) كاللسان فى (ضيف)، الخزانة ٣: ١٩٠ روايته: كما انحازت، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها، الحماسة البصرية ورقة ٢٠٦.

(أ) «ق» كما انحازت.

٢٨ – الخزانة ٣: ١٩٠، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨، وما بعدها، الحماسة البصرية ٢٠٦.

٢٩ – الغيث المسجم ٢٥٤ روايته: من القوم، العقد ٣: ٢٥٤ روايته: قالت معلنا، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها روايته: ولما، وكذلك الحماسة البصرية ٢٠٦، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها.

(أ) «ق» عن الحى .. محارب.

٣٠ – العقد ٣: ٢٥٤ روايته: فى كل شتوة .·. وإن كان عام الناس، مختصر الأغانى ق٢: ٢٥٧ روايته: ليس بقارب، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، الخزانة ٣: ١٩٠، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها، الحماسة البصرية ٢٠٦ روايته: من المشترين، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها روايته: ورين الناس ليس بعازب، البخـلاء ١٩٩، ٢٠٠ روايتـه: فى كل شـتـوة .·. وإن كـان ريف، زهر الآداب ٣: ٧١، ٧٢ روايتـه: من المشترين الغدر، طبقات ابن المعتز ١٩٩ روايته: وعيش الناس، معاهد التنصيص ٨٧ روايتـه: ليس بعازب.

٣١ – مجموعة المعانى ٥٣ روايته: ولما بدا، الغيث المسجم ٢٥٤ روايته: ولما بدا كرهانها.. علىّ مبيت، العقد ٣: ٢٥٤ روايته: على مبيت، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، الخزانة ٣: ١٩٠، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها، الحماسة البصرية ٢٠٦، الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها، زهر الآداب ٣: ٧١، ٧٢ روايته: مبيت، معاهد التنصيص ٨٧.

٣٢ – العقد ٣: ٢٥٤ روايته: حثيث، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، الخزانة ٣: ١٩٠، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها، الحماسة البصرية ٢٠٦، زهر الآداب ٣: ٧١، ٧٢ كرواية العقد.

(أ) «ق» فقمت... المرايب.

(ب) «ق» بزاق.

(جـ) لا يوجد فى «ق».

٣٥ – أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها، الحماسة البصرية ورقة ٢٠٦، الحيوان ٤: ٤٨٦، ٤٨٧، مستقصى الأمثال للزمخشرى ١٢.

٣٦ – معجم ما استعجم ١٢٧٠.

٣٧ – اللسان (صهب) روايته: ذى حماس، تاج العروس (صيب)، معجم ما استعجم ١٢٧٠ روايته: فعرعر، التكملة ١: ٦٧، شرح الحماسة للتبريزى ٤: ٢٢٦ روايته: يعشيها، تهذيب اللغة ١: ٨٥٧.



(أ) «ق» الصياهب.
(ب) «ق» مُقَدَّحَةً.
(جـ) «ق» بمرَّ.

٤٠ – اللسان (حبحب) نسبه إلى النابغة، زهر الآداب ٣: ٧١، ٧٢ روايته: إذا اشتووا، مجموعة المعانى ٥١، الغيث المسجم ٢٥٤، العقد ٣: ٢٥٤ روايته: ألا إنها، مجمع الأمثال ٢: ٨٠، الشعر والشعراء ٢٧٧ وما بعدها، الخزانة ٣: ١٩٠، أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها، الحماسة البصرية ورقة ٢٠٦، الحيوان ٤: ٤٨٦، ٤٨٧ روايته: اذا اشتوت، وكذلك الكامل والفاضل ١١١، معاهد التنصيص ٨٧ كزهر الآداب، المخصص ١١: ٢٨، بلوغ الأرب ٢: ١٦٦.

٤١ – أمالى ابن الشجرى ٢: ٥٨ وما بعدها روايته: بما أنا أهله... إن الموت، وكذلك الحماسة البصرية ٢٠٦.
(أ) لا يوجد فى «ق».
(ب) لا يوجد فى «ق».

(* ١٦) «ق» رقم (١٥) وقال أيضاً.

١ ـ الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها.
(أ) «ق» «ألم ترك النعامة تدرينى» أقول: ولعلها: ألم يَرَكَ النعامةُ.
(ب) فى الأصل «سحمعه».
(جـ) «ق» أَعْقَلَ.
(د) «ق» يُقْحِم.
(هـ) «ق» ينهم.
(و) «ق» وطورا فى.
(ز) فى الأصل «أقام».
(ح) «ق» يركبه.
(ط) فى الأصل «هيجه».

٩ – المنجد لكراع ظ ٧٥ روايته: جرب نشرى، المقصور والممدود للقالى ورقة ٣٧ روايته: جرب نشرى.. به عصيم.
(أ) «ت» الغضيم، «ق» جرب نشرى.
(ب) «ق» ذرفن وهن.
(جـ) لا يوجد فى «ق»، وفى «ت» «وضيّح».
(د) «ق» عظارط... تصوم.
(هـ) فى الأصل «العظارط».
(و) «ق» مستفر.
(ز) «ق» فما أدنى نعامةَ من أبينا.
(ح) البيت للفرزدق (ديوانه ٨٤١) وروايته: حاضن ثلة.
(ط) «ق» وترفدنى الأراقم كل.

٢٠ – الأساس (سوم).
(أ) «ق» ما يسوم.

٢١ – الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها.
(أ) «ق» المهَمل

٢٢ – الأغانى ٢٠: ١١٨ وما بعدها.

١٩٤

٢٣ - الأغانى ٢٠ : ١١٨ وما بعدها.

(أ) «ق» عامرٍ وبنوكليْبٍ.

(ب) «ت» العلوم، «ق» أخذنا الصعق.

(جـ) لا يوجد فى «ق».

(د) فى الأصل «يرقى».

(*١٧) «ق» رقم (٧) وقال يمدح أسماء بن خارجة.

(أ) وقع فى أول تفعيلة من هذا البيت مايسميه العروضيون بالخرم.

(ب) «ق» من معد.

(جـ) «ق» كما كان نعمانٌ.

(د) فى الأصل «بسامة».

(هـ) «ق» الذمائم.

(و) «ق» الرائى.

(ز) «ق» وأم أبى عَمرو.. وبدراً.. النجوم.

(ح) «ق» قيس.. الحرام دوائم.

(ط) «ق» أمر الناس.

(ى) «ق» وأنت.

(ك) فى الأصل «بنى».

(ل) «ق» يا ابن تَيْمٍ.

(م) فى الأصل «الجبل».

(ن) «ق» إذا خطرت.

(*١٨) «ق» رقم (٩).

١ ـ اللسان (حضر)، الكامل ١ : ٣٨، ٣٩، تاج العروس (حضر)، عيون الأخبار ٣ : ١٩١، حماسة أبى تمام ١ : ١٨١، ٨٢ الأضداد لأبى الطيب ١٠٤، شرح مقامات الحريرى (للشريسى) ١ : ٢٦٩، المخصص ١٥ : ٩٠ رواية كل هذه المراجع: فمن تكن... فأى رجال، شرح الحماسة للتبريزى (التأليف) ق١ط. أولى ٢٦٩ فيه : «الحضارة تكسر وتفتح» أى بكسر الحاء وفتحها.

(أ) «ت» منْ تكن.

٢ ـ اللسان (سلب) أورده غير منسوب، الكامل١ : ٣٨، ٣٩، عيون الأخبار ٣ : ١٩١، حماسة أبى تمام ١ : ١٨١، ١٨٢، المخصص ٢ : ٦٥، بلوغ الأرب ٣ : ٤٢٥.

٣ ـ الكامل ١ : ٣٨، ٣٩ روايته: فأعوزهن كون، عيون الأخبار ٣ : ٩١ كرواية الكامل، حماسة أبى تمام ١ : ١٨١، ٨٢ روايته: على جناب.. وأعوزهن نهب، وكذلك بلوغ الأرب ٣ :٤٢٥.

(أ) «ق» جنَابٍ ... نهْبٌ.

٤ـ الكامل ١ : ٣٨، ٣٩، عيون الأخبار ٣ : ١٩١، حماسة أبى تمام ١ : ١٨١، ١٨٢ روايته: على حلول، وكذلك رواية بلوغ الأدب ٣ : ٤٢٥.

(أ) «ق» الدباب.

٥ ـ الكامل ١ : ٣٨، ٣٩، عيون الأخبار ٣ : ١٩١ روايته: وأحيانا نكرُ على أخينا، حماسة أبى تمام ١ :١٨١، ٨٢، بلوغ الأرب ٣ : ٤٢٥.

(أ) فى الأصل «فإن لم نجد أخانا»

(*١٩) «ق» رقم (١٩) وقال أيضا.



-١٩٥-

١ ـ الأضداد لأبى الطيب ٢٥٣، الأضداد لابن الأنبارى ١٢٧.

٣ ـ مجالس ثعلب ٥٢٩، ٥٣٠ روايته: قبلنا.. حتى صار.

(أ) «ت» وترعية،«ق» قبلنا.. حتى صار قيدا.

٤ ـ اللسان (بدد) فيه «البداء ويروى البِداء»، تاج العروس (بدد)، مجالس ثعلب ٥٣٠ روايته: ولم يكن.

(أ) «ق» النداد.

(ب) فى الأصل «فيشترون».

(جـ) «ق» وظَلَّ.. لالوم أهلِى.

(د) فى الأصل «يشترى».

(هـ) ورد هذا الشرح فى الأصل بعد البيت رقم (١٢) وهو شرح للبيت الذى معنا، فآثرنا نقله هاهنا.

(و) «ق» لهم فِيهِمْ.

(ز) «ق» ورِّث المجدَ وائلاً... مراسلها... مرافدها غُزْرٌ.

٨ ـ اللسان (خنا) روايته: دعوا النَّمْرَ لا تُثْنُوا عليها خَنَايَةً .·. فقد أَحْسَنَت فى جُلِّ ما بيننا النَّمْرُ، تاج العروس (خنى) كرواية اللسان.

(أ) لايوجد فى «ق».

(ب) لايوجد فى «ق».

(جـ) لايوجد فى «ق».

(د) لا يوجد فى «ق».

(هـ) لا يوجد فى «ق».

(و) فى الأصل «كلاهما».

١٣ ـ اللسان (بغث).

(أ) ما تحته خط غير واضح فى «ق».

١٤ ـ الحماسة البصرية ورقة (١٠) روايته: وإن ثوب.

(أ) لايوجد فى «ت».

(ب) لايوجد فى «ق».

١٦ ـ الحماسة البصرية ورقة (١٠).

(أ) «ق» وظلّت.. إليهم.

(ب) فى الأصل «لرجالهم».

(*٢٠) فى «ق» رقم (٢١) وقال أيضا.

١ ـ صفة جزيرة العرب ٢٣٠ روايته: ومعرضات البرق.

٢ ـ اللسان (سخخ) روايته: وجاد العين، وكذلك تاج العروس (سخ)، صفة جزيرة العرب ٢٣٠ روايته: بالسحاسح.. وجاد العين، التكملة ٢ : ١٢٠ روايته: وجاد العين، وكذلك تهذيب اللغة ١ : ٩٧١.

(أ) «ق» للسَّجاسح... وجاد العَيْن.

٣ ـ صفة جزيرة العرب ٢٣٠ روايته : جبلى نَوَارِ.. قلعا كبارا.

(أ) «ق» غوارب.

٤ ـ صفة جزيرة العرب ٢٣٠ روايته : يَسُحُّ ويُغْرِقُ النجواتِ.

(أ) «ت» «من» فوق «عن».

٥ ـ صفة جزيرة العرب ٢٣٠.

(أ) فى الأصل «يريد يمنعها».

-١٩٦-

٦ ـ صفة جزيرة العرب ٢٣٠ روايته: من حبَاله.. إلا أذّكارا.

(أ) «ت» «لعهده» فوق «لأهله»، «ق» أُمَامَة.

٧ ـ صفة جزيرة العرب ٢٣٠ روايته: يا لقومى..استحَارا.

(أ) «ق» بروحه (ب) «ق» أراد بها (جـ) «ق» يوم ردّوا جمال البيْن وارتحلوا

(د)خرم بالأصل.

١٠ ـ اللسان (وصف).

(أ) «ق» ابتهارا.

(ب) «ق» القطارا.

(جـ) «ت» تدافع.

(د) فى الأصل «يمشين».

(هـ) فى الأصل «هى»

(و) «ق» خلعة.

(ز) «ق» خَصْبُهم الغيَارا.

١٨ ـ أنساب الأشراف ٥: ٣١٥، ٣١٦ روايته: جدّعوا أشراف قيس.. وذاقوا.

(أ) «ق» وذاقَتْ.

(ب) «ت» الوبَارا، «ق» الدّيَارَا

(جـ) «ق» فلولا الخيْلُ من غارى كليب .·. وحيٌ بنى اللكيز ومن وَجَارا.

٢٢ ـ أنساب الأشراف ٥: ٣١٥، ٣١٦ روايته: كليث الغيل أصحرثم سارا.

(أ) «ق» شعيب... فاستغارا (ب) «ق» التجمّل

٢٤ ـ أنساب الأشراف ٥: ٣١٥، ٣١٦ روايته: يقعس الأبطال منهم .·. ويمتكر، اللسان (مكر) روايته: «تهلك الأبطال» وفيه «قال ابن برى الذى فى شعر القطامى تنْعَس»، تاج العروس (مكر) كرواية اللسان، وكذلك الغريب المصنف ١٥٤، وكذلك المراجع الآتية :المنجد لكراع ٧٤ وتهذيب اللغة ٢: ٢٢١، والمخصص ١٠: ٦٢، المقصور والممدود للقالى ورقة (٥٠) روايته: ينعس، التنبيه والإفصاح ٢٣٨ روايته: فيه.

(أ) فى الأصل «مغرة».

(ب) «ق» نَجَاءَ من أسنتنا.

(جـ) «ق» وبنومليك.

(د)خرم بالأصل مكان الفراغ.

(هـ) «ق» سست؟.

(و) «ق» القنائل.

(ز) «ق» عضبًا.

(*٢١) «ق» رقم (٢٤).

١ ـ اللسان (رعا) روايته: فَمَنْ.

(أ) فى البيت خرم على رواية الأصول التى أثبتناها، وهو خال من الخرم فى رواية اللسان التى أشرنا إليها.

(ب) «ق» جَراجبَ جلة مهَاريس.

(جـ) «ق» سمك.

(د) فى الأصل «قبل ما أكل منه».

٤ ـ اللسان (حطب).

-١٩٧-

(أ) لا يوجد البيت فى «ت» وإنما يوجد شرحه فقط، ويظهر أنه سقط من الناسخ.
(ب) كذا.
٥ - ديوان المعانى ٢: ١٢٧ روايته: وفى الصيف يرددن... إلى العشر.
(أ) «ق» جفال... وفى القيظ.
(ب) فى الأصل «نرد».
(جـ) فى الأصل «يرد»
٦ - معجم ما استعجم ٧٦٣ روايته: مياه سوى، المقصور والممدود للقالى ورقة ٣٠
(أ) «ق» مياه سوى.. وكيف.
(ب) فى الأصل «أرض».
(جـ) فى الأصل «جماع».
(د) «ق» إنكار الغريب.
(هـ) «ق» القرى.
(و) فى الأصل «أناخ الضيف».
(ز) «ق» وما اتقى الساقى... تعادى.
(ح) فى الأصل«فيدرل».
(ط) لم أعثر على هذا البيت فيما بين يدى من المراجع.
(ى) «ق» تغامس.
(*٢٢) ق رقم (٢٧).
(أ) «ق» ونفسا.
(ب)، (جـ) كـا، والذى فى المعاجم : آذنت منعت، ومعان أخرى للكلمة.
٣ - تاج العروس (غنى).
(أ) «ق» «على أيكة إلا ذكرت الربابا»
(ب) «ت» منعتنا... حب المتاع، «ق» خف المتاع.
٥ - اللسان (هفف) روايته : مسفرا.
(أ) «ق» وهفاف
(ب) «ت» «خبتين» فوق «حيين»، «ق» حير.... شبابا.
(جـ) «ق» عيون يقاظى.
(د) فى الأصل «قلوب».
١٢ - الأساس (همم).
(أ) «ق» واستنعت بهن بأربع.
(ب) لايوجد فى «ق».
(جـ) لايوجد فى «ق».
(*٢٣) «ق» رقم (١٢) «وقال أيضا».
٢ - اللسان (تهته)، الصحاح (تهته)، تهذيب اللغة ١: ٨٠ روايته: ما اجتنينا.
(أ) «ق» من معاودها.
(ب) عجز البيت غير واضح فى «ق».
(جـ) «ق» وما اللعينة.
(د) «ق» وما تقضى.
(هـ) فى الأصل «الوجا تنجزه.. إلخ».

■١٩٨■

(و) «ت» يحدثه.

(ز) «ت» إذا.

(ح) فى الأصل «لاتبعد».

(ط) «ق» كَانَتْ... من محاسنها بَرْدَ.

(ى) «ق» نَضَحُ... إذا تميّل عن.

(ك) هذا البيت مضطرب فى «ق».

(ل) فى الأصل «تبطئ به».

١٢ ـ اللسان (عثعث) روايته: «والعَذَما» وفيه «ورواية أبى حنيفة خط لها» وفى (غذم) كرواية الديوان، تاج العروس (عثث) كرواية الديوان فى (عثعث) ، معجم البلدان ٦ :٢٧٠ (العجز فقط)، الصحاح (غذم) (العجز فقط)، المجمل ٢ :٩ (العجز فقط)، وكذلك تهذيب اللغة ١ :١١٦٠.

(أ) «ق» سهماً، «ت» مصفَر

(ب) «ق» ظهر مسحاج... تقدمه غوارب.. قد ألقينه قدما

(جـ) فى الأصل «قدما أقدامها».

١٥ ـ الأساس (جنح).

(أ) «ق» مطلية قارا إذا اجتنحت به... قحمتها.

١٦ ـ خزانة الأدب ١ :٨١.

١٧ ـ اللسان (صرر، رسم، قضى)، روايته : يقضى الموت صاحبه، تاج العروس (صرر، جلل)، الأساس (رسم)، الصحاح (جلل)، خزانة الأدب ١ :٨١،ديوان الأدب ظـ ٢١٠، معجم مقاييس اللغة ١ :٤١٨ رواية هذه المراجع كلها، يَقضّى .. الغريب المصنف ٣٨٩ روايته: يقضى .. إذا الصوارى، المجمل ١ :١٦٣ روايته : فى ذى جلال يقضى، شمس العلوم ١ ق٢ :٢٧٧، وفى ٢ :٤٦٠ روايته: ارسنما.

(أ) «ق» فى ذى حبول يقضى.

(ب) فى الأصل «راكبها» ولا أرى له وجها .

(جـ) «ق» إذا فَحَمَا.

(د) «ق» نهى... يسقوا بها.

٢١ ـ معجم ما استعجم ٥٢٧ روايته: بأجواز.

(أ) «ق» بأحواش.

(ب) «ق» للناس.

(جـ) «ق» سراة القوم.

(د) «ق» من دعا للخير.

(هـ) «ت» وبطن، «ق»أوسحما.

(و) «ق» «إذا هبطن مكانا فاعتَرَكْنَ به .·. خلّفن منه» والباقى مطموس.

(ز) «ق» ظعائن... والفحما» وفيها «ويروى أو».

(ح) جاء فى «ق» «نسخة فهمتهم».

٣٣ ـ معجم ما استعجم ٦٤٥.

(أ) «ق» أو حكما.

(ب) «ق» ردّ ... إذ ظلما.

(جـ) صدر البيت غير واضح فى «ق».

٣٧ ـ اللسان (حرف) روايته: «عالجها» وفيه «ويروى على النفر، والنفر الورم»، وفى (ضجم) روايته: حاولها..

على النفر،وكذلك الأساس (حرف)، تاج العروس (حرف) روايته: عالجها، وكذلك فى المراجع الآتية: الصحاح (حرف)،المنجد ٧٦، المجمل ١: ٢١٠، شمس العلوم ١ ورقة ٨١ روايته: أو تحريكه.

(أ) «ق» نادى المنادى بموْتِ.

٣٩ـ اللسان (ركا) روايته: وغِير حربى.

(أ) «ق» «أنساهم تجشمها إجانةً... طال ما».

(ب) ما بين القوسين يوجد مع شرح آخر بيت فى القصيدة.

(جـ) «ت» ما تحته خط غير واضح، «ق» «فى يوم القنا» ويروى «الوغى».

(د) «ق» فى مهولته .٠. ألا ... مقطع عزما.

(هـ) «ق» ولّى يجدُ إذا ... اعتزما.

(*٢٤) لا توجد هذه القصيدة فى «ق».

٢ ـ المقصور والممدود ورقة ١٨ روايته: قليبان.

(أ) فى الأصل «صاما».

٣ ـ المقصور والممدود للقالى ورقة ٣٣ روايته: قداعِىّ.

(أ) فى الأصل عبارة لم أستطع تبينها.

(ب) فى الأصل «فكأنه».

(جـ) ما تحته خط غير واضح بالأصل.

(د) فى الأصل «أمٌ».

١٥ ـ المقصور والممدود ورقة ٤٣ روايته: صلخدى.

(أ) فى الأصل «جانبيها».

(ب) فى الأصل «عيْدَ انها».

١٨ ـ مجالس ثعلب ٥٢٦.

(أ) فى الأصل «غزار».

١٩ ـ اللسان (شرب) روايته: «المُشَرَّب» وفيه «هذا قول أبى عبيدة وتفسيره، وقوله كتنضاح الشنان المشرب إنما هو بالسين المهملة، قال ورواية أبى عبيدة خطأ»، تاج العروس (سجم) كاللسان، الغريب المصنف ٢٠٤ روايته: شحوم.. المشرب، تهذيب اللغة ١ :٦٨٨ روايته: المشرب.

٢٠ ـ مجالس ثعلب ٥٢٦.

(أ) فى الأصل «مخففا».

٢١ ـ اللسان (خور)، وفى (رشف) روايته: لم تندرئ بها، تاج العروس (خار)، وفى (رشف) كاللسان فى (رشف).

(أ) فى الأصل «وهذا برد».

(ب) فى الأصل «والخور غير الغزار من الإبل» ولكن جاء فى اللسان (خور) «وناقة خوّارة غزيرة اللبن، وكذلك الشاة، والجمع خور على غير قياس؛ قال القطامى»: .. ثم ذكر البيت

(* ٢٥) «ق» رقم (١٦) «قال أيضا».

١ ـ تاج العروس (روم) روايته: براها، معجم ما استعجم ٦٢٨ :

(أ) «ق» فنزلن... واحتللن.

(ب) «ق» وما ذممت.

٤ ـ الفائق ٢ : ٩٨ روايته: ترمى الزميل.

(أ) «ق» «توحّشت... فاختلس»، وفيها «توجست وتسمّعت».

۲۰۰

(ب) «ق» وطالبُ.

(* ٢٦) «ق» رقم (٨) وقال أيضا.

١ـ اللسان (جوز)، تاج العروس (جاز)، الصحاح (جوز)، الغريب المصنف ١٨٩، المخصص ٩: ٥٢، العمدة ٢: ٨٦، الفاخر ١٨٥، معجم مقاييس اللغة ١: ٢٩٤، المجمل ١: ١٨٧، تهذيب اللغة ٢: ٣٧١، شمس العلوم ١ ق٢: ٣٧٧.

٢ـ اللسان (بين) روايته: أُصحم ذا ختز.

(أ) «ق» إذ رأى عبادة.

٣ ـ اللسان (جهر)، تاج العروس (جهر)، الغريب المصنف ٤٦٣ (الشطر الأخير)، تهذيب اللغة ١: ٨٣٥.

(أ) «ت» تابعة، «ق» الجهر.

(ب) فى الأصل «والخبر تابع ... إلخ».

٤ ـ سمط اللآلى ١: ٢٢٢ روايته: فأخلفت.

(أ) «ق» بعد ياسوع ... فأخلفت.

(ب) فى الأصل «اشتقاقاً».

(جـ) «ق» بسوي.

(د) «ق» تجاوب ثلكى.

(هـ) هذا البيت فى ترتيب «ت» هو آخر بيت فى القصيدة، ولكنا آثرنا وضعه هنا موافقة لوضعه فى «ق»؛ لأن المعنى يقتضى ذلك.

(و) «ت» وأصدرن.

(ز) «ق» شربِ.

(ح) «ت» بنو ليلى التى .

(ط) «ق» أدتْ بالسعود من.

(ى) عبارة الأصل «ابن السليل عمير بن السليل وبسطام ابناقيس إلخ».

١٢ ـ اللسان (لوذ)، الأساس (لوذ)، تاج العروس (لوذ)، التكملة ٢: ١٥٩.

(أ) «ق» قاصمة الظهر.

(* ٢٧) لاتوجد هذه المقطوعة فى «ق».

١ ـ المقصور والممدود للقالى ظ ١٢١.

(أ) فى الأصل «ذراع».

(ب)فى الأصل «نسبه».

(جـ) فى وفيات الأعيان ١: ٢٢٧:

«ابن زيد بن قيس بن زرارة بن سلمة بن جشم، ويلاحظ أنه موافق لما أورده فى آخر نسبه عن الكلبى».

(د) فى الأصل «حنتم» وقد جرينا على ما ورد فى وفيات الأعيان.

(هـ) فى وفيات الأعيان «جماعة».

(و) فى الأصل «مرثد».

(* ٢٨) لاوجود لهذه القصة فى «ق».

(أ) فى الأصل «راتعه».

(ب) القصة فى تكملة شعر الأخطل (بيروت) ٤٦، ٤٧ وفيها «فبصريه وقال أقم رأسك أباسعد فقتله».

(جـ) «ق» رقم (١٣) وقال أيضا.

١ ـ تاج العروس (حمس) روايته: فمايلات.

-٢٠١-

(أ) «ق» حماس حائلات.
(ب) فى الأصل «السعات».
(جـ) «ق» تعمدها.
(د) فى الأصل «ابن بسطام».
(هـ) فى تكملة شعر الأخطل زيادة «فقتلوه».
١ - ديوان الأخطل ٣٩٩ روايته: سرين لبكوت ثلاثا عواملا.
(أ) لاتوجد فى «ق».
* تكملة شعر الأخطل ٤٦، ٤٧ روايته: فلم تثأروا ولكن أقيموا.
(أ) فى البيت خرم.
١ - ديوان الأخطل ٢٧١ روايته: فلوكان.
(أ) لا توجد فى «ق» وفى البيت الأول خرم، ولكنه سلم من هذا الخرم فى رواية ديوان الأخطل.
٢ - اللسان (نفى)، تاج العروس (نفى) روايته فيهما: فأصبح، تكملة شعر الأخطل ٤٦، ٤٧ روايته: لقد كان جاراكم قتيلا وخائفا .·. أصم فقد زادوا...
(١) لا توجد فى «ق».
(٢) فى البيت خرم.
(٣) لا توجد فى «ق» وفى البيت الأول «خرم» على ما فى الديوان، ولكنه سلم من هذا الخرم فى رواية ديوان الأخطل.
(٤) فى تكملة شعر الأخطل ٤٦، ٤٧ «فحمل لهم دية بلكوث وما وجب عليهم من حقهم»
(* ٢٩) «ق» رقم (٢٢).
(أ) «ق» وللطِّرب المتاحُ.
(ب) «ق» وإن.
(جـ) «ق» يتبعها.
(د) فى الأصل «أسود».
(هـ) «ق» آثار نؤى.
(و) «ق» وكلٌ جذمة حرب.
(ز) ما بين القوسين يوجد فى الأصل بعد البيت السابق، وعبارة الأصل «كأنه آرى».
(ح) «ق» وأورق.
(ط) «ق» ومحتدم.
(ى) «ق» وملعب... بوادٍ عند.
(ك) «ق» من الشباب.
(ل) فى الأصل «بالصبحات».
(م) فى الأصل «أردتنا».
(ن) «ت» ألبثه، «ق» وكان الصُبْرُ.
(س) «ق» وأهون سيْرِها.
(ع) «ق» خمرٌ عقارِ.
(ف) «ت» وإن جهدوا، «ق» ولو.
(ص) «ق» على قلاص.
١٩ - اللسان (بزل) روايته: تَسَمَعُ من بوازلها... كما صاحت على الخَرِبِ.

٢٠٢

(أ) «ق» مدى الغرض.

(ب) فى الأصل «يتقبل».

(جـ) لانقط فى الأصل للكلمتين «نبشر، نقبل».

(د) لايوجد هذا البيت فى «ق» وكذلك سبعة أبيات بعده تنتهى بالبيت الثلاثين

٢٩ - المقصور والممدود القالى ورقة ١٠٥ روايته ترادفها اليسار.

(أ) «ق» من معد.

٣٢ - اللسان (هيض) روايته: وما لما هيض، تاج العروس (هاض).

(أ) «ق» انجبار.

(ب) فى الأصل زيادة كلمة «والكسر» بعد كلمة «المرض».

(جـ) «ق» إذا تولّوا.

(د) «ق» ذوى قريش.

٣٥ - تاج العروس (شنر، شنع)، الصحاح (شنر)، الفائق ١ : ٣٣٥، شرح الحريرى للرازى ظ ١٥٢، شمس العلوم: ظ ٤٣٩.

(أ) «ق» شَنَع.

٣٦ - اللسان (أبر، بأر) روايته: تأتبر رشدا... ائتبارُ، تاج العروس (فى مواد اللسان ومثل رواية اللسان) وكذلك التكملة ٢ : ١٦٣، شمس العلوم اق، ٢١٣ روايته: تبتأر... ابتئار.

(أ) «ق» تأتبر رشدا... ائتبار.

(ب) فى الأصل «تؤبر».

(جـ) «ق» وضرس للأعادى.

٣٨ - شرح شواهد إصلاح المنطق ٢٨.

(أ) «ق» لكم اعتبار.

٣٩ - اللسان (نفخ) روايته: ونُفِخوا عن، الصحاح (نفخ) ونُفِخوا فى، العباب ٦٩ روايته: ألم يُجْزِ ونفحوا فى، الخصائص ٢ : ١٤٤ كالصحاح.

(أ) «ق» جيش كسرى... ونحّوا.

٤٠ - اللسان (كفر، فرعن)، تاج العروس (كفر، تفرعن)، المقصور والممدود للقالى ورقة ٧٢.

(أ) «ق» الفراعنة الكبار.

(ب) «ق» وكم من مدة... ابتئار.

(جـ) «ت» تُقْضاً، «ق» الحبَار.

(د) «ق» وأنذركم.

(هـ) فى الأصل «الرحمان».

٤٦ - اللسان (غمر) روايته: ونادى صاحبُ التنور نوحٌ ... البوارُ.

(أ) لايوجد هذا البيت فى «ق»، وكذلك أربعة أبيات بعده تنتهى بالبيت الخمسين.

٤٧ - اللسان (غمر) روايته: عندَ جِبِلَتِهِ وفرّوا.

٤٨ - اللسان (غمر) روايته: حزِق تَسارِ.

(أ) فى الأصل «تشار».

٤٩ - اللسان (جور) (العجز فقط)، والبيت كله فى (غمر)، تاج العروس (جار)، تهذيب الألفاظ ٥٦١، العمدة ١ : ١٤٣ (العجز فقط).

٥٠ - اللسان (غمر)، تاج العرووس (غمر)، روضة المحبين ٣٢ روايته: وكان لذلك الغمر.

٥١ ـ اللسان (غمر).
(أ) «ق» فيه وفوق البيت «فيَّ».
(ب) فى الأصل «قوافى».
(جـ) لايوجد هذا البيت فى «ق» وكذلك عشرون بيتا بعده تنتهى بالبيت الثالث والسبعين.
٥٥ ـ اللسان (قدم) روايته: شيوخهم، وكذلك تاج العروس (قدم)، شروح سقط الزند ٦٤٥ روايته: شيوخكم ... كأنهم نسار، المقصور والممدود للقالى ٦٧، المخصص ١٥: ٢٠٢، تهذيب اللغة ٢: ٢٧ روايتها كلها: شيوخهم.
٥٦ ـ شرح شواهد إصلاح المنطق ٢٨.
٥٧ ـ شرح شواهد إصلاح المنطق ٢٨ روايته: الهدِار، شرح مقامات الحريرى للشريشى ١: ٢٣ روايته كشواهد إصلاح المنطق وهو ينسبه إلى الأخطل.
(أ) فى الأصل «يقَطع».
(ب) فى الأصل «للرحمان».
٦٣ ـ شرح شواهد إصلاح المنطق ٢٨ روايته: بكفيه.
٦٨ ـ مجالس ثعلب ٥٢٩ روايته: فطارت.
(أ) «ق» وعندى الفصل.
(ب) لايوجد هذا البيت فى «ق» وكذلك وأحد وعشرون بيتا بعده تنتهى بالبيت السادس والتسعين.
(جـ) ما بين القوسين ورد فى شرح البيت التالى.
(د) فى الأصل «استحنّت».
٨٨ ـ اللسان (أبر)، العقد ٣: ١٢٢ روايته: مواضع ليس ينفذها، تاج العروس (أبر).
٩٨ ـ مجموعة المعانى ١٧ روايته: يبصر.... ويعشى... النضار.
(أ) «ق» ثم نعدو... عن العادى.
(ب) فى الأصل «نغدوا».
(*٣٠) «ق» رقم (٢٥).
(أ) «ت» وكنَّ إذا «ق» قابلن... مقايل.
(*٣١) لاتوجد هذه المقطوعة فى «ت».
(* ٣٢) لاوجود لهذه الأرجوزة فى «ت».
١ ـ ذيل سمط اللآلى ٦٥
٣ ـ ذيل سمط اللآلى ٦٥، ١٣، ١٤ كتاب الفرق للأصمعى ط فينا ١٩، ٢٠ روايته: فى بلدة.... تضج فيها بومها وهامها.
١٥ ـ تاج العروس (قرزم) روايته: إن رزاما غرها قرزامها ... قلف على زبابها كمامها.
١٧ ـ الخزانة (محيى الدين) ٢: ٩٤ أورده هكذا: إن رزاما غرها فرزامها .. قلف على أزبابها كمامها، المؤتلف والمختلف ٥٧ كالخزانة وفيه «قرزامها».
(أ) الذى فى الأصل «زبابها كمامها» فقط، والتكملة من المراجع.

ملحق الديوان

أولا: أشعار نسبت إلى القطامى ولم أجد في مرجع آخر ما يعارض هذه النسبة:

ـ٢٠٧ـ

١

يُهَازِلُ رَبَّاتِ البَرَاقِعِ بِالضُّحَى
وَيَخْرُجُ مِنْ بَابٍ وَيَدْخُلُ بَابَا(١)

٢

يَحُطُّهُنَّ جَانِبًا فَجَانِبَا
حَطَّ القُطَامِيِّ القَطَا القَوَارِبَا(٢)

٣

زَعَمَ الغَوَانِى إِذْ أَرَدْنَ صَرِيمَتِى
أَنْ قَدْ كَبُرْتُ وَأَدْبَرَتْ حَاجَاتِى(٣)
وَضَحِكْنَ مِنِّى سَاعَةً وَسَأَلْنَنِى
مُذْ كَمْ كَذَا سَنَةً أَخَذْتُ قَنَاتِى
مَا شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنِّى امْرُؤٌ
أَغْشَى الحُرُوبَ وَمَا تَشِيبُ لِدَاتِى

٤

ذَكَرْتُكُمُ لَيْلاً فَنَوَّرَ ذِكْرُكُمْ
دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ عَنْهُ دَيَاجِرُهْ(٤)

٢٠٨

فَــوَ اللّه مَـــا أَدْرِى أَضَــوْءُ مُــسَــجَّرٌ
لِذِكْـــراكُمُ أَمْ يَسْـــجُــرُ اللَّيْلَ سَـــاجِــرُهْ

٥

بِأَنَّ الغَـــــدْرَ فِى الأَقْـــــوامِ عَــــارٌ
وأَنَّ الحُـــــرَّ يَــجْـــزأُ بِــالــكُــرَاعِ(٥)

٦

أَرَى اليَـــأس أَدْنَى لِلرَّشَـــادِ وإِنَّمَـــا
دَنَا السَّعْىُ لِلإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ يَطْمَعُ(٦)
فَــدَعْ أَكْــثَــرَ الأَطْمَــاعِ عنْكَ فَــإِنَّهَا
تَضُـــرُّ وَإِنَّ الْيَـــأْس مَـــا زَالَ يَنْفَعُ

٧

إِذَا مَــــــا الــلَّـهُ أَوْضَـــعَ آلَ حَـىٍّ
فَـــزَادَ اللَّهُ حَـــيَّكُمُ ارْتِفَـــاعَـــا(٧)

٨

وَفِى الْخُدُورِ مَــهاً حُورٌ مُــصَــوَّرَةٌ
خُلِقْنَ أَحْــسَنَ مِـمَّا قَـالَ مَنْ يَصِــفُ(٨)
إِذَا ذَكَـرْنَ حَـــدِيثَـــا قُلْنَ أَحْــسَنَهُ
وَهُنَّ عَــنْ كُلِّ سُــوءٍ يُتَّـــقَـى صُـــدُفُ

٩

وَرَاشَتِ الرِّيحُ بِالبُـــهْـــمَى أَشَـــاعِـــرَهُ
فَــآضَ كَــالمَسَدِ المَفْــتُـولِ أَحْنَـاقَـــا(٩)

١٠

لَعَــلَّكَ إِنْ رَدَدْتَ عَلَـىَّ نُصْــــحِـى
سَــيُنْدِمُكَ الَّذِى عَــمِلتْ يَدَاكَــا(١٠)

.٢٠٩.

١١

جَــزَى اللّهُ خَــيْــراً وَالجَزَاءُ بِكَفِّــه
بَنِـى دَارِمٍ عَنْ كُلِّ جَـانٍ وَغَــارِمِ(١١)

هُمُ حَــمَــلُوا رَحْلِـى وأَدَّوْا أَمَــانَــتِى
إِلَـىَّ ورَدُّوا فِــىَّ رِيـشَ الـقَــــوادِمِ

وَلاعَــيْبَ فِــيـهِمْ غَــيْـرَ أَنَّ قُــدُورَهُمْ
عَلَى المَالِ أَمْــثَــالُ السِّنِينَ الحَــوَاطِمِ

وأَنَّ مَــــوَارِيـثَ الأُلَـى يَـرِثُـونَـهُمْ
كُنُـوزُ المَعَــــالِـى لاكُـنُـوزُ الـدَّرَاهِمِ

وَمَـــا ضَـرَّ مَنْسُـوبٌ أَبُوهُ وأُمُّــــهُ
إِلَـى دَارِمٍ أَلاَّ يَـكُـونَ لِـهَــــاشِـمِ

١٢

إِلَى خِــدَبٌ سَــبِطٍ سِــتِّــينِى
طَــبٌ بِذَاتِ قَــرْعِــــهَـا فَطُونِ(١٢)

١٣

اسْـتَـوْدَعَـتْـهـا رَوَاقِـيـدٌ مُـقَـيَّـرَةٌ
دُكْنُ الظَّوَاهِـرِ قَــدْ بُرْنِسْنَ بِالطِّينِ(١٣)

مُكَافِــحَــاتٌ لِحَـرِّ الشَّــمْسِ قَــائِمَةٌ
كَــأَنَّهُـنَّ نَبِــيـطٌ فِى تَبَــا بِينِ

١٤

وَمُطَّرِدِ الكُعُــوبِ كَــأَنَّ فِــيــه
قُــدَامَى ذِى مَنَاكِبَ مَــضْــرَحِىٍّ(١٤)

ثانيًا: أشعار نسبت إلى القطامى وإلى غيره، ورأيى فى ذلك:

.٢١٣.

١٥

إِذَا مَـاتَ ابْنُ خَـارِجَـةَ بْنُ حِـصْنٍ
فَـلاَ مُطِرَتْ عَلَى الأَرْضِ السَّـمَـاءُ(١٥)
وَلاَ رجع الْبَـرِيدُ بِغُـنْمِ خَـيْـرٍ
ولاَ حَـمَلَتْ عَلَى الطُّهْـرِ النِّسَـاءُ

١٦

تأْبَى قُـضَـاعَـةُ أَنْ تَعْرِفْ لَكُمْ نَسَبًـا
وابْنَا نِزَارٍ فَـأَنْتُـمْ بَيْـضَـةُ الْبَلَدِ(١٦)

١٧

وَأَشْـرَقَ أَجْـبَـالُ الْعَـوِيرِ بِفَـاعِلٍ
إِذَا خَـبَتِ النِّيـرَانُ بِاللَّيْلِ أَوْقَـدَا(١٧)

١٨

إِذَا بَـرَكَتْ خَـرَّتْ عَلَى ثَفِنَاتِـهَـا
مُـجَـافِـيَـةً صُلْبًـا كَـقَنْطَرَةِ الجِسْرِ(١٨)
كَـأَنَّ يَدَيْهَـا حِينَ تَجْـرِى ضُـفُـورُهَـا
طَرِيدَانِ وَالرِّجْـلاَنِ طَالِبَـتَـا وِتْرِ

١٩

إِنْ عَـادَ لِى شَرْخُ الشَّـبِـيْـبَـةِ لَمْ تَعُـدْ
لَـيْـلَـى وَلاَ أَهْـلِـى بِـذِى الجُـدْرِ(١٩)

ـ٢١٤ـ

٢٠

تَرْوِى لَقىً أُلْقِىَ فِى صَفْصَفٍ
تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فَمَا يَنْصَهِرْ[٢٠]

٢١

ظَلِلْتُ أَسْأَلُ أَهْلَ الْمَاءِ جَائِزَةً[٢١]

٢٢

لَعَمْرُ بَنِى شِهَابٍ مَا أَقَامُوا
صُدُورَ الْخَيْلِ وَالأَسَلَ النِّيَاعَا[٢٢]

٢٣

إِذَا ضَيَّعْتَ أَوَّلَ كُلِّ أَمْرٍ
أَبَتْ أَعْجَازُهُ إِلاَّ انْقِطَاعَا[٢٣]

٢٤

مَعَهُ ضَوَارٍ مِنْ سَلُوقَ لَهُ
طَوْراً تُعَانِدُهُ وَتَنْفَعُهُ[٢٤]

٢٥

كَذَبْتُ عَلَيْكَ لاَ تَزَالُ تَقُوفُنِى
كَمَا قَافَ آثَارَ الوَسِيقَةِ قَائِفُ[٢١]

٢٦

وَانْقَضَّ قَدْ فَاتَ العُيُونَ الطُّرَّفَا
إِذَا أَصَابَ صَيْدَهُ أَوْخَطَفَا[٢٦]

٢٧

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ
وَطَعْنٍ كَتَشْهَاقِ العَفَاهَمَّ بِالنَّهْقِ[٢٧]

.٢١٥.

٢٨

وَكَلْبٌ تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ بَيْنَ هَارِبٍ
حِذَارَ الْمَنَايَا أَوْ قَتِيلٍ مُجَدَّلِ(٢٨)

وَأَفْلَتَنَا لَمَّا الْتَقَيْنَا بِعَاقِدٍ
عَلَى سَابِحٍ عِنْدَ الجِرَاءِ ابنُ بَحْدَلِ

وَأُقْسِمُ لَوْ لاقَيْتُهُ لَعَلَوْتُهُ
بِأَبْيَضَ قَطَّاعِ الضَّرِيبَةِ مِفْصَلِ

٢٩

فَخَرَّ عَلَى شُؤْمَى يَدَيْهِ فَذَادَهَا
بِأَظْمَأَ مِنْ فَرْعِ الذُّؤَابَةِ أَسْحَمَا(٢٩)

٣٠

يُسَارِقْنَ الكَلاَمَ إِلَيَّ لَمَّا
حَسِسْنَ حِذَارَ مُرْتَقِبٍ شَفُونِ(٣٠)

٣١

إِذَا وَكَرَتْ مِنْهَا قَطَاةٌ سِقَاءَهَا
فَلاَ تُعْكِمِ الأُخْرَى وَلا تَسْتَعِينُهَا(٣١)

٣٢

كَأَنَّ العُقَيْلِيِّينَ يَوْمَ لَقِيتُهُمْ
فِرَاخُ الْقَطَا لاقَيْنَ أَجْدَلَ بَازِيَا(٣٢)

الهوامش :

(١) الأساس (هزل) ويبدو أن هذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

ألا أيها اللاحي كفاك عتابا		ونفسك وفق ما استطعت صوابا .

(٢) زهر الآداب (زكى مبارك) ١ :١٤، الخزانة ١ :٣٩٢ روايتهن: يصكهن ... صك،
ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ وما بعدها روايته: يخطهن ... خط، سمط اللآلى ١ : ١٣١، ١٣٢ روايته كالخزانة، حماسة أبي تمام (التبريزى) ١ : ١٨١ روايته: يحطهن ... صك القطامى قطا قواربا، اللباب لابن الأثير ٢ : ٢٦٩، المبهج لابن جني (القدسي) ٢٨ .

(٣) وردت هذه الأبيات منسوبة للقطامي في الكلام عليه في كتاب «شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف» المخطوط بدار الكتب، وقد أورد صاحب الكتاب في التعريف بالقطامي كلامًا غريبا إذ قال: «اسمه عامر ابن شتيم ... من بني ثعلبة بن عبد الله بن جمع البكرى ... من قدماء شعراء عبد القيس» ولأن هذه الأبيات تحمل روح شاعرنا، ولأن هذا الاسم لقرب إلى اسم شاعرنا من بين من سموا بالقطامى فقد أثبتنا هذه الأبيات هنا.

(٤) زهر الآداب للحصرى (زكى مبارك) ٢ : ١٩٦ .

(٥) شمس العلوم (ط بريل) ١ق ٢ : ٣٣٢ .

(٦) الحماسة البصرية (مخطوطة بدار الكتب ٥٢٠ أدب ورقة ١٢٧) .

(٧) الأشباه والنظائر للخالديين (تحقيق د. السيد محمد يوسف ١٣٧، ١٣٨)، ويبدو أن البيت من القصيدة العينية التي مطلعها:		قفى قبل التفرق يا ضباعا		ولا موقف منك الوداعا.
وقد نبه المحقق على ذلك.

(٨) حماسة الخالديين (مخطوطة دار الكتب ٥٨٧ أدب ورقة ١٦١) .

(٩) الأساس (ريش)، وقد نبه عليه برت في زياداته.

(١٠) رسالتان لأبى حيان التوحيدى (ط الجوائب) ١٠٠، ١٢٠، هذا ولم أجده فى مرجع آخر مما بين يدىّ.

(١١) حماسة الخالديين ورقة ١٩٤، وقد وردت الأبيات فى الحماسة البصرية ورقة ٦٥ بنفس الرواية ما عدا البيت الأخير فإن روايته: منسوبا.

٢١٨.

(١٢) اللسان (فطن)، تاج العروس (فطن)، وقد ذكره «برت» فى زياداته.

(١٣) نهاية الأرب (دار الكتب) ٤: ١٤٥، وقد ورد البيتان فى ديوان المعانى للعسكرى (القدسى) ١: ٣٢٩ ورواية الأول: رواقيداً مقيرةً، ورواية الثانى: فى بساتين.

(١٤) الأساس (نكب)، وقد ذكره «برت» فى زياداته.

(١٥) اضطربت الأقول فى نسبة هذا الشعر، فبينما ينسبه ابن سلام إلى القطامى (طبقات الشعراء ـ شاكر ٤٥٣ وما بعدها) ينسبه أبو الفرج فى جملة أبيات أربعة إلى عبدالله بن الزّبير (الأغانى ١٣: ٤٠ ساسي) ورواية البيت الثانى فيه «ولارجع الوفود بغنم جيش»، ثم أورد بعدهما هذين البيتين:

ليـوم منـك خـير مـن أنـاس
كثيـر حـولهـم نعـم وشـاء

فبـورك فـى بنيك وفى أبيهم
إذا ذكـروا ونحـن لك الفداء

وكذلك ورد فى الحماسة البصرية (ورقة ٦٠) منسوبا إلى ابن الزبير ضمن أبيات ثلاثة مع اختلاف فى الرواية وقد ورد فى (حماسة ابن الشجرى ١٠٩، وفوات الوفيات لابن شاكر (محيى الدين) ١: ١٩) منسوبا إلى الأخطل ضمن أبيات أربعة على ما فى الأغانى، ورواية البيت الأول فى ابن شاكر: إذا مامات خارجة بن حصن، ورواية الثانى: ولارجع البشير بغنم جيش، ورواية الثالث: فيوم منك خير من رجال، ورواية الرابع: فبورك فى بنيك وفى بنيهم ٠. وإن كثروا....

(١٦) شرح المفضليات للأنبارى (بيروت ١٦٤)، نسب هناك للقطامى، ولكنا نستظهر أنه للراعى، فقد ورد منسوبا إلى الراعى مع بيت آخر فى الأغانى ٢٠: ١٧٢، طبقات الشعراء (شاكر) فى ترجمة الراعى، وفى اللسان (بيض)، ونص البيتين للراعى يهجو ابن الرقاع العاملى:

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم
يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاعة لم تعرف لكم نسبا
وابنـا نـزار فأنتـم بيضـة البـلد

(١٧) ورد هذا البيت فى معجم ما استعجم للبكرى (باريس) ١: ٦٨٦ على صورة توهم أنه للقطامى، حيث ذكر البكرى بيتا للقطامى بقوله «مثل قول القطامى»، ثم قال: «وقوله»: وذكر هذا البيت، وعلى كل حال فقد فهم المستشرق «برت» أن هذا البيت للقطامى وذكره فى زياداته، ولكنه لورجع إلى ديوان الأخطل (بيروت صـ ٩٦) لوجده هناك، وروايته: وتشرق.

(١٨) نسبا فى الحماسة البصرية ورقة ٢٣١ إلى القطامى، ونسبا فى الأشباه والنظائر (تحقيق د. سيد محمد يوسف) صـ١٩٠ إلى ابن أحمر، ورواية البيت الثانى فى الأشباه والنظائر: كأن يديها حين جد نجاؤها.

(١٩) أورد البكرى هذا البيت بقوله (معجم ما استعجم (السقا) ٣٧١): «وقال صريع الغوانى، وقد علق المحقق على ذلك بقوله: «هو عمير بن شييم القطامى التغلبى أول من لقب صريع الغوانى قبل مسلم بن الوليد».

(٢٠) نسب البيت فى (مقامات الزمخشرى ٧٧) إلى القطامى، ونسب فى اللسان (لقى) إلى ابن أحمر.

(٢١) ورد هذا الشطر فى اللسان (جوز)، الصحاح (جوز) منسوبا إلى القطامى، وجاء فى اللسان «وهى الشربة من الماء، ولكن الصاغانى (التكملة ٣: ١١٨) قال: «والبيت لعدى بن الرقاع» هذا وقد ذكره «برت» فى زيادات الديوان.

(٢٢) نسب البيت إلى القطامى فى اللسان، تاج العروس (نوع)، المخصص ١٤: ٣٥، وفى «ألف باء للبلوى» ورد غير منسوب، وجاء فى لسان العرب: «قال ابن برى البيت لدريد بن الصمة»، وقد نبه الأستاذ الميمنى على مثل هذا (هامش سمط اللآلى ٢: ٨٣٦)، وقد نسب فى الاقتضاب لدريد بن الصمة (٣١٠) وأورد تكملة له، ونحن نستظهر من كل هذا أن البيت لدريد بن الصمة.

(٢٣) ورد هذا البيت فى (مختصر اختيار الشريف الرضى - مخطوطة دار الكتب ١٥٠٠ أدب ورقة ٨) مع بيت آخر للقطامى هو: وخير الأمر ما استقبلت منه... إلخ، ومع أننا لم نعثر فى مرجع آخر على قائل لهذا البيت إلا أن ورود الشعر غير منسوب فى هذا المرجع حال بيننا وبين القطع بنسبة البيت للقطامى، وقد ورد البيت فى الصناعتين (الخانجى ١: ١٠٠) غير منسوب وروايته: إلا التواء.

(٢٤) ورد البيت فى (الحيوان - الجاحظ - هارون ٢: ١٩٨) منسوبا إلى القطامى، وقد علق المحقق بقوله: «لم أجد هذا البيت فى ديوان القطامى ووجدت شبيها به» ثم ذكر البيت:

معهم ضوار من سلوق كأنها

حصن تجول تجرر الأرسانا

(٢٥) اللسان (قوف)، تاج العروس (قاف، كذب) ورد منسوبا إلى القطامى فى المرجعين، وفى اللسان «قال ابن برى البيت للأسود بن يعفر».

(٢٦) البيت فى تاج العروس (خطف) منسوب إلى القطامى، وهو فى اللسان (خطف) منسوب إلى العُمانِىّ. هذا وقد ذكره «برت» فى زياداته.

(٢٧) نسب الأستاذ الميمنى هذا البيت للقطامى (هامش سمط اللآلى ١: ٥٩٩)، والحقيقة أنه لحنظلة بن شرقى كما فى اللسان (سكن، عفا) والاقتضاب ٤٨٦.

(٢٨) نسب الأستاذ جورجى زيدان هذه الأبيات للقطامى (تاريخ آداب اللغة العربية - راجعه شوقى ضيف - ١: ٣٤٤، ٣٤٥) ولكن الأبيات لعمير بن الحباب (الأغانى ٢٠: ١٢٥).

(٢٩) البيت فى اللسان (شأم) منسوب إلى القطامى، وورد فى المخصص مرة منسوبا للقطامى وغيره (٢: ٣) وورد منسوبا إلى القطامى مرة أخرى ٥: ١٩١، وقد نبه المعلق على هذا البيت قائلا: «قول على بن سيده فخر..إلخ خطأ فاحش والصواب المجمع عليه أن هذا البيت للأعشى الأكبر»، ورواية المخصص فى المرة الأولى: فأنْحى على شؤمى يديه، وفى المرة الثانية كرواية اللسان، وقد رجعت إلى ديوان الأعشى تحقيق د. م محمد حسين فوجدت البيت صـ ٢٩٥ ونصه:

فأنحى على شؤمى يديه فزادها بأظمأ من فرع الذؤابة أسحما

هذا وقد ذكر «برت» البيت فى زيادات الديوان.

(٣٠) البيت فى اللسان (شفن) منسوب إلى القطامى، وقد ورد فى شرح التبيان ٣: ٢٥، وهو وارد فى زيادات شعر الطرماح (أوربا) على أنه له، وقد ذكره «برت» فى زياداته.

■٢٢٠■

(٣١) ورد البيت فى معجم مقاييس اللغة (ابن فارس - هارون ٤ : ١٠٠) منسوبا إلى القطامى، ولكن الجاحظ أورده فى الحيوان (هارون ٥ : ٥٨٧) منسوبا إلى البعيث من قصيدة طويلة فى «القطا» ورواية الحيوان: «إذا ملأت منها» قال المحقق فى معجم مقاييس اللغة: «البيت من أبيات رواها الجاحظ للبعيث... وهى النسبة الصحيحة، وليست فى ديوان القطامى»، هذا والبيت وارد على أنه لذى الرمة فى (ديوانه صـ٦٤٨ ط أوربا) وروايته: إذا ملأت.... فلاتنظر الأخرى.

(٣٢) ورد البيت منسوبا إلى القطامى فى شرح شواهد الأشمونى للعينى ٣٣٧، وفى شرح الشواهد الكبرى ٤ : ٣٤٦، لم علق فى شرح الشواهد الكبرى بقوله: «ويقال قائله جعفر بن علبة الحارثى، وقبله وهو أولها:

ألا لا أبالى بعد يوم بسحبل
إذا لم أعذب أن يجىء حماميا .. إلخ.

ونحن نستظهر ذلك فقد ورد البيت فى الأغانى ١١ : ١٤٢ (ساسى) منسوبا إلى جعفر بن علبة وروايته:

كأن بنى القرعاء يوم لقيتهم ∴ فراخ القطا لاقين صقرا يمانيا، ويروى : كأن العقيليين.

فهارس الديوان

١ـ فهرس الأعلام الواردة في شعر القطامي :

٢ـ فهرس الأعلام الواردة فى شرح الديوان :

٣ـ فهرس القبائل والبطون والأماكن ونحوها الواردة فى شعر القطامى :

٤- فهرس القبائل والبطون والأماكن ونحوها الواردة في شرح الديوان :

٥ـ فهرس القوافى :

القافية	الصفحة	رقم القصيدة أو القطعة
ذهبا	١٤٤	٢٧
صوابا	١٢٢	٢٢
تطويا	١٤٧	×
بذاهب	٨٩	١٥
يغلب	١٣٤	٢٤
حابلات	١٤٦	٢٨
مراحا	٥٣	٨
الطادى	١٣	٢
ادكار	١٤٩	٢٩
العزر	١٠٨	١٩
استعارا	١١٢	٢٠
المغبرا	٥٧	١٠
أمرا	١٤٨	×
بكرِ	١١٨	٢١
قترِ	١٤١	٢٦
أجاوره	٣٦	٤
الخزاز	٤٢	٥
المجالس	٥٠	٧
الوداعا	٦٨	١٣
الضعائف	٤٤	٦
حرجف	١٦٦	٣١
المعنق	٦١	١٢

٢٣٢ـ

٦ـ فهرس القوافى فى الملحق :

القافية	الصفحة	رقم القصيدة أو القطعة
السماء	٢١٣	١٥
بابا	٢٠٧	١
القواريا	٢٠٧	٢
حاجاتى	٢٠٧	٣
البلد	٢١٣	١٦
أوقدا	٢١٣	١٧
الجسر	٢١٣	١٨
الجُدْر	٢١٣	١٩
ينصهر	٢١٤	٢٠
دياجره	٢٠٧، ٢٠٨	٤
جائزة	٢١٥	٢١
انقطاعا	٢١٥	٢٣
ارتفاعا	٢٠٨	٧
النياعا	٢١٥	٢٢
الكراع	٢٠٨	٥
يطمع	٢٠٨	٦
تنفعه	٢١٥	٢٤
أخطفا	٢١٥	٢٦
قائف	٢١٥	٢٥
يصف	٢٠٨	٨
أحناقا	٢٠٨	٩
النهق	٢١٤	٢٧

ـ٢٣٤ـ

٧ - فهرس الأعلام والقبائل والبطون في الملحق :

الباب الثالث

شعر القطامى

تمهيد :

تكلمنا فى الباب الأول عن البيئة العامة للقطامى، وعن البيئة الخاصة له، وكنا ندرك أننا نتكلم عن حقائق أدبية وتاريخية، ومن ثم فقد تقيدنا بالمصادر والمراجع تقيداً كبيراً، فلم نعمد إلى ذكر حقيقة إلا وسندها يؤازرها، ولم نقدم على استنتاج إلا مستندين إلى مصدر أو مرجع، ولذلك ازدحم الباب الأول بالمصادر والمراجع ازدحاماً مقصوداً أملته طبيعة البحث.

وفى هذا الباب نواجه الإنتاج الشعرى للقطامى، وما نريد أن يحول وسيط بيننا وبين هذه المواجهة، فسنحاول ألا يكون فى هذا الباب إلا نفسنا مع نفس الشاعر، وسنحاول أن نتفاعل معه فى إنتاجه، وأن نرصد من خلال ثقافتنا هذا الإنتاج، ونستبطن الشاعر ونقطع معه رحلة الحياة، ولذلك فإننا نتوقع أن تقل المراجع والمصادر هنا فلا يذكر منها إلا ما تمليه الضرورة.

وسيتناول هذا الباب ثلاثة فصول، نعرض فى أولهما أغراض شعره، ونحلل فى الثانى هذا الشعر، ثم نقوم القطامى فى الثالث تقويماً عامّا مستعينين فى ذلك بشعراء عصره من ناحية، وبآراء النقاد القدامى والمحدثين من ناحية أخرى، ثم برأينا الشخصى وراء كل ذلك.

وينبغي أن نضع في الحسبان أن القطامي لم يتناول أغراضه الشعرية تناولا يعتمد على استقلال كل غرض، وإنما هو ككل شعراء نوعه يخلط بين هذه الأغراض خلطاً، فنجد القصيدة لديه مشتملة على الغزل الذي قد ينتهي إلى المديح أو الفخر أو الهجاء.. إلخ، ونجد وصف الديار والرحلة والناقة ومعطيات الطبيعة، كل ذلك في قصيدة واحدة، وهذا طابع الشعر القديم عموماً والجاهلي بنوع خاص، ولا ننسى أن الشعر في بيئة القطامي كان إحياء للشعر الجاهلي فتشابه معه تشابها يكاد يكون كاملاً، فتقسيم شعر القطامي إلى أغراض عملية أملاها علينا منهجنا، وليست عملية طبيعية في داخل هذا الشعر، على أن ذلك لن يفوت علينا شيئاً مما تقتضيه الدراسة، ومما يساعدنا على ذلك أن هذه الأغراض لا يوجد بينها تلاحم عضوي يجعل الفصل بينها شيئاً عسيراً، فدراسته على هذا النحو سليمة مادمنا سنحقق فيها كل عناصر الدراسة من تناول المضمون والشكل، وتحليل الأغراض ورصد الظواهر، وسيكون الفصل الأول بمثابة أرضية تعرض فيها جوانب الشاعر، ونمسها مسّا خفيفاً، ونرسم لها صورة عامة، ونحدد لها إطارها، ثم نرتكز على هذه الأرضية حين نتوسع في دراسة هذه الأغراض، كل ذلك حتى يتسلسل العمل تسلسلاً منطقيًا يعطيه الوضوح والسهولة.

ولا يفوتنا أن نقول إنه تتبقى ـ بعد أن نحشد كل مجموعة من النماذج تحت غرض معين ـ بعض الأشعار التي لا يمكننا وضعها في أيٍّ منها(١)، ولكن ذلك لا يؤثر مطلقاً في إعطائنا صورة واضحة لشعر القطامي، وهو ما نهدف إليه.

الهوامش :

(١) فله كلام فى شكوى الزمان (الديوان ١٢٩ ، ١٣٠) وله كلام حول الشعر والهموم (الديوان ٦٤) وآخر إذا مات (الديوان ٩٦) .

الفصل الأول

أغـراض شـعره

١ـ فى المجال القبلى :

آثرنا اختيار هذا العنوان فيما نحن بصدده من أغراض شعر القطامى؛ لأنه أوسع مفهوماً من عنوان آخر كالفخر مثلا؛ ولأن شعر القطامى فى هذه الناحية يساعدنا على ذلك الاختيار، ومن الممكن أن نطلق على القطامى ـ ونحن مطمئنون ـ شاعر القبيلة، فذلك هو الوجه الواضح لشاعرنا، وشعر القبيلة خط عريض من الخطوط التى نسجت هذا الشعر.

وإذا استعرضنا شعر القطامى فى هذا المجال وجدناه يكاد يستوعب جوانب القول استيعاباً، ولا شك أن الفخر بالقبيلة عنصر هام من عناصر الشعر القبلى، والقطامى يوفى هذه الناحية توفية تامة، فلا نكاد نجد قصيدة من قصائده إلا والفخر بالقبيلة يتخللها، وهذا الفخر متعدد الجوانب، فهو فى أكثر الأحيان فخر بأيام القبيلة ووقائعها وما حققته فى تاريخها القديم والحديث من انتصارات، وكيف أنها عزيزة كثيرة التعدد موفورة العُدد، وأن لها فى الحروب قدمًا ثابتة وتاريخا طويلًا، وهو أحياناً فخر بأصل القبيلة، وجذورها العميقة التى تنزع إلى أكرم عناصر العرب، وهذا يستلزم العزة التى تجعل القبيلة أهلًا لأن تجير الطريد وتؤمن الخائف، وترد مواقع الماء والكلأ دون أن يفكر قبيل فى أن يرد حماها، ويدخل فى هذه الناحية تمجيده للبداوة، وإشادته بأنهم أصحاب غارة،

على أننا نشاهد القطامى على الرغم من اعتزازه الكامل بقبيلته وتغنيه بانتصاراتها يقف موقف الإنصاف فى أحيان كثيرة فيذكر ماله وما عليه، ويقول إننا جَرحنا وجُرحنا، وصبرنا وصبر العدو.

كل ذلك قد وفاه شعر القطامى فى إسهاب. وفى المجال القبلى عنده نشاهد شيئًا آخر هو حرصه على أن تظل الوشائج بين الأقرباء مرعية، وأن يحرص العقلاء على جمع الشمل، ونراه حزيناً لأن دماء ذوى القربى تراق حتى لتكاد العصبية القبلية تضطرب على يده[1].

وهو فى هذا المجال أيضاً يدعو أهله إلى عدم التفرق، ويضرب لهم الأمثال من الماضى، ويمدهم بتجارب الشاعر الخصيبة.

واضطرابه فى هذا المجال القبلى حتم عليه أن يذكر مثالب القبائل الأخرى ويهجوها أحياناً، ولقد كنا على وشك أن نفرد فخر القطامى الشخصى بعنوان خاص وحديث خاص، ولكنا رأيناه مرتبطا ارتباطاً وثيقاً بالناحية القبلية، فهو دائماً يلوذ بها، ويتخذ منها سنداً وعضداً يعتمد عليه فى فخره، حقاً لقد افتخر ببعض الصفات الشخصية كالكرم والشجاعة، ولكن هذه الأشياء على قلتها تدخل فى النطاق القبلى أيضاً فهى مفاخر جماعية كما أنها مفاخر شخصية، والجانب الأكبر من فخره الشخصى يدور حوله عزته بقومه، وأن له منهم ركناً شديداً.

لقد ألح القطامى على هذا الجانب إلحاحًا متكرراً، وجوّده تجويداً عجيبًا، حتى ليحسب الناظر فى شعره أنه استحال إلى لسان خالص للقبيلة يعيش لها، ويفنى فيها، ويتخذ من إمكانياته الفنية سلاحاً يحمى به حماها، ويقدم شاعريته قرباناً فى مذبحها، ومن ثم فإن شعر القطامى فى هذه الناحية يعتبر وثيقة تاريخية بالغة الأهمية لاضطراب تغلب فى الحياة وحروبها مع القبائل الأخرى

وبخاصة قبيلة قيس، هذا إلى ما فيه من ذكر للأيام القديمة فى الجاهلية، وللأيام التى جدت فى الإسلام، ووصف للحياة القبلية، ونظمها الاجتماعية، وقيمها الغالية التى كانت تدين بها.

٢ ـ الوصف:

يمثل الوصف جانباً كبيراً من الشعر القديم، ولقد ساعد على ذلك طبيعة الحياة التى كان يحياها الشاعر آنذاك، فالطبيعة الواسعة، والحواجز المعدومة، والهدوء العريض، وتوقع الغارة، كل ذلك قد أرهف حواس الشاعر زيادة على ما فيها من رهافة طبيعية باعتباره شاعراً، والحواس المرهفة تلتقط الأشياء بجلاء وتتفرس فيها بعمق، وهذا يدعوها إلى أن تصفها، وأن تعقد لها المشابه والنظائر(٢).

ونحن نجد هذا الجانب واضحًا فى شعر القطامى، فقد وصف الأشياء التى وقعت تحت بصره وحسه، وكان شعره الوصفى سراجاً أضاء لنا حياته، وأوقفنا على سمات عيشه.

ومن معالم الحياة التى وصفها الأطلال الدارسة والمنازل العافية، وهو وإن كان لا يقف طويلاً عند هذه الناحية إلا أننا نستجلى مما قاله فيها صورة واضحة لما يريد، وهو يصف لنا من مظاهر الطبيعة الصامتة كذلك السراب والهجير، والبرق والسيل، وما يمكن أن يعيش تحت حس الشاعر الذى يعيش فى البيداء، وحديث الخمر من الأمور المحببة إليه، وقد وصفها، وذكر تعاطيه لها، وتحدث عن ندمانه، وعرض لمجالس الخمر وحاناتها وأصحاب تلك الحانات.

وفى جانب من الجوانب التى تتصل بالقبيلة وصف الحرب والمعارك، فرأينا له شعراً فى الجيش الضخم، وشعرا فى وصف الخيل، وحديثًا عن

السيوف والرماح، وبالجملة فقد أعطى الحروب من شعره جانبًا لكنه ليس كبيراً.

أما ناحية الوصف التى ركز فيها القطامى تركيزاً غريبًا، وفصلها تفصيلا شاملًا فهى وصف الإبل فهو مولع بهذا كل الولوع، لا يدع فرصة تمر دون أن ينفذ منها إلى ناقته، وإلى الظعائن والإبل عمومًا فيصفها وصفًا تفصيليًا، ويستوعب جوانبها المختلفة، ولا نريد أن نذكر كل ذلك فى هذا الموضع، وإنما ندخره لتحليل شعره، وبحسبنا أن نقول إنه توسع فى هذه الناحية ووفى جوانبها، فهو ينفذ من الغزل إليها، ومن الفخر إليها، وهو حين يفخر يشبه نفسه بفحل منها، ويقرى الهموم بنجيبة منها.

والخلاصة أن هذه الناحية تأخذ كثيراً من اهتمامه، وتطالعنا فى أغلب شعره، وهى بذلك علامة كبيرة تحدد لنا ـ على نحو واضح ـ الاتجاه الشعرى عند القطامى.

٣ ـ الغزل:

والغزل من الموضوعات المحببة لدى القطامى، وديوانه ينضح بحديث الشباب والغانيات، وهو يتخذ الغزل فى معظم الأحيان افتتاحيات يمهد بها لما يريد أن يطرق من أغراض، إلا أن حديث الغزل يطول عنده أحيانًا حتى لنحس أنه طول مقصود، وأنه لم يعد واسطة لشىء آخر بل أصبح فى ذاته غاية وهدفًا، وهو أحيانًا يعمد إلى حديث الغزل بعد أن يكون قد قطع شوطاً فى غرض آخر فيراوح فى صلب القصيدة بينه وبين غيره من الأغراض.

والقطامى يذكر لنا أسماء كثيرة لمحبوبات لها بهن، أو تمنى وصالهن، أو اتبع قلبه ظعنهن، وهو يحدثنا عن أخلاق الغوانى حديث الخبير، وكيف أنهن متلونات مخلفات للوعود، ويتحسر على أيام الشباب؛ لأنهن لا يعطفن على

أشيب، وإذا دعونه بعمهن فياويله! إن النتيجة تكون صدوداً وهجراناً وإهمالًا، وهو يفيض فى صفات محبوباته فيصف الثغر والريق والأسنان، ويصف الحلى والطيب، ويصف الأحاديث وكيف أنها تنقع الغلة وتبل الصدى، ويعود فى أحيان قليلة إلى ذات نفسه فيصف لنا إحساسه بمحبوبته فى لمحات سريعة.

وهو يتخذ التشبيه سبيلًا إلى وصف ما قدمناه فيعقد شبها بين ريق حبيبته والغمام، وبين وجهها والبرق، وهو يشبهها بالغزال، وبالسراج، وببيضة النعام، وبدرة الغواص، ويستطرد فى جلاء الشبه به ما شاء له الاستطراد.

والذى نلاحظه أن الناحية الحسية تطغى على غزل القطامى، وسنذكر بالأدلة فى تحليل شعره ما إذا كان غزله وليد تجارب حب أم أنه مجرد لهو ومتعة واتباع للأقدمين.

ولابد أن نعيد هنا ما أشرنا إليه ونحن نتحدث عن أخلاقه من أن حديث الفراش أثير لديه، وقد استمعنا إلى ذلك منه أكثر من مرة.

وسنكتفى الآن بهذه المعالم الرئيسية الموجزة لغزل القطامى على أن نعود إليها بشىء من التفصيل، ونحن لا نطمع فى أن نقدم هنا سوى اللمحات التى تضىء لنا غيابات الطريق.

٤ ـ المدح:

يحتل المدح جانباً كبيراً من شعر القطامى، ونطالع فى ديوانه مجموعة من الأسماء المشهورة فى عصره أشرنا إلى بعضها حين تكلمنا عن اتصاله بالناس، فممن مدحهم القطامى عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعبد الواحد بن الحارث بن الحكم وأسماء بن خارجة وهمام بن مطرف وأيوب بن القرية، أما اتصاله الفعلى بهؤلاء الممدوحين فأمر يحيط به الغموض ولا نستطيع أن نقول

فيه برأي قاطع، وهو حلقة في سلسلة الغموض الذي يحيط بحياة هذا الرجل عموماً، ولكنا نستنتج أنه ربما وفد على الوليد ومدحه مواجهة، وقد ذكرنا ذلك ثمة، وأما زفر بن الحارث فإننا نرجح أنه اتصل به اتصالاً مباشراً، ففي أخباره أنه أسر في حروب قيس وتغلب فمن عليه زفر ورد عليه ما له، وقد انطلق لسان القطامي بالمدائح العديدة فيه، فإذا استحضرنا قرب المنازل زيادة على تلك الصلة العميقة رجح لدينا قيام صلة بين زفر وبين الشاعر، وأما أسماء بن خارجة، وعبد الواحد بن الحارث؛ ففي شعر القطامي ما يدل على قيام صلة مباشرة بينهما وبينه، يقول في مدح عبد الواحد:

أقول للحرف لما أن شكت أصلا

مت السفار فأفنى نيها الرحل

إن ترجعي من أبي عثمان منجحة

فقد يهون على المستنجح العمل

ويقول لناقته في مدح أسماء:

وعليك أسماء بن خارجة الذي

علم الفعال وأدب الفتيانا

إلا إذا كان ذلك مجرد اتباع للشعراء القدماء الذين جروا في مدحهم على هذا النحو من مخاطبة الناقة، وتبشيرها بعظم الراحة بعد طول الكلال وما إلى ذلك.

تلك هي الشخصيات التي مدحها القطامي، وهو أحياناً يستطرد من مدح الشخص إلى مدح القبيلة كما مدح قريشاً وهو يمدح عبد الملك وعبد الواحد، وفي ملحق الديوان قصيدة له في مدح بني دارم. أما المعاني التي تدور عليها

هذه المدائح فهى الشجاعة وكرم اليد وكرم الأصل، وسيادة الممدوح لقومه، وكيف أنه يقدم الصنائع ويصلح بين الأحياء، وما إلى ذلك من معانى المديح. ويقول لزفر إنه قد قدم إليه جميلا لا ينسى، وأسدى إليه يدا لا تكافأ، وهو يحس بهذا الجميل إحساسًا كاملًا، ويجود مدح زفر ويكثر منه، الأمر الذى جعل مدائحه فيه تختلف عن بقية مدائحه مما سنبسط القول فيه فى الفصل التالى.

٥- الحكمة:

حين تشيع الحكمة فى شعر شاعر فإن لذلك أكثر من دلالة، فهى تدل على اتساع تجارب هذا الشاعر حتى استطاع أن يجمع من الحوادث، ومن مجموعة المواقف التى واجهها قانوناً عاما يصدر على أساسه حكمًا معيناً، ولن يتأتى اتساع التجارب إلا بالثقافة، وليس المهم أن تكون الثقافة قراءة التراث والاطلاع على قرائح الأذهان، وإنما يكفى أن ينغمر المرء فى تيار الحياة ويخالط الناس ويحتك بهم، وحينئذ سيخرج بنصيب ضخم من التجارب التى تمتلئ بها الحياة العادية، ولما كانت مواجهة الحياة والتمرس بها على هذا النحو محتاجة إلى زمن، وبقدر طول هذا الزمن وعمقه تتسع التجارب، فإن لشيوع الحكمة فى شعر شاعر دلالة أخرى، وهى أن هذا الشاعر بلغ من السن مرحلة هيأته لفهم الحوادث ومنازع الناس، وتكوين حكم عام فى كل ذلك.

وقد رأينا القطامى يلقى فى غمار الحياة بكل نفسه، وقف نفسه على القبيلة، وهذا يحتم عليه ألا يعيش فى برج عاجى، وأن ينزل إلى محيط الناس، ويتعرف على تاريخ قبيلته والقبائل الأخرى، ويدرس نفسية الناس حتى يستطيع أن يتحدث إليهم حسبما يمليه الموقف، وهو لم ينزل إلى زحمة الحياة لهذا السبب فحسب، وإنما ليمدح ويحصل على لقمة العيش بجانب ذلك وهذه الأشياء كلها ثقافة وعلم، ومن ناحية أخرى قد أتيح للقطامى عمر طويل تغشى الشيب معه مفرقه كما أشار هو إلى ذلك أكثر من مرة.

لا عجب إذن أن رأينا الحكمة تتخلل شعره، وتتردد فيه كثيراً، وتلخص لنا رأيه فى الناس والأحداث؛ لأنه قد اجتمعت له مقومات الحكمة التى بيناها.

ولن نعرض لشعر الحكمة عنده هنا على نحو مفصل فلذلك موضعه، ويكفى أن ننثر هنا بعض الحكم ونشير إليها فى إيجاز إلى أن ندرسها بعد ذلك على نحو مفصل، فقد أعطانا القطامى رأيه فى الزمن وعدم بقائه على حال، وفى النساء وتلونهن، وفى الغيب وتحجبه، وقال لنا إن المصائب تجعل الإنسان المخلص ينسى الحفيظة والموجدة، وقال لنا إن الناس لا يقدرون إلا الناجح، وإن الأمور يجب أن تعالج قبل أن تستفحل، وإن التجارب تكسب الإنسان حصافة وحلماً وتيقظاً، وإن المفسدين إذا توالوا على شيء فصلاحه بعيد، وإن الطمع غير مجد، وإن الغدر عار، وإن الذى لا سند له كذى الجناح الكسير، وإن للكلمة من الوخز والنفاذ ما ليس للإبرة.

وبذلك كانت الحكمة جانباً من جوانب القطامى ينبغى أن يدرس، وغرضا من الأغراض التى استهدفها من حقنا عليه أن ننظر فيه لنرى ما له وما عليه.

٦ ـ الهجاء:

جهدنا ونحن نبحث عن شعر الهجاء فى ديوان القطامى، وقد كنا نظن أنه باعتباره شاعر قبيلة لابد وأن يكثر من هذا النوع، فمديح قبيلته يسوقه إن طوعاً أو كرهاً إلى هجاء الآخرين، ومن ناحية أخرى فإن الشعر القبلى عند جرير والفرزدق والأخطل يمتزج بالهجاء امتزاجاً، ويكثر هذا الهجاء أحياناً ويفحش حتى يجاوز كل خلق وكل منطق، ولكنا لم نجد لذلك أثراً عند شاعرنا اللهم إلا بعض أطياف من شعر الهجاء نلمحها عابرة هنا وهناك، وقد سلك القطامى إلى جانب ذلك أسلوباً معيناً فى الهجاء لم يتخل عنه، وهذا الأسلوب يجعل من الممكن أن نسلك شعره الهجائى فى محيط الشعر القبلى إن سلمنا بأن

الوجه المقابل للانتصار للقبيلة أو الرهط هو التقليل من قيمة الشانئين وذكر بعض مثالبهم، وهو ينزع هذا المنزع القبلى فلا يذم شخصاً إلا ويذكر له ذمّاً فى قبيلته، وقد رأينا له هجاء فى الأخطل وقومه، وآخر فى قبيلة محارب، وثالثاً فى قبيلة رزام، وقد دارت معانى الهجاء عنده حول الجبن فى الحروب ومحاولة الهرب، والاشتغال بالأنفال التافهة على حين يشتغل الغير بالضرب والطعان، وقد هجا قبيلة محارب بالبخل، والهجاء بالبخل أمر عادى، ولكن الشيء غير العادى فى نظرنا هو الأسلوب الذى سلكه، والذى وعدنا بدراسته، ومن معانى الهجاء لديه رميه المهجو بأنه تافه لا يسأل عنه إذا غاب.

وعندما هجا رزام أشار إلى معنى معين وهو أنهم لا يختتنون، وقد أخذنا من هذا القول دليلا على إسلامه، وبينا وجهة نظرنا فى ذلك ونحن نتحدث عن عقيدته.

هذا هو الإطار العام للأغراض الشعرية التى طرقها القطامى، ومن الممكن أن ندخل كل شعره فيها مع تجوز بسيط فى بعض الأحيان، وهناك أبيات لا تدخل فى غرض من هذه الأغراض إلا أنها من القلة بحيث لا نستطيع أن نضع لها غرضاً مخصوصاً، وقد أشرنا إليها فيما سبق. والناظر فى أغراض الشعر لدى القطامى يرى أنه قد اختلف اهتمامه بها من ناحيتى الكم والكيف، ولعل ذلك قد اتضح على نحو ما من الكلام السابق، فنحن نرى الغرض القبلى هو العنصر الغالب على شعره من ناحية الكم، وهذا ما سوغ لنا أن نتحدث عنه أحياناً باسم شاعر القبيلة، فهو حريص على الكلام عن قبيلته وأمجادها، وهو يكمل حديثه فى أى غرض بذكر شيء من هذه المفاخر، هذا إلى أنه فى كثير من الأحيان يعقد لحديث قومه وأجداده وخوضهم المعارك شعراً صافياً لا تتخلله أغراض أخرى، وإذا تركنا المجال القبلى وجدنا شعر الوصف يحتل المكان الثانى عند الشاعر، وفى داخل هذا الوصف يفوز وصف الإبل بنصيب

الأسد، وهو يعمد إلى أسلوب الاستطراد فى هذا الوصف حتى استطاع أن يجعل الشعر الوصفى فى ديوانه من الكثرة بحيث يأتى فى المرتبة الثانية، وفى المرتبة الثالثة يأتى شعر الغزل، وقد تبع القطامى بعينيه كل هودج، وجرى طويلًا فى إثر الغوانى، وقطع معهن جانبًا كبيراً فى رحلة الحياة، ولذا أفعم شعره بالغزل، واحتل مكاناً ظاهراً سوغ لنا أن نجعله بعد غرضى القبيلة والوصف. وفى المرتبة التالية يطالعنا شعر المديح، والظاهر أن القطامى لم يكن على جانب من الثراء مما حمله على أن يمدح وجوه الناس ليكون ذلك بابا من أبواب رزقه، وقد ذكرنا أسماء الشخصيات التى مدحها، وكثير من قصائد الديوان معنونة بالمديح إلا أن القطامى كان يطيل فى حديث الفخر والغزل والوصف وما إلى ذلك حتى يصل إلى المديح وهو مجهد فيكتفى منه بالقليل، وهذا ما جعل مدائحه الخالصة تحتل بالنسبة لأغراض شعره هذه المرتبة، وإذا فرغنا من هذه الأغراض طالعنا فى المرتبة التالية شعر الحكمة، وقد أغرم القطامى بهذا النوع من الشعر ينثره فى ثنايا القصائد ويوزعه على الأغراض المختلفة، فأنت تراه يلتفت إليك من حديث الغزل فيعطيك حكمة ثم يستمر، ويلتفت إليك من حديث القبيلة فيعطيك حكمة ثم يستمر وهكذا، ومن الطبيعى أن يكون شعر الحكمة قليلًا من ناحية الكم؛ لأنه يعتمد دائمًا على تركيز أكبر معنى فى أقل لفظ، وهكذا وجدناه فى شعر القطامى يقل بشكل ملحوظ فلا يأتى بعده فى القلة سوى شعر الهجاء الذى يفوز بالمرتبة الأخيرة من عناية الشاعر، ولا يطالعنا إلا فى أحيان قليلة يسهل إحصاؤها. ذلك هو الترتيب الذى يمكن وضعه لأغراض شعر القطامى، واختلافها من حيث الكم، وقد وضعناه بعد أن استعرضنا شعره وصنفناه فجاءت النتيجة على هذا النحو الذى أكد لنا أن القطامى شاعر قبيلة يعطيها من إنتاجه الجانب الأكبر ثم يفرغ لبقية أغراض الشعر بعد ذلك.

فإذا فرغنا من ترتيب أغراض الشعر لدى القطامى من ناحية الكم، وجئنا نرتبها من ناحية الكيف، وأردنا أن نعرف منزلة كل غرض بالنسبة لغيره فى الجودة فإن الترتيب السابق لا يسعفنا، ونرى أنفسنا مضطرين إلى ترتيب جديد يختلف عن السابق فى أشياء ويتفق معه فى أشياء.

وبنظرة من زاوية أخرى فى هذه الأغراض نضع الوصف فى المنزلة الأولى؛ فقد رأينا الشاعر يهتم به اهتمامًا كبيرًا، ويحشد له كل الإمكانيات الفنية التى لم يحشد مثلها لغيره من أغراضه، فحواسه دقيقة متيقظة، وهو يلتقط معطيات الطبيعة بجانبيها الحى والصامت فيتعمقها ويفحصها ثم يخرجها لنا إخراجًا فنيًا دقيقًا، وهو يغرق فى هذه الناحية إغراقًا يدخل فى نطاق التجويد الفنى، وبخاصة عندما يصف الإبل، وبهذا المستوى يسير فى شعره الوصفى حتى يحله المنزلة الأولى، ويأتى بعد ذلك مباشرة شعر القبيلة، والحقيقة أن الشاعر كان مخلصًا لوضعه الاجتماعى كشاعر قبيلة، وقد أدى ضريبة ذلك كاملة، ومجد تاريخ قومه، وأسهم فى الحركة الحربية ماديًا وفنيًا فكان صادق المشاعر صادق الدفاع، وعلى الرغم من كل ذلك فقد جاء شعره فى هذه الناحية بعد الشعر الوصفى من الناحية الفنية، وليس لدينا إلا تعليل واحد لذلك وهو أن شعر الوصف فنى بحت فمجال التجويد فيه متسع، ولكن الشعر القبلى فيه عنصر الفرض على الشاعر أحياناً، أعنى أنه يكون ملزمًا به فى بعض الأوقات وإن لم يكن متهيأ له من الناحية النفسية، وبعد هذين الغرضين يأتى غرض المديح، وشعره فى زفر بن الحارث هو الذى خول لنا أن نضع مديحه هذا الموضع؛ ففيه من الجودة الفنية والصدق الشعورى ما يحله هذا المحل، والغزل يحتل المرتبة التالية، وحديث الغرام مظنة التجويد، وهو جيد فعلًا عند القطامى إلا أننا كنا نحس فى أحيان كثيرة ـ سنعرض لها ونفصلها ـ أن القطامى يتغزل لمجرد أن الأقدمين تغزلوا، أو لمجرد أن الجرى

على عمود الشعر يفرض عليه هذا النوع من الغزل، ومن ثم جاء غزله فى هذا الجانب فاترا خالياً من حميا العاطفة الصادقة. ويتبقى بعد ذلك من الأغراض شعرا الحكمة والهجاء، ولن يختلف ترتيبهما من ناحية الكيف عنه من ناحية الكم، فالحكمة أولًا، والهجاء ثانيًا. أما الحكمة عند القطامى فتدل على تجربة ونظر فى الحياة لا بأس بهما، ولكنه لم يلح على هذا النوع حتى يبرز لنا أوجهه المختلفة، ويستخرج ما فى أبعاده وآماده فكان وضعه من الناحية الفنية هو هذا الوضع، وأما الهجاء فيأتى آخر الأمر ويكون فى مكانه الطبيعى؛ لأن القطامى لم يكن بنّاء هجاء، ولم يعطنا من شعر الهجاء ما نلمح فيه خصائصه كاملة، فحق بذلك لنا أن نتحدث عنه كغرض أخير.

أغراض لم يطرقها، ومحاولة التماس أسباب لذلك:

بعد هذا الشوط من رحلتنا مع الشاعر فى حياته الفنية نتوقف لنقول: هل طرق القطامى كل أغراض الشعر؟ وهل استوعب الجوانب التى يقول فيها الشعراء؟

نعتقد ـ بناء على الأغراض التى تكلمنا فيها ـ أن ذلك لم يحدث، ولكن على أى أساس أصدرنا ذلك الحكم؟ وبأى مقياس قسنا الشاعر واستيعابه أغراض الشعر أو عدم استيعابه إياها؟

لقد كنا مدركين أنه من الظلم للقطامى، ولأى شاعر قديم أن نقيسه بمقياس العصر الذى نحيا فيه، أو بمقياس أى عصر لاحق؛ لأننا نعلم أن الأغراض الشعرية إنما تجد وتستحدث نتيجة لعوامل اجتماعية وثقافية ونفسية، فلن ننتظر من القطامى شعراً مطبوعاً بالطابع العقلى الفلسفى القائم على التعقيد والمنطق؛ لأن ذلك لم يستحدث إلا فى العصر العباسى نتيجة لعوامل معينة لم يرها القطامى، ولن نبحث عنده عن شعر التجارب الذاتية، واستبطان النفس،

والأشواق التائهة؛ لأن ذلك شيء من نتائج العصر الحديث له من المبررات التي جسدت ما أوجده.

إذن فلابد أن نقيس القطامي بمقياس عصره، أي بمقياس النقد القديم، وقد نظرنا في ابن رشيق فوجدناه يتكلم عن أغراض الشعر على أنها: النسيب، والمديح، والفخر، والرثاء، والاقتضاء والاستنجاز، والعتاب، والوعيد والإنذار، والهجاء، والاعتذار، والوصف[٣] فما الأغراض التي لم يطرقها القطامي مما عددناه؟ أما النسيب والمديح والفخر والهجاء والوصف فقد ذكرناها على أنها من أغراض شعره، وأضفنا إليها شعر الحكمة، وقد بقي الرثاء، والاقتضاء، والاستنجاز، والعتاب، والوعيد والإنذار، والاعتذار، غير أنه من الممكن أن ندخل الاقتضاء والاستنجاز في شعر المديح، وكذلك من الممكن أن ندخل الوعيد والإنذار في شعر الدفاع عن القبيلة، وبعد أن يفقد هذان الغرضان استقلالهما على هذا النحو يتبقى لدينا شعر الرثاء والعتاب والاعتذار فهذه هي الأغراض التي يصح أن نقول إن القطامي لم يطرقها فعلًا.

وإذ حددنا الأغراض التي لم يخض فيها الشاعر فإننا نحاول أن نلتمس سبباً لذلك فنقول: إننا سنقوم بافتراض فرضين يمكن أن يكون أيٌّ منهما سبباً فيما نحن بصدده: أولهما أن القطامي قد طرق هذه الأغراض، ولكنها لم تصل إلينا، وضاعت في جملة ما ضاع من الشعر، ومما يساعدنا على ذلك الافتراض أنه كان يعيش في البادية بعيداً عن التيارات والصلات، وليس معنى معيشته في البادية أنه كان في عزلة عن الضوء؛ فمن المعروف أن البادية كانت المكان الذي يممه الرواة، وعادوا لنا منه بالثروة الشعرية الضخمة يستوي في ذلك الشعر القديم والشعر الذي قيل في الفترة التي نتحدث عنها، وإنما الذي نريد أن نقوله إن القطامي لم يعرض نفسه للشهرة كما عرض جرير والفرزدق

والأخطل مثلًا، ولم يرتد حقل السياسة العليا ويصر فى بطانة الحاكمين، وبذلك لم يكتسب من الشهرة لدى الرواة ما يجعلهم يقصدونه ويردون كل شعره فضاع منه جانب كانت فيه الأغراض التى ذكرنا أنه لم يطرقها.

والفرض الثانى أنه لم يطرق هذه الأغراض لأنه لم يجد نفسه فى الظروف التى تمليها، وكل إنسان يتعرض لبعض المواقف، وقد ينقضى عمره دون أن يتعرض لبعضها الآخر، وحتى لو تعرض لها فإن هذا التعرض يكون عابراً بحيث لا يؤثر فيه تأثيراً عميقاً يحرك حاسته الفنية.

وسواء أكانت الحقيقة تكمن فى هذا الفرض أم ذاك، فإن المهم فى نظرنا هو مقدار التوفيق الذى أحرزه القطامى فيما تعرض له فعلًا، وسنحترم القطامى بوضعه هذا كما نحترم التخصص فى بعض فروع المعرفة فى العصر الحديث.

ولن نضيع الوقت فى الأسف على ما فات القطامى، وإنما سننظر فيما جاء له من شعر لنرى مقدار إبداعه فى هذا المجال، وسيرتفع فى نظرنا كشاعر بمقدار هذا الإبداع، وسيكون هذا النظر موضوع الفصل التالى.

الهوامش :

(١) تاريخ الشعر السياسى ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) للاستزادة من ذلك راجع: النابغة الذبيانى، وراجع: وصف الطبيعة وتطوره فى الشعر العربى للأستاذ عمر الدسوقى وآخرين ص ٥ وما بعدها.

(٣) العمدة (محيى الدين) ٢ : ١١٠ وما بعدها.

الفصل الثانى

تحليل شعره

١. الوصف :

يمكن أن نحدد ـ بشكل عام ـ موضوعات الوصف عند القطامى بالنواحى الآتية:

وصف الطبيعة بجانبيها الحى والصامت، ووصف المواقع الحربية، ووصف الخمر، وتبقى بعد ذلك أشياء بعضها يدخل فى الأقسام السابقة، وبعضها لا يضر تركه؛ لأنه لا يؤثر فى الصورة الكاملة الدقيقة التى نريد أن نأخذها عن هذا الوصف.

وسنتناول كل جانب من الجوانب السابقة على حدة، وأول ما يلفت نظرنا من معطيات الطبيعة الحية لدى الشاعر الإبل، وقد اهتم القطامى بالإبل اهتماماً غريبًا، وعاش معها فى شعره، وهذا ليس بعجيب من شاعر يعيش فى البادية؛ فالإبل جزء هام من حياة البدو، ومرفق حيوى بالنسبة لهم، يغمضون أعينهم عليها إذا ناموا، ويفتحونها عليها إذا استيقظوا، وهم يعيشون معها فيما بين ذلك فى الرحلة والقرار، بل إنهم ليجعلون من أذرعة الإبل وسائد يستريحون عليها إن أصابهم الكلال، وهذا يدل على مدى التعاطف بينها وبينهم، يقول القطامى:

مـتـوسـدين ذراع كل نجـيـبـة
ومـفـرج عـرق المقـذ منوق

ويمكن أن نميز نوعين من وصف الإبل لدى القطامى: أولهما وصفه للإبل عمومًا، والثانى وصفه لناقته التى يعيش معها، ويرحل عليها، ويقرى بها الهموم.

وفى النوع الأول نرى القطامى يفيض فى وصف الإبل، ويقطع معها رحلة الحياة، ذاكرا ما يعتريها من حالات جسمية ونفسية، فهو يقول لنا مرة إن طول الطريق يجهد الإبل النشيطة حتى يصيبها الإعياء، وحتى تنحدر دموعها على خدودها من فرط التعب، وحتى تغور أعينها من الإجهاد وكأنها آبار قديمة مهجورة:

ينضى الهـجـان التى كـانت تكون بـهـا
عـرضـيـة وهبـاب حين ترتحل
حـتى ترى الحـرة الوجناء لا غـبـة
والأرحـبـى الذى فى خطوه خطل
خـوصًـا تدير عـيـونا مـاؤها سـرب
على الخـدود إذا مـا اغـرورق المقل
لواغب الطرف منقـوبا حـواجـبـهـا
كـأنهـا قلب عـادية مكل

وفى هذا الجانب.. جانب الإبل المجهدة يذكر لنا أن سير الليل أضمرها حتى جعل الحبل الذى يشد به الرحل يجرى على صدرها ويضطرب، وكأنه وشاح فتاة دقيقة الخصر:

طواها السرى فالنسع يجرى كأنه

وشاح فتاة دق عنه مخاصره

ويصف لنا مشية الإبل، وكيف أنها تمشى مشيًا هينًا مريحًا، وذلك لأنها كونت تكوينًا متوازنًا، فكل عضو من أعضائها يؤدى وظيفته على نحو سوىّ فلا خلل ولا اضطراب:

يمشين هونا فلا الأعجاز خاذلة

ولا الصدور على الأعجاز تتكل

ويعطينا صورة عن سرعة الإبل فيقول:

وإذا تخلف بعدهن لحاجة

حاد يشسع نعله لم يلحق

على أنه يعود فيفصل القول فى هذه السرعة على نحو واسع حين يصف ناقته، وسنكون معه هناك بعد قليل.

وفى جانب آخر يرسم لنا صورة للإبل العطاش حين رأت الماء فتهافتت عليه، وكأنها إنسان غريب يبتغى ما يقيم به حياته، وحين تردُّ عن الماء تعود هزيلة، وكأنها نساء نصارى عزمت على صوم الوصال:

ولما عرفن الجد جد ابن ملقط

عدلن له وانصاع منهن أول

وقعن وقوع الموحش المبتغى القرى

به لعداد حسرا ما تظلل

فظل يرد الحائمات ابن ملقط

وناداهم غضف الجمام ترحلوا

....

....

يلذن بأعــقــار الحــيــاض كــأنهــا

نســاء نصــارى أصــبــحت وهــى كــفل

وهو يعطف أحياناً إلى ناحية أشبه ما تكون حديثاً عن الحالة النفسية للإبل، فهو يذكر أنها إذا سمعت الحادى استخفها الطرب فجعلت تميل خدودها لتستزيد من هذا الحداء:

جــــعلت تميل خــــدودها آذانهـــا

طـربًا بـهن إلـى حــــداء الســـوق

ويذكر لنا أن الإبل حين تحس بالرحلة يأخذ منها الفزع كل مأخذ؛ لأن ذلك يشق عليها حتى لتبدو كأنها مجنونة:

وترى لجــيــضــتــهن عند رحــيلنا

وهـلا كـــــأن بـهـن جـنـة أولـق

ولا ينسى القطامى أن يصف لنا سِمَن الإبل، وأنهـا قـد رعت فـى المراعى الخصيبـة فأكسبها ذلك لحمًا وشحماً حتى صارت كهضاب الجبال، وأن ذلك الخصب أكسبها قوة احتمال حتى لتستطيع أن تختزن من الماء ما يكفيها لعشرة أيام، وأنت تراها وقد أكسبها الإخصاب لونا يضرب إلى الحمرة حتى لكأنها طليت من طين بهذا اللون، وأكسبها أيضاً قوة ومنعة؛ فإذا حاول الراعى أن يضربها غضبت كما يغضب العزيز الكريم:

جــفــار إذا صــافت هضــاب إذا شــتت

وبالصــيف يعطفن المياه على العشــر

....

....

بنات علندى المنكبين كـأنما

يزينه الإخصاب بالمغر الحمر

إذا رفع الراعى الهراوة فوقه

تخمط إنكار العزيز من القسر

وفى هذه الناحية يرسم لنا صورة أخرى لعظم الإبل، وضخامة أجسامها حتى كأن سنامها بنى بناء، وحتى إنها لو تنازعتها الرياح الثقيلة لم تستطع أن تؤثر فيها لثقل أجسامها، وأن أولادها تأوى إليها من البرد كما تتحصن القطا برءوس الجبال:

طوال الذرى أعناقها مشمخرة

كنخل القرى عيدانها لم يشذب

....

....

وأخرى على عش بنى الصيف نيها

عرور بها لولا الغنى لم تحلب

رشوف وراء الخور لو تندرئ لها

صبا وشمال حرجف لم تقلب

تلوذ الحواشى ليلة القر تحتها

لزوق القطا بالنيق من رأس غرب

ومادامت الإبل خصيبة على هذا النحو فمن الطبيعى أن تكثر ألبانها، ولم يغفل القطامى هذه الناحية، فقد ذكر أن الناقة يكثر لبنها حتى توفى محلبا بعد محلب، ثم رسم صورة واقعية لها حين يجتمع اللبن فى ضرعها فتذرف عيناها الدموع، وتتسرب هذه الدموع، وكأنها تسيل من قربة مقطوعة:

ترى كل حرجوج دلاث ضليعة

رفود توفى محلبا بعد محلب

ذوارف عينيها من الحفل بالضحى

سجوم كتنضاح الشنان المسرب

ولم يقف القطامى مع الإبل ووصفها عند هذا الحد، بل جال معها جولات أخرى، نذكر منها وصفه لما تخرجه الإبل من لغام، صوره مرة وقد خرج من مشافرها واجتمع على رأسها كالعمامة:

وكل صهابى كأن عمامة

على الرأس مما قد كسته مشافره

وشبه هذا اللغام مرة أخرى ـ وقد اجتمع على الأرض الصلبة ـ بقطع القطن المندوف:

كأن لغامهن سبيخ قطن

على المعزاء تندفه الوتار

وأخيراً يشبه صوت أسنان الإبل فى صريرها بصياح الصقور:

وتسمع من أسادسها صريفا

كما ناحت على الحدب الصقار

ذلك هو حديثه عن الإبل عموماً، أما حديثه عن ناقته فهو يجمع بعض الصفات السابقة، ولكنه يركز على أشياء معينة سنقصر حديثنا عليها، منها السرعة:

وإذا تعانينى الهموم قريتها

سرح اليدين تخالس الخطرانا

وهو يشبهها فى هذه الناحية بثور الوحش، ثم يسترسل مع هذا الثور استرسالًا سنعرض له حين نتحدث عن الخيال فى وصف القطامى، وهو يذكر أن ناقته فى مقدمة الركب، وبعد حديث طويل عن ولادتها وتربيتها يقول إنها استعصت على المروض، فلم تذل له إلا بعد جهد عنيف اضطر معه الرجال إلى التجرد من ثيابهم حتى يستطيعوا تذليلها:

قطعت بذات ألواح تراها

أمام الركب تندرع اندراعا

....

....

فلما أن جرى سمن عليها

كما بطنت بالفدن السياعا

أمرت بها الرجال ليأخذها

ونحن نظن أن لن تستطاعا

إذا التياز ذو العضلات قلنا

إليك إليك ضاق بها ذراعا



فــــلأيا بعــــد لأى وجــــهــــوها

على مــا كــان إذ طرحــوا الرقــاعــا

فـــمـــا انفلتت من الرواض حـــتى

أعـــارته الأخـــادع والنخـــاعـــا

وســـارت ســـيـــرة ترضـــيك منهـــا

يكاد وســيــجــهــا يشــفى الصــداعــا

وإننا ننتهز الفرصة فنوجه النظر ـ فى سرعة ـ إلى البيت الأخير، وما فيه من واقعية بسيطة جميلة إذا استحضرنا صورة المسافر فى هجير الصحراء، وقد اجتمع عليه الكلال والصداع فهو يحتاج إلى السير الهين الذى يريح أعصابه ويشفى صداعه.

وما يزال القطامى يلح على سرعة ناقته، وأنها قد تعودت هذا حتى صار لها عادة، وأنها لسرعتها تكاد تخرج من الليل الذى تسير فيه!، وأنها تقطع الأميال، وتجرى جرى النعامة، ثم يعقد شبها بينها وبين حمار الوحش يسوق قطيعه:

وقـــمت إلى مـــهـــرية قـــد تعـــودت

يداها ورجـــلاها خـــبـــيب المواكب

تفـرى قـمـيص الليل عنهـا وتنتـمى

كـــأن بزفـــراها بصـــاق الجنادب

ترى كل مـــيل جـــاوزته غنيـــمـــة

ســحــيرا وقـد صـار القـمـير بحـاجب

تخـــود تخـــويد النعـــامـــة بعـــدمـــا
تصـــوبت الجـــوزاء قـــصـــد المغـــارب

كـــــأني ورحلي من نجـــــاء مــــواشك
على قـــــارح بالمنصليـــــة قـــــارب

حدا في صحاري ذي حماس وعرعر
لقـــاحـــا يغـــشـــيـــهـــا رءوس الصـــلاهب

ومرة أخرى يصف سرعتها ويشبهها ببقرة الوحش التي أكل السباع ولدها فهي نشيطة ملتاعة إلى حد الهوج، وسنعرض هذه الصورة بعد قليل.

ومن الصفات التي يخلعها على ناقته أنها كريمة الأصل، أبوها فحل أصيل سبّاق، وأمها كريمة متينة البنية وأن هذه الناقة حملت بها أمها لأول قرعة من الفحل فلم ترجع، وذلك لأنها تحبه، وإذا جاءت الوليدة نتيجة حب وتفاعل بين الوالدين فإننا نتوقع أن تكون نامية تامة الخلقة، وليس هذا فحسب بل إنها قد تعهدت بعد ميلادها على هذا النحو المستوى،فوكل بها غلام يتعدها، فلم يمض عليها سنتان حتى بدت أكبر من بنات جنسها، بل أكبر من اللائي يسبقنها في الطور، وقد تنبه أصحابها لكل ذلك فأعفوها من الخدمة حتى تنضج، وحلفوا ألا يبيعوها:

وكـــــانت ضـــــربة من شـــــدقـــــمي
إذا مـــــا اســـــتنت الإبل اســـــتناعـــــا

ومن عـــيـــرانة عـــقـــدت عليـــهـــا
لقـــاحـــا ثم مـــا كـــســـرت رجـــاعـــا

لأول قــرعــة ســبــقت إليــهــا
من الذود المرابيع الضــبــاعــا

فلمــا ردها فى الشــول شــالت
بذيال يكون لهــا لقــاعــا

فــتم الحــول ثمت أتبــعــتــهــا
ولما ينــتج النــاس الربــاعــا

فــصــافت فى بنات مــخــاض شــول
يخلن أمــامــهــا قــزعــا نزاعــا

وصــاف غــلامنا رجــلا عليــهــا
إرادة أن يفــوقــهــا رضــاعــا

فلمــا أن مــضت سنتــان عنهــا
وصــارت حــقــة تعلو الجــذاعــا

عــرفنا مــا يرى البــصــراء فــيــهــا
فــآلينا عليــهــا أن تبــاعــا

وقلنا مــهلوا لثنيــتــيــهــا
لكى تزداد للســفــر اضطلاعــا

ذلك هو حديث القطامى عن الإبل عرضناه فى حدود ما سمح به المجال، وسنرجع إليه من زاوية أخرى بعد قليل. وحين نتلمس بقية عناصر الطبيعة الحية لدى القطامى تطالعنا كلاب الصيد، وبقر الوحش، والحمار الوحشى، والحقيقة أن هذه الأشياء ليست مقصودة لذاتها عنده، وإنما يأتى بها ليكمل صورة وصف الإبل، فهو ـ كما قلنا ـ يلح على وصف ناقته بالسرعة، وهو يعقد

لها نظائر من الحمار الوحشى الذى يسرع خلف سربه، ومن البقرة الوحشية التى اغتيل ولدها فهى تبحث مجنونة عنه، ومن الثور الوحشى الذى تطارده كلاب الصيد، وفى نيتنا أن نتحدث عن ذلك حين نعرض للخيال فى وصف القطامى، ومن ثم فإننا نؤخر ذلك بعض الوقت، وسيتاح لنا فى الحديث عنها هناك ـ إن شاء الله ـ أن نبين الصورة التى رسمها لها الشاعر، والتى توضح طريقته فى وصفها.

على أنه قد ذكر قطيع البقر وهو يتحدث عن الأطلال الدارسة، وأنها تمرح فيه منفردة ومصطحبة، ويشبهها فى هذه الناحية بالخيل تتبعها أولادها، وأنها تمشى بتأود وفتور، وسنذكر نص ذلك بعد كلمات.

فإذا جاوزنا الطبيعة الحية إلى الطبيعة الصامتة وجدنا من مظاهرها عند القطامى وصف الأطلال، ويكاد ينحصر وصفها عنده فى التسليم عليها، وذكر ما فيها من سيول جارية بعد أن كانت عامرة بأهلها مع عقد شبه بينها وبين بعض الأشياء:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل
وإن بليت وإن طالت بك الطيل

أنى اهتديت لتسليم على دمن
بالغمر غيرهن الأعصر الأول

صافت تعمج أعناق السيول به
من باكر سبط أو رائح يبل

فهن كالخلل الموشى ظاهرها
أو كالكتاب الذى قد مسه بلل

وأحياناً يدعو لها، ويذكر تعاور الرياح عليها، ويرصد ما فيها من بقايا آثار عاقداً لها بعض النظائر:

ألا ياديار الحى بالأخضر اسلمى
وليس على الأيام والدهر سالم

تراوحها العصرين طورا مسفة
وطورا صبا من آخر الليل خازم

....
....

ومجهولة قد خرم السيل نؤيها
إذا اعتاد عثنون من الصيف حالم

ترى فرط حوليها الأثافى كأنها
لدى موقد النار الحمام الجواثم

وآسى أوارى الديار كأنها
حياض عراك هدمتها المناسم

وهو أحياناً يسترسل فيقول إن الأطلال درست، والديار خلت من ساكنيها، ثم يعدد معالم المكان الخرب، لا شىء هناك إلا ظباء ونعام وأبقار تمرح أفرادا وجماعات، وبقايا أشياء تدل على أنه كانت هنا حياة، مثل الحواجز التى تقام حول الخيمة، ومثل الأثافى وهى الأحجار التى توضع عليها القدور، ومثل بقايا أوتاد مهشمة، وما إلى ذلك من الآثار التى تتخلف بعد الراحلين، ثم يذكر أنه نادى الرسوم فلم تجب فانصرف ودمعه يفيض من عينيه:

وأطلال عـــفت من بعـــد أنس
ودار الحى منكرة قـــفـــار

خلت غـــيـــر الظبـــاء بهـــا وعين
وظلمـــان النعـــام لهـــا عـــرار

فـــإن بكل مـــحنيـــة وســـفح
مـــقـــابل منظر منهـــا صـــوار

خـــواذل من مـــصـــاحـــبـــة وفـــرد
كـــبلق الخـــيل تتـــبـــعـــهـــا المهـــار

وقـــد درست ســـوى ملثـــوم نؤى
وآرى تنصـــفـــه الغـــبـــار

ومنه جـــذمـــة خلق مـــحـــيل
كـــأن بقـــيـــة منهـــا جـــدار

وأورق كـــالحـــمـــامـــة مـــقـــشـــعـــر
وشـــعث شـــجـــجـــتـــهن الفـــهـــار

ومـــحـــتـــدم القـــدور على ثلاث
كـــأن مناكب الأحـــجـــار قـــار

وملـــعـــب ربرب أدم هـــجـــان
تأود عند مـــشـــيـــتـــهـــا انفـــتـــار

ونـــاديـــنـــا الرســـوم وهن صـــم
ومنطقـــهـــا المعـــاجم والسطار

وكـــان اليـــأس أجــمل فـــانصـــرفنا
ودمـع العين ألبـــــثــــــه انحـــــدار

ويتبقى من مجالى الطبيعة الصامتة بعد ذلك وصف الندى، وقد مر عليه الشاعر مرورا عابرا فشبهه بالجمان فى قوله:

فـــتـــرى الحـــبـــاب كـــأنما عـــبـــثت به
ثَقـــفـــيـــتـــان تنظمـــان جـــمـــانا

أما البرق والسيل فقد خصهما بأبيات خمسة، ذكر فيها أنه مؤرق فى ليل يستعر فيه البرق، وأن هذا البرق ولود أنتج سيولًا ضخمة انحطت من الجبال فأغرقت الروابى، وفزّعت البقر والظباء، وكانت لها كالشباك التى تصطادها، ولا ينجيها منها فزع ولا فرار:

أرقت ومـــعـــرضـــات الليل دونـى
لـبـــرق بات يســـتـــعـــر اســـتـــعـــارا
تـواضـع بـالســـــخـــــاسخ من مـنيم
وجـــاد الســـر وافـــتـــرش الغـــمـــارا
وبـات يـحـط مـن جـــــبـلـى نـزار
غـــوارب ســـيله حـــزمًـــا كـــبـــارا
بـسح تـغـــــرق الـنجـــــوات مـنـه
ويبـــعث عن مـــرابضـــهـــا الصـــوارا
ويـصـطـاد الـرئـال إذا عـــــــــلاهـا
وإن أمـــعن مـن فـــزع فـــرارا[1]

خلصنا الآن من وصف القطامى للطبيعة، وسنعرض لجوانب أخرى من الوصف تناولها شعره، فمنها وصف الحرب، ونحب أن نقول إن القطامى كان يعرض لوصف الحروب باعتباره شاعر قبيلة يتحدث عن أيامها ووقائعها، وهو لذلك يشير كثيراً إلى الحرب فى ثنايا شعره القبلى، وقد اخترنا له من النماذج ما وصف فيه الحرب، ولم يخلطه بغرض آخر، ويدور حديثه عن الحرب حول الخيول السابحة، والفرسان، وأسلحة الحرب، ففى وصفه لبعض المعارك يقول إن الناظر لا يرى إلا الخيل التى تشبه الذئاب فى عدوها، هذا بينما يحتشد الفرسان شاكى السلاح:

إذ لا ترى العين إلا كل سلهبة
وسابح مثل سيد الردهة العادى

إذ الفوارس من قيس بشكتهم
حولى شهود وما قومى بشهادى

وفى معركة أخرى يذكر أن الفئتين التقتا وسط الطعن والضرب، وأجهدت الخيل حتى لتسمع لصدورها أصواتاً تشبه السعال، وقد سالت الدماء، واصطكت الرماح وتعاورت:

ويوم تلاقت الفئتان ضربا
وطعنا يبطح البطل الشجاعا

ترى منه صدور الخيل زورا
كأن بها نحازا أو دكاعا

وظلت تعبط الأيدى كلوما
تمج عروقها علقا متاعا

قــوارش بالرمــاح كــأن فــيــهــا
شــواطن ينتــزعن بهــا انتــزاعــا

وفى هذا الجانب يعرض مرة لوصف جيش، فيذكر أنه جرار، وأن رماحه كثيرة لكثرة عدده، وأن خيوله ورجاله كأنهم شعاب جبال تتصل بشعاب أخرى فى طول الامتداد:

وذوعــرة ضــخم الســواد إذا ضــوى
إلى الأشــعــرات الرائح المتــزاحم
إذا حل جنبى عــرعــر ركــزت به
زجــاج الرمــاح الأكــثــرون الأكــارم
بقـــود وأســلاف وســد كـــأنــهم
مــخــارم مــوصــول بهن مــخــارم

والجانب الأخير الذى نريد أن نعرضه فى وصف القطامى هو جانب الخمر، وهو آنا يصفها بالرقة وأنها كدم الغزال:

ورقــيــقــة الحــجــرات بادية القــذى
كــدم الغــزال صــبــحــتــهــا الندمــانا

وأحياناً يصف فعلها فى أعصاب الشارب، ويبالغ فى قدرها حيث يذكر أن صاحبها حلف ألا يبيعها إلا بثمن غال، ومع ذلك فقد اشتراها هو وندمانه، وعقدوا عليها مجلسا شربوا فيه حتى ثملوا، ودارت بهم الراح فخرجوا يختالون وقد شملهم نعيم العيش، أو هكذا خيل إليهم:

وكــأس تمشى فى العظام ســبــيــئــة
مــن الــراح تــعــلــو المــاء حــين تــكــابــره

كميت إذا ما شجها الماء صرحت

ذخيرة حانى عليها تناذره

فجاء بها بعد الإباء وبعدما

بذلنا له فى السوم ما استام تاجره

شربت وفتيان كجنة عبقر

كرام إذا ما الأمر أعيت مرائره

....

....

فلما انتشينا واستدارت بها منا

وقلنا اكتفينا بعد غفق نظاهره

ورحنا أصيلالا نجر برودنا

بأنعم عيش لو تطاول آخره

وفى موقف ثالث يذكر لنا مجلسا شبيها بالسابق، ولن نذكر منه سوى بيت واحد يقول فيه إن الخمار حين دارت رءوسهم عده من أصدقائه، فذلك المعنى هو الجديد فى هذا المجلس:

فلما انتشينا عدنى من صديقه

وعاد الصبوح والشواء السدائف

وعلى كل حال فحديث الخمر على لسانه كثير، وهو لا ينى يهتف بخليليه أن يصبحاه خمرا تذهب عنه الهموم، وهو يستبطئ الخمار، ويريد أن يشرب على وجه السرعة:

وقلت لصـــاحـــبى ألا اصـــبــحـــانى
لتـــسلى عـــبـــرتى خـــمـــر عـــقـــار

فـــشـــعـــشع بالإداوة شـــرمـــحى
ولـيس بـنا وإن جـــــهـــــد انـتـظار

الخيال فى وصف القطامى:

لا يكاد القطامى يعرض لشيء من الأشياء التى يصفها إلا ونرى خياله الخصب يسرى هناك، ولسنا بسبيل تعداد عناصر الخيال فى ذلك الشعر، وما ورد فيه من استعارات وكنايات فذلك أظهر من أن ننبه عليه ونملأ به الصفحات، والحقيقة أن التشبيه ـ وهو العنصر الأساسى فى الخيال ـ يكثر كثرة عجيبة فى الشعر الوصفى عند القطامى، ويكفى أن نعيد النظر فى النماذج التى عرضناها، وسنجد التشبيه يحتل مكاناً هاماً جداً فيها سواء أكانت وصفاً للطبيعة الحية، أم للطبيعة الصامتة أم للحرب أم للخمر، وذلك شيء واضح سنكتفى فيه بهذه الإشارة، إنما نريد أن نَعبُر من ذلك إلى شيء أهم، وهو خصيصة معينة يلتزمها القطامى فى تشبيهاته، وتلك هى خصيصة الاستطراد، فهو يشبه الناقة بثور الوحش مثلا، ثم ينسى الناقة، ويستطرد فى وصف الثور ويلح على ذلك إلحاحًا حتى تتضح لنا صورته تمامًا، وكأنه يدرك أنه بمقدار وضوح صورة المشبه به تكون وضوح صورة المشبه.

وسنتخير بعض الصور التى رسمها وهو يتحدث عن سرعة ناقته مكتفين بذلك عن أن نسترسل فى بيان صور الخيال الأخرى.

أما الصورة الأولى فيشبه فيها ناقته بثور وحشى يرعى، وقد أتى عليه الليل، وأغرقه السيل، وأرقته البروق، فبات خائفاً يتوقع شراً، وحين أتى عليه الصباح فاجأته كلاب صيد ضارية كأنها فى عدوها خيل سابحة، ودارت

معركة أذهلت فيها المفاجأة الثور أولا فجرى هارباً، ثم بدا له أن يقاتل فعاد إليها يستعمل قرنه الذى يشبه السنان فى حدته، وكأنه إنسان يستحيى أن يتهمه نساء أهله بالجبن، ومازالت المعركة بين أخذ ورد حتى انتصر الثور ومضى عجِلًا لحاله، ومع أن النص طويل إلا أننا سنحرص على ذكره؛ لأنه يمثل صورة متماسكة:

وكأن نمرقتى فويق مولع
يرعى الدكادك من جنوب قطانا

بعوازب القفرات بين شقيقة
وكثيبها يتنظر الحدثانا

لهق كسته من المحرم ليلة
هتنت عليه بديمة هتنانا

فثنى أكارعه وبات تحمه
رهم تسيل تلاعه إمعانا

أرقا تضاحكه البروق براجف
كسنا الحريق ولامع لمعانا

فغدا صبيحة صوبها متوجسا
شئز القيام يقضب الأغصانا

بحضيض رابيمة يهز مذلقا
صلبا يكون له الطلال دهانا

فلبينما هو غافل إذ راعه
لحمون سرحهم بنو نبهانا

معهم ضوار من سلوق كأنها
حصن تجول تجرد الأرسانا
فطلبنه شأوا تخال غباره
وغبارهن إذا اجتهدن دخانا
وهلا مخافتهن ثمت رده
ذكر القتال لحين آخر حانا
فسما وقام يذودهن بمرهف
صلب القناة كأن فيه سنانا
حرجا يكر كرور صاحب نجدة
خزى الحرائر أن يكون جبانا
ويكون حد سلاحه لأشدها
قرما وأكثرها له غشيانا
فإذا انتهين مضى على غلوائه
وإذا لحقن به أصبن طعانا
فحسرن غير مخدشات أديمه
ونجا يروح تروحا عجلانا

لعله قد اتضح الآن خيال القطامى من هذه الصورة، وواضح أنه يريد من ذلك كله أن يوضح لنا كيف أن ناقته نشيطة سريعة، وفى هذا الثور الذى يخوض معركة رهيبة يبدو النشاط عاملا أساسيا وسلاحاً هاماً فى الانتصار، وهو ينص على ذلك آخر الأمر فيقول: «ونجا يروح تروحا عجلانا»، والقطامى يوضح جوانب هذه الصورة توضيحًا، ويرهص لقيام المعركة حين يسلط

الأضواء على قرن الثور أولا فيقول:

.... يهـــز مـــذلقـــا

صلبـــا يكـــون له الطـــلال دهـــانـــا

فيشعرنا أن شيئاً ما سيحدث، وأن القرن سيستخدم فى هذا الحدث.

والصورة الثانية تتفق مع الأولى فى الهدف، أعنى بيان سرعة ناقته ونشاطها إلى حد الفزع، ويتخذ التشبيه وسيلة لذلك أيضاً، وهو هنا يشبه ناقته ببقرة وحشية ثكلى اغتيل طفلها، وقد عادت لترضعه حين اجتمع اللبن فى ضرعها فلم تجد مكانه إلا أشلاء ممزقة فأقبلت عليها تشمها، ثم ولت فزعة مذعورة:

كـــأن نســـوع رحلى حين ضـــمت

حـــوالب غـــرزا ومـــعـــا جـــيـــاعـــا

على وحـــشـــيـــة خـــذلت خلوج

وكـــان لهـــا طلا طفل فـــضـــاعـــا

فكرت عند فـــيـــقـــتـــهـــا إليـــه

فـــألفت عند مـــربضـــه الســـبـــاعـــا

لـعبن بـه فـلـم يـتـــــــركـن إلا

إهـابـا قـــــد تمـزق أو كـــــراعـــــا

فـــســـاقـــتـــه قليـــلًا ثم ولت

لهـــا لهب تثـــيـــر به النقـــاعـــا

أما الصورة الثالثة فهو يشبه ناقته فيها بحمار وحش يسوق سربه فى رءوس الجبال، وهى تعدو أمامه على نحو من السرعة حتى كأنها طير:

كـــأنى ورحلى من نجـــاء مـــوَاشك
على قـــارح بالمنصليـــة قـــارب
حدا فى صحارى ذى حماس وعرعر
لقاحا يغشيها رءوس الصلاهب
موقحة قبا خفافا بطونها
وقد وازنت جحشانها بالحوالب
تمر كمر الطير فى كل غمرة
ويكتحل التالى بمور وحاصب

ونحب أن نلفت النظر إلى أن هذه الصور التى عقدها القطامى لها نظائر فى الشعر القديم، وفى شعر الأعشى على وجه الخصوص، ولا نرى بأسا فى عرض بعض صور الأعشى حتى تتضح قيمة صور القطامى فى مجال الموازنة، والأعشى يجمع فى صورة واحدة تشبيه ناقة ببقرة وحش فقدت ولدها، وباتت وحيدة، ولم يتركها الزمن لهذه الوحدة بل صبحها بكلاب صيد ضارية، وفى معركة حامية سريعة تنتصر البقرة الوحشية، يقول الأعشى عن ناقته:

كـــعيناء ظل لهـــا جـــؤذر
بقنـــة جـــو فـــأجـــمـــادهـــا
فـــبـــاتت بشـــجـــو تضم الحـــشـــا
على حـــزن نفس وإيحـــادها
فـــصـــبـــحـــهـــا لطلوع الشـــروق
ضـــراء تـــســـامى بإيســـادها

فجالت وجال لها أربع
جهدن لها مع إجهادها
فما برزت لفضاء الجهاد
فتتركه بعد إشرادها
ولكن إذا أرهقتها السراع (م)
كرت عليه بميصادها
فورع عن جلدها روقها
يشك ضلوعا بأعضادها(٢)
فتلك أشبهها إذ غدت
تشق البراق بإصعادها

ولا يوجد هنا شيء جديد فى التصوير سوى أن الأعشى يحرص على أن يختم الصورة بأن ناقته على هذا النحو، ويجمع للناقة معركة الكلاب مع حزنها على فقد ولدها، أما صور القطامى فلا يعود فيها إلى ناقته لينص على الشبه مرة أخرى، وفى صورة ثانية يشبه الأعشى ناقته بمهاة كمن لها وحش جائع ضئيل، وظل يخادعها ليختلس ولدها، وقد رتعت هى فى سربها إلى آخر النهار حتى إذا أحست باللبن فى ضرعها عادت لترضعه فما لقيت سوى بقايا جلد وبقع دم، فانصرفت حزينة، حتى إذا جاء الصباح أغارت عليها كلاب نبهان وكأن مصيبتها فى الليلة السابقة لم تكف الأقدار:

كأنها بعدما أفضى النجاء بها
بالشيطين مهاة تبتغى ذرعا
أهوى لها ضابئ فى الأرض مفتحص
للحم قدما خفى الشخص قد خشعا

فظل يخدعها عن نفس واحدها
في أرض فيء بفعل مثله خدعا

حانت ليفجعها بابن وتطعمه
لحما فقد أطعمت لحما وقد فجعا

فظل يأكل منه وهى راتعة
حد النهار تراعى ثيرة رتعا

حتى إذا فيقة فى ضرعها اجتمعت
جاءت لترضع شق النفس لو رضعا

عجلا إلى المعهد الأدنى ففاجأها
أقطاع مسك وسامت من دم دفعا

فانصرفت فاقدا ثكلى على حزن
كل دهاها وكل عندها اجتمعا

وذاك أن غفلت عنه وما شعرت
أن المنية يوما أرسلت سبعا

حتى إذا ذر قرن الشمس صبحها
ذؤال نبهان يبغى صحبة متعا

بأكلب كسراع النبل ضارية
ترى من القد فى أعناقها قطعا(٣)

هنا لا نستطيع إلا أن نبدى إعجابنا الشديد بالأعشى فهو لا يزيد عن القطامى فضل السبق فحسب، وإنما يجمع إلى ذلك الروعة الفنية، والتصوير النابض، والحديث المؤثر، وبحسبنا أن نتصور هذه المخادعة التى صنعها

الوحش الجائع، وكيف أنه نجح، ونتتبع البقرة وهى ترعى مطمئنة بينما هو يقضى على ولدها، ونقف عند مجيئها إليه عجلى فلم تجده، ونتعمق قول الأعشى «جاءت لترضع شق النفس» وما فيه من تعاطف وتصويرحان لفلذات الأكباد، ثم الأسى الشديد الذى يحيط بقوله «لو رضعا»، هذا إلى تصوير حزن الثكلى، وزيادة الغم عليها بالكلاب التى تريد أن تفترسها، وبكل ذلك يحلق الأعشى فى أجواء لا نستطيع أن تقول إن القطامى عاش فيها.

تلك هى الخطوط الكبيرة للخيال فى وصف القطامى، وجماعها أنه يلتمس المشابه من مظاهر الطبيعة التى تحيط به، ولا يكتفى باللمحة الدالة فى ذلك، وإنما يتعمق المماثل الجديد الذى اهتدى إليه، ويوضحه توضيحاً كاملا، أما فيما عدا ذلك فشعره الوصفى ملىء بصور التشبيه والاستعارة والكناية وما إليها، ولكننا لا نرى المجال يتسع للوقوف عند كل جزئية منها فنكتفى بالخط العريض الذى تحدثنا عنه.

نظرة فى وصف القطامى من الناحية الموضوعية:

نبادر فنقول إن أغلب المعانى التى جاءت فى الشعر الوصفى لدى القطامى مطروقة عند السابقين، فأوصافه فى الإبل نسمعها دائما فى الشعر القديم، وقد أتى طرفة وغيره على معان كثيرة فى وصف الإبل استوحاها من أتى بعدهم من الشعراء، وقد ذكرنا الصور التى وصف بها الأعشى ناقته، وعارضناها بشعر القطامى فى هذا الموضوع، ولا نكاد نجد لديه معنى رائقا فى هذه الناحية إلا قليلًا كقوله:

يمشين هونا فلا الأعجاز خاذلة

ولا الصدور على الأعجاز تتكل

ولأمر ما يقولون: إن القطامى لو قال بيته هذا فى صفة النساء لكان أشعر الناس(٤).

ومن الممكن أن يقال نفس الكلام عن أوصافه للظباء والكلاب وبقر الوحش فهى قليلة من ناحية، وليست مقصودة من ناحية أخرى، وكذلك نجد أوصافه للسيل والبرق وما إلى ذلك من مظاهر الطبيعة تطالعنا فى شعر الأقدمين، وخصوصا فى معلقة امرئ القيس، وأوصافه للخمر تقليدية فهو مثلا يشبهها بدم الغزال، وقد قال الأعشى:

وسبيئة مما تعتق بابل

كدم الذبيح سلبتها جريالها(٥)

ولكن هل معنى هذا أنه لم يتبق للقطامى شىء؟ يجب أن نستحضر أن القطامى كان شاعرا اتباعيًّا من هؤلاء الذين أسهموا فى حركة إحياء الشعر القديم، فورود المعانى الجاهلية فى شعره وغرامه بها أمر عادى، وهو لا يسلبه شاعريته، إنما نعرف قيمة شعره من الناحية الموضوعية فى مجال الوصف إذا عرفنا مدى قرب هذا الشعر من نفسه، فهو يعيش فى بادية، والإبل عنصر هام من عناصرها كما قدمنا، والبرق والسيل والظباء والنعام أشياء مألوفة فى حياتهم، والخمر كانت محببة إلى الناس بعد تراخى قبضة الحاكمين من هذه الناحية ـ أعنى الناحية الدينية ـ وانصرافها إلى مجال آخر وهو مجال الحكم والدنيا، والحرب قائمة كل يوم بعد نشوب العصبية التى تحدثنا عنها فى الباب السابق، فحياة البادية فى عصر القطامى شديدة الشبه بها فى العصر الجاهلى، فإذا أنتج شعرا فيه كثير من عناصر الشعر القديم فإنه يصدر فى ذلك عن طبيعة ثقافته، وعن ذات نفسه، وعن طبيعة الحياة حوله، وهذا ما يجعلنا نستشف الصدق الشعورى والفنى فى وصف القطامى وإن وجدناه يدور حول المعانى القديمة.

وشىء آخر نلاحظه على هذا الشعر الوصفى يزيد من قيمته، ونعنى به الحركة السارية فيه، فوصفه للإبل يعطينا هذه الناحية: مشيتها فيها حركة، دموعها السائلة حركة، سرعتها حركة، ضجيجها حركة، ولأن القطامى كان

يحس كل هذا فقد عقد لها شبها بالمعارك التى تشكل الحركة والسرعة جوهرها، وقد يكون هذا أمراً عادياً فى الطبيعة الحية، ولكننا إذا جئنا للطبيعة الصامتة وجدنا الحركة جزءاً هاما منها، ففى الأطلال حركة السيول، وهبوب الرياح، وحركة أسراب البقر والنعام، وحتى الندى حين يصفه القطامى يأبى إلا أن يعقد له صورة فيها حركة، فهو يشبهه بالجمان الذى يعبث به عند عملية التنظيم:

فترى الحباب كأنما عبثت به

ثقفيتان تنظمان جمانا

وفى وصف البرق والسيل تبدو هذه الحركة بشكل واضح، فالبرق يستعر، والسيول تتدفق، والنعام يفزع مذعورا، وهكذا لو استقصينا شعر الوصف فإننا نجد الحركة عنصرا ساريا فيه أو غالبا عليه.

نظرة فى هذا الوصف من الناحية الشكلية:

أما ألفاظ هذا الشعر فمنتقاة متخيرة تحمل فى طياتها الدليل على أن صاحبها يقصد إلى هذا الاختيار قصداً، وهى مرآة للبيئة التى خرجت منها؛ فهى جزلة رصينة من ناحية، وهى رقيقة من ناحية أخرى، وبهذا الوصف تحكى البيئة البدوية التى تقوم على القوة والصرامة، ولكن هذا لا يعنى الجفاف، ولا ينافى الرقة، وهى بهذا الشكل الذى جاءت عليه مستند نلوح به فى وجوه الذين يربطون بين الصحراء، وبين الجدب، أو بين أهلها وبين الخشونة والجفاف، حقاً لقد اشتملت هذه الألفاظ على بعض الغريب، ولكن هذا الغريب لا يصل إلى الحد الذى يكون فيه طابعا عاما لها، ومن ناحية أخرى ينبغى أن نستحضر أن هذه الألفاظ لم تكن غريبة على آذان العصر الذى قيلت فيه، ونحن نصدر هذا الحكم على ألفاظ القطامى دون احتراس، وبهذا نستغنى عن ذكر النماذج، خذ أى نموذج مما عرضناه تر هذه الخاصية تنادى على نفسها فيه.

ولأن هذه الألفاظ هى التى يتكون من مجموعها الأسلوب الشعرى فقد وجدنا أن أسلوب القطامى لا يتخلف عن مادته التى تكونه، فهو أسلوب رصين، وهو متدفق سهل لا يحتاج فى فهمه ومسايرته إلى كبير عناء، وهو يدل على أن صاحبه ينقحه ويخدمه، ولكنها خدمة الفنان لا خدمة المتكلف، ومن ثم فقد جاء متقنا طبيعيا لا نحس فيه بافتعال المجهود أو تكلف التجويد، ويمتاز أسلوبه إلى جانب ذلك بالترويح والالتفات من بعض أوجه الكلام إلى بعض، وأهم خصائصه الاستطراد وتقصى الجزئيات شأن من يحرص على الإجادة واستيعاب المسائل التى يتناولها، وما حديث ناقته وتشبيهها بالثور الوحشى أو بالبقرة الوحشية الثكلى، واستطراده فى وصف النظير الجديد ببعيد.

وأما موسيقى هذا الشعر فإننا نصفها بكلمة واحدة تلخص أثرها فى آذاننا وهى الرزانة، والرزانة طابع عام للموسيقى «الكلاسيكية» التى تعتمد على التأثير الهادئ العميق، وتخلع على الجو طابع الجلال والجمال، وألفاظ القطامى لها هذا الرنين العميق، وهى ألفاظ موحية، ولعل ما وصفنا به سابقاً من كونها منتقاة يحمل فى طياته ما نصفها به الآن، وهذا الوصف الرزين ينطبق على الأسلوب الشعرى لدى القطامى، فهو يتخير البحور الهادئة المطمئنة، ويمضى فيها يحف به موكب من الجلال، ونحن إذا نظرنا فى شعر الوصف لديه وجدناه لا يخرج فى مجموعه عن بحور: الطويل والبسيط والكامل، وهى من البحور الطويلة التقليدية، وبحر رابع أسرع نوعًا من البحور السابقة وهو الوافر اختاره لقصيدته العينية الطويلة، وأغلبها وصف لحركات الإبل، واختاره للرائية الطويلة وفيها من حركات السيول وظلمان النعام ما ذكرنا، واختاره للأبيات التى وصف بها البرق وحركات السيول والرئال.

من هذا الكلام الموجز نخرج بأن القطامى من الذين يجودون شعرهم ويعكفون عليه، ويتعرفون مواطن التأثير العميق فيتبعونها، فهو يعد بذلك ـ دون مبالغة ـ من عبيد الشعر. ولو أن فى المجال متسعا لوقفنا عند كل النماذج نحلل موسيقاها وإيحاءاتها وأصواتها وهمسها أو ضجيجها وما إلى ذلك من الدراسة

التى يرفدها علم الجمال وعلم النفس وعلم الأصوات، ولكن ذلك يحتاج إلى بحث مستقل، ونحن بسبيل أن نأخذ فكرة تامة عامة عن شعر القطامى، فنكتفى بذكر نموذج من الشعر الوصفى راجين ألا يعوزنا الوضوح إن أعوزنا التفصيل، ففى نموذج قدمناه فى وصف الإبل يقول:

ينضى الهجان التى كانت تكون به
عرضية وهباب حين ترتحل

حتى ترى الحرة الوجناء لاغبة
والأرحبى الذى فى خطوه خطل

خوصا تدير عيونا ماؤها سرب
على الخدود إذا ما اغرورق المقل

لواغب الطرف منقويا حواجبها
كأنها قلب عادية مكل

فلا نجد فى هذا النموذج لقطة قلقة، ولم توضع فيه كلمة حيثما اتفق، وإنما هى ألفاظ متميزة تؤدى كل منها دورها بإحكام، وهى سهلة فى مجموعها، وحتى الألفاظ الغريبة مثل «هباب»، «مكل» قد حملت من الخفة فى لفظها ما جعلنا نحس بمعناها عمومًا، وإن احتجنا فى معرفته على وجه الدقة إلى القاموس، أما أسلوب هذا الشعر فهو يترقرق كالجدول، ويسلم بعضه إلى بعض بحيث لا نحس فيه بفجوات أو عثرات، وأما الموسيقى فقد تجلت فى تلك الكلمات الموحية الرنانة:

هباب = نشيطة

لاغبة = متعبة

خطل = اضطراب.

والموسيقى العامة فيها كثير من العمق والثقة، فقد تخير لها بحراً رزينا هو البسيط، والتزمه التزاماً صارماً، ولم نشعر أن الشاعر تخلى عن هذا المستوى الموسيقى على الإطلاق.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن بعض كتب الأدب والبلاغة تستشهد من شعر القطامى الوصفى بقوله:

فلمـــا ردها فى الشـــول شـــالت

بذيال يكون لهـــا لفـــاعـــا

على نوع من أنواع البديع هو التجنيس(٦).

٢ ـ فى المجال القبلى:

ضرب القطامى فى مجال القبيلة بسهم وافر، فنحن نراه لسان قبيلة تغلب فى حروبها مع قيس، وفى افتخارها بحروب الجاهلية، وفى تمجيدها للغارة، ونحن نراه حول المياه والتنازع على سقى الإبل، ونراه يلوذ فى فخره الشخصى بسند من قبيلته وكأنه يعتبر نفسه جزءا لا يتجزأ منها، وحين نصاحب القطامى فى هذه الناحية نرى شعره سجلاً للحروب الجاهلية التى خاضها قومه، فهو يذكر جور قومه على النعمان، وتقويضهم خيمته، وذلك بعد أن يقدم بمقدمة يذكر فيها أن تاريخ تغلب فى الحروب الجاهلية يعرفه العلماء بتلك الحروب، وأن تغلب من أمنع قبائل العرب، ثم يمثل بحارثة النعمان، وبيوم الكلاب(٧)، فيقول إنهم قد هجموا فيه على تميم بجيش شبيه بالموج الذى يبتلع الناس:

ولو تستـــخـــبـــر العلمـــاء عنا

ومن شـــهـــد الملاحم والوقـــاعـــا

بتـــغلب فى الحـــروب ألم يكونوا

أشـــد قـــبـــائل العـــرب امـــتناعـــا

زمـــــان الجـــــاهليـــــة كل حي

أبرنا من فـــصـــيلتـــهم لماعـــا

أليــســـوا بالألى قـــسطوا قـــديما

على النعـــمـــان وابتـــدروا السطاعـــا

وهـــم وردوا الـــكـــلاب عـــلـــى تميـــم

بموج يبلع الناس ابتـــــلاعـــــا

وفي حديث آخر يتمدح بالأراقم[8]، وأن أمهم ولود للذكور، ويذكر شجاعتهم ونجدتهم إن دعا داعي الحرب، ثم يشير إلى يوم ذي قار، والحروب مع كسرى فيقول:

لعـــمـــــر أبي أم الأراقم إنهـــا

لغـــراء مـــذكـــار تجنبـــهـــا النذر

ولو ثوب الداعي بشـــيـــبـــان زعـــزعت

رمـــاح وجـــاشت من جـــوانبـــهـــا القـــدر

هم يوم ذي قـــار أناخـــوا فـــجـــا لدوا

كـــتـــائب كـــسرى بعـــدمـــا وقـــد الجـــمـــر

وفي الحروب التي عاصرها القطامي نرى شعره مرآةلما دار بين قومه تغلب وبين قيس من أيام، ولا عجب أن شغل هذا الجانب جزءاً كبيراً من شعر الشاعر، فنحن نعلم أنه أسهم إسهامًا ماديًا في هذه الحروب، وأسر في أحد أيامها، فهو يفخر بقبيلته ذاكراً أنهم قتلوا عمير بن الحباب، وأن هؤلاء القوم يؤملون في المجد والشرف وهم يزهدون في الحياة لأنهم شجعان، وفي الأموال لأنهم كرام، ويقول إن قومه ضربوا عميرا دفاعاً عن حماهم لأنه اعتدى عليهم وظلمهم فأتاه قوم يهبون للنجدة، جراحهم في نحورهم لا في ظهورهم لأنهم لا

يفرون، وسيوفهم مسلولة لا تغمد:

نفسى فداء نبى أم هم خلطوا
يوم العروبة أورادا بأوراد

فى المجد والشرف العالى ذوى أمل
وفى الحياة وفى الأموال زهاد

الضاربين عميرا عن بيوتهم
بالتل يوم عمير ظالم عادى

ثابت له عصب من مالك رجح
عند اللقاء مساريع إلى النادى

ليست تجرح فرارا ظهورهم
وفى النحور كلوم ذات أبلاد

لا يغمدون لهم سيفا وقد علموا
أن لم تكن لهم أيام إغماد

ومرة أخرى يذكر لنا القطامى حروبهم مع قيس، ولكن فى لهجة أقرب إلى الإنصاف وعدم الانتصار للأخ ظالماً أو مظلوماً، فهو يذكر من مات من هنا، وأن كلا الحيين صابر وجالد، ومن ثم كان النموذج الآتى يخدمنا من ناحيتين: الأولى: تسجيل القطامى لأيام قبيلته مع قيس، والثانية: روح الإنصاف التى تسرى فى شعره، والنموذج يحدثنا عن منازلة شعيث بن مليل رئيس تغلب لقيس، وخروجه لهم كالليث المصحر للغارة، ثم اشتباك الحيين ومصابرتهم فى معركة تدوخ الجيوش، وتلطخ الوجوه بالدماء، وإن التغلبيين قتلوا من أعدائهم بينما قتل أعداؤهم منهم كذلك:

وإنا يوم نازلهم شعيث
كليث الغاب أصحر فاستغارا
ظللنا ما من الحيين إلا
يرى الصبر التمجد والفخارا
بضرب تنعس الأبطال منه
وتمتكر اللحى منه امتكارا
تجدل كاهل ونجا ابن بدر
نهارا من أسنتنا فرارا
وغودر هوبر وبنو مليل
كمن قدمات فى زمن فبارا

أرأيت إنصافا أكثر من هذا الإنصاف الذى يذكر ماله وما عليه، وينص على ضحاياه وضحايا الأعداء، وهل نحن فى حاجة إلى أن نلح عليه بعد أن نقرأ مثل هذا البيت:

ظللنا ما من الحيين إلا
يرى الصبر التمجد والفخارا؟

وهذا الأسلوب المنصف نراه مرة أخرى فى قوله:

وهم وردوا الكلاب على تميم
بموج يبلع الناس ابتلاعا
فما وهنوا ولكنا أناس
نديم لمن يقارعنا القراعا

فعلى الرغم من أن فى تصوير أعدائه على هذا النحو من الشجاعة إشارة إلى شجاعة قومه الفائقة، فإنه ينص على شجاعة أعدائه، وحسبنا بذلك نزعة إنصاف وإن خدمت غرضا آخر(٩).

ولا يقتصر القطامي - في أن يكون ترجمان قومه في حروبهم مع قيس - عند هذا الحد بل يشير كثيراً إلى اشتباكهم معهم، ويذكر الأماكن التى تم فيها هذا الاشتباك، فيقول مثلا:

أبلغ ربيـــعـــة أعـــلاها وأســـفلهـــا

أنا وقـــيـــســـا تواعـــدنا لميـــعـــاد

فكان قـــومـى ولم تـغـــدر لـهم ذمم

كطالب الوتر مـــســتـــوف ومـــزداد

ولو تبـــينت قـــومى مـــا رأيتـــهم

فـى طالـعين مـن الثـــــرثار نـداد

والمعروف أن الثرثار نهر تمت فيه موقعة أو مواقع بين قيس وكلب أشرنا إليها في الحديث عن قبيلة تغلب، على أننا نريد أن ننفذ من هذا النموذج إلى ظاهرة أخرى من ظواهرالشعر القبلى لدى القطامى ، تلك هى اعتماده على آبائه الأعلين ، واعتزازه بجراثيمه القديمة ، ومناداته لذوى قرباه وإن جمعهم به نسب ضارب من التاريخ ، فقد رأيناه فى النموذج السابق يقول « أبلغ ربيعة أعلاها وأسفلها » ، ورأيناه فى مكان آخر يفخر فيقول :

فليس من الأحـــيـــاء إلا مـــســـود

ربيـــعـــة أعـــرابيـــه ومـــهـــاجـــره

وفى مكان ثالث يذكر أصله العالى ، ثم يتدرج الى قبيلته وغيرها مفتخرا بكل فرع ، ذاكرا أنهم يكفونهم عند الصريخ، ويتكثرون بهم فى الملمات :

ربيـــعـــة آبائى الألى اقـتـــســمـــوا العـــلا

إذا عـــد باق من زمـــان وســـالف

وتغلب بحرى طم سيلا بأبحر
فلم يستطع تيارهن المجاذف
وبكر وعبد القيس إخوتنا معا
كفدنا لكيز منهم والحنائف
وعيلان منا كل يوم ملمة
ونحلب غزرا يوم تدعى الخنادف

وهكذا لو استعرضنا شعر القطامى لخرجنا منه بنماذج عدة فى هذه الناحية، ولكنا سنكتفى بالنموذج التالى الذى ذكر فيه أنهم وأقرباءهم قد ورّثوا أصولهم فخرج كل بنصيب معين من تراث الجدود، ويهمنا فى هذا النموذج أنه تردد فيه أسماء: إياد، معد، عيلان، خندف، نزار، مضر، وقضاعة»:

ورثنا الخيل قد علمت معد
ومن عاداتهن لنا اختيار
تراثا عن أبى صدق إياد
وعيلان وخندفها الكثار
أبا عره فكل ساق نهبا
له منه العرارة والخيار
فصارت بالجدود بنونزار
فسدناهم وأثعلت المضار
فكان لنا وللمضرين حظ
وللحساد فى الأثر الغبار

فصار العز والبسطات فينا
وأعلام قدامسة كبار
ومنا الأنبياء وكل ملك
وأحكام الأئمة حيث صاروا
وإسماعيل بعد الله يقضى
لنا بالحق قد رفع الخطار
قضاعة كان حزبا من معد
فحطهم المصائب والضرار

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن الجانب القبلى فى شعر القطامى أن نذكر تلك الأبيات المشهورة التى تمدح فيها بالبداوة ولم تعجبه الحضارة، وذكر أنه إن كان غيرهم قد اقتنى حمرا فإنهم يقتنون الخيول الأصيلة والرماح الطويلة، ثم افتخر بأن قومه أصحاب غارة، وأن هذه الغارة دأبهم فإذا أعوزتهم هذه القبيلة أغاروا على تلك، وإذا لم يجدوا من الغرباء من يغيرون عليه أغاروا على إخوتهم، وهذا النموذج صورة صادقة للشعر القبلى الذى يعتمد على الغارة كعنصر أساسى فى الحياة:

ومن تكن الحضارة أعجبته
فأى أناس بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فإن فينا
قنا سلبا وأفراسا حسانا
وكن إذا أغرن على قبيل
وأعوزهن كوز حيث كانا

أغــرن من الضــبــاب على حــلال
وضــبــة إنه من حــان حــانا

وأحــيــانا على بكر أخــينا
إذا مــا لم نجــد إلا أخــانا

وحين نواكب القطامى فى شعره القبلى نرى من مظاهره الدعوة إلى الاتحاد والتماسك وعدم التقاطع، وخطر التفرقة، فحين يتشاحنون ويمنع كل منهما أخاه من أن يسقى إبله من مائه يبين لهم الشاعر خطأ ذلك، وأن نتيجته سيئة هى حرمانهم من الشرب، وأنهم لو تعاونوا لروى كل منهم، ثم يقول إن قبيلة خير من غيرها فى تسهيل السقيا للجار والأهل:

تخــاذل جــفــرانا ولو قــد تعــاونا
روينا ومن يخــذل عن الحق يغلب

قــبــيلان لم يجــعل ســواء جــبــاهمــا
لأهل ولا جــار على حين مــرغب

وهو حينا يدعو قومه إلى الوحدة، ويضرب لهم أمثلة من الماضى على خطر التفرقة، فيذكر لهم أن جند كسرى حين تفرقوا صاروا هباء:

فــيــاقــومى هلم إلى جــمــيع
وفــيــمــا قــد مــضى كــان اعــتــبــار

ألم يخــز التــفــرق جند كــســرى
وأجــلوا عن مــدائنهم فطاروا

ونراه ينادى قبيلة كلب فيذكرهم بالقربى والوشائج، ويدعوهم إلى أن يفيئوا إليهم فإنهم إن جاءوهم وجدوا عندهم العدل والإنصاف، وفى جانبهم الاطمئنان والأمن:

أكلب هلم نحن بنو أبيكم
ودعوى الزور منقصة وعار
هلم فعندنا عدل ونصف
وأحكام تسد بها الثغار
وإن يعطفكم نسب إلينا
فليس عليكم منا ظهار

ويفعل من قضاعة فعلا شبيها بهذا فيذكر أنهم عزلوا من معد، وأن في هذا خطرا عليهم، وحطا من قدرهم، ويهددهم بأنهم سيصيرون تبعا، وما أقل قيمة التبيع، ويعبر عن ذلك بقوله إنهم لن يلاقوا إلا ثرشخب من معد، يريد أن يقول إنهم سيرجعون بالفتات، وستكون الهزيمة والظلم نصيبهم في الحياة:

قضاعة كان حزبا من معد
فحطهم المعاتب والضرار
فإن تعزل قضاعة من معد
تصر تبعا وللتبع الصغار
ويلقوا ثر شخب من معد
يدر لمن يشاركه الغرار
وتعرف من بني قحطان بعدا
وتظلم وهي ليس لها انتصار

وفي نهاية المطاف نلمح إلى ظاهرة إنسانية في الشعر القبلي عند القطامي، تلك هي رنة الأسى التي يحملها بعض هذا الشعر لما أصاب عرى القرابة من تفكك، وما تورطوا فيه من تناحر، وقد أشرنا إلى هذه الناحية ونحن نتحدث

عن أخلاق القطامي، ولكنا لا نرى بأسا فى التوسع قليلا بها، فهو يقول إننا شر على أقربائنا نحاربهم ونسيل دماءهم، وإننا نهب لقتالهم حين يدعو داعيه، وإنه حين توقد نيران الحرب نكيل لهم من الضربات ما يزيل عنهم دروعهم القوية:

لم ترقــومـــا هـم شـــر لإخـــوتهم
منا عـــشـــيــة يجـــرى بالدم الوادى

ودعـــوة قـــد ســـمــعنا لا يقــوم لهـــا
إلا الحـــفـــــاظ وإلا المقنب الآدى

حـــــتى إذا ذكت النيــــران بينهـم
للحــــرب يوقــــدن لا يوقـــدن للزاد

نقـــريهم لهـــذمـــيـــات نقـــد بهـــا
مـــا كـــان خـــاط عليـــهم كل زراد

ونحن نعلم أن فى هذا الشعر فخرا بالقبيلة ما بعده فخر، ولكننا نلمح رنة الأسى فى قوله «شرلإخوتهم»، وفى قوله عن النيران إنها توقد للحرب لا للزاد، ونرى فيه رغبة كامنة فى أن تكون هذه النيران قد أوقدت للزاد، وحين أراد أن يعبر بالكلمات التى كالوها لهم أبى إلا أن يعرضها بهذه الاستعارة اللطيفة التى تعطى معنى الإكرام، وكأن الإكرام هو الذى كان يجب أن يكون مكان الضرب، وكأن شعوره الداخلى يملى عليه مثل هذا التعبير. وفى مكان آخر يتحسر لما أصاب حرم القربى بين قيس وتغلب من ضياع، ويبدى أساه لأن حبال المودة قد انقطعت بينهم، وأن القبيلتين جرتا وراء المفسدين على ما فى ذلك من شر، وأن دماء ابنى الأب الواحد قد سالت وملأت الربى، وأن نيران

الحروب قد استعرت بينهم وعلت، وأن الفساد تفاقم حتى بلغ كل مكان وأتى على كل شيء:

وكـيف تجـامع مع مـا اسـتحـلا
من الحـرم العظام ومـا أضـاعـا

ألم يحـزنك أن حـبـال قـيس
وتغلب قـد تبـاينت انقطاعـا

يطيـعـون الغـواة وكـان شـرا
لمؤتمر الغـوايـة أن يطاعـا

ألـم يحـزنك أن ابـنى نـزار
أسـالا من دمـائهـمـا التـلاعـا

وصـارا مـا تغـبـهـمـا أمـور
تزيد سنا حـريقـهـمـا ارتفـاعـا

كـمـا العظم الكسيـر يهـا ض حـتى
يبـت وإنما بـدأ انصـداعـا

فـأصـبح سـيل ذلك قـد ترقى
إلى من كـان منزله يفـاعـا

ونخلص من شعر القطامى فى مجال القبيلة العام إلى فخره الشخصى، وقد قلنا إن الذى سوغ لنا إلحاق فخره الشخصى بشعره القبلى هو ما رأيناه من اعتماده فى فخره الشخصى على قبيلته فى أكثر الأحيان، فهو حين يفتخر بكرمه يقول إن الحق ـ يقصد إكرام الضيف ـ لا يعجزه حين يطرقه ضيفه فى الشتاء، حين يكون النجم فى كبد السماء، وحين يجمد الثلج، وذلك أشد حالات

البرد، ثم يعبر من ذلك سريعا إلى الفخر بقومه إذ يقول: ربيعة آبائى.. إلخ، وكأنه يتخذ من الحديث عن قبيلته سندا لما ذكره عن نفسه، وحين يتهدد الأزد، ويُنْصَح بأن يأوى ى ابن الزبير يرفض ذلك ذاكراً أنه عزيز شريف، ثم يرجع هذه العزة إلى أن يه صلابة، وأنه يلوذ من جبلى بكر وتغلب بحمى حصين:

أتانى من الأزد النذيرة بعدما

تناشد قولى بالعراق المجالس

فقالوا عليك ابن الزبير فعذ به

أبى الله أن أخزى وعز خنابس

فإنى امرؤ فى العود منى صلابة

وفى جبلى بكر وتغلب حابس

وحين يتحدث عن شاعريته، وأن قوافيه شديد وقعها، وأنه لا يعتذر منها.. إلخ يتبع ذلك بحديث عن القبائل:

من الفتيان أقذف كل عبد

بجرب ليس فيهن اعتذار

وعند الحق تعتزل الموالى

إذا ما أوقدت للحرب نار

أكلب هلُمّ.. إلخ.

وفى جانب الفخر بنفسه نراه يفخر أحيانا بالشجاعة والكرم، وأن من صفاته ترك الكذب ومكارمة الإخوان، وأنه مرن مع أصدقائه لين لهم، ولكنه شرس مع أعدائه شديد عليهم:

أخبرنني ولقد علمت شمائلى
أذر الخنا وأكارم الخلانا
ويكون فى على العدو شكاسة
وألين حين أرى أخالى لانا

وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، ومن فخره بالشجاعة أنه يشبه نفسه بالأسد الذى يحمى فريسته، ويذود عنها السباع، وأن كل إنسان يرى فيه شدة فإنه يلبس له زيا أشد:

وما غر الغواة بعنبسى
يشرد عن فرائسه السباعا
إذا رأس رأيت به طماحا
شددت له الغمائم والصقاعا

وقد رأينا القطامى يفخر مرة بأنه أكرمَ إنسانا، ولكنه كرم من نوع خاص، فهذا شخص غر راع لا يعرف من أمر الشراب شيئاً، سقاه شاعرنا من الخمر حتى ثمل، وشلت الخمر حركته وكأنها صارت له قيداً، وقد تكفل عنه بثمن ما شرب، ولم يجشمه مشقة الدفع الذى قد يضيق به صدره، وقد بات ليلة عنده على حال حسن، ثم غدا وقد سعد بفرصة ممتعة، ورجع بعد أن زال عنه الخمار دون أن يلام من أهله على الدفع أو على السكر:

وترعية لم يدر ما الخمر قبلها
سقيناه حتى صار قيدا له السكر
فثم كفيناه البداد ولم نكن
لننكده عما يضن به الصدر

فظل إنى أن بات عندى بنعــــمــــة

إلى أن غــــدا لا لوم أهل ولا خـــمــــر

نظرة إلى الشعر القبلى عند القطامى من الناحيتين الموضوعية والشكلية :

أما من حيث المعانى فإننا نرى تلك المعانى القبلية التى طرقها القطامى من الفخر والشجاعة، وتمجيد الأيام والغارة موجودة فى الشعر القديم على وجه العموم، وعند شعراء تغلب كمهلهل وعمرو بن كلثوم على وجه الخصوص، والقارئ لشعر القطامى فى هذه الناحية يراه يردد ما وضع السابقون خطوطه الكبرى، فلا جديد لديه فى هذا الموضوع، وكذلك يكرر فى فخره بنفسه المعانى المطروقة من الفخر والكرم والشجاعة.. إلخ، ولكن هناك أشياء فى شعره القبلى تستحق الوقوف عندها، منها روح الإنصاف التى تحدثنا عنها، وهى وإن كانت موجودة فى الشعر القديم كقصيدة عبد الشارق بن عبد العزى:

ألا حــــيــــيــت عنــا ياردينــا

نحــيــيــهـــا وإن كــرمت علينا

وغيرها من القصائد المنصفات(١٠)، إلا أن هذه الناحية ليست من الكثرة فى الشعر القديم بحيث تعد شيئاً عاديا، وإنما هى ظاهرة تلفت النظر، وتستحق الوقوف عندها، وشىء آخر ننبه عليه وهو أسفه لما أصاب الأقرباء المتحاربين من تقاطع، وما جر سفهاء الفئتين من خراب حتى لتحس من الشاعر نزعة مخلصة إلى حياة السلام أشرنا إليها فى الحديث عن أخلاقه، ولقد قلنا ثمة إنه لا منافاة بين هذه النزعة وبين أن يكون القطامى شاعر قبيلة؛ لأن وضع الشاعر فى قبيلته يحتم عليه أن يكون وزير دعايتها، وهذا لا يسلب الشاعر صفة الإنسانية الأصيلة كنزعته إلى السلام، وليس معنى هذا أن شعر القطامى القبلى كان مجرد تأدية وظيفة بمعنى أنه يخلو من الانفعال الصادق والدفاع المخلص، فالذى يقرأ شعره الذى قاله فى فلك القبيلة والذى عرضناه فى هذا

المجال يحس باندماجه التام فى الموقف، وأنه يصدر عن رغبة صادقة فى أن تنتصر قبيلته وتسود، وأنه يعنى ما يقوله من امتياز قومه، وشرف أصله، وشجاعة قبيلته، وخلود أيامها، ولكنه إذا تحركت فيه الناحية الإنسانية.. ناحية الحياة السلمية التى يحل فيها التعاطف محل الخصام لا يلبث أن يعبر عنها ويترك لنفسه فيها العنان، وهذه هى الشاعرية الأصيلة، والحرية الفنية المثلى التى لا تربط نفسها بإطار معين أو عجلة معينة، والتى تتنفس بكل ما تحس، وتؤكد بهذا حرية الفنان التى لا تقف فى سبيلها التقاليد.

وأما الخيال فقد بدت عناصره واضحة فى هذا الجانب، فنجد التشبيه بكثرة، ونجد الاستعارة كقوله «نقريهم لهذميات» أو قوله «بموج يبلع الناس ابتلاعا» إلى آخر ضروب الخيال التى لا نريد أن نشغل أنفسنا بسردها، وإنما نريد أن نقول إننا نرى القطامى هنا كما رأيناه فى الوصف يعقد شبها بين شيئين، ثم ينسى المشبه ويستطرد فى الحديث عن المشبه به، ويتغلغل فى جوانبه موضحا لها حتى لنكاد ننسى ما يتحدث عنه أولا، ففى القصيدة السادسة عشرة من ديوانه[١١] يتهدد زفر بن عمرو، ويقول له لا تستقل بى، ولا تحسب أنى كغزال ضعيف، فلعلك إن كشفت عنى تكشفت لك فى ثوب أسد أو فى ثوب فحل، ثم أخذ فى وصف هذا الفحل بأنه غضوب وضخم، وأن القعدان تخاف من صوته، وأنه مهمل يرعى النجوم وترعاه، وأنه يتجاوب مع الغول والجن فى الفلوات، وأنه عنيد لا يستجيب للراضة، وأن الركبان يعرفون صعوبته فيصدون عنه، وأنه يغضب فيصوم شهرا، وأنه عزيز نافر.. إلخ، حتى حسبنا أن القصيدة مقصودة لهذا الغرض، وأن صفة الفحل هو هدفها الرئيسى، ولا شك أن ذلك يدل على سعة فى الخيال، وتصريف متمكن للقول، ولا نريد أن نطيل بذكر نص القصيدة، وبحسبنا أن أشرنا إلى موضعها فى الديوان.

على أن الحقيقة تدعونا إلى القول بأن خيال القطامى هنا يقصر عن خياله فى الوصف من ناحيتى الكم والكيف، وإن كان عنصر الخيال واحدا، أعنى

ذلك الخيال الذى يقوم على العناصر البسيطة التى لا تصل إلى حد رسم الصورة المركبة المعقدة، وإنما صوره على قلتها بسيطة سريعة يمكن حلها إلى عناصرها بسهولة. ولعل لمجال الوصف دخلا فى هذا السبح الخيالى هناك، فهو مجال مفتوح، والخيال يشكل جوهره وروحه، ولكن المجال القبلى مجال محدود بمعلومات التاريخ، وذكر الأيام، وصفات المفاخر المعروفة.

وأما الألفاظ فأول ما نلاحظه فيها هو تلك الظاهرة الجديدة فى شعر القطامى، وهى تسكين عين الفعل المتحركة، ففى حديث له عن قضاعة فى معرض الفخر بها شبهها بفحل، ثم قال عنه:

إذا هدرت شقاشقه ونشْبت

له الأظفار ترْك له الهدار

أراد نشِبت، وترِك، وفى مكان آخر يقول مفتخرا:

إذا الريح الشآمية استحنت

ولعْب بها مع الليل العصار

أراد لعِبَ.

وقد سبقنا المستشرق «نالينو» إلى ملاحظة فى هذا الموضوع حيث قال إنه يحتمل أن يكون هذا التسكين لهجة لتغلب بدليل ورود مثل هذا فى شعر الأخطل(١٢).

ونقول إننا لم نلحظ هذه الظاهرة لدى القطامى إلا فى القصيدة التاسعة والعشرين من ديوانه(١٣)، وقد طالت هذه القصيدة حتى بلغت مائة بيت على غير عادة الشاعر، وورود هذه الظاهرة فى تلك القصيدة دون غيرها يجعلنا نقول إن القطامى قصير النفس، فإذا طال نفسه أجهد وتعثر، وحتى على

الفرض القائل بأن هذه لهجة لتغلب يبقى استنتاجنا قائما؛ فلماذا لم ترد هذه اللهجة فى قصائده الأخرى العادية وفى مقطوعاته القصار؟.

ولعلنا على ذكر مما قلناه سابقا من أن القطامى لا يخص كل غرض بقصائد معينة، وأن هذا التقسيم الذى اتبعناه تقسيم منهجى وليس طبيعيا، وأن القصيدة الواحدة كانت تشتمل عنده على عدة أغراض كالمدح والفخر والوصف والغزل.. إلخ؛ ولذلك فإنه من الممكن أن تطرد الصفات اللفظية والأسلوبية التى لاحظناها فى الوصف هنا؛ إذ القصائد واحدة والشاعر واحد، فنلاحظ هنا اختيار الألفاظ وانتقاءها، ومناسبتها فخامة وجرسا لموضوع جليل كالفخر، وحسبنا أن نذكر قوله:

أليسوا بالألى قسطوا قديما

على النعمان وابتدروا السطاعا

وهم وردوا الكلاب على تميم

بموج يبلع الناس ابتلاعا

فاستعمال الكلمتين «قسطوا، السطاعا» فى البيت الأول يعطى جوا من القهر والتسلط، ولجرسهما جلال مهيب، وتعبيره فى البيت الثانى بقوله «بموج يبلع الناس ابتلاعا» ذو دلالة قوية على رهبة هذا الجيش واجتياحه كل شىء، وكذلك إذا افتخر فقال:

ربيعة آبائى الألى اقتسموا العلا

إذا عد باق من زمان وسالف

وتغلب بحرى طم سيلا بأبحر

فلم يستطع تيارهن المجاذف

نحس بتوازن الألفاظ واندماجها، فهى أشبه بلبنات البناء متمكنة تؤدى وظائف محددة ثابتة. وهكذا استعرض كل ما مثلنا به فى المجال القبلى فأنت واجد هذه الصفة للألفاظ.

وأما الأساليب فهى جزلة وسهلة كأساليب الوصف، وهى قوية رنانة فيها من الأسر والإحكام ما يناسب الغرض الذى صيغت له.

هذا وقد انحصرت بحور الشعر التى قال فيها القطامى شعره القبلى ـ أو كادت تنحصر ـ فى البسيط والكامل والطويل والوافر، وهى كما قلنا من البحور التقليدية التى لها ـ فى مجموعها ـ من الجرس الهادئ، والموسيقى المتئدة العميقة مالها، ولا شك أن الشعر القبلى من الفخر وما إليه يتطلب مثل هذه البحور التى يطول فيها رجع الصوت، وتمتلئ بها الآذان دويا، ولا يناسبه البحور القصيرة أو الراقصة.

٣ ـ المديح:

ممدوحو القطامى:

زفر بن الحارث:

«هو أبو الهذيل زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ بن يزيد بن عمرو ابن الصعق بن خليد بن نفيل بن عمرو بن كلاب الكلابى، كان كبير قيس فى زمانه، وفى الطبقة الأولى التابعين من أهل الجزيرة، وكان من الأمراء، سمع عائشة ومعاوية، وشهد وقعة صفين مع معاوية أميرا على أهل قنسرين، وشهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس، فلما قتل الضحاك هرب إلى قرقيسيا، ولم يزل متحصنا فيها حتى مات فى خلافة عبد الملك»(١٤). هكذا يلخص لنا البغدادى حياة زفر العريضة فى كلمات، ولكننا لا نكتفى بهذا التلخيص، بل سننقب عن زفر فى بطون الكتب لنلقى الأضواء على هذه السطور، لقد رأيناه

هنا يبدأ الحياة السياسية العامة فى صفين، ولكن ابن الأثير يحدثنا بأن زفركان فى موقعة الجمل مع عائشة، يقول: «.. والزمام مع زفر بن الحارث، وكان آخر من أخذ الخطام، فلم يبق شيخ من بنى عامر إلا أصيب قدام الجمل،وزفر بن الحارث يرتجز يقول:

يـا أمـــتـــا مـــثلك لا يـراع

كـل بـنـيـك بـطـل شـــجـــاع»[١٥]

وحين يبايع لمروان بن الحكم بعد ذلك نراه مع ابن الزبير، وقد كان مخلصا له، يقول فيه:

أفـى الله أمــا بـحــدل وأبن بـحــدل

فـيـحـيـا وأمـا ابن الزبيـر فـيـقـتل

كــذبتم وبيت الله لا تـقــتلونـه

ولما يكن يوم أغــر مــحــجـل

ولما يكن للمــشــرفــيــة فــوقكم

شـعـاع كـقـرن الشـمـس حين تـرجل[١٦]

وقد ذكرنا هناك أن الضحاك استمده فى موقعة مرج راهط فأمده، ولكن الهزيمة دارت عليهم وانتصر مروان، ومما أشرنا إليه ونزيده توضيحا هنا أن زفر هرب بعد الموقعة مع شابين فلحق بهم جند مروان فقال الشابان لزفر: انج أنت بنفسك ونقتل نحن، فقتلا ونجا هو إلى قرقيسيا، وقال فى ذلك:

أريـنـى ســـلاحـى لا أبـالـك أنـنـى

أرى الحـــرب لا تـزداد إلا تمـاديـا

أتـانـى عـن مـــروان بـالـغـــيـب أنـه

مـقـيـد دمـى أو قـاطـع من لسـانيـا

ففى العيش فجأة وفى الأرض مهرب

إذا نحن رفعنا لهن المبانيا

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط

لحسان صدعا بينا متبائنا

فلم ترمنى نبوة قبل هذه

فرارى وتركى صاحبى ورائيا[17]

وتحصن زفر، وكان ساعده الأيمن عمير بن الحباب، وأخذوا ينتقمون من كلب ويثأرون لقتلى المرج. هذا، وقد حاول مروان تحطيم زفر فسير فى سنة خمس وستين بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة ومحاربة زفر ابن الحارث بقرقيسيا[18]، ولكنه لم يستطع، واستمر زفر يوالى ابن الزبير، وينغص على عبد الملك حتى قتل مصعب، فتم الصلح بين عبد الملك وزفر على النحو الذى ذكرناه فى الحياة السياسية، والذى يعنينا من هذا كله ما أشرنا إليه مراراً من الصدام الذى وقع بين قيس وتغلب فى أحد نزلات قيس بين منازل تغلب فى حروبهم مع كلب، وأن عمير بن الحباب أراد أن ينكل بتغلب:

«فوفد عمير على مصعب بن الزبير فأعلمه أنه قد أدلج قضاعة بمدائن الشام، وأنه لم يبق إلا حى من ربيعة أكثرهم نصارى [يعنى تغلب] فسأله أن يوليه عليهم.... فلما قدم على زفر ذكر له ذلك فشق عليه ذلك، وكره أن يليهم عمير فيحيف بهم، ويكون ذلك داعيا إلى منافرته، فوجه إليهم قوما وأمرهم أن يرفقوا بهم»[19].

ولكن عميرا ركب رأسه وأغار على بنى تغلب، وكانت بينهم أيام شداد تحدثنا عنها، ومن الطبيعى أن يشترك فيها زفر لأن العصبية غلابة، ولكن بعد

أن لام عميرا على اتجاهه لحرب تغلب وذكره بالقرابة، وحذره العاقبة فى قوله:

ألا من مبلغ عنى عميرا
مقالة عاتب وعليك زارى
أتترك حى ذى طلع وكلب
وتترك حدنا بك فى نزار
كمجتنح على إحدى يديه
فخانته بوهن وانكسار
بتغلب تبتغى الأرباح جهلا
وقبلك أفسدوا ربح التجار[٢٠]

على أنه ينعى عميرا بعد أن قتلته تغلب بأبيات مؤثرة ذاكرا أنه لن يذوق راحة بعده، وأنه سينتقم له، وقد انتقم له فعلًا، وجعل دماء الأعداء تملأ الأرض وتجرى أنهارا:

ولما أن نعى الناعى عميرا
حسبت سماءهم دهيت بليل
وكنت قبيلها يا أم عمرو
أرجل جمتى وأجر ذيلى
فلو نبش المقابر عن عمير
فيخبر عن بلاء أبى هذيل
غداة يقارع الأبطال حتى
جرى منهم دما مرج الكحيل[٢١]

لعلنا نستطيع أن نقول بعد ذلك إن زفر خاض الحياة السياسية بكل أعصابه، وأسهم فيها طيلة عمره، وقد لاحظنا أنه شاعر، وشعره يمثل الحرب والحماسة والعصبية، ويمثل الرأس الكبير المدبر من جهة أخرى، فهو يحرص على الوشائج والصلات، وهو لا يرى مانعا من أن يفر لينحاز إلى ركن قوى يعاود منه القتال، ولقد كان كريما، قال عنه أبو الفرج: «وكان كريما مجمعا لا يحب الفرقة»[٢٢]، وكان منصفا يذكر فى شعره أنهم كانوا يعتقدون أن أحدا لن يغلبهم حين كانوا يحاربون حمير وجذام، فلما التقوا ببنى تغلب، ورأوا التغلبيين فى خيلهم العظيمة تبخر من نفوسهم هذا الاعتقاد، وقد تساقوا كأس الموت، ولكن تغلب كانت أصبر على هذه الكأس:

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة
　　ليالى قارعنا جذام وحميرا

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه
　　ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

ولما لقينا عصبة تغلبية
　　يقودون جردا للمنية ضمرا

سقيناهم كأسا سقونا بمثلها
　　ولكنهم كانوا على الموت أصبرا[٢٣]

لقد أطلنا القول عن زفر؛ لأن شخصيته تمثل حجر الزاوية فى شعر المديح عند القطامى، وسننتفع بهذا التحليل لشخصيته حين نتكلم عن مدائح القطامى فيه.

أسماء بن خارجة:

قلنا شيئا عن أسماء ونحن نتحدث عن صلة القطامى بالناس، وذكرنا أن الكرم هو الصفة البارزة التى اعتمدت عليها شهرة هذا الرجل، جاء عنه فى تهذيب ابن عساكر: «أسماء بن خارجة بن حفص بن حذيفة بن بدر يتصل نسبه بقيس عيلان، وهو فزارى كوفى تابعى، روى عن على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود، وروى عنه مالك بن أسماء، وعلى بن ربيعة الأسدى»(٢٤)، ولأسماء شعر يدور حول المعنى الذى اتصف به ـ أعنى الكرم ـ ، فهو يقول: إنه لو أضنى الهم فتى وبات تتنازعه الأفكار ثم جاءنى حين سدت فى وجهه السبل، وجعلنى ملجأه وناصره لفرجت همه بما أمد له من الإكرام، وكنت عند حسن ظنه بى، بل كانت له على منة إذ ظن بى الخير فأنا شاكر له ذلك:

إذا طارقات الهم أسهرن بالفتى
وأعمل فى الأفكار والليل زاخر

وباكرنى إذ لم يكن ملجأ له
سواى ولا من نكبة الدهر ناصر

فرجت لهميه مكانا من القرى
يجلى له الهم الدخيل المخامر

وكان له منٌ عليه بظنه
بى الخير إنى للذى ظن شاكر(٢٥)

وفى شعر آخر يتكلم كلام مجرب حكيم عن هؤلاء المرائين الخداعين الذين يأتون هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، ثم يقول إننى أرضى عن الود الخالص، ولا

ترضيني البغضاء، ويقسم الناس قسمين، قسم مخلص لك، وقسم ينطوى على دخل وإن أبدى لك الملاطفة، وسنكتفى بالإحالة على مكان ذلك النموذج الشعرى الطويل، هذا وقد توفى أسماء سنة ست وستين(٢٦).

نكتفى بإضافة هذا الكلام هنا عن أسماء إلى ما ذكرناه عنه هناك، وشخصية أسماء تمثل شخصية العربى الكريم الذى يؤمه الناس وينتجعونه فيجدون عنده القرى، أما شعره فعلى الرغم من قولنا عنه آنفا إنه لا يخلو من مسحة فنية إلا أنه لا يسلك فى عداد الفن الرفيع، فهو يدل بشكل عام على ذهن منظم وثقافة لغوية وموسيقية، ويهمنا أن نلح على صفات أسماء لأنها تحدد لنا نوع صلة القطامى به.

عبد الملك والوليد وعبد الواحد بن الحارث:

قد تكلمنا عن عبد الملك والوليد فى الحياة السياسية والأدبية، وانتهينا إلى أن عبد الواحد الذى مدحه القطامى كان واليا على المدينة فى عهد عبد الملك، ونريد أن نقول هنا إن صلة القطامى بهؤلاء لم تكن محكمة ولا قوية، ونحن فى حيرة من أمر قيام صلة مباشرة بين هؤلاء وبين القطامى، على أنها لو حدثت فهى الصلة الطائرة التى تقوم على النفع والانتجاع حيث يواجه الشاعر ممدوحه مرة، ويأخذ جائزته وقد لا يعود، ولم يكن القطامي من هؤلاء الذين تعرضوا للصلات القوية بالخلفاء حيث يحضرون مجالسهم، ويرون تصرفاتهم، ويفهمون صفاتهم، ويتعمقون نفسياتهم، فيكون له من كل ذلك رصيد يستمد منه القول ويتكثر به فى المديح كما فعل صاحبه الأخطل التغلبى حيث كان شاعر بلاط بنى أمية على العموم، وعبد الملك على الخصوص، ولذلك فإن المدائح التى خلفها لنا القطامى فى هؤلاء تدل على أن علاقته بهم لم تتعد القشور سواء من ناحية الكم أم من ناحية الكيف.

أيوب بن القِرِّيَّة وهمام بن مطرف:

أما أيوب فهو «أبو سليمان أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة بن سلمة بن جشم بن مالك بن عمرو بن عامر بن عامر بن زيد مناة بن عامر بن سعد بن الخزرج ابن تيم الله بن النمر بن قاسط بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان المعروف بابن القرية الهلالى»(٢٧).

وقد حرصنا على ذكر نسبه كاملا مع ما فى ذلك من التطويل لننبه على أنه يلتقى بالقطامى فى أجداده الأعلين، وبذلك يكون من عصبته، والقطامى كما قلنا يحترم الأقرباء ويضرب بنسبه إلى ذروة عالية وأصل قديم، وما نعلم أن أيوب بن القرية كان ثريا حتى يمدحه القطامى لعطائه، فالذى يقرأ ترجمته فى ابن خلكان يخرج بأنه كان عالما، وكان فى زمن الحجاج فأرسله إلى ابن الأشعث فأرغم هناك على سب الحجاج وخلع عبد الملك، فلما هزم ابن الأشعث أسر وأتى به إلى الحجاج، وبعد مناقشة ظهر فيها علم أيوب، ومعرفته باللغة ومثالب وفضائل البلدان والقبائل ضرب الحجاج عنقه سنة أربع وثمانين للهجرة(٢٨)، ولذلك فإننا نرجح أن مدح القطامى له كان على أساس قبلى أى أنه يمدحه لأنه من عشيرته، ولا ينفى ذلك بطبيعة الحال أن يكون ذا صفات تستحق المديح فى ذاتها. وبالمثل نقول عن همام بن مطرف، وقد بحثنا عنه فى مظانه ـ على قدر الجهد ـ فلم نجد عنه معلومات أكثر مما يقوله شارح ديوان القطامى من أنه سيد تغلب فى الإسلام(٢٩)، هذا إلى مدائح قليلة فيه فى ديوان الأخطل(٣٠)، فمدح القطامى لهُ كان على أساس قبلى كذلك.

شعر المديح عند القطامى:

على ضوء التحليل الذى قمنا به للشخصيات التى مدحها القطامى نستطيع أن نقسم شعر المديح عنده إلى أقسام ثلاثة:

أولا :

شعر صادر عن إخلاص صادق يؤدى به دينا فى عنقه، ويعترف فيه بجميل طوق رقبته، وذلك شعره فى زفر بن الحارث، وهو يدل على أن الشاعر تمثل شخصيته الممدوح كل التمثل، وأحبها كل الحب، وفهم مقوماتها، واتخذ منها مثالا للرجل الكامل، ولا أعتقد أننا نفارق الجادة حين نقول إن هذه الشخصية قد أثرت فى الشاعر تأثيرا كبيرا حتى رأينا لديه بعض صفاتها، فالحرص على اجتماع الشمل وعدم الفرقة، وتوثيق الوشائج بين ذوى الأرحام صفة مشتركة بين الشاعر وممدوحه، والفضائل تعدى كما أن الرذائل تعدى.

ثانيا :

شعر قصد به الامتياح والنجعة وطلب الجائزة، وهو قسمان: قسم جود فيه القطامى وأعطاه من عنايته ما فاق القسم الثانى، الأول مدحه لأسماء، والثانى مدحه للوليد وعبد الملك وعبد الواحد.

ثالثا :

شعر قصد به خدمة العصبية القبلية، ففى الارتفاع بهؤلاء الأشخاص ارتفاع بها، وفى إطرائهم إرضاء لها، وقد لا يخلو هذا الشعر من إعجاب شخصى.

وسنحاول أن ندرس شعره فى كل شخصية لنرى مدى إمكان تطبيقه على الأساس الذى وضعناه فإذا نظرنا فى مدائحه لزفر وجدنا فيها مقطوعتين نرجح أنه مدحه بهما قبل أن يأسره زفر، وذلك لأنه لا يذكر الممدوح فيهما إلا بالصفات العادية من الكرم والشجاعة وما إلى ذلك من الأشياء العامة فى مدائحه وفى المدح كله، ولا يعترض على هذا بأن زفر كان قيسيا، وأن قيسا كانت تعادى تغلب فقد قلنا سابقا إن الحروب بينهما مستحدثه، وقلنا إن تغلب

كانت تغزو كلبا مع قيس في أول الأمر، وزفر أمير وكريم فلا مانع من أن يمدحه القطامي لينال عطاياه، وقد مدح أسماء وهو قيسي أيضًا لينال هذا العطاء، والمقطوعتان من شعر الأراجيز، تقول أولاهما بعد مقدمة عن ناقته:

تحمل من قيس فتى وضاحا

سمح اليدين بالندى نفاحا

كأن في الموكب حين لاحا

بدرا يزيد النظر انفساحا

أفلح ساق بيديك امتاحا

وقر عينا ورجا الرباحا

ألا ترى ما غشى الأركاحا

وغشى الخابور والأملاحا

يصفقون بالأكف الراحا

لم يدع الثلج بها وجاحا

بالله ترجو أوبك النجاحا

وقد استظهرنا أن هذه الأرجوزة في مدح زفر؛ لأنه يذكر فيها الفتى القيسي، وليس هذا بالدليل القاطع في أنها في زفر، ولكن كثرة مدائحه له، وذكره للخابور والأركاح وهي أماكن قريبة من منازل قيس يجعلنا نرجح أنه يستنجد بزفر الأمير القريب، ويطلب منه الغوث من المحل، والأرجوزة بعد ذلك ليس فيها إلا معاني المدح العادية، فهو يصفه بوضوح الجبين، وبالسماحة والكرم، ويشبهه بالبدر ويشير إلى معنى شعري جميل حين يقول «يزيد النظر انفساحا» كأن الحدق حين تراه تتسع فترى أكثر، وتتأثر رؤياها بالمرئي فتزيد

حدة لأن المنظر بهيج، ثم يستنجد به، ويلفت نظره للقحط الذى أصاب أرضهم، ويقول له إنهم يرجون الله ويرجونه.

أما الأرجوزة الثانية فيذكر فيها زفر صراحة، وهو يمنى فيها ناقته بملاقاة فتى جواد فلابد من الدرعة والنشاط، ويصفه بكونه أغر، وبأنه يحافظ على عهده حيث لا يحافظ الناس، وأنه من الأهمية بحيث يقدم النفع والضر، وأنه شجاع:

ياناق خبى خببا زورا
وقلبى منسمك المغبرا
وعارضى الليل إذا ما اخضرا
أخبرك البارح حين مرا
سوف تلاقين جوادا حرا
سيد قيس زفر الأغرا
ذاك الذى بايع ثم برا
ونقض الأقوام واستمرا
قد نفع الله به وضرا
وكان فى الحرب شهابا مرا

ولا يؤثر البيت الذى قبل البيت الأخير فى ترجيحنا لأن تكون هذه الأرجوزة قد قيلت فى زفر قبل أن يأسر القطامى، ولا نظن أنه يعنى بالبيعة والبر، ونقض القوم والاستمرار مسألة عفو زفر عنه؛ لأنها بعيدة عن الموضوع فلا بيعة هناك ولا عهد، ثم إن هذه الصفة من الصفات العامة التى كان يمدح بها الناس.

أما بقية مدائح القطامى فى زفر فإنها تحمل فى طياتها أنه قالها بعد أن أسره وعفا عنه، ولن نعيد حادثة أسره، وإنما نقول إن شعر القطامى فى هذا الجانب يدل على التفاعل العميق بين شخصية زفر وشخصيته، فهو لا يعرض لمدحه حتى نحس ذلك الإعجاب الشديد من الشاعر لممدوحه، ونحس الحب الصادق والاعتراف المخلص بالجميل، لم يتخلف مرة إحساس القطامى بأن زفر رد إليه الحياة، وحال بينه وبين الضياع، وأعاد إليه توازنه الذى اختل بحادثة أسره، فمرة يقول له إن قومنا أعداء، ولا يوجد بينهم سوى الطعن والضرب، ولكننى على الرغم من ذلك أثنى عليك لأنك رددت إلى نفسى، واستبقيتنى وقد كنت على شرف الموت، وسأجازيك إحسانا بإحسان، ولن أكون كنودا فأرد لك المروءة شتما أو الجميل نكرانا، وكيف أهجوك وقد أكرمتنى، على أننى إن مدحتك كنت أو فيك حقك فقد قيدتنى بجميلك، وإذا أتى اليوم الذى تقع فيه ضائقة فسأحاول التفريج عنك كما فرجت عنى، وياليت هذا اليوم يأتى:

من مبلغ زفر القيسى مدحته
من القطامى قولا غير إفناد

إنى وإن كان قومى ليس بينهم
وبين قومك إلا ضربة الهادى

مثن عليك بما استبقيت معرفتى
وقد تعرض منى مقتل بادى

فلن أثيبك بالنعماء مشتمة
ولن أبدل إحسانا بإفساد

فإن هجوتك ما تمت مكارمتى
وإن مدحت لقد أحسنت إصفادى
فإن قدرت على يوم جزيت به
والله يجعل أقواماً بمرصاد[31]

وهناك رواية تقول إن زفر حين سمع ذلك لم يرض به، وقال للقطامى: لا أقدرك الله، وورود الرواية هكذا بصيغة الخطاب تعطينا أن القطامى كان ينشدها زفر مواجهة مما يدل على أن زفر كان يفد عليه. ومرة أخرى يقول له إنك شجاع مقدام، وإنك تثبت حين يفر الناس، وإنك صنت حرمتى وصانها ابناك، وإن الله قد حقن بك دمى عن أن يراق بعد أن نالنى من الجهد ما نالنى، وحين اشتجرت الرماح، ونالنى السنان بطعنه كنت منقذى من الضيق على حين احتشدت الخيل، وضاق الأمر على تغلب فدعت أعوانها:

يازفر بن الحارث بن الأكرم
قد كنت فى الحرب كريم المقدم
إذ أحجم القوم ولما تحجم
إنك وابنيك حفظتم محرمى
قد حقن الله بكفيك دمى
من بعد ما ذب لسانى وفمى
والرمح يهتز اهتزاز المحجم
والخيل تحت العارض المسوم
وتغلب يدعون يالأرقم

ومرة ثالثة يذكر له أنه أكرمه فى شدة يحجم فيها الناس عن الإكرام، وكيف يكفر بنعمته وقد وهب له الحياة بعد أن كانت مهددة، ولم يكتف بذلك بل زاد هبة وعطاء؟، ثم يقول له إنه لو كان فى حوزة إنسان سواه يوم وقع فى الأسر لما أمل فى الخلاص، ولكان على شرف الهلاك:

ومـن يكـن اسـتـلام إلـى ثـوى
فـقـد أكـرمت يازفـر المتـاعـا

أكـفـرا بعـد رد المـوت عنـى
وبعـد عطـائك المـائة الرتـاعـا

فلـو بيـدى سـواك غـداة زلت
بى القـدمـان لم أرج اطـلاعـا

إذن لهـلكت لـو كـانت صـغـار
من الأخـلاق تبـتـدع ابـتـداعـا

هذه هى مدائح القطامى فى زفر حللناها هذا التحليل، ولنا إليها عودة لننظر فيها من جانب آخر. نأتى بعد ذلك إلى مدائحه التى ابتغى بها العطاء، فنعرض أول ما نعرض لمدائحه فى أسماء بن خارجة، ونحن نرى القطامى يصفه بالعلم والأدب، وبأنه سباق إذا تسابق الناس للأمور العظام، وأنه اختاره لجوده فلم يخب، وكذلك أسماء من قصده لا يخيب، ثم يتكلم كلاما عاما يريد أن يستدل منه على شرف أصل ممدوحه، فيقول إن من الآباء من هو شؤم على بنيه، ومنهم من هو يمن، ومنهم من يورث أبناءه مجدا، ومنهم من هو عكس ذلك، ثم يذكر أن الناس إنما ينتجعون صاحب الفناء الرحب... إلى آخر هذه الصفات المعروفة من المجد وجبن الكلاب، وأخيرا يمدحه بكرم أصله، وأن آباءه أنجبوه وهم على ذكر حسن فأتى على هذه الصفة الحسنة، يقول

لناقته:

وعليك أسـمـاء بن خـارجـة الذى
علم الفـعـال وأدب الفـتـيـانا
فـسـتـعلمين أصـادق رواده
فـيـه وأى فـتى فـتى غطفـانا
قـرم إذا ابتـدر الرجـال عظيـمـة
سـبـقت إليـه يمينه الأيمانا
فـاخـتـرت أسـمـاء الجـواد فلم تخب
يد راغب علقت أبا حـسـانا
إن الأبـوة والـدان تـراهـمـا
مـتـقـابلين شـآمـيـا ويمانا
فـأب يكون إلى القـيـامـة مـجـده
وأب يكون على بنيـه ضـمـانا
فـتـرى الرفـاق يوجـهـون ركـابهم
نحـو العـريض منا دحـا وخـوانا
يلجـون من أبواب دارة مـاجـد
ليـست تهـر كـلابه الضـيـفـانا
غطفـان سـيـدهم أبوك وخـيـرهم
ولدوك حين تذكـروا الإحـسـانا

ومرة أخرى يمدحه فلا يخرج عن هذه المعانى التقليدية، فيعرض لكرم آبائه وكرم صفاته، ويذكر أمه وفضلها، ويذكر أنه أمل لقيس كلها، إلى آخر هذا الكلام الذى لا يخرج عن الدائرة المعروفة، ولذلك فإننا نكتفى بالإحالة على مكان هذه القصيدة من الديوان حتى لا نطيل بذكر نصها(٣٢).

ومن هذا النوع مدحه لعبد الملك كما قلنا، ويقول لعبد الملك إنه نور كما أن النهار نور لليل، ثم يمدحه بأصله وكرمه وشجاعته، وبأنه حمل الخلافة ثم أسلمها لمن بعده:

أمـــيـــر المؤمنين هدى ونور

كـــمـــا جلى دجى الظلم النهـــار

قـــريع بنى أمـــيـــة من قـــريش

هم الســـر المهـــذب والنضـــار

فـــعـــبـــد الملك للفـــقـــراء طعم

وحـــرز ليس مـــعـــقله يضـــار

وقـــد حـــمل الخـــلافـــة ثم حل

بهـــا عند ابن مـــروان القـــرار

ومن هذا النوع أيضا مدحه للوليد بن عبد الملك، وهو يقول له إنه رحل إليه والنفس مفعمة بالأمل فيه، وإنه إذا حصل على أمله فيه قرت عينه واطمأنت نفسه، ثم ينص على خلافته وخلافة أبيه، ويقول له إنك تمسك بزمام هذه الأمة، سعادتها بيدك، وشَقاؤها بيدك:

أرجـو الخليـفـة إذ رحلت مـيـمـمـا

والنفس تدرك فى الرحـــيل مناها

وإذا علقت من الوليـد بذمـة

سكنت إلى جـوانحى وحـشـاها

أنت الإمـام ابن الإمـام لأمـة

أضـحى بكفك فـقـرها وغناها

أما مدحه لعبد الواحد فقد ضرب فيه على وتر هام.. كان عبد الواحد أميرا على المدينة، وقد تناوله من هذه الناحية فقال إنه يضبط الأمور، وإن جانب المدينة آمن مادام حيا، وذلك بعد أشياء تقليدية قدم فيها بالحديث لناقته، وأعقب مدحه له بالحديث عن قريش، وتثبيتهم للإسلام، وأفضالهم على القطامى(٣٣).

وحين نأتى للنوع الثالث من مدائحه نراه يمدح همام بن مطرف بالشجاعة، ومداومة الحرب، وبأنه يختار حياة الجهاد على حياة النعيم واللذائذ، وأن خيله ملجمة مستعدة للوقائع، ثم يمدحه بذكر شرف أصله:

تذكـرت همـامـا وذكـرنى به

زمـان كـأحناء الرحـالة آزم

بأبيض مـا ينفك عـاقـد راية

لمرد على جـرد لهن همـاهم

وخـير فـاخـتـار الجهـاد وقد ترى

لديه نسـاء مـرشـقـات نواعم

لأفـراسه يومـا على الدرب وقعـة

تصلصل فى أشـداقـهن الشكائم

نما بك ياهمام شيخ ورثته
بنى لك والآباء بان وهادم

ومرة أخرى يمدحه بأنه يصلح بين القبائل، ويقدم الصنائع بين الأحياء شأن السيد الواسع الأفق:

ألم تر هماما فتى تغلب الذى
تعاوره الأيام واضطره الدهر
بنى بين حيى وائل بصنيعة
فلا تغلب لامت أخاها ولا بكر

وفى مدح أيوب بن القرية لا نجد أكثر من أنه سيد قبيلة، ومالك زمامها، وهو عنوان عليها، وأخيرا فإنه شجاع:

ساد ابن قيس بيوت النمر واعترفت
له أتم ذراعا فوقها غربا
مد اليمين فلم تقصر أنامله
وأدرك السورة العليا التى طلبا
أيوب أنت زمام النمر إذ نسبت
إذ المخبر عن مجهولها نسبا
أنت الموطئ أكناف الرجال إذا
هز القناة ورد القول وانتصبا

مدى الصدق النفسى والفنى فى هذا المديح:

نرجو أن يكون عرضنا لشعر المديح عند القطامى قد ألقىَ ضوءاً يساعدنا ونحن نتكلم فى هذه النقطة الجديدة، والناظر فى هذا الشعر يمكنه أن يميز

بسهولة بين شعره فى زفر وشعره فى غيره، ولا نبعد عن الصواب إذا قلنا إن شعره فى زفر يتوفر فيه الصدق الفنى والنفسى، فهو لم يمدحه بكلمة إلا وهو يعنيها تماما، وقد استغرق فى مشكلته التى عاشها مع زفر أعنى مشكلة الأسر والفداء، وهى تجربة خصبة عاناها القطامى وعبر عنها بصدق عميق، وكانت شخصية زفر مصدر وحى للشاعر، ودل شعره فيه على حبه له وإعجابه به، وجوّد فى هذا الشعر بمقدار ذلك الحب، ويحسبنا هذا دلالة على ما نريد.

أما شعره الذى أراد به العطاء فهو شعر عادى يكرر فيه معانى المدح القديمة، ولكن ذلك لا يجعلنا نسقط هذا الشعر، فالصدق الفنى موجود فيه، وذلك أنه إذا لم يحب الشخص حبا صادقا فقد أحب المال حبا صادقا، وقد دفعه ذلك إلى استعمال إمكانياته الفنية، فوجدناه يمدح كل شخص من هؤلاء بما يناسبه مما يدل على أنه صاحب كف صناع فى هذه الناحية، فهو يمدح أسماء بصفة الكرم وهى الصفة الرئيسية فيه، ويذكر له من الصفات التى أشرنا إليها ما يجعله يحس بأنه سيد كبير فيتحرك للعطاء، ويمدح عبد الملك بالخلافة وتحملها ويرفع من أجداده موقعا له النغمات التى تطربه، ويمدح الوليد فلا يخرج عن هذه الدائرة، ويمدح عبد الواحد فيذكر أنه أمن المدينة، وأدى وظيفته ـ كأمير ـ أداء كاملا.

وهذه الصفات التى مدح بها القطامى هؤلاء تدلنا على أنه خبير بالأمور التى تحرك اليد للعطاء، وخبير بالمواصفات والتقاليد التى جرى عليها مدح الخلفاء والأمراء فى ذلك الحين، وهذه الناحية هى التى تجعلنا نقول إن الصدق الفنى يواكب هذا الشعر، ولأن هذا الشعر لا يتوفر له الصدق النفسى على نحو كامل، الأمر الذى يفسح للشاعر مجال القول فى شخصية الممدوح نتيجة لتفاعله معها، وحبه إياها، فإننا نلاحظ فى هذا النوع من مديح القطامى

ظاهرة خاصة وهى هربه من مواجهة الشخصية والتعمق فى جوانبها إلى الكلام العام أحيانا كما فعل مع أسماء بن خارجة، وإلى ترك شخصية الممدوح ومدح قبيلته أحيانا فهو لا يكاد يأخذ فى مدح عبد الواحد حتى يتركه ويمدح قريشا، وهو حين يمدح عبد الملك يمدح قريشا أيضاً، ويمس الممدوح آخر الأمر مسا خفيفاً، يقول:

فــأين ذوو البطاح ذرى قــريش
وأحــلام لهم مــا تســتــعــار

ونحن رعــيــة وهم رعــاة
ولولا رعــيــهم شنع الشنار

فــإن لم تأتمر صلحــا قــريش
فليس لسـائر العــرب ائتــمــار

وفــضلهم بإذن الله صــبــر
وضــرب للأعــادى واحــتــقــار

وأخيرا يأتى شعره فى مدح همام بن مطرف، وأيوب بن القرية، وهو ما لمحنا فيه أن أساسه قبلى، وقد لاحظنا من تحليلنا له أنه يتمشى مع الهدف الذى قيل من أجله، ولا يعنى هذا أن القطامى لم يكن يحس بإعجاب وحب شخصيين نحو ممدوحيْه، ولكن هذا الحب لم يطغ حتى يطبع شعره ويلونه، فوجدناه يمدحهما بالنواحى التى تدخل فى مجال الفخر القبلى، ويكتفى بذلك مؤديا وظيفته كشاعر نحو شخصين تجمعه بهما أواصر القربى، وتحتم القبلية تقديرهما عليه.

الخيال والأساليب فى مدائح القطامى:

تقل عناصر الخيال فى مدح القطامى قلة ملحوظة، وتكاد تنعدم الصور التى رأيناها لديه فى شعر الوصف على وجه الخصوص، وحين نبحث عن عناصر الخيال فى هذا القطاع من شعره لا نعثر إلا على بعض التشبيهات منثورة هنا وهناك، وذلك كقوله فى زفر:

كـــأن فـى المـوكـب حـين لاحـــا
بـدرا يزيـد النظــر انفــساحــا

أو قوله فى مدح همام:

تذكــرت همـــامـــا وذكـــرنى بـه
زمـــان كـــأحـنـاء الرحـــالـة آزم

أو قوله فى مدح أسماء:

أغـــر إذا اصطك الجـــبـــاه كـــأنـه
هلال بدا من مـسـجـفـات الغـمـائم

أما السبحات الخيالية، ورسم الصور الفنية التى يشكلها الخيال ويبدعها فأمر نفتقده هنا، ولا ندرى ما تعليله، فقد يكون الموضوع نفسه هو الذى فرض ذلك، بمعنى أن المدح لا يتحمل الأخيلة المحلقة ولا يوائمها، على أن هذا التعليل لا يبدو مقنعا، وقد يعترض عليه بأن الشاعر ذا الخيال الرحب، والشاعرية الفذة لا يعترف بأن موضوعا يلائم الخيال ـ الذى هو عمود كبير من أعمدة الشاعرية ـ دون موضوع، وهذا صحيح إذا كان الشاعر مجددا لا يعبأ بالقديم، ولكن القطامى كان ملتزما للمواضعات الشعرية القديمة التزاما صارما، فاكتفى فى مدائحه بتكرير المعانى التى عبد طريقها المادحون قبله، وإذا كان قد أتى فى مدح زفر بشىء جديد فهو جدة فى الموضوع وفى المعنى نظرا لأن القطامى وجد نفسه مع زفر إزاء موقف خاص هو موقف الأسير أمام

من أطلق سراحه، فانفعلت نفسه بهذا المعنى، ودان لزفر بالجميل، وقيد نفسه فى هواه كما يقول المتنبى.

أما الألفاظ والأساليب فلم تخرج عن الإطار العام الذى رسمناه سابقا لها فى الوصف والشعر القبلى، وهو انتقاء الألفاظ والأساليب فلم تخرج عن الإطار العام الذى رسمناه سابقا لها فى الوصف والشعر القبلى، وهو انتقاء الألفاظ انتقاء يجمع بين الجزالة والرقة، وتكوين بناء أسلوبى منها يحمل نفس الصفات كما يحمل البناء سمات الأحجار التى استعملت فيه، وأما موسيقى ذلك المدح ففيها الطابع المعهود فى موسيقى القطامى، فهى تحمل القوة التى لا تصل إلى حد الجلبة، وتحمل العذوبة التى لا تصل إلى حد الخفة، هى موسيقى وقورة تطرب الأذن والنفس، وترضى العقل والشعور.

وإذا كان لنا ملاحظة على الشكل الموسيقى الذى صاغ فيه القطامى مدائحه فهو أننا نرى الأراجيز لأول مرة عنده فى هذا الجانب، ولا نريد أن نفتعل فنلتمس لكل ظاهرة نلاحظها سببا، ويكفى أن نقول إن استعمال القطامى للرجز لم يخرج بشعره عن طبيعته السلسة الرقيقة، فعلى الرغم من أن أراجيز العجاج ورؤبة قد ربطت هذه الناحية فى أذهاننا بالكلمات الغريبة، والأساليب اللغوية الصعبة فإننا لا نحس أى اختلاف من هذه الناحية بين رجز القطامى وقصيده.

٤ ـ الغزل:

إذا نظرنا فى غزليات الشاعر رأينا أغلبها فى مفتتح القصائد مما يجعلنا نقول إنه يمهد بالغزل لما يقصد من أغراض ينشئ لها قصائده، على أنه فى بعض الأحيان يشعرنا بأنه يريد أن يتغزل لذات الغزل، وذلك حين يطيل الغزل أو حين يعرض له عرضا مقصودا، وبنظرة سريعة إلى غزليات القطامى نخرج بحكم واحد عليها، وهو أنها غزليات تقليدية تبع فيها الشعراء القدماء، ونسج على نهجهم، من أمثال امرئ القيس والأعشى والنابغة، وإذا كان الغزل

لدى هؤلاء حسيا يمجد الجسد، ويذكر ساعات اللهو، ويتحسر على أيام الشباب، فقد وجدنا نفس الخصائص فى غزل القطامى، فهو يفيض فى الكلام عن الجسد، ويعدد أعضاء محبوبته ومعالمها الجسدية، وتبهره الفتنة والسحر الحسيين، ولا يلتفت إلى ذات نفسه أو إلى ذات نفسها إلا فى أحوال قليلة لا تقاس بجانب الأحوال الأخرى، وسنتناول اللمحات النفسية فى شعر القطامى أولا، ثم نفصل النواحى الحسية على أنها مقاييس الجمال التى يتطلبها القطامى، أو التى كانت تشده إلى صاحباته. من هذه اللمحات أنه يود أن تحل حبيبته قريبا منه لكى تقر عينه بهذا الحلول، وقرة العين معنى نفسى لا يعنى سوى الراحة، على أنه لا يكتفى بذلك بل يشير فى نفس الموضع إلى أنه يتمنى ذلك لكى يرى صاحبته، ولو اقتصر على ذلك المعنى لما كان معجبا، ولكنه يزيد على ذلك أنه يتمنى قرب حبيبه ليراه حبيبه:

فتحل حيث تقر أعيننا بها

فنرى أميمة فينة وترانا

ونحن لا نستطيع أن نكتم إعجابنا الشديد باللمحة النفسية الرائعة فى قوله «ونرى أميمة... وترانا» إذ ما فائدة أن يرى الإنسان حبيبه دون أن يراه حبيبه؟؛ إن عملية التفاعل تظل فى هذه الحالة ناقصة بل معدومة، وهو أحيانا يترك الكلام فى الناحية الحسية فينعطف إلى ذات نفسه، ويصور لنا مكان حبيبته فى فؤاده فيقول إن لحبيبتى روضة فى قلبى لم يتمتع بمثلها غيرها من النساء المكروهات:

لها روضة فى القلب لم ترع مثلها

فروك ولا المستعبرات الصلائف

وهو يذكر فى موضع آخر أنه يرتاح لحبيبته، وعلى الرغم من أن هذا المعنى عادى إلا أننا نذكره على أنه من المعانى التى أحس فيها بأثر صاحبته فى نفسه:

أمست علية يرتاح الفؤاد لها

وللرواسم فيما دونها عمل

ولا نكاد نعبر هذه اللمحات السريعة حتى يواجهنا غزل القطامى على حقيقته، وسنعرضه محللين له، وسيتضح من عرضنا وتحليلنا نوع هذا الغزل، ومقاييس الشاعر الجمالية على السواء، فحبيبته بيضاء، مستوية المنكبين، بضة، ممتلئة الردفين، لم تنقص من اكتناز جسمها كثرة الولادة:

بيضاء محطوطة المتنين بهكنة

ريا الروادف لم تمغل بأولاد

ويعاود وصفها بالبياض فيقول:

أذلك أم بيضاء ما لإنس حرة

أتاها بود الصدر منى الخطاطف

وهى فى موضع آخر مشرقة كالشمس تنير دور قومها، وهى تتخفف مما تستر به مناكبها فتبدو وكأنها صفائح من فضة فى البياض والصفاء، وإذا استحمت ضاع جسدها طيبا، وبدا بضا ممتلئا، أما شعرها فيلوح النعيم على مفارقه، وهو مرجل قد سقى بالدهن مرة بعد مرة، وهى لينة لين الملاءة الطرية أو الحشية الوثيرة، أما ريقها فإنه طيب، وأسنانها كأن عليهما الخمر:

شمس بيوت بنى الحصين تجنها

فتضىء دورهم لها أحيانا

تضع المجاسد عن صفائح فضة
بيض ترى صفحاتهن حسانا
فترى لها بشرا يعود خلوقه
بعد الحميم خدلجا ريانا
وترى النعيم على مفارق فاحم
رجل تعل متونه الأدهانا
فكأنما التفع الضجيع بريطة
لابل تزيد وثارة وليانا
وكأن طعم مدامة عانية
شمل الرياق وخالط الأسنانا

أما جيدها فكأنه جيد الظبى قد حلى بما علق فيه من أشياء تزينه:

قطعت إليك بمثل جيد جداية
حسن معلق تومتيه مطوق

وصاحبته ـ فى موضع آخر ـ ضخمة الجسم يكاد يختل منها توازن الجمل العظيم، ويوشك أن ينكسر إذا قام بها:

تهد محال آدم دوسرى
يخون بها ملاطاه الفقارا
فلما قام كبر من يليها
وقالوا خالط الجمل انكسارا

وهى متوسطة الطول تزيد عن القصار، ويزيد عنها الطوال:

ترى السمك الطوال يحدن عنها

وتبهر فى المقاومة القصارا

أما أسنانها فبيضاء كالبرد، وهى إذا ابتسمت نور ثغرها لصفاء أسنانها:

ليست ترى عجبا إلا بدا برد

غر المضاحك ذو نور إذا ابتسما

تلك هى المعالم التى وصفها القطامى من المرأة[٣٤]، وهى كما نرى تحتفل بالجسد احتفالا، وقد ألح على بعضها بالتكرار والإعادة؛ فقد وصفها بالتنعم كما ذكرنا، وعاد إلى هذا الوصف مرة أخرى فشبهها بالغزال فاتر الطرف الذى ينعم فى الظل، ويصان عن أن يتعرض لحر الهاجرة:

وأرقنى ألا يزال يروقنى

غزال أناس قاصر الطرف فاتره

له مستظل بارد فى مخدر

كنين إذا شعبان أحمت هواجره

وقد أشرنا إلى وصفه لريقها، وهو يلح على هذه الناحية فيشبهه مرة بالماء الحلال الطيب، ثم يستطرد إلى أن هذا الماء صاف أتى من السيل الذى لم يطرق بالدواب وغيرها فيلوث، وأن حبيبته تجود على ضجيعها بعد أن تأمن عليه الرقباء بثغر مفلج عذب المذاق كأنه أقحوان سقى بماء الندى، ثم جففه ريح الشمال، وأشرقت عليه الشمس، وأخيرا يعود إلى ريقها فيشبهه بالغمام الذى يتقاطر من ثنايا نبات الشرق بعد أن نزل عليه:

طرقت بأطيب ما يحل لمسلم

بالقريتين وليلة بالأبرق

مما يفـــرغ بالأباطح سـيله
أو بالقـلات من الصـفـا لم يطرق

تعطى الضـجـيع إذا تنبـه موهنا
منهـا وقـد أمنت له من تتـقى

عـذب المذاق مـفلجـا أطرافـه
كـالأقـحوان من الرشاش المستـقى

نفـضت أعـاليـه الشـمـال تهـزه
وغـدت عليـه غـداة يوم مـشـرق

وكـأنما جـادت بماء غـمـامـة
خـصـر تنزل من مـتـون العـشـرق

ولا يسأم من هذه الناحية فيعود إليها مرة أخرى ذاكرا أن حبيبته منعمة تجرى الأراك على أسنان كالبرد متفرقة شتيتة الأصول، وكان ما تجود به من ثغرها ماء غمامة وافى صديان ظامئا:

منعـمـة تجلو بعـود أراكـة
ذرى برد عـذب شـتـيت المناصب

كـأن فـضـيضـا من غـريض غـمـامـة
على ظمـأ جـادت به أم غـالب

ويقول فى هذا الجانب:

كـأن ثنايـاها ذرى أقـحـوانة
عـلاها ندى الشـؤبوب سـاعـة صـابا

لقد ذكرنا أن القطامى وصف صاحبته بالطيب، وقد عاد إلى هذا الوصف ووضحه، وأضاف إليه، فعقد لها صورة روضة فيها من الزهر ذى الرائحة الذكية ما فيها، وهى على قنة جبل لم يصل إليها الرعاة فتذهب بهجتها وريحها، ثم قال إن هذا كله لا يصل إلى طيبها حين يداعب الوسن عينيها فتتقلب على هذا الجانب وذاك:

ومـــا ريح روض ذى أقـــاح وحنوة

وذى نفل من قلة الحـــزن عـــازب

ســقـتــه ســمـــاء ذات طل فنقــعت

نطاقــــا ولما يأت ســـيل المذانب

بأطيب من ليلى إذا مـــــا تمايلت

من الليل وسنى جـانبـا بعـد جـانب

وقبل أن نترك هذا العرض نتعرض لظاهرتين كثر ورودهما فى غزل القطامى: أما الظاهرة الأولى فهى تحسره على أيام الشباب، وقد أشرنا إلى ذلك ونحن نحاول تحديد عمره، وإذا كان هناك موضع هذا الكلام فإن هنا موضعه أيضًا من زاوية أخرى فليس فى إعادته تكرار، فهو يدعو على الكواعب أن يفارقن الحياة كما فارقته حين وافاه الشيب، ويقول إنهن يملن إلى الشباب، وقد كن يملن إليه حين كان شابا يخوض فى اللهو مع إخوانه:

مـــا للكواعب ودعن الحـــيـــاة كـــمـــا

ودعنني واتخـذن الشـيب مـيـعـادى

أبصـــارهـن إلى الشـــبـــان مـــائلة

وقـــد أراهن عنى غـــيـــر صـــداد

إذ باطلى لم تقشع جاهليته
عنى ولم يترك الخلان تقوادى

وهو يعانى أزمةَ من دَهَمَهُ الشيب على حين ظل قلبه شابا، فهو على الرغم من أن شعره الأسود قد ابيض، ومشيته المتبختره أضحت خطوا متقاربا ضعيفا، مازال يحس بأشواق بين جنبيه لحبيبه:

فإن أمس قد بدلت شيبا وحكمة
ومشيى من بعد التبختر دالف
فكم من حبيب بان أهوى جماعه
وخطب خطوب كلفتنى التكالف

ويحس ببرودة الشيب فيصرخ من أعماقه فى أمنية بعيدة قائلا لصاحبته هلا جئتنى أيام الحياة الحلوة حين كنت أرتدى ثوب الشباب القشيب:

هلا طرقت إذ الحياة لذيذة
وإذ الشباب قميصه لم يخلق

ومرة أخرى يعود إلى لعن الغانيات لأنهن هجرنه، ولم يحيينه بما كن يفعلن حين كان شابا، وذعرن إذ رأينه أشيب:

لعن الكواعب بعد يوم صرمننى
بشرا الفرات وبعد يوم الجوسق
عدين كل تحية يعلمنها
ونفرن من شمط تغشى مفرقى

وأما الظاهرة الثانية فهو حديثه عن خلف النساء للوعد، وبخلهن بالوصال، وقد تكرر ذلك فى شعره، فقال مرة إن النساء أكثر الناس خلفا للوعد وحنثا فى

اليمين الذى يؤكدن به ذلك الوعد، ولكن هذا الحنث لم يخرجهن عن ميل النفس إليهن:

وإذا وعـــدن فـــهن أكـــثـــر واعـــد

خلفـــا وأملح حـــانث أيمانا

وفى موضع آخر يقول:

بكرن فـمـا ينجـزن عـهـدا عـهـدنه

إلى النخل تحـــدو ظعنهن المناصف

وأحيانا يقول: إن الغوانى كالجن أو كالرياح تلونا وتغيرا، وإنهن يكرهن المشيب، فإذا خاطبنك بـ «يا عم» فلا تجب، لأنك إذا اعترفت بهذا لم تنل من ورائه إلا الحقارة والهوان:

وأرى الـغـــــوانى إنما هى جنة

شـــبـــه الرياح تلون الألوانا

فـإذا دعـونك عـــمـــهن فـلا تجب

فـــهناك لا يجـــد الصـــفـــاء مكانا

نسب يزيدك عندهن حـــقـــارة

وعلى ذوات شـــبـــابهن هوانا

ويقول إنه من مواعيد صاحبته أشبه بالسائر فى الفلوات لا يحصل على ما يريد، وهى لم ترحه من عنائه لأنها لم تف بما وعدت، ثم يذكر أن هذا ليس شأنها وحدها بل شأن صواحبها بخلا وخيانة وكذبا فى اليمين والوعد:

ولم يكن مـــا ابتلينا من مـــواعـــدها

إلا التـــهـــاته والأمنيـــة الســـقـــمـــا

قـولا يكون من الإخـلاف صـاحـبـه
غـيـر المريح ولا الموفى بما زعـمـا

ومـا البـخـيلة إلا من صـواحـبـهـا
ممن يخـون وممن يكذب القـسـمـا

وفى حديثه عن بخلهن يضيف إلى ما ذكره فى البيت الأخير أن صاحبته قد بخلت فما تجود إلا بالحديث المختلس:

بخلت عليك فـمـا تجـود بنائل
إلا اخـتـلاس حـديثـهـا المتـسـرق

هل للقطامى تجربة حب حقيقية؟

نقصد بتجربة الحب الحقيقية التفرد فى الحب بمعنى أن يختص الإنسان بإنسانة معينة يتعمقها، ويقف نفسه على هواها، ويسخر إمكانياته لها، ويشدو بذكرها، ويجد فيها مكملا له، ومحققا لرغباته، وليس معنى هذا أننا نريد ذلك النوع من الحب العذرى الذى يقوم على التفانى والتجريد والحرمان، وإنما نقصد الحب بمعنى الاختصاص بواحدة، ولو كان هذا الاختصاص ليس عذريا، فإعجاب الشخص بإنسانة معينة وبنوع من الجمال يتمثل فى نموذج خاص ولو كان هذا الجمال جسديا داخل فيما نعنيه، ولا نعتقد أن القطامى قد تعرض لتجربة حب من هذا النوع الذى يقوم على الإعجاب الخاص، وإنما هو يعسوب طائر يهوى الزهرات جميعا، ويرشف منها جميعا، فنحن نراه يذكر فى شعره عددا كثيرا من المحبوبات:

عُلَيَّة:

أمـسـت عليـة يرتاح الفـؤاد لـهـا
وللرواسم فـيـمـا دونهـا عـمـل

سليمى:

مـا اعـتـاد حب سليـمى حين مـعـتـاد

ومـــا توفى بواقى دينهــا الطادى

أميمة:

زوروا أمـــيـــمـــة طال ذا هجـــرانا

وحـــقـــيـــقـــة هى أن تزار أوانا

جنوب :

طرقت جنوب رحـــالنا من مطرق

مـــا كنت أحـــســـبـــه قـــريب المعنق

ليلى:

نأتك بليلى نيـــة لم تقـــارب

ومـــا حب ليلى من فـــؤادى بذاهب

جمانة:

وحـــبل من جـــمـــانة مـــســـتـــجـــد

أبـــيـــت لأهـــلـــه إلا ادكـــــــارا

رباب:

خـــلا أنه ليـــست تغنى حـــمـــامـــة

على ســـاقـــهـــا إلا ادكـــرت ربابا

رميم:

بانت رمـــيم وأمـــسى حـــبلهـــا رمما

وطاوعت بك من أغـــرى ومن صـــرمـــا

فهذا الجيش من المحبوبات ـ إن كن أسماء حقيقية ـ يدل على أن القطامى لم يركز فى إنسانة معينة ليشبع منها عاطفته الإنسانية أو الجسدية، وقد تكون هذه الأسماء رموزا، ولكننا لا نعتقد أنها ترمز إلى حبيبة معينة لأننا سنذكر من شعر القطامى ما يدعم رأينا فى أنه لم يحب حبا حقيقيا، ولكنها ـ إن صح أنها رموز ـ رموز يحقق بها القطامى رغبته فى تقليد القدماء وتعدد الأسماء فى أشعارهم، ومما يساعدنا على هذا التفسير أنه يذكر من بين تلك الأسماء اسم ضباعة بنت زفر رب نعمته ومنقذه على شكل لا يبعد عن الغزل:

قـفى قـبل التـفـرق ياضـبـاعـا

ولا يك مـوقف منك الوداعـا

قـفى فـادى أسـيـرك إن قـومى

وقـومك لا أرى لهم اجـتـمـاعـا

ولو لم يكن هذا الاسم مجرد تقليد ورمز فقد معناه الحقيقى لما كان من الأدب واللياقة أن يتغزل القطامى فى ابنة زفر، وهو يكن له من الاحترام الحقيقى ما أشرنا إليه فى المديح، وعلى كلتا الحالتين فإن ذلك يدل على أن القطامى لم يقتصر فى حبه على إنسانة خاصة.

ولو استعرضنا شعر القطامى لاستطعنا إضافة دليل آخر بل أدلة إلى ما نحن بصدد إثباته من أنه لم يحب بالمعنى الذى حددناه، فهو يميل إلى الحديث الجماعى فيقول مثلا إن فى الخدور نساء كالغمائم ظهرن لنا حتى أوقعننا فى حبائلهن، ونحن شهداء حديثهن القاتل الذى هو إشارات ورموز متبادلة لا يعلمها الرقباء، وإن هذا القول كالماء الذى يأتى على غلة وصدى فهو ينقعها ويبردها:

وفى الخدور غمامات برقن لنا
حتى تصيدننا من كل مصطاد
يقتلننا بحديث ليس يعلمه
من يتقين ولا مكتومه بادى
فهن ينبذن من قول أصبن به
مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

فاستئناس القطامى واكتفاؤه بهذا الحديث الجماعى يدل على عدم تفرده فى الحب، وأنه امرؤ يولع بالنوع ولا يولع بالنموذج الخاص.

ولا تغرنك حرقته أحيانا، وقوله إن فى اجتماع أحبابه حياته، وفى بينهم موته، مما يوهم أنه ضحية حب عارم:

كنية الحى من ذى الغضبة احتملوا
مستحقبين أسيرا ماله فادى
بانوا وكانت حياتى فى اجتماعهم
وفى تفرقهم قتلى وإقصادى

فهى صورة مصطنعة، وهى تقليد يتبع فيه السابقين، وهو إلى ذلك لم يستطع أن يخرج عن طريقته الجمعية إلى محيط الحب الحقيقى الذى لا يبقى فيه سوى فردين.

ويدخل فى أدلتنا على ما نحن بصدده تكلم القطامى أحيانا كلاما عاما عن الظعن وعن الهوى، وعن أن ذلك يهيج أحزانه، ويتكلم عن الغوانى أيضاً كلاما بعيدا عن وله المحب:

وهيج أحـــزانى حـــمـــول ترفـــعت
عليـــهن غــزلان عليــهـــا الزخـــارف

وبالأمس قــد كـــانت بدت لى طيـــرهم
جــرت بارحـــالو يزجـــر الطيـــر عـــائف

وقـــد كـــان فـــيــهم مـــا دنوا لى نعـــمـــة
ولـهـــــو وحـــــاجـــــات تتلى طـرائف

فـــشت النوى من بعـــد طول إقـــامـــة
ومـــا كل مـــا تهـــوى النفــوس يســاعف

بل إن القطامى يصرح لنا أحيانا بأنه عـاشق للنوع لا للنموذج، فـهـو ليس صريع غانيـة، ولكنه «صريع غوان»، وقد تفاعل مع جماعة الغوانى من شبابه إلى مشيبه:

صـــــريع غـــــوان راقـــــهن ورقنه
لدن شب حـــتى شـــاب ســـود الذوائب

وهو يقدم لنا الدليل على أن نظرته للنساء نظرة اللاهى الذى يمتع حواسه السطحـيـة فى جمـاعـة، تأتى مـجمـوعـة من الرجال، ومـجـمـوعـة من النسـاء، ويندمجون فى هذا الشكل، وقد يختار كل واحد قرينة... أىّ قرينة:

وبيض حـــســـان يتـــبـــعن إلى الصـــبـــا
رســولا كـمــا انقــادت عــتــاق النجــائب

فــــأقـــــبلن مـــــا يمشين إلا تـأورا
حـــســـان الوجــوه ضـــافــيــات الذوائب

فلمــا التــقــينا قــام للعــاج رنـة
ومـلـنا قـــرانى مـن سليـب وســالب

ويقص علينا قصة سرب من العذارى راودهن، ونازعهن ثيابهن، فاعتذرن بأن حيهن قريب، وعيون أهلهن يقاظى وكلابهم ساهرة، ومازال القطامى بهن حتى بعدن عن الحى واستترن بالليل، وقد كن أربعا لـها بهن القطامى، ولعب بحليهن ومعاصمهن، وقدم لنا أخيرا اعترافا صريحا بأنه لا يبغى تجارة ولا حاجة سوى اللهو بالنسوة الناعمات:

وسـرب عـذارى بين حـيين مـوهنا
مـن الليل قـد نازعـتـهن ثـيـابا
وقـلـن لنـا أهـل قـــريب فنتـــقى
عــيــونا يقـــاظى منهم وكـــلابا
دبيب القطا حـتى اجـتـعلن نحـيـزة
من الليل دون الكاشـحين حـجـابا
تـلاهـين عـنـى واســـتنعت بأربـع
كـــهـمــة نفـسى شـارة وشـبـابا
إذا المعـــصم الريان باشـــرت برده
بكـفى لا عـــبت الوقـــوف لعـــابا
ومــا انطلق التـيـمى يطلب حـاجـة
ولا كـــان أكـــرى بالعــراق ركـــابا
ولكنمــا كـــان القطامى يبـــتـغى
نواعـم خـــلاها العـــزيب عـــرابا

وللقطامى شعر كثير فى هذا الحب الذى يتم فى مجموعة، وحين لم يبق عندنا شك فى طابع حب القطامى يقدم هو لنا الدليل الأخير الصريح:

يهـــازل ربات البـــراقع بالضـــحى

ويخـــــــرج من بـاب ويدخـل بـابـا

ولا نريد أن يفهم كلامنا هذا على أنه يعنى أن غزليات القطامى خالية من كل عاطفة، وأنها مجرد كلام يحاكى السابقين، ولا يحس له بصدى فى نفسه؛ لأن القطامى كإنسان وكشاعر لابد أن ينفعل نحو الجنس الآخر بعاطفة ما، وقد أحسسنا هذه العاطفة فى شعره، وهى لم تكن عاطفة الإنسان الذى تستغرقه وتأخذ عليه أقطار نفسه، وتقصره على إنسانة واحدة يجد فيها كل ما يرسم من مثل روحية وجسدية، وإنما هى عاطفة الإنسان اللاهى الذى يجد فى الجنس الآخر متعة تخفف من آلام الحياة، ومن ثم فهو ينتهز كل فرصة لينهل من هذه المتعة، ويستمتع بهذا الترفيه، لا يعنيه بعد ذلك أن تكون مصدر المتعة هذه أو تلك، ولا يهمه أن تقتصر عاطفتها عليه أو تتوزع بينه وبين إخوانه اللاهين، ولقد تشابه شعر القطامى ـ بهذه الصفة ـ مع الغزل القديم فى معانيه، وفى موضعه من القصيدة، وفى طابعه العام، ولكن من حق الشاعر علينا أن نقول إن بيئته هيأته لأن يكون كذلك، فهى البيئة الجاهلية بعينها، ومجتمعه هيأه لذلك فهو يعيش فى عهد الرجعة إلى مقومات الحياة الجاهلية، وإحياء كل ما هو قديم، وهو بذلك يصدر عن مقوماته الشخصية ـ التى طبعته بها بيئته وعصره ـ لا عن مجرد المحاكاة للقديم.

الصورة الشعرية فى غزل القطامى :

لن نعرض هنا لعناصر الخيال البسيطة من التشبيه والاستعارة وما إلى ذلك فهى تتكرر فى غزله، وقد أشرنا ـ ونحن نتحدث عن أغراض شعره ـ إلى أنه كثير التشبيه فى غزله، ولعل ذلك قد اتضح من النماذج التى عرضناها ونحن نحلل شعره الغزلى، ولكننا سنكتفى بالصور الشعرية التى رسمها مستدلين بذلك على طبيعة خياله.

فقد شبه مرة حبيبته بالغزال ـ فى معرض وصفها بالتنعم ـ ثم رسم صورة لذلك الغزال وقد رتع فى الظل البارد داخل خدره على حين تشوى الهاجرة الناس فى الخارج، وقد ذكرنا هذا النموذج من قبل، ومرة أخرى يقول لنا إن ريق حبيبته كالماء الزلال الحلال، ثم يستطرد مع هذا الماء، وأنه مما يسحه السيل فى البطاح وفى الأماكن التى لم تطرق، ويشبه أسنانها بالأقحوان، ويرسم صورة له وقد سقاه الندى ثم هزت أطرافه ريح الشمال، وجففته الشمس فغدا نضرا بهيجا، وقد ذكرنا هذه الصورة ونحن نتحدث عن وصفه للمرأة، وهى تذكرنا بصورة النابغة الذبيانى التى يقول فيها:

كالأقحوان غداة غب سمائه

جفت أعاليه وأسفله ندى

وإن كانت صورة النابغة تعتمد على اللمحة الخاطفة والتركيز السريع، وصورة القطامى فيها الاستطراد والتوضيح، وإضافة بعض الألوان والظلال.

وقد قلنا إن القطامى صور طيب حبيبته بروضة ذات زهر فواح نمت فى قلة جبل، وقال لنا بعد ذلك إن حبيبته ليست بأقل طيبا من هذه الروضة، وقد استطرد استطرادا موضحاً أن هذه الروضة قد سقيت سقيا مناسباً على قدر الرى ولم يأتها سيل فيجتاحها ويفسدها، والذى يقرأ هذه الصورة تحضر فى نفسه صورة للأعشى فى نفس المعنى وبنفس الأسلوب الذى يقوم على الاستدارة وذكر النفى أولا، ثم تفصيل القول فى موصوف، ثم العودة للقول بأن هذا الوصف لا يفضل ما يتحدث عنه، وفى صورة الأعشى روضة الحزن، وفيها الاخضرار، ولكنه يعمم النبت ولا يفصله ويعدده كالقطامى، وإذا جاء إلى حبيبته قال إن هذه الروضة ليست بأطيب منها إذا دنا الأصيل بينما اختار القطامى تقلبها فى الليل جانباً بعد جانب، على أن السماء قد سقتها على قدر عند القطامى، وقد سقاها لدى الأعشى مسبل هطل، يقول الأعشى:

ما روضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها موكب شرق
مؤزر بعميم البنت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة
ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل[٣٥]

وأخيراً يرسم لنا القطامى صورة طويلة زاهية ظهرت فيها خاصيته فى رسم الصور وهى الاستطراد، ومحاولة الاستيعاب، وتوسيع جوانب الصورة، وإضافة مشهد لها هنا ومشهد هناك، فهو يشبه حبيبته بالبيضة المصونة فى

أرض لينة ينبت فوقها الزهر، ولكنه يعبر سريعا من هذا التشبيه ليشبهها بالدرة، ثم يفيض فى الحديث عن هذه الدرة، وكيف أن صيادا مجهداً لكثرة العمل من رجال الهند قد أدركها ونوى أن يصطادها، وقد جاء على متن سفينة تشق به عباب الماء، وهذه السفينة مطلية بالقار، وتلعب بها الأمواج، حتى إذا كانت السفينة فوق الأمواج المتلاطمة رأينا الصياد ينزع ثيابه، ويغوص فى البحر الهائل الذى يحف الموت بمرتاده، ويتعوذ الملاح من أهواله، وقد اتخذ ذلك الصياد عدته فملأ فمه بالزيت ليضىء له ظلمات البحر اللجى إذا غشيته، وليساعده على حيوانات الماء ويدفع عنه أذاها، ومهما يكن من أمر فقد ظفر بها على حين يحدق الموت به وهو فى سفينته:

كأنها بيضة غراء خدلها

فى عثعث ينبت الحوذان والغذ ما

أو درة من هجان الدر أدركها

مصفر من رجال الهند قد سهما

أوفى على متن مسجاح تقد به

غوارب الماء قد ألقت به قدما

جوفاء مطلية قارا إذا اجتنحت

بها غواربه قحمنها قحما

حتى إذا السفن كانت فوق معتلج

ألقى المعاوزعنه ثمت انكتما

فى ذى جلول يغشى الموت صاحبه

إذا الصرارى من أهواله ارتسما

غــواص مــاء يمج الزيت منغــمـــســا

إذا الغــمــورة كــانت فــوقــه قــيــمــا

حـــتـى تناولـهـــا والموت كـــاريه

فى جــوف ساج سـوادى إذا اقــتــحــمـا

ومرة أخرى يتداعى الأعشى إلى الذهن، وتأتينا صورته المشابهة التى رسمها لحبيبته، نفس الدرة التى ظفر بها الغواص، ولكن الأعشى يبادرنا بهذا الظفر ولا يجعلنا ننتظر نتيجة الرحلة كما فعل القطامى، ثم يعود بنا إلى الوراء فيذكر أن هذا الغواص قد طلب درته مذ كان يافعا حتى جهد وتقدمت به السن، ولم تيأس نفسه منها فيتركها لأنه يراها فتعصف به أطماعه فيغرق بها، وزاد الأعشى أن هذه الدرة فى حراسة مارد جنى يحميها ولا يغفل عنها، ويخاف عليها من السارين واللصوص، هذا والصياد حريص عليها لو تطاوعه نفسه لاندفع إلى اليم حيث درته التى تكمن فى جوف الأمواج الثائرة التى تنذر من يقربها بالموت؛ لأن الدرة ثمينة يظفر من يصطادها بالنعيم الخالد، وينال كل الأمانى:

كـــأنـهـــا درة زهراء أخـــرجـــهـــا

غــواص دارين يخــشى دونهــا الغــرقــا

قــد رامــهــا حــجــجــا مــذ طر شــاربه

حــتـى تسـعـسع يرجــوها وقــد خــفــقــا

لا النفس توئســه منهــا فــيــتــركــهــا

وقــد رأى الرغب رأى العين فــاحــتــرقــا

وما رد من غواة الحسن يحرسها
ذو نيقة مستعد دونها ترقا
ليست له غفلة عنها يطيف بها
يخشى عليها سرى السارين والسرقا
حرصا عليها لوان النفس طاوعها
منه الضمير لبالى اليم أو غرقا
فى حوم لجة آذى له حدب
من رامها فارقته النفس فاعتلقا
من نالها نال خلدا لا انقطاع له
وما تمنى فأضحى ناعما أنقا(٣٦)

هذه هى الصورة الشعرية فى غزليات القطامى، ولا نزعم أنها صورة مبتكرة فقد رأينا لها مشابه فى الشعر القديم، كما لا نزعم أنها صورة فنية معقدة، فقد رأيناها أحياناً بسيطة تعتمد على أوليات الخيال ولكنها على كل حال تدخل فى حدود الصورة الفنية فى مرتبة ما، وتدل على أن الشاعر يقصد إلى رسمها قصداً، وهو وإن تبع فيها خطى السابقين، إلا أن شخصيته قد ظهرت فى بعض الجوانب، وأوجه الخلاف التى ذكرناها فى مواضعها.

الألفاظ والأساليب والموسيقى:

ليست هناك ظواهر مهمة فى غزليات القطامى من هذه الناحية اللهم إلا أننا لاحظنا قلة الكلمات الغريبة قلة ملحوظة، ولعل لطبيعة الموضوع دخلا فى ذلك، فالمتغزل يجب أن يكون قريبا من النفوس، واضحا كل الوضوح، وهذا يجعله يستعمل ـ بحالة واعية أو غير واعية ـ ألفاظًا تقرب من الحديث العادى

فى كونها بعيدة عن الغموض، وفوق ذلك فإن ألفاظ القطامى فى هذا الغرض من شعره فيها كثير من الخفة والعذوبة، وخلق جو رقيق يناسب الغزل، فهو يستعمل مثلا هذه الألفاظ:

الغمام، الغمامة، الغزال، قرة عين، روضة، ويصف ريق حبيبته بأنه: عذب المذاق، ومن كلماته: صريع غوان، بيض حسان، المعصم الريان إلى آخر هذه الألفاظ السهلة الموحية.

أما الأساليب فإننا نلاحظ هنا ما لاحظناه فى أساليب القطامى عموما من الجزالة والتدفق والتماسك، ونحس حين نقرأ شعره أنه جهد فيه جهداً فنيا أعطاه الإتقان، ولم يعطه التعقيد، وأحياناً يكون أسلوبه موحيا يجسم لنا المعنى الذى يريده تجسيما، فهو مثلا حين يقول:

فلما التقينا قام للعاج رنة

وملنا قرانى من سليب وسالب

تبدو لنا الصورة التى أراد رسمها واضحة، مقابلة الأصحاب وما يحدث فيها من تسليم أو نحوه يرن له الحلى، ثم انعطافهم فى رحلة غرامية اثنين اثنين، وحين يقول عن الروض:

سقته سماء ذات طل فنقعت

نطافا ولما يأت سيل المذانب

يتمثل لنا من إيحاءات أسلوبه، والجو الذى يرسمه صورة الندى المتساقط على قدر، والذى يتجمع رائقا صافيا ليكون أدنى إلى الرى المطلوب، وكنا نظن أنه سيتبع الأسلوب القصصى حين ابتدأ يقص علينا قصة سرب العذارى التى ذكرناها، ولكنه حكى ذلك فى عجلة وسرعة تجعلنا لا نستطيع القول بأنه يتبع أسلوب الغزل القصصى كما يتبعه غيره من شعراء عصره، والاستطراد أيضاً

من خواص أسلوبه الغزلي، وقد بدا ذلك بوضوح في صوره الغزلية التي تحدثنا عنها.

أما الموسيقى العامة لهذا الشعر فلم تختلف عن الطابع الموسيقى العام لشعر الشاعر وهو الاتزان والهدوء، والرنين الذي ينفذ إلى النفس جليلا عميقا مؤثرا.

٥ ـ الحكمة :

نقصد بشعر الحكمة كل شعر اعتمد على النظرة الثاقبة في الحياة والأحياء، وأعطى حكما يصدق على جزئيات كثيرة مما يحدث في الكون وما يواجهه الناس، ولم يكن بدعا أن يشتمل شعر القطامي على كثير من الحكم؛ فقد كان يحيا في البادية؛ والبادية التي ينبغي أن يعتمد فيها الإنسان على نفسه لكي يعيش، وأن يتسلح نفسيا لكي يشارك في جماعته حتى يكون شيئًا، البادية بصفتها هذه تعرض أهلها لكثير من التجارب، فتعركهم وتخرج منهم أبناء محكمي التكوين، هذا إلى أن للسن دخلا كبيرا في تعميق تجارب الشخص، وقد عاش القطامي حتى شاب، وإذن فقد توفر له قدر كبير من مقومات شعر الحكمة، وخلف لنا مجموعة طيبة ننظر فيها هذه النظرات.

أول ما يلفت النظر في شعر الحكمة لدى القطامي آراؤه في الناس وفي الزمن، أما آراؤه في الناس فليست حسنة، فهم حيث توجد الدنيا، فمن صفت له صَفوا له وأسمعوه ما يشتهي، وأما من جرت رياحه بما لا يجب فله الموت والتخطيء ولأمه الثكل:

والناس من يلق خيرا قائلون له
ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل(٣٧)

ومن رأيه أن الناس يعيشون في ظل العقل الجمعي، ويتصرفون تبعا لما يملي عليهم غواتهم، وهم يسيئون إلى الضعيف، ويحترمون القوى:

كـــذاك ومـــا رأيت الناس إلا
إلى مــاجــر غــاويهم ســراعــا

تراهم يغمــزون من اســتــركــوا
ويجــتنبــون من صــدق المصــاعــا

وهو يقول إن المفسدين إذا تولوا شيئاً واعتوروه كانت النتيجة فسادا وخسرانا:

كـــذاك المفـــســـدون إذا توالوا
على شيء فــأمـــرهم التـــبـــار

وأما الزمن فهو في نظره متغير متقلب لا تدوم لذته، والأخلاء مفارقون لا يستمر وصالهم، ولا يعد من العيش الصحيح إلا اللحظات التي تسكن بها النفس وتقر بها العين، على أن كل حال إلى انتقال:

ليس الجــديد به تبــقى بشــاشــتــه
إلا قـليـــــــلا ولا ذو خـلـة يـصـل

والعـــيش لا عـــيش إلا مـــا تقـــربه
عين ولا حـــال إلا ســـوف تنتـــقل

ونرى القطامي في هذا المحيط يتناول أشياء أدنى إلى الروح القبلية، ولا شك أن معيشته في الجو القبلي هي التي أملت عليه مثل هذه الأشياء، ومن هذا النوع قوله إن الإنسان الغريب ضعيف، وينبغي على الرجل أن ينصر ابن عمه ولا يتركه نهبا للمشكلات وينصر الغريب، ثم يقول إن من العقوق لأصل الشخص الانتماء إلى قبيلة غير قبيلته، فلكل أصله الذي إذا حاد عنه لا يصلح، ثم يضرب أمثلة لذلك:

ومن يك يوم دعـــوته غـــريبـــا
يخنه من جناحــيـــه انكســـار

ونصـــــر ذوى الأباعـــــد منك ريث

وأحـــشـــاء ابن عـــمك تســـتطار

ومن ينزع أرومـــتـــه لأخـــرى

فـــذاك لثـــابت الأصل اعـــتـــقـــار

كـــمـــا الزيتـــون لا يمّاز نخـــلا

ولا الجـــبـــار تبـــدله صـــحـــار

ولا التـــمـــر المكمم حـــول حـــمص

إذا مـــا حـــان من هجـــر الجـــزار

ومن هذا النوع أيضاً حملته على الضعف فى قوله:

ومن لا يزل يســتــحـمل الناس نفســه

بعنف وينكره الذى كـــان يعـــرف

ويتصل بهذا الجانب ما يقوله من أن الإنسان إذا كان شريرا فى قومه باغيا عليهم فنهايته الخسران والندم:

فلم أر ذا شـــــر تمايل شــــره

على قـــومـــه إلا انتـــهى وهو نادم

وكذلك يلح القطامى على المعنى المشهور «اتسع الخرق على الراقع»، ويدعو إلى تلافى الشر قبل أن يستفحل، وهذا يتصل بظاهرة الحرص على اجتماع الشمل التى أشرنا إليها فى شعره القبلى، فهو يقول مثلا تعقيبا على حرب قيس وتغلب إن هذه الحروب نشأت من أمور لو عرضت لإنسان حليم لنهى عنها وحذر من نتائجها، ولكن المسألة خرجت عن الطوق، وأشبهت الجلد

الذى خرقه البلى فما تنفع فيه اليد الصناع، وذكر بعد ذلك أن هذه النتائج السيئة يجب أن تحمل الناس على اتباع الناصحين، وأن الأمور يجب أن ينظر إليها ويعمل حسابها قبل أن تأتى، ولا يصح أن يسكت عليها حتى تقع ثم يسعى فى حلها:

أمـــــور لـو تلافـــــاها حـليم
إذا لنهى وهيب مـــا اسـتطاعـــا

ولـكـن الأديم إذا تـفـــــــــرى
بلى وتعـــينا غلب الصناعـــا

ومـعـصـيـة الشـفـيق عليك مما
يزيدك مـــرة منه استـمـــاعـــا

وخـيـر الأمـر مـا اسـتـقـبلت منه
وليس بأن تـتـبـعـه اتبـاعـــا

وفى هذا المعنى يقول:

إذا مـــا قلت قـــد جـبـرت صـدوع
تهـــاض وليس للهـيض اجـتـبـار

وفى شعر القطامى كثير من المواعظ التى تليق بشاعر القبيلة الذى يرسم الطريق الصحيح لقبيلته، كما أنه ترجمانها والمحرك لها، فهو يدعو قومه إلى الاجتماع وعدم الفرقة ضاربا لهم مثلا بجند كسرى الذى أخزاه التفرق، وبأصحاب موسى الذين انشق عنهم البحر فنجوا على حين غرق أصحاب فرعون، ويعود إلى المعنى الذى يكرره وهو أن كل جديد إلى بلى، ثم يضرب مثلا آخر بقوم نوح ويسترسل فى ذكر هذه القصة موضحًا جوانبها توضيحًا

كاملا، وقد أشرنا إلى هذه الأبيات ونحن نتحدث عن عقيدة القطامى فلا نرى داعيا لإعادتها.

وفى هذا الجانب الشبيه بالمواعظ يذكر دائما الموت والمنية فيقول:

وأرى المنيــــة للرجـــال حـــبـــائلا

شـــــركـــــا يـعــــاد بـه لمن لم يـلحق

ويقول:

نرجـو البــقــاء ومــا من أمــة خلقت

إلا ســـيـــهلكهـــا مــــا أهلك الأمما

ويقول:

ومــــا للفـــتى مـــال إذا مـــر نعـــشـــه

على عـــمـــد فـــوق المناكب يـحـــمل

ومن الظواهر التى طالعناها فى شعر القطامى الحكمى النظرة المتفائلة أحيانا، فهو يطلب من صاحبيه ألا يذكرا له الشر على حين يتوقع هو الخير، وماداما لا يدريان عمره وما تبقى منه فكيف يقطعان عليه بأن ما سيصادفه شر:

ألا عـلـلانـى كـل حـى مـــــــعــلل

ولا تـعـدانى الشـر والخـيـر مـقـبل

فـــإنكمـــا لا تـدريان أمـــا مــــضى

من العـــيش أو مـــا قـــد تـأخـــر أطول

وهو يدعو إلى اليأس المرادف للقناعة، ويرى أنه أدنى إلى القصد، وأن مصائب الإنسان إنما تأتيه من أطماعه وسعيه وراءها، ثم يذكر أن اليأس نافع والطمع مضر:

أرى اليأس أدنى للرشاد وإنما
دنا السعى للإنسان من حيث يطمع
فدع أكثر الأطماع عنك فإنها
تضر وإن اليأس مازال ينفع

هذه هى المعانى التى طرقها شعر الحكمة لدى القطامى بإجمال، ونحن نرى أنها معان عادية تتناول أشياء مما يحدث بيننا، ويمكن أن نعتبرها أحكاما عامة مازالت تسرى وتصدق حتى اليوم، وقد يقال ما ميزة القطامى إذن مادامت المعانى التى طرقها قريبة موجودة عادية؟ ونقول إن كثيرا من المعاني والمثل توجد بيننا، نطالعها ونمر عليها كل يوم، ولكن الذى يبرزها إلى حيز الوجود الفنى المؤثر هو الإنسان الذى يملك الحاسة الدقيقة الخالقة، فإذا برز هذا إلى حيز الوجود فعلا بدا وكأنه أمر سهل عادى على حين أنه كان غامضا متحجبا قبل ذلك، فهو السهل الممتنع إلا على من أوتى موهبة الإبداع.

ولن نقول شيئًا فى المقومات الفنية لهذا الشعر إلا أن أخيلته قليلة قريبة، وهذا طبيعى لأنه يتناول ما يقع بين الناس من حوادث يومية، ومعانيه كذلك، وأما ألفاظه فهى ألفاظ القطامى الجزلة الرقيقة الرنانة، وأساليبه المتماسكة السلسة، وموسيقاه القوية.

٦ ـ الهجاء:

قال ابن قتيبة: «وقيل للعجاج: وإنك لا تحسن الهجاء، قال: إن لنا أحلاما تمنعنا من أن نظلم، وأحسابا تمنعنا من أن نظلم، وهل رأيت بانيا لا يحسن

الهدم؟، وليس هذا كما ذكره العجاج، ولا للمثل الذى ضربه بشكل لأن المديح بناء، والهجاء بناء»(٣٨).

وهذا القول صحيح فى مجموعه، وقد نظر فيه ابن قتيبة إلى العملية الفنية فى الشعر، فمما لا شك فيه أن الهجاء يحتاج إلى بناء فنى ومجهود كما يحتاج إلى ذلك شعر المديح وغيره سواء بسواء، وقد يوجد شاعر تتوافر لديه مقومات البناء الفنى للمدح أو للفخر أو للوصف بينما لا تتوافر لديه مقومات البناء الفنى للهجاء، على أن ذلك ينبغى ألا يقلل فى نظرنا من قيمة الشاعر، ويجدر بنا أن نحمله على المحمل الحسن، ونعزوه إلى صفاء نفس الشاعر، وعدم انطوائها على الحقد والكراهية وغيرهما من الأشياء التى تحفز إلى الهجاء.

نقول هذا لأننا لاحظنا قلة الشعر الهجائى لدى القطامى قلة ملحوظة(٣٨)، حقًا إنه قد ذكر بعض مثالب القبائل الأخرى وهو يتحدث عن قبيلته ويفتخر بها، ولكن ذلك لم يبلغ عشر معشار ما خاض فيه الشعراء الآخرون، والقدر الذى تمكنا من جمعه تحت هذا العنوان يمكن أن يشكله من زاوية أخرى فى محيط الشعر القبلى، فهو يهجو قبائل لا أشخاصًا فى معظم هذا الشعر، وهو يهجو بصفات أقرب إلى القبلية من البخل والجبن وعدم الذكر، ونحن نعلم أن الكرم والشجاعة متناهية الذكر من العناصر الأساسية التى قام عليها الافتخار القبلى.

وقد خص الأخطل وقومه بمقطوعتين، وصفهم فى الأولى بالخور والجبن حين دعا الصريخ، ثم وصفهم بعدم العزة، وعرج على قومه هو فوصفهم بالشجاعة، وذكر أخيراً أن قومه اصطلوا بالحرب بينما اشتغل غيرهم بجمع الغنائم التافهة:

ألا أبلغ سراة بني زهير
وحيا للأخاطل والخزاز
فقد أبليتم خورا وجبنا
غداة الروع إذ عز المنازي
لعمر أبيك ما جشم بن بكر
بعز في الحوادث لاعتزاز
صبرنا الخيل إذ جشم بن بكر
تيسر في الحوادث لانحياز
تصلينا بهم وسعى سوانا
إلى النعم المسيب والمعاز

وهذا شعر ينضح بالقبلية، ولكننا وضعناه تحت عنوان الهجاء لأنه يتحقق فيه هذا الوصف فلا يخرج بوضعه هذا عن مجاله، وفي المقطوعة الثانية ركز على الأخطل، فذكر أنه جبان، وأنه لا يثور مهما اختلفت عليه الأحوال، ثم ذمه وقومه، ووصفهم بالجبن وعدم الجد إذا حزب أمر، ثم عاد إلى الأخطل فوصفه بأنه لا يسعى إلى المجد، ويتراخى حين يدعو داع إلى العزم:

إن الأخيطل ليس الدهر ثائرهم
أو يبعث الله عادا أو ترى إرما
حلت بنو مالك والبحر دونهم
وذمم القوم في يوم اللقا جشما

فـــمـــا يجـــوز أخـــوهم فـى مـــهـــولة

ولا يجـــد إذا مـــا مـــزمـع أزمـــا

ودوبل لا يـكون المجـــد غـــايتــــه

ولـن يجـــد إذا شـــيطانه عـــزمـــا

وفى ناحية أخرى نراه يهجو إنسانا بأنه خامل الذكر ليس أهلا لأن يسود، وإذا غاب فلا يسأل عنه، ثم يعرج على الناحية القبلية فيذكر أنه لا يوجد له فى المضمار جواد سابح:

لـيس الـوكـــاء بـأهـل أن يســـود ولا

عـــمـــرو بـأول مـــســـئـول بـه ذهـبـــا .

قـــد هجنوا الأوس حـــتـى مـــا يصـــاب لـه

فى الخـيل جـرى جـواد يأخـذ القـصـبـا

وفى هجاء القبائل يطالعنا هجاؤه لقبيلة رزام، وهو يقدم لذلك بمقدمة طويلة فى الفخر بنفسه فإذا أتى إلى رزام ذكر أن منها شاعرا مبتدئاً قد غرها وخدعها، وأوهمها أنه يدفع عنها، وأخيرا يهجوهم بشىء خبيث نبهنا عليه، واتخذناه دليلًا على إسلام القطامى:

إن رزامـــا غـــرها قـــرزامـــهـــا

قـــبـــيلة أجـــملهـــا غـــلامـــهـــا

قلف علـى زبابهـــا كـــمـــا مـــهـــا

لم تـدر مـــا مـــوسى ولا سطامـــهـــا

وفى النهاية نأتى إلى هجائه لقبيلة محارب، والحق أن قصيدته فى هجاء محارب تمثل بؤرة الشعر الهجائى لديه، فالقصيدة طويلة، وقد سلك فيها مسلكا

طريفا في الهجاء، وسنلخص أفكار هذه القصيدة، ثم نذكر نصها، ولا نعتقد أننا سنطيل بهذا في غير طائل:

يذكر القطامي ما يتعرض له المسافر من خطر، ويذكر حقه كمسافر على الناس، ثم يقول إن الضيف لابد أن يتحدث بما يراه عن مضيفه.. يحدث أهله أو يحدث صاحبه، ثم يتحدث عن رحلة له حيث نزل ضيفًا على «أم منزل» وهي عجوز من قبيلة محارب.. كان الطل يسقط والريح تزف، والظلام كثيف، ولاح له ضوء نار أشعلتها العجوز لتصطلي، وما حسبت أن الساري يرى تلك النار، وحين باغتها وأناخ مطيته لديها ارتاعت، وقالت له تنح عني ولا تذعر ماشيتي وتهيجها، وقد كانت مفاجأته لها بناقته ومنظره المجهد مذهلة حتى كادت تجن، ومهما يكن من شيء فقد ألقى عليها السلام الواجب فردته وهي مكرهة مشمئزة، ثم انحازت عنه كما تنحاز الأفعى من ضاربها، وقد لامها القطامي وذكر لها أنه سيصيب ما يصيب ثم يعبر فلا يليق أن تستقبله هذا الاستقبال، وقد أخذا في الحديث حتى صرحت له بأنها من محارب أولئك الناس الذين يجوعون فيلجأون إلى القديد على حين يرى الناس مخصبين شبعين، وحينئذ يفارقها القطامي ويمتطي ناقته ويذهب:

وإني وإن كان المسافر نامـيـا
وإن كان ذا حق على الناس واجب

ولابد أن الضيف مخبر ما رأى
مخبر أهل أو مخبر صاحب

سأخبر بالأنباء عن أم منزل
تضيفتها بين العذيب فراسب

تلفعت فى طل وريح تلفنى
وفى طرمساء غير ذات كواكب

إلى حيزبون توقد النار بعدما
تلفعت الظلماء من كل جانب

تصلى بها برد العشاء ولم تكن
تخال وبيض النار يبدو لراكب

فما راعها إلا بغام مطية
تريح بمحسور من الصوت لاغب

تقول وقد قربت كورى وناقتى
إليك فلا تذعر علىّ ركائبى

وجنت جنونا من دلاث مناخة
ومن رجل عارى الأشاجع شاحب

سرى فى جليد الليل حتى كأنما
يخزم بالأطراف شوك العقارب

فردت سلاما كارها ثم أعرضت
كما انحاشت الأفعى مخافة ضارب

فقلت لها لا تفعلى ذا براكب
أتاك مصيب ما أصاب فذاهب

فلما تنازعنا الحديث سألتها
من الحى قالت معشر من محارب

من المشـــــتـــــوين القـــــد مما تراهم

جـــيـــاعـــا وريف الناس ليس بناضب

فلمـــا بدا حـــرمـــانهـــا الضـــيف لم يكن

على مناخ الســـــوء ضــــــربة لازب

هذا هو شعر الهجاء عند القطامى، وقد استخلصناه بجهد جهيد، ووضعناه تحت عنوان الهجاء مع ما فى هذا من التجوز فى بعض النماذج، ونحن نلاحظ على هذا الشعر خلوه من الهجاء الشخصى إذا استثنينا هجاءه العابر للأخطل، وإذا فهمنا أن هجاءه للعجوز كان فى هدفه هجاء لقبيلة محارب، وكذلك نلاحظ أن القطامى لم يتورط فيما تورط فيه شعراء عصره من الإسفاف وتجريح الآذان بالأهاجى النابية، وسب الأعراض والآباء والأمهات مما نجده بكثرة عند الفرزدق وجرير، وبقلة عند الأخطل، ومن الملاحظات الهامة على هذا الشعر اشتماله على الأسلوب القصصى الذى وجدناه فى لمحات سريعة حين تكلم فى الغزل عن سرب العذارى، ولكنه هنا يظهر على نحو أوسع، وتظهر فيه المواقف بشكل أوضح، وهو وإن لم يصل فى الحبكة إلى درجة قصص ابن أبى ربيعة مثلًا إلا أننا لا يصح أن نغفل هذه الملاحظة فى هذا المقام، فهو يعطينا فى لقطات سريعة منظر مسافر مقرور، ومنظر عجوز توقد النار، وهو يرسم حول ذلك من الظلال ما يعطينا البرد والظلام ونزول الندى وهزيم الرياح، ثم ينتقل إلى منظر آخر هو منظر اللقاء بينه وبين العجوز، وهو يجعله يتم فى حركات تناسب الأسلوب القَصصى، بل يمكن أن نقول إنه اشتمل على الحوار السريع مما يصلح معه أن يكون مشهدا مسرحيا، فهو يسلم وهى ترد السلام كارهة مرتاعة، وركائبها تذعر، وناقته تصوت وهى تريح، وفى المنظر الثالث يكون الحوار الذى تم بينه وبينها وانتهى برحيله.

ولا نريد أن نطيل فى الحديث عن أهاجيه بأكثر مما قلنا، فكل شىء بعد ذلك فيه عادى يمكن أن يشمله كلامنا على غير ذلك الغرض من أغراضه السابقة.

وبعد:

فنرجو أن يكون التوفيق قد حالفنا فى تحليل شعر القطامى، وعرضه، وإعطاء صورة عن اتجاهاته، وبيان ظواهره التى اشتمل عليها، وتوضيح طابعه العام الذى يسير عليه، ولا نرى بدا فى نهاية المطاف من أن نذكر تلخيصا سريعا يعطى بإجمال الخصائص العامة لهذا الشعر:

١ ـ طرق القطامى كثيراً من أغراض الشعر العربى، واختلف اهتمامه بهذه الأغراض كما وكيفا.

٢ ـ كانت القصيدة الواحدة عنده تشتمل على مجموعة من الأغراض فلا يوجد لديه ما يسمى بوحدة القصيدة.

٣ ـ كان يبدأ القصيدة بالغزل أو وصف الأطلال، ثم ينتقل إلى وصف الناقة أو الخمر، وبعد ذلك يأخذ فى غرضه الأصلى.

٤ ـ وأحيانا كان يبدأ بالغرض الأصلى (راجع أرجوزته: يازفر بن الحارث ابن الأكرم).

٥ ـ وقد تطول المقدمة عنده طولا لا يكاد يذكر بجانبه ما يقوله فى الغرض الأصلى.

٦ ـ مجد قبيلته وكان لسان حالها، كما كان حربا على أعدائها، ولكن العصبية لم تذهب باتزانه فهو لم يفحش فى حملته على الأعداء، كما كان منصفا للغير داعيا إلى التئام الشمل.

٧ ـ قصائد القطامى متوسطة الطول فى مجموعها، وكثير منها قصير، وقصيدة واحدة وهى الرائية بلغت مائة بيت.

٨ ـ لم يتورط القطامى فى النقائض، ولم نسمع عن اشتراكه فيها فى أية مرحلة من مراحلها.

٩ـ يجمع القطامى فى شعره بين الأرجوزة والقصيدة.

١٠ ـ أغلب معانيه تقليدية مطروقة فهو لم يجدد فى غرض من الأغراض التى تناولها، وإن كان له طابعه الخاص.

١١ ـ شعره مفعم بالصور البيانية، وأحيانا يوشيه بشىء من البديع، وهو ينقح شعره تنقيحا، فالصنعة الشعرية، والمجهود الفنى واضحان عنده.

١٢ ـ يمتاز شعره بانتقاء الكلمات، وجزالة الأسلوب، وسلاسته، واطراده.

١٣ ـ موسيقاه هادئة رزينة على وجه العموم، تستوى فى ذلك موسيقى الألفاظ، والأسلوب، والبحور الشعرية.

الهوامش :

(١) فى العقد الثمين (بيروت) ٨١ منازعة بين امرئ القيس والحارث بن التوءم اليشكرى كل يقول شطر بيت، والأبيات فى معنى ما قال القطامى.

(٢) راجع: ديوان الأعشى (تحقيق م محمد حسين ٧٣) وهو يرسم صوراً مشابهة فى ٢١٣، ٢٩٥، ٣٦١، ٣٦٣، ولزهير صورة مشابهة للوحشية التى اختلس ولدها (العقد الثمين ٣٢)، وللنابغة صورة مشابهة لما رسمه القطامى فى قصيدته النونية، ونستطيع أن نقول إن تشبيه الناقة بالثور الوحشى أو البقرة الوحشية التى تلتحم فى معركة مع كلاب الصيد ظاهرة كبيرة من ظواهر الشعر الجاهلى (راجع: الوصف فى الشعر الجاهلى - عبد العظيم قناوى ١٤٦ وما بعدها - الحلبى)، وراجع: النابغة الذبيانى للأستاذ عمر الدسوقى ط ثانية ١٧٧، ١٧٨، وفى معلقه لبيد صورة مشابهة.

(٣) ديوان الأعشى ١٠٥.

(٤) الموشح ١٤٦، ١٤٧.

(٥) ديوان الأعشى ٢٧.

(٦) الموازنة للآمدى (محيى الدين) ١١، ٢٤٩، كتاب الصناعتين (الخانجى) ٢ : ٢٥٦.

(٧) يوم الكلاب الأول - اقرأ عنه فى: العقد الفريد ٥ : ٢٢٢.

(٨) راجع جدول نسب القطامى ففيه الأرقام الستة.

(٩) عرض الدكتور زكى المحاسنى فى كتابه (شعر الحرب فى أدب العرب ٩٠ وما بعدها) للقطامى، فاعتبره نموذجا طيبا للشعر القبلى، وشعر الحرب الصافى، وأرجع ذلك لعدم إسلامه وتشربه روح هذا الإسلام، وقد ناقشنا ذلك ثمة، وهو يذهب مذهباً يختلف عما ذهبنا إليه، فهو يعطيه صورة الشاعر القبلى المتعصب، ويذكر ما يدل على رأيه من شعره، ولكنه يغفل النماذج الدالة على إنصاف القطامى، وحزنه لتقاطع القبائل بالحرب إلخ ما سنذكره فى هذا الموضوع.

(١٠) راجع هذه القصيدة مع منصفة أخرى فى حماسة أبى تمام (السعادة) ١ : ١٦٩.

(١١) ص ٩٧.

(١٢) تاريخ الآداب العربية ص ٢٠١.

(١٣) ص ١٤٩.

(١٤) الخزانة ١ : ٣٩٣.

(١٥) الكامل (أوروبا) ٣ : ٢٠٨ .

(١٦) حماسة أبى تمام (السعادة) ١ : ٢٦٣ .

(١٧) الكامل (أوروبا) ٤ : ١٢٥، ١٢٦ .

(١٨) المرجع السابق ٤ : ١٥٧ .

(١٩) أغانى ساسي ٢٠ : ١٢٧ .

(٢٠) نقائض جرير والأخطل ٢٧ .

(٢١) المرجع السابق ٢٢٦، ٢٢٧ .

(٢٢) أغانى ساسي ٢٠ : ١٢٧ .

(٢٣) شرح الحماسة للمرزوقى تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون (التأليف) ١ : ١٥٥ .

(٢٤) راجع: تهذيب ابن عساكر لعبد القادر أفندى بدران ٣ : ٤١ وما بعدها (روضة الشام) وقد كتب اسمه هنا إسماعيل خطأ.

(٢٥) المرجع السابق والصفحات.

(٢٦) راجع الشعر فى المرجع السابق ٣ : ٤٥، وراجع وفاته فى كامل ابن الأثير (أوروبا) ٤ : ٢١٥ .

(٢٧) وفيات الأعيان (محيى الدين) ١ : ٢٢٧ وما بعدها.

(٢٨) المرجع السابق والصفحات.

(٢٩) الديوان ١١٠ .

(٣٠) ديوانه ٢٤١ .

(٣١) فهم الدكتور زكى المحاسنى (شعر الحرب فى أدب العرب ٩٠ وما بعدها) من هذه الأبيات تهديداً ووعيداً من القطامى لزفر!!، فقال فى معرض حديثه عن فخر القطامى بقبيلته وتحيزه لها وذكره لرماحها وسيوفها، وإنذاره وتوعده: «وكل ذلك قاله لزفر القيسى (فى الكتاب العبسى!) غير هياب ولا وجل على حين كان أسيرا عند زفر فمن عليه صاحب قرقيسياء، وسيد العرب فأطلقه، وما ذلك إلا لتأصل الروح القبلية فى نفسه ولصدق بلائه فى فروسيته حتى راح هو بدوره يمن على زفر، ثم ذكر الدكتور المحاسنى هذه الأبيات، ولا ندرى كيف يفهم تهديد زفر من هذا الشعر، وقال الدكتور زكى: «ثم يكون تهديده وتفضيل قومه بقوله:

أبلغ ربيعة أعلاها وأسفلها
أنا وقيسا توا عدنا لميعاد

ولو تبينت قومى ما رأيتهم
فى طالعين من الثرثار نداد

وهذه الأبيات تأتى فى آخر القصيدة حين يكون قد فرغ من مدح زفر ، واستغرقته فكرة أخرى هى فكرة الفخر، وإلا فكيف يمدحه ويتهدده ؟!

(٣٢) الديوان ١٠٣ .

(٣٣) راجع القصيدة الأولى فى الديوان.

(٣٤) راجع كتاب الغزل فى العصر الجاهلى (ط أوله ٣٣ وما بعدها) حيث عدد الدكتور الحوفى أعضاء المرأة ووصفها فى الشعر الجاهلى، ومنه ندرك كيف كان القطامى متبعاً.

(٣٥) ديوان الأعشى ٥٧.

(٣٦) ديوان الأعشى ٣٦٧، وتشبيه المرأة بدرة الغواص كثير في الشعر الجاهلي، وقد تخيرنا الأعشى لأنه يمثل تلك الظاهرة، وبحسبنا هذا. (راجع مثلا: الصبح المنير ط بيانه ٣٥٢ حيث تقرأ صورة مشابهة للمسيب بن علس).

(٣٧) ذكر ابن قتيبة (الشعر والشعرا ٥٧ (السقا) أن القطامي أخذ هذا البيت من المرقش الأصغر في قوله:

فمن يلق خيرا يحمد النـ ع أمره
ومن يغو لا دم على الغي لائما

(٣٨) يعد الدكتور طه الحاجري (في تاريخ النقدالأدبي ط الإسكندرية ٩٥) القطامي من شعراء الهجاء، ولكنه لا يقيم على ذلك دليلاً، وقد يكون سبب قلة الهجاء لدى القطامي هو أنه لا يريد أن يهجو الناس لأن ذلك سيترتب عليه أن يهجوه الناس هو وقومه فهو يريد أن يدفع عن قومه هذا الأذى، فيكون عدم هجائه سياسة قبلية منه:

فلو أنني هانت على عشيرتي
لسبت عروض واستحلت محارم
إذن لا نطوت عني شعوبي وأقبلت
عليَّ شكاة ملهم وملاوم

الفصل الثالث

تقويم عام للقطامى

(أ) القطامي بين شعراء عصره :

عرضنا ـ ونحن نتكلم عن البيئة العامة للقطامي ـ للشعر في هذه البيئة، وقلنا إنه كان في الحجاز ابن أبي ربيعة والأحوص وأمثالهم، وفي نجد جميل والعذريون، وفي الشام المداحون الوافدون، وفي العراق السياسيون من أمثال الخوارج وعلى رأسهم قطري وابن حطان، والشيعة ومنهم كثيّر وإن كان متنقل المقام، والزبيريون وممثلهم ابن قيس الرقيات، ويصدق عليه ما صدق على كثيّر من ناحية المقام، وفي بادية العراق عرضنا للشعر القبلي، وتكلمنا عن النقائض وفرسانها.

ونحن حين نتعرض لتقويم القطامي لابد وأن نضعه بين طائفة من الشعراء حتى تتضح منزلته في الشعر، ولابد أن تتفق معه هذه الطائفة بيئة وظروفا واتجاها، ومن ثم فإننا لا نرى بدا من أن نقارن بين القطامي وبين شعراء النقائض لاتفاقهم معه في المشرب الشعري، وإن لم يكن قد تورط فيما تورطوا فيه، ولم يكن أحد فرسان أو كباش هذه الحلبة.

على أنه يقرب من بعضهم حتى لنحس أن المنبع واحد والهدف واحد، ويبعد عن البعض الآخر وإن التقى معه في السمت العام، ونعني بالبعض الأول الأخطل، وبالبعض الآخر جرير والفرزدق.

وبذلك يحتم علينا البحث أن نعقد مقارنة بين الأخطل والقطامى، ثم نخلص إلى مقارنة أخرى بينه وبين كل من جرير والفرزدق، معتقدين أننا بمقارنة شاعرنا بهؤلاء يمكن أن نضعه موضعه من شعراء طائفته، وحين نتخذ هؤلاء العمالقة كنماذج لهذا النوع من الشعر فإن ذلك يغنينا ـ فيما نعتقد ـ عن أن نعدد كل شعراء هذا اللون كالراعى والنابغة الشيبانى وغيرهما ونعقد بين كل منهم وبين القطامى مقارنة.

ومن الطبيعى أن تتسم المقارنة التى نقدم عليها بسمة التركيز والإجمال؛ وإلا فإن المقارنة التفصيلية تحتاج إلى بحث مستقل.

١ ـ بين الأخطل والقطامى:

١ ـ إذا رجعنا إلى نسب القطامى الذى استخرجناه من جمهرة ابن حزم وجدناه يجتمع مع الأخطل فى «مالك بن جشم بن بكر» فكلاهما من قبيلة تغلب، وإن كان رهط كل منهما يخالف رهط الآخر.

٢ ـ عاش الأخطل طويلاً حتى قيل عنه إنه شيخ قد تحطم، ومات قبل القطامى حيث لم يتعد خلافة الوليد بن عبد الملك[١]، وبذلك يكون قد عاش مع القطامى، وكان أسن منه، وربما مثل الجيل السابق للقطامى مباشرة.

٣ ـ كان لسان قومه تغلب فى حروبهم مع قيس، وأسر فى إحدى المعارك، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، وهو فى هذه الناحية يتفق مع القطامى، وإن كان شعره يخالف شعر القطامى من بعض الوجوه كما سيتضح فى الحديث عن الشعر القبلى عنده.

٤ ـ اتصل الأخطل بالخلفاء من أيام معاوية إثر حادثة هجاء الأنصار المعروفة، وظل يتحرك فى مجال السياسة العليا، وما إن أتى عهد عبد الملك

حتى أصبح جليسه وشاعره الأول، وشاعر بنى أمية على العموم، ونحن نلاحظ أن القطامى لم يفعل ذلك، ولم يتصل بالخلفاء اتصالًا يذكر، وبقى فى فلك القبيلة المحدود.

٥ ـ دخل الأخطل فى التهاجى الذى نشب بين جرير والفرزدق، ومثل بذلك أحد أركان النقائض، وكان له مع جرير فى تهاجيهما ديوان شعر كامل، على حين لم يفعل القطامى ذلك.

٦ ـ عادى الأخطل زفر بن الحارث الكلابى تبعا للعداء بين قيس وتغلب، ولم يغير موقفه هذا من زفر، وقد تسبب مرة فى خلق أزمة بينه وبين عبد الملك بن مروان كادت تودى بحياة زفر[٢]، وموقف القطامى من زفر يختلف عن ذلك، فنحن لم نره يهجوه مرة واحدة، بل قد رأينا شعره يغص بمدائحه، وقد رجحنا أنه كان يمدحه قبل أن يأسره، أما بعد أن أسره فقد صاغ فيه مدائحه الرائعة المخلصة التى حللناها وذكرنا رأينا فيها ثمة.

٧ ـ مدح الأخطل همام بن مطرف سيد تغلب[٣]، وكذلك مدحه القطامى.

بين شعر الأخطل وشعر القطامى:

جاء فى الأغانى عن شعر الأخطل الأقوال الآتية: «كان أكثرهم عدد طوال جياد ليس فيها سقط ولا فحش، وأشدهم تهذيبا للشعر»[٤]، «إن الأخطل كان يقول تسعين بيتا، ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها»[٥]، «ومن مثل الأخطل وله فى كل بيت شعر بيتان»[٦]، «قال الأخطل لعبد الملك: يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك فى ثلاثة أيام، وقد أقمت فى مدحتك «خف القطين فراحوا منك أو بكروا» سنة فما بلغت كل ما أردت»[٧].

ومعنى هذا الكلام أنه كان يعنى بشعره وينقحه ويحذف التزيد والفضول ويعمد إلى التركيز، وهذه خصيصة نجدها عند القطامى، ولعلها قد اتضحت من كلامنا على شعره.

ـ وتشتمل القصيدة عند الأخطل على أغراض مختلفة، فهو يبدأ بالغزل أو الخمريات أو وصف الديار والأطلال، ثم يتناول غرضه الأصلى فى المدح أو الفخر، وكذلك يفعل القطامى.

ـ وقد تبدأ القصيدة عند الأخطل بدون مقدمة(٨)، وقد تبدأ القصيدة لدى القطامى دون مقدمة أيضاً كما أشرنا.

ـ وسنستعرض فيما يلى أغراض الشعر عند الأخطل مشيرين إلى طابعها العام، مقارنين بينها وبين أغراض القطامى فى طابعها العام:

الخمريات:

بعض صفات الأخطل فى الخمر تشبه صفات القطامى فيها، وسنمثل لذلك فيما بعد، ولكن الأخطل يطيل فى وصف الخمر، ويأتى فى ذلك بصور بديعة، ويرود آفاقا جديدة مثل وصف السكران(٩)، وفى صوره الخمرية فنية وإلحاح وعنف وعمق أكثر مما فى صور القطامى(١٠).

المدح:

أما مدائح الأخطل فلا تكاد تخرج عن المدح بالأشياء التقليدية، وهو يترك المديح أحيانا ليصف البادية أو الناقة، وهو يمدح بالكرم والشجاعة وما إلى ذلك، ويقول إن أمير المؤمنين له فى كل عام غزوة للروم.. إلخ، وهو كثير المدائح، وديوانه ملىء بأسماء ممدوحيه، ولا يبدو فى مدائحه صدق العاطفة كما يبدو ذلك فى مدائح القطامى لزفر.

الغزل:

مقاييس الجمال لدى الأخطل تقليدية، فهو مولع بالبياض والطول وحور العينين ووصف الريق، وهو يميل إلى المزاج البدوى فى الجمال:

من العــــربيـــــات البــــوادى ولم تكن

تغـيـرها حـمى دمـشق ومـومـهـا(١١)

وتردد فى شعره أسماء نساء كثيرات، فهو يتشابه مع القطامى فى هذه الناحية، على أن له معانى تشبه معانى القطامى فى هذا المجال سنشير إليها.

فى المجال القبلى:

فى أسلوب الأخطل ـ حين يفتخر بقومه أو يهجو أعداءهم ـ حدة وإصرار، وهو يصف قتلى الأعداء بالخبث والتعفن مما لا نراه فى قبليات القطامى، وهو يتكلم فى السياسة العليا، ويهدد الممدوح بأنه إذا لم تنْصَر قبيلته سوف يتحولون عن الحاكمين، وفى هذا دلالة على أنه ذو مكانة ممتازة فى قبيلته حتى ليمكنه تحويل سياستها:

فـــإلا تغـــيـــرها قـــريش بملكهـــا

يكن عن قـريش مـسـتـمـاز ومـزحل(١٢)

ومن ناحية أخرى نراه يمن على بنى أمية أن دفع عنهم هجاء الأنصار، وأن هؤلاء الأمويين قد نصروا بتغلب(١٣)، ولا نجد شيئًا من هذا كله عند القطامى، وفى زاوية تحركه فى مجال السياسة العليا نراه يتنصل من الزبيرية إرضاء للأمويين:

فـلا تجـعلنى يا ابن مـروان كـامـرئ

غلت فى هوى آل الزبيـر مـراجله(١٤)

وقد رأينا القطامى يأبى أن يعوذ بابن الزبير لينصره، ولكن ذلك كان إثر حادثة قبلية هى تهديد الأزد له:

أتانى من الأزد النذيرة بعدما

تناشد قولى بالعراق المجالس

فقالوا عليك ابن الزبير فعذبه

أبى الله أن أخزى وعز خنابس

الوصف:

تجرى أوصاف الأخطل فى تيار واحد مع أوصاف القطامى، ولكن رحلة الأخطل إلى حاضرة الأمويين جعلت اللون الحضرى يتسرب إلى شعره الوصفى فيذكر أشياء أغلب الظن أن القطامى لم يرها، وهو يصف الناقة بالصور التى رأيناها لدى القطامى وسنذكر ذلك، ولكنه لا يلح على هذه الناحية - أعنى وصف الإبل - كإلحاح القطامى، أما صفاته فى الخمر فقد تحدثنا عنها.

الهجاء:

الأخطل شاعر هجّاء وقف مع زعيمى الهجاء جرير والفرزدق على قدم المساواة، وخاض النقائض وكان فيها مجليا، وهو يهجو هجاء قبليا وهجاء شخصيًا ويحفل هجاؤه بالشتائم والتجريح(١٥)، ويكرر فى أهاجيه من الشتائم «ابن الكلب»، «ابن ثغر الكلب»، وعلى العكس من ذلك نجد القطامى قليل الهجاء عف اللسان كما بحثناه فى موضعه، ونحن بذلك نخالف الأب شيخو فى زعمه أن أهاجى الأخطل عفيفة، وأنه لم يتورط فيما تورط فيه زميلاه، وأن النصرانية هى التى فرضت عليه ذلك بتعاليمها(١٦)، وقد أسرف جرير

والفرزدق فى القبح أكثر مما أسرف الأخطل ـ هذه حقيقة، ولكن الأخطل لم يكن عف اللسان ولم يتورع عن شىء من هذا القبح على كل حال، وشعره شاهدنا على ما نقول.

الرثاء:

فى ديوان الأخطل أبيات فى رثاء يزيد بن معاوية[١٧]، ولم نجد رثاء فى ديوان القطامى.

وبعد:

فإن شعر الأخطل مطبوع فى أغلب جوانبه بطابع شعر القطامى من الناحية الموضوعية، ولكن الأخطل أغزر شاعرية، وأوسع أفقًا، وأطول باعا فى رسم الصور والإلحاح على المعانى وتوسيعها، ونحن نرجح ـ بناء على أن الأخطل أكبر سنًا وأشهر فى مجال القبيلة والمجال العام نظراً لاتصاله بالخلفاء، ودورانه فى فلك السياسة العليا ـ أن القطامى قد تأسى بالأخطل، واتخذه أملًا يحاول أن يصل إلى ما وصل إليه من الشهرة والشاعرية.

ـ وفيما يلى نماذج من شعر الأخطل وشعر القطامى الذى نرجح أنه مشى على خطاه فيه:

الأخطل:

وإذا دعونك عمهن فإنه
نسب يزيدك عندهن خبالا

القطامى:

وإذا دعونك عمهن فلا تجب
فهناك لا يجد الصفاء مكانا

نسب يزيدك عندهن حقارة

وعلى ذوات شبابهن هوانا[١٨]

الأخطل:

وتغولت لتروعنا جنية

والغانيات يرينك الأهوالا[١٩]

القطامى:

وأرى الغوانى إنما هى جنة

شبه الرياح تلون الألوانا

الأخطل:

إذا الشعراء أبصرتنى تثعلبت

مقاحيمها وازور عنى فحولها[٢٠]

القطامى:

مالى أرى الناس مزورا فحولهم

عنى إذا سمعوا صوتى وإنشادى

الأخطل:

يوما لقيناك ترمينا السموم وقد

كاد الملاء من الكتان يحترق(٢١)

القطامى:

حتى وردن ركيات العوير وقد

كاد الملاء من الكتان يشتعل

الأخطل:

ملح القطر متسكب العزالى
إذا ما قلت أقلع يستحير[٢٢]

القطامي:

يطالعنى بدومة يالقوم
إذا ما قلت قد نهض استحارا

الأخطل (فى الخمر):

إذا أقول تراضينا على ثمن
ضننت بها نفس خب البيع مكار[٢٣]

القطامي:

كميت إذا ما شجها الماء صرحت
ذخيرة حانى عليها تناذره
فجاء بها بعد الإباء وبعدما
بذلنا له فى السوم ما استام تاجره

الأخطل:

هم يوم ذى قار أناخوا فجالدوا
غداة أتاهم بالجموع الأساور[٢٤]

القطامي:

هم يوم ذى قار أناخوا فجالدوا
كتائب كسرى بعد ما وقد الجمر

الأخطل:

حتى استكانوا وهم منى على مضض

والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر(٢٥)

القطامي:

وقول المرء ينفذ بعد حين

مواضع ليس تنفذها الإبار(٢٦)

ـ يكرر الأخطل وصف ناقته بثور الوحش الذى بات أرقا، ثم هاجمته الكلاب فى الصباح، ونشبت بينه وبينها معركة انتصر فيها، ونحن سنكتفى بمثال من ذلك، ونحيل فى المقارنة بينه وبين القطامى على الصور التى درسناها للقطامى فى وصفه:

قال الأخطل فى وصف ناقته:

كأنها برج رومى يشيده

لز بجص وآجر وأحجار

أو مقفر خاضب الأظلاف جاد له

غيث تظاهر فى ميثاء مبكار

فبات فى جنب أرطاة تكفئه

ريح شآمية هبت بإمطار

يجول ليلة والعين تضربه

منها بغيث أجش الرعد نيار

إذا أراد بهـا التـغـمـيض أرقـه
سـيل يدب بهـدم التـرب مـوار
كـأنه إذ أضـاء البـرق بهـجـتـه
فى أصـفـهـانيـة أو مـصطلى نار
أمـا السـراة فـمن ديبـاجـة لهق
وبالقـوائم مـثل الوشم بالقـار
حـتى إذا انجـاب عنه الليل وانكشـفت
سـمـاؤه عن أديم مـصـحـر عـار
آنـسن صـوت قنيص إذ أحس بهم
كـالجن يهـفـون من جـرم وأنمار
فـانصـاع كـالكوكب الدرى مـيعـتـه
غـضـبـان يخلط من مـعج وإحـضـار
فـأرسلوهن يذرين التـراب كـمـا
يذرى سـبـائخ قطن ندف أوتار
حـتى إذا قلت نالتـه سـوابقـهـا
وأرهقـتـه بأنيـاب وأظفـار
أنحى عليـهن عـينا غـيـر غـافلة
وطعن مـحـتـقـر الأقـران كـرار

فعفر الضاريات اللاحقات به

عفر الغريب قداحا بين أيسار

يعذن منه بحذان المتان وقد

فرقن عنه بذى وقع وآثار

حتى شتا وهو مغبوط بغائطه

يرعى ذكورا أطاعت بعد إحرار

فرد تغنيه ذبان الرياض كما

غنا الغواة بصنج عند إسوار

كأنه من ندى القراص مغتسل

بالورس أو خارج من بيت عطار[٢٧]

ولعلنا إذا قارنا بين هذه الصورة وبين صورة القطامى فى قصيدته النونية:

وكأن نمرقتى فويق مولع

ألف الدكادك من جنوب قطانا.. إلخ

بدا لنا بوضوح كيف يدير الأخطل معانيه فى ذهن خصب، وكيف يلتمس التشبيهات فى داخل هذه الصورة، ويجعلها بذلك صورة مركبة معقدة أكثر من صورة القطامى، وكيف يلح عليها ويوفيها حتى تخرج موفورة الظلال واضحة القسمات، وحسبنا أن نقف عند صورة الثور الذى هطل عليه الندى، وكيف أداها الأخطل فى قوله:

كأنه من ندى القراص مغتسل

بالورس أو خارج من بيت عطار

لنرى أن القطامى لم يستطع الوصول إلى هذا المستوى من الإبداع.

٢ ـ بين الفرزدق والقطامى:

١ ـ يختلف الفرزدق عن القطامى قبيلة، فالأول من تميم، والثانى من تغلب.

٢ ـ البيئة التى عاش فيها الشاعران تكاد تكون واحدة، فالفرزدق عاش فى البصرة وباديتها، والقطامى عاش فى الجزيرة قريباً منه، والمهم أنهما اتحدا فى البداوة بغض النظر عن البعد والقرب.

٣ ـ الشاعران متعاصران، فقد توفى الفرزدق سنة ١١٠هـ، وقد حصرنا وفاة القطامى بين سنتى ١٠٠، ١١٠هـ(٢٨).

٤ ـ يمثل شعرهما الشعر القبلى أو شعر العصبيات، فكلاهما يمجد قبيلته، ويفخر بتاريخها الماضى والحاضر، وينافح عنها، ولم ينضم أحدهما إلى حزب معين، والقول بشيعية الفرزدق قول مردود؛ لأنه نشأ على إثر قوله لقصيدته الميمية فى على زين العابدين، وهذه القصيدة لا تعدو أن تكون إعجاباً شخصياً بالممدوح ـ إن صحت نسبتها للفرزدق ـ وخلق الفرزدق ينفى تشيعه كل النفى(٢٩).

٥ ـ وشعرهما يتفق فى إطاره العام، وهو أنه يقوم على تعدد الأغراض فى القصيدة الواحدة، والتمهيد الذى يتخلص منه الشاعر إلى غرضه الأصلى، فالغزل أو بكاء الديار يخرج منه إلى وصف الناقة والرحلة، ثم إلى المدح أو الفخر وما إلى ذلك، وأسلوب البادية فى الحياة، وأسلوب الشعر البدوى يتجلى لدى الشاعرين.

٦ ـ وسنتناول أغراض الشعر لدى الفرزدق مقارنين بينها وبين أغراض القطامى بوجه عام مبينين ما زاده الفرزدق من أغراض، وما طبع به شعره من سمات تختلف عن شاعرنا:

الوصف:

هناك أشياء يتفق فيها الفرزدق مع القطامى فى الموضوع والأسلوب، فالفرزدق يصف الخمر وصفاً عاديا يقترب من وصف القطامى لها، ولا يبدع فى ذلك كما يبدع الأخطل مثلًا (٣٠)، وهو يصف الإبل فى المقدمات وغير المقدمات، ولكنه لا يطيل ذلك ولا ينوع فيه كما رأينا عند القطامى، وإنما يمر عليه مروراً عابراً(٣١)، وإذا جاء إلى ناقته وجدناه يصفها القطامى، فهو أحياناً يشبهها بحمار الوحش الذى يسوق سربه فى أبيات طويلة ربما كانت الصورة الفنية فيها أكثر إشراقًا وإتقانا من صورة القطامى(٣٢)، وأحياناً يشبهها بوحشية اختلس السباع ولدها(٣٣)، فهو أخو القطامى فى هذه الناحية، أو قل إنهما ينهلان من معين واحد هو الشعر القديم، فإذا خلصنا من ذلك وجدنا لدى الفرزدق عناصر جديدة فى الوصف مثل وصف أحاسيسه نحو أبنائه(٣٤)، ووصف الذئب الذى استضافه(٣٥)، ولا نجد شيئاً من ذلك عند القطامى.

الفخر:

وعلى الرغم من شهرة الفرزدق كشاعر يجيد الفخر فإننا لم نجد فى فخره عناصر جديدة أو منوعة يمكن أن نذكرها له زيادة على فخر القطامى، صحيح أن الفخر يطغى على بقية الأغراض فى الديوان فهو يتخذه وسيلة إلى الهجاء، ولا يترك قصيدة تمر دون أن يحشوها بالفخر، وله قصائد كاملة فى هذا الموضوع، ولكن عناصر الفخر لديه تقليدية عادية، فهو يفخر بتميم وكثرة عددها، ويفخر بجده الذى أحيا الموءودات(٣٦)، ويفخر بأبيه وعمه.. إلخ(٣٧)، ويعدد مآثر قومه فى الجاهلية والإسلام.

ونحن نجد نفس العناصر عند القطامى بالنسبة لتغلب، ولا يزيد عليه الفرزدق إلا من حيث الكم، ولكن القطامى يزيد عليه فى وصف الحروب والغارات وفخره بكل ذلك.

ويلتحق بهذا الجانب شعره فى مجال السياسة، وقد لاحظنا أن الفرزدق لم يحصر نفسه فى مجال القبيلة كما فعل القطامى، ولكنه تحرك فى مجال السياسة العليا، وربما زاد على الأخطل نفسه فى ذلك، فشعره سجل للحروب التى قامت فى الدولة الأموية كحرب مصعب وابن الأشتر(٣٨)، ونراه دائماً فى جانب الدولة ينتصر لمن يحارب الخوارج الخارجين على الدين(٣٩)، وهو إلى جانب ذلك يتعصب تعصبا قبليا فيهجو فزارة(٤٠)، ويتعصب لآل المهلب فيهجو باهلة(٤١)، ويدخل فى الفتنة التى انتهت بمقتل قتيبة بن مسلم(٤٢).

فهو يتفق مع القطامى فى كونه شاعر قبيلة، ويزيد عليه فى أنه يستخدم قبليته فى مجال أوسع من مجال القطامى هو مجال الدولة الأموية كلها.

الغزل:

لا يكاد يخرج غزل الفرزدق فى مجموعه العام عن الطابع التقليدى الذى يتسم بالصنعة أكثر مما يتسم بالصدق، فهو يمهد بالغزل لأغراضه، وأسلوبه فى ذلك يشبه أسلوب القطامى(٤٣)، وهو يذكر أسماء كثيرة فى شعره كحميدة وليلى وعلية وهنيد بالإضافة إلى النوار زوجته، وقد رأينا هذه الظاهرة لدى القطامى، وعددنا أسماء من ذكرهن، ومقاييسه الجمالية تكاد تتفق مع مقاييس القطامى فهى الحياء والترف ونظافة الأسنان وحلاوة الحديث وحفظ السر(٤٤)، ويشبه محبوبته بدرة الغواص كما يفعل القطامى، وسنشير إلى ذلك، وهو يكثر من ذكر الجنس والفراش والعرى مما يذكرنا بالقطامى، بل إنه ليزيد على شاعرنا كثيرا فى هذه الناحية، وهو يميل إلى التعدد فى الحب(٤٥)، وهذا ما رأيناه عند القطامى.

وللفرزدق أشياء أخرى فى هذا الغرض لم نرها واضحة لدى القطامى، منها الأسلوب القصصى، فهو ينحو منحى ابن أبى ربيعة فى لياليه أحيانا، غير أنه لا يصل إلى مستواه فى الحبكة القصصية(٤٦)، وأحياناً يحكى قصة تشبه قصة

دارة جلجل، وهو ينص على أنه يتبع امرأ القيس فى ذلك(٤٧)، وقد حكا لنا فى مقدمة غزلية قصة لقائه مع حبيبته فى حلم (٤٨).

المدح:

يموج ديوان الفرزدق بالمدائح، وممدوحوه يعدون بالعشرات من بين خلفاء كعبد الملك وهشام وسليمان وعمر بن عبد العزيز، وأمراء كالحجاج، وعمال كعامل الحجاج على البصرة، وله مدائح فى القبائل كتغلب وقيس عيلان أحيانا.

ولكننا نلاحظ ـ على الرغم من كثرة هذه المدائح ـ انعدام الصدق فيها أو فى معظمها، فالروح فيها فاترة، والصنعة تنم عن نفسها، والرغبة فى العطاء أو فى الشهرة تسيطر عليها، ولا نتنسم فيها الإخلاص ولا الوفاء اللذين هبا علينا من مدائح القطامى، وبخاصة فى زفر، ولا أدل على ما نقول من تناقض الفرزدق فى مدائحه تلك، فهو يمدح الحجاج(٤٩)، ولكنه يعود فيهجوه(٥٠)، وهو يمدح ابن هبيرة(٥١)، ويهجوه(٥٢)، مما يدل على أنه كان يمدح حين تكون الدنيا مقبلة على ممدوحه، فإذا أدبرت عنه أو حدث بينهما سوء تفاهم لسبب ما انقلب مدحه هجاء، فليست لديه فكرة ثابتة يمدح عليها، وإنما حالته فى ذلك الجانب أقرب إلى أن تكون نفاقاً فى نفاق.

الهجاء:

قلنا ثمة إن أهاجى القطامى تقل بصورة ملحوظة، ولكن الفرزدق هجاء مشهور، ولا نتوقع أن يجاريه القطامى فى هذا الجانب أو يسير فى غباره، والفرزدق يفحش فى الهجاء الشخصى على وجه الخصوص إفحاشا يخجل القلم من الخوض فى تفصيلاته، وإذا اعتبرنا هذا الجانب وترا فى قيثارة الشعر ـ وإن كان وترا بغيضا ـ فلا شك نسجل للفرزدق أنه ضرب عليه ببنان صناع لم يتح للقطامى أن يبلغ شيئاً مما بلغه فيه.

الرثاء:

وهذا وتر جديد آخر عزف عليه الفرزدق ولم نجده عند القطامي، وقد كثر شعر الرثاء في الديوان كثرة ملحوظة، وتنوع بين رثاء المشهورين كعبد العزيز ابن مروان[٥٣]، وبشر بن مروان[٥٤] والحجاج[٥٥]، وغير المشهورين[٥٦]، ووجدنا له كذلك رثاء في أهله، فهو يرثي أبناءه[٥٧]، ويرثي أباه[٥٨]، ويرثي أخاه[٥٩].

ولكن هجاء الفرزدق يغلب عليه الجفاف الذي غلب على شعره عموما، فلا نحس فيه العاطفة الملتاعة بقدر ما نحس فيه العقل الواعي الذي يعلل للأشياء[٦٠]، وعلى الرغم من ذلك فإننا لا نملك إلا أن نسجله له كغرض زاد به على القطامي مادمنا في معرض المقارنة بينهما.

ملاحظات عامة:

ـ قد يبدأ الفرزدق قصيدته بدون مقدمة[٦١]، وقد رأينا ذلك عند القطامي.

ـ في شعر الفرزدق إقواء[٦٢]، وخرم كثير، وقد وجدنا الخرم بقلة في شعر القطامي، ولكنه لم يقو.

ـ يتبع الفرزدق أسلوب الاستدارة كما يتبعها القطامي والأخطل[٦٣].

ـ في شعر الفرزدق روح إسلامية لا نجدها لدى القطامي[٦٤].

ـ يمتاز شعره بالطول بصفة عامة سواء في عدد القصائد أم في داخل القصيدة نفسها، والقطامي مقل.

ـ وهو يعتز بشعره اعتزازاً عجيباً[٦٥]، وعند القطامي شيء من ذلك.

ـ يلاحظ على الفرزدق شدة الأسر في شعره إلى درجة وسمته بالجفاف، فهو ينحت من صخر كما يقولون، وشعره مليء بالكلمات الغريبة، ولعل ذلك ما جعل بعض النقاد يقولون لولاه لضاع ثلث اللغة[٦٦]، فنحن لا نجد لديه سلاسة القطامي وتدفقه.

ـ وشعره ملىء بالصور البيانية من استعارة وكناية وتشبيه، وكذلك شعر القطامى.

ـ ولن نترك الفرزدق دون أن نثبت له بعض الأبيات، والصور التى اتفق فيها مع القطامى، وقد أشرنا إلى اتفاقه معه فى تشبيهه ناقته بالوحشية التى اختلس ولدها، وسنذكر هنا صورة الفرزدق ونحيل على صورة القطامى لأننا ذكرناها ثمة:

كأن فريدة سفعاء راحت
برحلى أو بكرت بها ابتكارا

لها بدخول حومل بحزجى
ترى فى لون جدته احمرارا

كلون الأرض يرقد حيث يضحى
بأعلى التلع أضمرت الحذارا

عليه فلم ينل ورأى خليع
قليل الشىء يتبع القفارا

تحريها إليه وحيث تدأى
بشق النفس ترهب أن يضارا

إذا جمعت له لينا أتته
بضهل وتينها تخشى الغرارا

فأوجس سمعها منه فأصغت
غمائم بالصريمة أو خوارا

فطافت بالهبير بحيث كانت

بدرتها تعهده مرارا

فلاقت حيث كان دما ومسكا

حديث العهد قد سدك الغبارا

فراحت كالشهاب رمى عشاء

به الغلمان تقتحم الخبارا

فتلك كأن راحلتي استعارت

قوائمها الخوانف والفقارا(٦٧)

ولا يخفى الشبه الواضح بين هذه الصورة وصورة الأعشى مما يدل على أن الفرزدق والقطامى يستوحيان الشعر القديم.

الفرزدق:

يعضون أطراف العصى كأنها

تخزم بالأطراف شوك العقارب(٦٨)

القطامى:

سرى فى جليد الليل حتى كأنما

تخزم بالأطراف شوك العقارب

الفرزدق:

ملوك وأبناء الملوك وسادة

لهم سؤدد عود على الناس قاهر(٦٩)

القطامى:

هـم المـلوك وأبـنـاء المـلوك لـهـم

والآخـــذون بـه والسـاسـة الأول

الفرزدق:

قـرم إذا ابتـدر القـروم هديره

ولـيـنـه ورمـين بـالأبـعـار[٧٠]

القطامى:

إذا هدرت شـقـاشـقـه ونشـبـت

لـه الأظـفـار تـرك لـه الـهـدار

الفرزدق:

ومـغلثين من النعـاس كـأنما

شـربوا عـتـيق سنين فـوق الأرحل[٧١]

القطامى:

ومـصـرعين من الكلال كـأنما

شـربوا الغـبـوق من الطلاء المعـرق

الفرزدق:

هم يوم ذى قـار أنا خـوا فـصـادموا

برأس به ترمى صـفـات المصـادم[٧٢]

القطامى:

هم يوم ذى قار أنا خوا فجالدوا

كتائب كسرى بعدما وقد الجمر

الفرزدق (يشبه حبيبته بدرة الغواص):

كدرة غواص رمى فى مهيبة

بأجرامه والنفس يخشى ضميرها

موكلة بالدر خرساء قد بكى

إليه من الغواص منها نذيرها

فقال ألاقى الموت أو أدرك الغنى

لنفسى والآجال جاء دهورها

ولما رأى ما دونها خاطرت به

على الموت نفسى لا ينام فقيرها

فأهوى وناباها حوالى يتيمة

هى الموت أو دنيا ينادى بشيرها

فألقت بكفيه المنية إذ دنا

بعضة أنياب سريع سؤورها

فحرك أعلى حبله بحشاشة

ومن فوقه خضراء طام بحورها

فـمـا جـاء حـتى مج والماء دونه

من النفس ألوانا عـبـيطا نحـورها

إذا مـا أرادوا أن يحـيـر مـدوفـة

أبى من تقـضى نفـسه لا يحـورها

فلمـا أروها أمـه هان وجـدها

رجـاء الغنى لما أضـاء منيـرها

وظلت تغـالاها التـجـار ولا ترى

لهـا سـيـمـة إلا قليـلا كـثـيـرها(٧٣)

القطامى:

(راجع تشبيه حبيبته بدرة الغواص).

وبعد:

فلعله قد اتضحت من هذه المقارنة العجلى منزلة القطامى من الفرزدق، فقد رأينا الشاعرين يدوران أحياناً فى فلك واحد من حيث الأغراض، ومن حيث الشاعرية، وأحيانا ترجح كفة القطامى كما رأينا فى جانب المديح مثلًا، ولكن الفرزدق فى أكثر الأحيان يرجح القطامى، وليس ذلك راجعًا إلى شهرة الفرزدق، وإنما هو راجع إلى نظرتنا المجردة فى شعره، فهو أكثر إنتاجا من القطامى، وهو يعزف على أوتار أكثر من الأوتار التى عزف عليها القطامى، وقد يكون القطامى أعذب منه أسلوبا وأكثر تمثيلا للحياة القبلية بحروبها ومواضعاتها وحيواناتها، ولكن الفرزدق أوسع أفقا، وأغزر شاعرية، ولا شك أن دورانه فى الفلك العام للسياسة، واتصاله بالخلفاء، وحضوره مجالسهم واشتباكه مع جرير فى المهاجاة، كل ذلك قد أثرى شاعريته، وأخصب عقله، وأرهف

أدواته الفنية، وإذا رجعنا إلى النموذج الأخير الذى اتفق فيه الفرزدق مع القطامى وهو تشبيه حبيبته بدرة الغواص وضح لنا كيف يضرب الفرزدق فى جو الفن بأجنحة متعددة، ويزيد فى تركيب صورته وتعقيدها، فلا يكتفى بأن الغواص يرتكب الأهوال، ويقتحم اللجج، بل يجعلَ الدرة فى رعاية حية لا شفاء من سمها، وأن الغواص أقدم رغم تعرضه للخطر مؤمّلا فى الثراء، وأن الحية لدغته فعلا بعد أن فاز بالدرة، وحين ترى أمه جثته بجانب الدرة الباهرة يهون عليها المصاب!! كل هذه العناصر فى أسلوبها المحكم إذا وضعت بجانب الصورة التى رسمها القطامى تجلى ما لدى الفرزدق من قدرة شعرية وقدم أصيلة.

٣ - بين جرير والقطامى:

- جرير من تميم، ورهطه بنو يربوع، وقد مات فى العام الذى مات فيه الفرزدق.

- وهو يتفق مع القطامى فى أنه يعدد الأغراض فى القصيدة الواحدة.

- وحين قرأنا ديوانه وجدناه يرتفع فى أغراض معينة، ويهبط فى أغراض أخرى، وسنحاول أن نجلى ذلك مقارنين بينه وبين القطامى.

فى المجال القبلى والسياسة:

لم يكتف جرير بأن يكون شاعر قبيلة، وإنما تجاوز ذلك إلى حدود التحرك فى مجال السياسة العليا، فنراه يحض الوليد على بيعة عبد العزيز[٧٤]، وهو حين يمدح الأمويين أو أمراءهم يؤيد سياستهم، ويحط من أعدائهم، فيذكر فى مدحه للوليد هدم الكنيسة[٧٥]، ويشير إلى فتوحاته[٧٦]، ويمدح الحجاج فيشير إلى فتنة العراق وكيف أخمدها، ويؤيد سياسته، ويشير فى مناسبة أخرى لابن الزبير فيصفه بالكذب والتفاهة[٧٧].

وقد قام إلى جانب ذلك بدوره كشاعر قبيلة، فهو لسان بنى يربوع، يذود عنهم، ويمجد أيامهم، ويصب هجاءه على بعض القبائل المعادية فيهجو

صدى[٧٨]، ويهجو التيم كثيراً، وهو ضد آل المهلب[٧٩]، وينتصر لابن هبيرة الفزارى[٨٠]، وهو لسان قيس وإن لم يكن منهم، ولقد اتخذ من ذلك الانحياز ركنا شديدا صب منه على تغلب وشاعرها الأخطل نيرانه، وسجل بشعره أيام قيس على تغلب[٨١] وغير ذلك من الأيام[٨٢].

فإذا قارناه بالقطامى فى هذا السبيل وجدنا القطامى يقوم بدوره كشاعر قبيلة، وربما فاق جريرا فى هذه الناحية، ولكن القطامى لا يخوض فى السياسة العليا كما ذكرنا ذلك أكثر من مرة وهو فى ذلك على العكس من جرير.

المدح:

ديوان جرير مفعم بالمدائح، وهو يمدح الخلفاء كعبد الملك[٨٣] وعبد العزيز ابن مروان[٨٤] وسليمان[٨٥]، ويمدح الأمراء والولاة[٨٦]، ويمدح أناسا غير مشهورين، ويمدح صغار الناس حتى الموالى[٨٧]، وعلى الرغم من أن بعض شعره فى المدح فيه روح جديد[٨٨]، إلا أننا لا يمكن أن نضع جريرا بجوار القطامى فى المديح بسبب واحد هو أن جريرا كان يمدح دون تفاعل حقيقى مع الممدوح، وأثر ذلك واضح فى شعره، ولا نعرف أنه اختص بإنسان يدين له بالولاء، ويخلص له الحب كما فعل القطامى مع زفر.

الهجاء:

وإذا ذكر الهجاء فى العصر الأموى فجرير زعيمه ما فى ذلك شك، وقد استطاع هذا الرجل بما أوتى من ذكاء ومن لسان سليط أن يثير حوله زوابع وأن يصرع شعراء، ولسنا الآن بسبيل تحليل هذه الناحية فقد بحثها قوم متخصصون[٨٩]، ولكننا نقول إن جريرا قد استهلك معظم شاعريته فى الهجاء، هجا قبائل وبطونا وأفراداً، وخاض المعركة مع حوالى أربعين شاعرا كما يقول هو لنا[٩٠]، ولكن عبقريته الهجائية تبلورت فى أهاجيه للفرزدق والأخطل، هذا إذا استثنينا بائيته التى دمغ بها الراعى، وقد اتخذ من فسق الفرزدق، وجرجعثن، ومن أن الفرزدق ابن قين، ومن غدر قومه بالزبير أسلحة

أذاقه بها كأسا مرة، واتخذ من نصرانية تغلب، وشربهم الخمر، وقذارة نسائهم ما سقى به الأخطل نفس الكأس، ومع أن هجاءه شتائم إلا أنه استطاع أن يخرج منه بعقليته الجبارة شيئًا فنيًا، وقد كان ينتهز كل فرصة ليهجو خصميه خصوصا الفرزدق حتى إننا نراه يهجوه بمناسبة رثائه لزوجته(٩١).

وفى هجائه بعض المعانى الجديدة التى لم يستطع خصماه مجاراته فيها(٩٢).

ومن الطبيعى أن يختلط عنده الفخر بنفسه وقومه بهجاء خصومه، على أن فخره لا يحوى شيئاً جديداً لا يمكن أن نجده عند غيره فننبه عليه.

فإذا نظرنا إلى الأبيات الهجائية القليلة التى ذكرناها للقطامى بدا لنا الفرق الهائل بين الشاعرين فى هذه الناحية لدرجة تجعل المقارنة بينهما أمراً صعباً.

الغزل:

ولقد كان جرير غزلا حلو الغزل، وقد اتفق مع القطامى فى بعض معانيه الغزلية، ولكنه فارقه فى أشياء جوهرية، وسنحاول أن ننبه على الناحيتين، فمن معانيه التى تشبه معانى القطامى وصفه للنساء بالتقلب(٩٣) وخلف الوعد(٩٤)، وكذلك نجد من مقاييسه الجمالية طيب رائحة الفم(٩٥)، ونراه يعرض للمشيب وكيف ينفر النساء كما نرى ذلك عند القطامى(٩٦)، وله غزل تقليدى كغزل القطامى بصفة عامة(٩٧).

ولكن جريرا تناول هذا الفن من زوايا أخرى مست شغاف قلوبنا، وأوقفتنا على شاعرية مرهفة، ونفس تحس الجنس الآخر على نحو يختلف عن إحساس القطامى به، فهو يشير أحيانا إلى حياء حبيبته(٩٨)، وفى غزله روح عفة أصيلة، وهو يعرض للجسد على قلة حرقة الفؤاد والجوانح كثيراً، بينما وجدنا الناحية الحسية طاغية عند القطامى، وعواطف جرير فى الغزل تمتاز بالحدة(٩٩)، وتعرض علينا روعة الحب وعذابه(١٠٠)، وأثر الحب فيه عميق، وفى غزله روح سارية تذكرنا بروح العذريين(١٠١)، ونجد لديه معانى فريدة

كان يصف حبيبته بأنها متدينة(١٠٢)، وعلى الرغم من الأسماء الكثيرة التى يتغزل فيها كزينب وهند وأمامة وسلمى وليلى وسعاد ومى فإننا وجدنا فى شعره ما يشير إلى أنهن كن متتابعات(١٠٣)، ولقد عجبنا إذ وجدنا جريرا هذا العفيف الذى يقترب فى شعره من العذريين يذكر لنا الفراش والمضجع(١٠٤)، ولكن ذلك كان مرة واحدة ولم يعد إليها.

الرثاء:

فى ديوان جرير ما يقرب من عشرين مرثية، وقد افتقدنا هذا الوتر لدى القطامى كما ذكرنا، وقد وجدنا فى شعر الرثاء عند جرير ما يشبه شعر القطامى فى الوصف، فهو يشبه أم ابنه حين يرثيه بالوحشية التى اختلس ولدها(١٠٥)، ورثاء جرير عادى تقليدى يعتمد على ذكر الخسارة الفادحة ومدح الميت، ولكننا تأثرنا لمرات ثلاث لأنها مست نفوسنا، إحداها رثاؤه للفرزدق عدوه التقليدى، وعلى أى صورة تم هذا الرثاء فقد ظفرنا بقصيدة لها دلالة إنسانية، وهى أن برودة الموت كفيلة بأن تقضى على العداوة مهما اشتدت وطال عليها الأمد(١٠٦)، والمرثية الثانية هى مرثية زوجته ففيها روح القرين الحزين لفراق قرينه(١٠٧)، وثمة مرثية ثالثة ظهر فيها الحزن الصادق على قصرها وهى مرثيته فى ابنه(١٠٨).

الوصف:

أما وصف جرير فهو وصف طائر، يعرض للإبل وللبادية وللأطلال فى مفتتح قصائده وفى ثناياها، ولكنه لا يقف عندها كثيرا، ولا يشقق القول كما يفعل القطامى، ولم تتح له فرصة وصف الخمر لأنه كان عفيفاً متديناً.

أشياء أخرى:

وقد وجدنا فى ديوان جرير أشياء لم نجدها عند القطامى مثل العتاب(١٠٩)، ومثل أحاسيسه نحو الجنائز، وكيف أنها تردعه فإذا مرت عاد إلى حاله من الغفلة(١١٠)، ومثل شكره لعواده فى مرضه(١١١)، ومثل أحاسيسه نحو ابنه، ونصائحه له(١١٢)، كما وجدنا عند القطامى أشياء لانتبينها عند جرير مثل شعر

الحكمة، وجرير يتبع أسلوب الاستدارة كالقطامى، وهو يعتز بشعره اعتزازاً بالغًا، ويذكر كثيراً تغلبه على الشعراء، وقد وجدنا عند القطامى من ذلك شيئاً خاطفاً، ويمتاز شعر جرير بالرقة والسهولة وعدم التكلف، فهو يقف من مدرسة عبيد الشعر فى الجانب المقابل بينما يحسب القطامى من بينهم كما ذهبنا.

وأخيرا:

فأين مكان القطامى بين شعراء عصره بعد أن قارناه بهؤلاء الفحول؟ سوف لا يعنينا القول بأنه أحسن من فلان أو أردأ من فلان، ولكننا نسجل الرأى الذى وضح لنا من الدراسة، وإن ترك هذا الرأى الباب مفتوحًا لمن يأتى من بعدنا فيقارن ويفاضل. أما إذا اعتبرنا مقياس الشاعرية هو إسهام الشاعر فى الحياة التى تصطخب من حوله، وانفعاله بها، وتمثيله للبيئة التى عاش فيها، ورصده للأحداث الجارية من حوله، سواء أكانت حرباً وغارات أم طبيعة حية وصامتة، فإننا لا نتحرج من وضع القطامى فى صف هؤلاء الفحول، لأنه ـ والحق يقال ـ لم يتخلف مطلقًا عن الانفعال ببيئته وتسجيل أحداثها، وأما إذا اعتبرنا المقياس هو دائرة النشاط والاتصالات والإسهام فى الحياة العامة بمعناها الواسع، واستيفاء أغراض الشعر ما أمكن، وطول التمرس بالمهنة، والفنية، فإننا نؤخر القطامى خطوة عن هؤلاء، فالرجل مقل، وأغراضه محدودة ـ مهما كان السبب فى ذلك ـ واتصاله بالناس يتم فى دائرة ضيقة، وقد ظهر من المقارنات السابقة مدى جريانه مع الشعراء الثلاثة فى المجال الفنى الخالص، ويظهر أنهم استفادوا من كثرة اتصالاتهم، وكثرة تجاربهم الشعرية، ومن شهرتهم ومواقفهم ما قدمهم على القطامى.

(ب) ـ آراء الناس فى القطامى:

يتعب الباحث عن آراء الناس فى القطامى، فالرجل مقلّ، ولم تحفل به كتب الأقدمين والمحدثين كما حفلت بغيره من المشهورين، وسنقدم فى هذه الفقرة من بحثنا ما حصلنا عليه بعد الجهد من آراء الناس فى الشاعر:

ابن سلّام:

عد ابن سلام القطامى فى الطبقة الثانية من الشعراء الإسلاميين، وعد معه البعيث وكثيّر وذا الرمة، وكان ترتيب القطامى نديه الثانى فى هذه الطبقة، وقد قال عنه: «وكان القطامى شاعراً فحلا رقيق الحواشى، حلو الشعر، والأخطل أبعد منه ذكرا وأمتن شعرا»[١١٣].

المرزبانى:

«وكان شاعراً فحلا رقيق حواشى الكلام كثير الأمثال فى شعره»[١١٤].

الأخطل:

«قال عبد الملك بن مروان للأخطل: يا أخطل أتحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب؟ قال: اللهم لا إلا شاعر منا مغدف القناع خامل الذكر حديث السن إن يكن فى أحد خير فسيكون فيه، ولوددت أنى سبقته إلى قوله:

يقتلننا بحديث ليس يعلمه
من يتقين ولا مكنونه بادى
فهن ينبذن من قول يصبن به
مواقع الماء من ذى الغلة الصادى»[١١٥]

«قال عبد الملك بن مروان للأخطل: من أشعر الناس؟ قال أنا ثم المغدف القناع القبيح السماع الضيق الذراع يعنى القطامى»[١١٦].

وقال أبو الفرج:

«أخبرنى جحظة قال سمعت على بن يحيى المنجم يقول: سمعت من لا أحصى عدداً من الرواة يقولون: أحسن الناس ابتداء فى الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول:

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي

وحيث يقول: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وفي الإسلام القطامي حيث يقول:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

ومن المحدثين بشار حيث يقول:

أبى طلل بالجزع أن يتكلما

وماذا عليه لو أجاب متيما

وبالفرع آثار بقين وباللوى

ملاعب لا يعرفن إلا توهما[117]

عبد الملك بن مروان:

يقول بعد أن استمع إلى أشعار القطامي من الأخطل ومن الشعبي: «ثكلت القطامي أمه، هذا والله الشعر»[118].

أبو عمرو الشيباني:

لو قال القطامي في بيته:

يمشين هونا فلا الأعجاز خاذلة

ولا الصدور على الأعجاز تتكل

في صفة النساء لكان أشعر الناس»[119].

ابن قتيبة:

«وكان حسن التشبيب رقيقه» [120].

بلال بن أبي بردة:

«عن الأصمعي قال: قال بلال بن أبي بردة لجلسائه ذات ليلة خبروني بسابق الشعراء والمصلّي والثالث والرابع، فسكتوا فقال: سابق الشعراء قول المرقش:

من يلق حمدا يحمد الناس أمره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

والمصلي قول طرفة:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

والثالث قول النابغة:

ولست بمستبق أخالا تلمه
على شعث أى الرجال المهذب

والرابع قول القطامى:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل[١٢١]

التبريزى:

«وكان فحلا رقيق الحواشى كثير الأمثال»[١٢٢].

ابن الأثير:

«ومن أراد أن يذكر الديار والأطلال فليتأدب بأدب القطامى على جفاء طبعه وبعده عن فطانة الأدب، فإنه قال: إنا محيوك فاسلم أيها الطلل، فبدأ قبل ذكر الطلل بذكر التحية، والدعاء له بالسلامة»[١٢٣].

ابن عساكر:

«... وكلمة القطامى التى هذه الأبيات منها من أجود شعره، وأولها:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

وإن بليت وإن طالت بك الطول

وقد ذكر بعضهم أن أجود ما أتى من أشعار العرب على هذا العروض وهذا الروى هذه الكلمة، وكلمة الأعشى التى أولها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعا أيها الرجل»(١٢٤)

أبو حيان التوحيدى:

«وقد أجاد القطامى وتغزل فى قوله:

فهن ينبذن من قول يصبن به

مواقع الماء من ذى الغلة الصادى»(١٢٥)

عبد الرحيم العباسى:

«وهو شاعر إسلامى مقل فحل مجيد»(١٢٦).

المبرد:

قال بعد أن وصف شعرا لرجل من بنى تميم بقوله «وهذا كلام فصيح جداً»: «ويشبه هذا فى الاتساع فى الفصاحة.. قول القطامى:

لم تر قوما هم شر لإخوتهم

منا عشية يجرى بالدم الوادى

نقريهم لهذميات نقد بها

ما كان خاط عليهم كل زراد»(١٢٧)

الأب لويس شيخو:

قال فى كلامه عن شعراء النصرانية:

«فترى من قصائدهم مع متانة شعراء الجاهلية سلاسة شعراء الإسلام كالأخطل والقطامى»(١٢٨).

الأستاذ عمر الدسوقى:

من رأيه أن القطامى يعبر عن الروح القبلية الجاهلية، قال:

«ولقد قال القطامى ـ مع أنه شاعر أموى ـ يعبر عن تلك الروح التى كانت سائدة بين سكان البادية، والتى لم يستطع الإسلام وسطوته وهدايته أن يهذبا من جموحها:

ومن تكن الحضارة أعجبته

فأى رجال بادية ترانا

إلى آخر المقطوعة(١٢٩).

الأستاذ أحمد أمين:

فكرته شبيهة بالفكرة السابقة حيث قال فى حديثه عن عادات البدو: «ونوع آخر اتخذوه أيضًا وسيلة من وسائل العيش وهو الغارة، والسلب، يغيرون على قبيلة معادية ـ وكثيرا ما تكون المعاداة ـ فيأخذون جمالهم، ويسبون نساءهم وأولادهم، وتتربص بهم القبيلة الأخرى فتفعل ما فعلوا، بل هم إذا لم يجدوا عدوا من غيرهم قاتلوا أنفسهم، ولعل خير ما يمثل ذلك قول القطامى:

فمن تكن الحضارة أعجبته

فأى رجال بادية ترانا

... إلى آخر المقطوعة(١٣٠).

الأستاذ الشايب:

«.... ابن أخت الأخطل(١٣١)، ودونه فى المنزلة الشعرية، وأضيق منه أفقاً، عاش فى ظل العصبية بين قيس وتغلب دون أن يعرض للسياسة العليا مباشراً، ولكن هذه العصبية متأثره بالتيارات العليا للسياسة الأموية، وقد وقف مع قومه يفخر بهم... وكان فخره المستقل بقومه نادراً فكأنه لم يكد يتقدم للعمل فى ظل السياسة العليا حتى انقلب شاكيا آثارها باكيا ضحاياها»(١٣٢).

الدكتور زكى المحاسنى:

«وإنى لأعده مثالًا لشعر الفروسية القبلية، وأرى شعره أصح دليل على شعر الحرب الذى سكبه صاحبه على قومه فلم يجعل لغيرهم نصيبا فى شرفه ، وقد ذهب القطامى بعمود هذا الضرب من الشعر الأموى . كان شاعرا فارسا كما يدل على ذلك شعره ، شهد حروبا قبلية وسمت شعره بميسم قبلى صرف ، وتكشف لى هذا الشاعر عن نزعة عصبية جاهلية لم يذهب بها العهد الأموى ... والذى يشغلنى من أمر هذا الشاعر شعره الحربى القبلى ... لقد كان القطامى من غلاة القبلية ، وكان من مغالاته هذه وإلحاف عصبيته يهول بشعره قيمة العشيرة وخطره فيها وبلاء فروسيته .... وأحسبه عاش جرارا أذيال الفخر مزهوا بقبيلته مفديا فرسان قومه الذين مزجوا كئوس مناياهم بالشرف .... ويدل شعر الحرب عند القطامى على أنه سلخ جزءا كبيرا من حياته مشغولا بالحرب العوان بين قومه بنى تغلب وبين قيس عيلان .... ويدل شعره على أنه بلا الحرب وعانى أهوالها ، ولولا ذلك لما وقع أسيرا بيد زفر بن الحارث الكلابى حين ظفر زفر على التغلبيين فى حربه إياهم»(١٣٣).

الدكتور محمد صبرى :

يعرض الباحث للتصوير البسيط ، فيذكر أنه يأتى كثيرا فى شعر فحول الجاهلية ، ويستشهد على ذلك بقول القطامى وكأنه يعتبره شاعرا جاهليا !! :

تلفـــــعت فى طل وريح تلفنى

وفى طرمســـاء غـيـر ذات كـواكب

إلى حيـزبون توقـد النار بعـدمـا

تلفـعت الظلمـاء من كل جـانب

ثم يعلق قائلا: « البيت الثانى رائع ورائع جدا فى وصف الظلام ، وكثيرا ما رسم كبار الهولنديين فى القرن السابع عشر العجوز فى ليل الشتاء وهى تستدفئ على النار فى دارها فترى حمرة النار يحيط بها سواد الظلام إحاطة ناصعة الألوان ، ولكن بيت القطامى يمثل صورة واسعة من صور الطبيعة يتألق جمالها فى قوله « تلفعت الظلماء من كل جانب » وهى من التصوير البسيط ، وأى تصوير »(١٣٤).

بمن تأثر من الشعراء السابقين ؟ :

يتأثر الشاعر بالشاعر فى الإطار الشعرى العام، ويتأثر به فى الصور والأخيلة، ويتأثر به فى سلاسة الصياغة أو جفائها، ويتأثر به فى المضمون الشعرى أعنى الأهداف التى يخدمها ذلك الشعر. ومن المعروف أن الشعر الجاهلى تبع إطارا معينا هو الاعتماد على تعدد الأغراض فى القصيدة الواحدة، فهو يبدأ بالغزل أو بكاء الأطلال ثم يأخذ فى وصف الرحلة أو وصف الخمر، ثم يدع كل ذلك إلى غرضه الأصيل من مدح أو فخر أو هجاء أو اعتذار أو غير ذلك من أغراض الشعر التى طرقها الجاهليون، وهو ـ إلى جانب ذلك ـ لا يلتزم هذا النحو التزاما وإنما قد يخرج ـ فى أحيان قليلة ـ من الغزل أو الوصف إلى موضوع القصيدة ثم يعود إلى ما خرج منه فيلتفت إليه لفتة سريعة يمضى بعدها فيما هو فيه، وهذا الطابع العام للقصيدة يشترك فيه الشعر الجاهلى دون تفريق بين شاعر وآخر، ونستطيع أن نعتبر ذلك طابعا ينسحب على أغلب الإنتاج الشعرى إن لم يكن عليه كله.

وحين درسنا شعر القطامى وجدنا طابعه العام هو هذا الطابع، فهو يسير عليه فى دقة والتزام، وهو يعدد الأغراض فى القصيدة الواحدة ويفعل ما فعله السابقون بأمانة، وقد دعانا ذلك إلى أن نصف القطامى أكثر من مرة بأنه

شاعر تقليدى، وهو فى ذلك يقلد التراث القديم كله بحيث لا نستطيع أن نقول إنه متأثر فى ذلك بشاعر معين من الأقدمين دون شاعر آخر؛ لأن كل الشعراء الأقدمين سلكوا هذا السبيل. أما الصور والأخيلة فالقطامى يقلد فيها التراث القديم أيضاً ـ دون تفريق بين شاعر وشاعر ـ فى أنه يستخدم لصوره وأخيلته العناصر التى استخدمت فى الشعر الجاهلى من التشبيه والاستعارة والكناية، وقد رأيناه فى الصور التى وصف بها ناقته متأثراً بزهير والنابغة والأعشى حين يشبهها بوحشية قد اختلس السباع ولدها أو بثور وحشى فى معركة بينه وبين كلاب الصيد، وواضح تمام الوضوح أنه يحذو حذو هؤلاء الشعراء فى رسم تلك الصور وإن كان له طابعه الذى يمكن أن يميزه به عمن سواه، وقد رأيناه فى تشبيهاته وصوره الغزلية يتبع الشعر القديم فمقاييسه الجمالية تقليدية.. ريق حبيبته كماء الغمام، وهى كبيضة الظليم، وأسنانها كالبرد، وحين يرسم لها صورة فيشبهها بدرة الغواص العزيزة نجد هذه الصورة فى الشعر القديم عند الأعشى. وأما من حيث الصياغة فقد رأينا من سماته التدفق والسلاسة والرقة، وهو بذلك يحقق القول بأن هذه الرقة والسلاسة سمة من سمات شعراء ربيعة فهو بذلك يتبع أصوله من الشعراء، ويبدو فى شعره الانتخاب والاختيار، والتنقيح والتهذيب، وهذه خصائص عبيد الشعر كالنابغة وزهير وأشباههما مما يجعلنا نقول إن القطامى فى هذه الناحية من مدرسة هؤلاء.

أما من ناحية الأهداف التى استهدفها القطامى فى شعره فقد نستطيع أن نقول إنها أهداف قبلية إلى جانب الأشياء التقليدية، وفى الجاهليين شعراء كثيرون نصبوا أنفسهم للدفاع عن القبيلة، ومن أصول القطامى بالذات مهلهل ابن ربيعة وعمرو بن كلثوم، فهل تأثر القطامى فى نهجه الشعرى القبلى بهؤلاء؟ محتمل أن يكون هذا صحيحاً، والاحتمال الأقرب إلى الذهن أن ظروف الحياة نفسها هى التى فرضت على القطامى أن يكون شعره فى خدمة

القبيلة، وساعد على ذلك أن كان أسلافه من الشعراء أبناء قبيلته يجندون أنفسهم لهذا الغرض، فلو أننا افترضنا أن تغلب كانت تعيش فترة من السكون والاستقرار وعدم الحروب فى المدة التى عاش فيها القطامى لأمكن أن نتصور شاعرنا على غير النحو الذى وجدناه عليه.

هل معنى هذا أن القطامى لم يتخذ لنفسه أستاذا معينا يترسم خطاه ويسير فى الشعر على منواله، وإنما اتخذ من الشعراء الأقدمين جميعاً أساتذة له، كلٌ فيما يوافق هواه، وتتلمذ على التراث كله لا على شاعر بعينه؟ نحسب أن ذلك أقرب إلى الصواب، وثمة شيء آخر يلح على الخاطر فى هذا المجال.. لقد ذكرنا أن الأخطل المعاصر للقطامى أكبر منه سناً، وذكرنا أنه كان لسان تغلب وممثلها لدى الحاكمين، وقد ترتب على ذلك أن اشتهر شهرة من شأنها أن يتطلع إليها من هم أدنى منه منزلة، وحين كان الأخطل شاعرا مشهورا كان القطامى ما يزال شاديا فى قول الشعر، ويحدث كثيراً أن يتتلمذ شخص على شخص آخر من ذويه أكبر منه سناً وأوسع شهرة، وقد رأينا عناصر الشعر وطريقة البناء الفنى والروح العامة لدى القطامى تكاد تتفق فى القبيلة على حساب توسع الأخطل فى أغراض أخرى كما اتضح من الموازنة بينهما، وذلك يدعونا إلى أن نضيف إلى ما قررناه أن القطامى كان يتطلع إلى منزلة الأخطل وشهرته الشعرية، ويسعى إلى أن يحتل مكانه ولو بعد موته فيصير شاعر قبيلته، وقد حدا به هذا إلى أن يقفو خطاه فى فنه، فهو متأثر به إلى حد كبير فى هذا المجال.

هل للقطامى مدرسة وتلاميذ؟

لا، لم يكن القطامى صاحب مدرسة خاصة، ولا كان له تلاميذ؛ وذلك لأنه ـ كما حكمنا عليه ـ كان عضوا فى مدرسة الشعر التقليدى متأثرا بأساتذة الشعر

الجاهلي وبالأخطل بصفة خاصة، فإن وجد على مثاله شاعر ممن أتوا بعده فإنه يدين باتجاهه للمدرسة كلها لا للقطامي ولا لغيره ممن يمثلون هذا الاتجاه.

وفوق ذلك فإن أحوال العصر بدأت في التغير منذ بداية القرن الثاني الهجري حين كان القطامي ـ من الناحية الفنية على الأقل ـ يودع الحياة، وقد شمل هذا التغير الجوانب السياسية والاجتماعية والفكرية، فأما من ناحية السياسة فقد تسرب الضعف إلى الخلفاء الحاكمين، وفعل الترف والعصبية القبلية والجنسية فعلهما في الدولة مما سهل على الدعوة العباسية أن تسري سريان النار في الهشيم وتقوض أركان الدولة الأموية، وبذلك تغير وجه السياسة تمامًا، وأما من الناحية الاجتماعية فقد قوي عنصر الموالي وكثر امتزاجه بالعرب، وبذلك تغيرت ملامح المجتمع العربي الخالص التي كنا نراها في العهد السابق، وفي الناحية الفكرية بدأت بذور اللقاح الثقافي الأجنبي تؤتي أكلها، وهبت ريح جديدة من تراث الأمم التي فتحها المسلمون كونت مع الفكر العربي فكرا جديداً.

حدث هذا في مفتتح القرن الأول واشتد مع الزمن بحيث لم يأتِ العصر العباسي حتى كان وجه الحياة قد تغير تماماً.

وإذا كان الأدب نتاجاً سياسياً اجتماعياً فكرياً فإن الجيل الناشئ بعد القطامي واجه حياة تختلف في مقوماتها الأساسية عن الحياة التي كانت موجودة في الجيل السابق، ومن ناحية أخرى خملت بعض المظاهر الشعرية بخمول دواعيها كمدرسة الشعر القبلي التي حمل لواءها الفحول من أمثال الفرزدق والأخطل وجرير والقطامي، وإن كان الثلاثة الأول قد انحرفوا بها إلى ناحية الهجاء وبقي صاحبنا القطامي محافظاً عليها في صورتها القبلية الصافية.

وهذه التغيرات الجوهرية في خط سير الحياة هي التي وجهت الشعر والأدب وجهة أخرى، وجعلتنا نلتمس أثر القطامي أو أثر المدرسة التي ينتمي إليها فيمن أتى بعده من الشعراء فلا نكاد نجده.

الهوامش :

(١) ديوان الأخطل ٣٧١، ٣٧٢.
(٢) راجع أغانى دار الكتب ٨: ٢٩٦، ٢٩٧.
(٣) ديوانه ٢٤١.
(٤) ط دار الكتب ٨: ٢٨٣.
(٥) المرجع السابق ٨: ٢٨٤.
(٦) المرجع السابق والصفحات.
(٧) المرجع السابق ٨ : ٢٨٧، ٢٨٨.
(٨) ديوانه ١٣٦.
(٩) ديوانه ٢.
(١٠) راجع كمثال لذلك ديوان الأخطل ١١٧.
(١١) ديوانه ١٢١.
(١٢) ديوانه ١١.
(١٣) ديوانه ١٠٥.
(١٤) ديوانه ٦٤.
(١٥) راجع ديوانه ١٥١، ٢٨٨، ٣١٥، ٣١٩ ففيها أمثلة على ما نقول.
(١٦) راجع مقدمة شعراء النصرانية (القسم الإسلامى)، وراجع ترجمة الأخطل فى نفس القسم.
(١٧) ديوانه ٢٨٩.
(١٨) نبه ابن قتيبة (الشعر والشعراء (السقا) ١٩٣) على أن القطامى أخذ معناه من الأخطل.
(١٩) ديوانه ٤٢.
(٢٠) ديوانه ٢٤٠.
(٢١) ديوانه ٢٦٢.
(٢٢) ديوانه ٢٠٢.
(٢٣) ديوانه ١١٨.
(٢٤) ديوانه ٣١٧.
(٢٥) ديوانه ١٠٥.

(٢٦) يلاحظ أن طرفة قال:

فــإن القـــوافى يتلجن مـــوالجـــا تضـــايق عنهـــا أن تولجـــهـــا الإبر

(ديوان المتلمس ليبسج ١٧٣).

(٢٧) ديوان الأخطل ١١٣ وما بعدها.

(٢٨) راجع وفاة الفرزدق فى ترجمة جرير (وفيات الأعيان) (محيى الدين).

(٢٩) راجع وفيات الأعيان ٥ : ١٣٩، وراجع الفرزدق لممدوح حقى ٢٧ وما بعدها (المعارف).

(٣٠) ديوانه ١٥، ٥١٣، ٥١٤.

(٣١) راجع مقدمات القصائد فى ديوانه، وراجع ٧٠٤.

(٣٢) ديوانه ٧٤٦.

(٣٣) ديوانه ٢٢٩، ٢٣٠.

(٣٤) ديوانه ٢٨.

(٣٥) ديوانه ٤٨٥، ٨٧٠.

(٣٦) ديوانه ٢٠٣، ٤٧٦.

(٣٧) ديوانه ٥٠٢.

(٣٨) ديوانه ٢٦.

(٣٩) ديوانه ٢٨٠، ٨١١.

(٤٠) ديوانه ٥٠٨.

(٤١) ديوانه ٤٦.

(٤٢) ديوانه ٥٨١.

(٤٣) ديوانه ٤٦، ١٥٠.

(٤٤) ديوانه ٥٥١، ٥٥٢.

(٤٥) ديوانه ٨٣٥.

(٤٦) ديوانه ٢٥٩.

(٤٧) ديوانه ٨٣٦.

(٤٨) ديوانه ٣٤٩.

(٤٩) ديوانه ٨٩.

(٥٠) ديوانه ٦١٨.

(٥١) ديوانه ٢٨٠.

(٥٢) ديوانه ٢٨٢.

(٥٣) ديوانه ٢٢٥.

(٥٤) ديوانه ٢٦٨.

(٥٥) ديوانه ٥٢٩.

(٥٦) ديوانه ٢٤٦، ٥٠٩، ٨٠٧.

(٥٧) ديوانه ٢٧٠، ٧٦٤، ٨٨٥.

(٥٨) ديوانه ٦٧٤، ٦٧٦.

(٥٩) ديوانه ٣٤٥.
(٦٠) راجع رأى الأستاذ ممدوح حقى فى رثاء الفرزدق (الفرزدق ٣٧ وما بعدها).
(٦١) ديوانه ١٠.
(٦٢) ديوانه ١٩٣.
(٦٣) ديوانه ٨٨.
(٦٤) راجع كمثال لذلك ديوانه ٣٣٠.
(٦٥) ديوانه ٧٠١.
(٦٦) أغانى ساسى ١٩: ٤٨.
(٦٧) ديوانه ٢٢٩، ٢٣٠.
(٦٨) ديوانه ٣٠.
(٦٩) ديوانه ٣٩٥.
(٧٠) ديوانه ٤٥١.
(٧١) ديوانه ٦٨٢.
(٧٢) ديوانه ٧٧٣.
(٧٣) ديوانه ٤٥٥، ٤٥٦.
(٧٤) ديوانه ٨.
(٧٥) ديوانه ٤٩١.
(٧٦) ديوانه ٣٨٤.
(٧٧) ديوانه ٣٥.
(٧٨) ديوانه ٥٣٤.
(٧٩) ديوانه ٣٨٥.
(٨٠) ديوانه ٣٨١.
(٨١) ديوانه ٤٥١، ١١١، ١١٢.
(٨٢) ديوانه ٢٥٠، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٣٠٠.
(٨٣) ديوانه ٩٦.
(٨٤) ديوانه ٢٧٤.
(٨٥) ديوانه ٤٣١.
(٨٦) ديوانه ٩٠، ٩١، ٣٩.
(٨٧) ديوانه ٢٤٣.
(٨٨) ديوانه ٩٠، ٩١.
(٨٩) راجع (جرير ونقائضه مع شعراء عصره للدكتور الكفراوى (النهضة)، جرير لمحمد إبراهيم جمعة).
(٩٠) ديوانه ٣٤٣.
(٩١) ديوانه ١٩٩.
(٩٢) ديوانه ٥٠١.
(٩٣) ديوانه ١٠.
(٩٤) ديوانه ١٨، ٦٥، ٤٤٨ وغيرها.

(٩٥) ديوانه ١٦ .

(٩٦) ديوانه ٢١٧ .

(٩٧) ديوانه ٥٥١ .

(٩٨) ديوانه ٣٣ .

(٩٩) ديوانه ١٦٩ .

(١٠٠) ديوانه ٢٥٣ .

(١٠١) ديوانه ٤١٩، ٤٧٨، ٥٣٨، ٥٩٥، ٥٩ .

(١٠٢) ديوانه ٣٥٤ .

(١٠٣) ديوانه ١٦٠ .

(١٠٤) ديوانه ٥٧٠ .

(١٠٥) ديوانه ٤٣٠ .

(١٠٦) راجعها فى ديوانه ٤٠٧ .

(١٠٧) ديوانه ١٩٩ .

(١٠٨) ديوانه ٤٣٠ .

(١٠٩) راجع ديوانه ٣٨، ٤٣١، ٤٦٢ .

(١١٠) ديوانه ٨٧ .

(١١١) ديوانه ١٣٨ .

(١١٢) ديوانه ٥٣٣، ١٣٩ .

(١١٣) طبقات فحول الشعراء ـ ابن سلام ـ شاكر ٤٥٣ وما بعدها.

(١١٤) معجم الشعراء ـ المرزبانى ـ كرنكو ٢٤٤، ٢٤٥ .

(١١٥) أغانى ساسى ٢٠ : ١١٨ وما بعدها.

(١١٦) تاريخ دمشق ـ ابن عساكر ٢٥ : ٢٨٨ وما بعدها (مخطوط) .

(١١٧) أغانى ساسى ٣ : ١٢٥، وفى العمدة ١ : ١٩٢ (محيى الدين) مثل هذا الكلام.

(١١٨) أغانى ساسى ٢٠ : ١١٨ وما بعدها.

(١١٩) المرجع السابق والصفحات، وفى الموشح (السلفية) ١٤٦، ١٤٧ نسب هذا القول لعبد الملك بن مروان.

(١٢٠) الشعر والشعراء (السقا) ٢٧٧ .

(١٢١) تاريخ دمشق (ابن عساكر) ٢٥ : ٢٨٨ وما بعدها (مخطوط)، وراجع شرح شواهد المغنى للسيوطى (البهية) ١٥٦ .

(١٢٢) شرح الحماسة ١ : ٣٢٨ ط حجازى.

(١٢٣) المثل السائر (بولاق) ٤٠٥ .

(١٢٤) تاريخ دمشق ٢٥ : ٢٨٨ وما بعدها.

(١٢٥) الإمتاع والمؤانسة ١ : ٢٢، ٢٣ التأليف والترجمة.

(١٢٦) معاهد التنصيص ٨٧ دار الطباعة المصرية.

(١٢٧) الكامل ١ : ٣٧ (الاستقامة) .

(١٢٨) شعراء النصرانية (القسم الإسلامى) ٩٥ .

(١٢٩) النابغة الذبيانى ط ثانية ٦٨ دار الفكر العربى.

(١٣٠) فجر الإسلام ١٠ ط ثانية.
(١٣١) ناقشنا هذه المسألة فى نسب القطامى.
(١٣٢) تاريخ الشعر السياسى (الاعتماد) ٢٥٦، ٢٥٧.
(١٣٣) شعر الحرب فى أدب العرب (دار الفكر) ٩٠ وما بعدها.
(١٣٤) الشوامخ (الحلقة الثانية) ١١٢.

خاتمة :

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب فى سبعة فصول، وقد حددت فى المقدمة موضوع البحث وكان دراسة عصر القطامى من نواحيه المختلفة، ودراسة حياته فى بيئته الخاصة، ثم تحقيق ديوانه ودراسة شعره وبيان منزلته بين شعراء عصره ورأيى فيمن تأثر به من الشعراء السابقين وفيما إذا كان له مدرسة وتلاميذ، وبينت دواعى اختيارى للموضوع والصعاب التى واجهتها واستخدام المصادر والمراجع، وفى التمهيد تكلمت عن الشعر قبل القطامى وطبيعته من الناحية الموضوعية وكيف مثل الحياة الجاهلية فى العصر الجاهلى مع بيان خصائص هذا الشعر من ناحية الخيال والألفاظ والأساليب، وتحدثت عن ضعف الشعر فى العصر الإسلامى مع بيان دواعى هذا الضعف وكيف أن أثر الإسلام لم يظهر فى هذا الشعر، وكيف استمر على ضعفه حتى جاء عصر بنى أمية فنهض من جديد.

وكان موضوع الباب الأول عصر القطامى وحياته، وفى الفصل الأول من هذا الباب ـ وكان عنوانه عصر القطامى ـ تناولت عصره من نواحيه المختلفة سياسية واجتماعية وعقلية فتكلمت فى الفقرة الأولى عن الحياة السياسية منذ عهد معاوية حتى عهد عمر بن عبد العزيز مبينا الحالة فى عهد كل خليفة وأسلوبه فى الحكم، وكنت حريصًا على جلاء نقاط من أهمها نوع الحكم

الأموى وكيف كان ملكاً عضوضاً، والثورات والقلاقل التى سببها هذا الحكم كرد فعل طبيعى لضغط الملك، ثم احتدام العصبية القبلية وانفجارها بشكل رهيب منذ «مرج راهط» وأثر ذلك فى نشوب الحروب بين القبائل وما تبعه من إنتاج شعرى موسوم بالطابع القبلى الذى كان شعر القطامى يمثل جانباً هاماً منه، وفى الفقرة الثانية تكلمت عن الحياة الاجتماعية فحددت بيئات المجتمع الأموى وأعطيت عن كل بيئة فكرة موجزة، ثم تكلمت عن طبقات المجتمع الأموى من حكام وسراة وطبقة عامة وموال وحددت نظرة كل طبقة إلى الطبقة الأخرى وموقفها منها، وبينت مدى مشاركة كل طبقة فى الحياة العامة، وكانت الفقرة الثالثة تتكون من نقطتين رئيسيتين: الأولى الحياة الأدبية، والثانية الحياة العلمية أو العقلية، وقد بينت فى النقطة الأولى بإسهاب العوامل التى نشطت الأدب والشعر فى العصر الأموى وأعادته إلى عصره الذهبى قبل الإسلام، وكان من أهم هذه العوامل الثروة وتشجيع الحكام من خلفاء وولاة، والمجالس التى كانت تعقد للأدب فأخصبته وأثرته، ثم إحياء العصبيات القبلية التى كانت مادة لأشعار كثيرة كونت مجموعة من الدواوين، وذكرت أن صوت الشعر قد طغى فى هذه الفترة، ثم حددت طبيعة الشعر فى كل بيئة فتكلمت عن الشعر الغزلى - بقسميه العذرى واللاهى - فى الحجاز، وبينت الأسباب التى جعلت الشعر الحجازى شعرا غزليا، وعن شعر المديح فى بلاد الشام وكيف كان شعرا وافدا ومدى الصدق الفنى والنفسى فى هذا الشعر، وعن الشعر الحزبى فى العراق والأحزاب المختلفة - الذى كان مرآة لها وصدى لنظرياتها - من خوارج وشيعة وزبيرية، وعن شعر العصبيات فى بادية العراق الذى كوّن النقائض، وقد اكتفيت فى هذا المجال بكلمة عن النقائض: ما هى؟، وكيف نشأت؟، وخصائصها، وذكرت رأيى فيها من الناحيتين الخلقية والفنية. وفى النقطة الثانية تكلمت عن بدء التدوين فى هذا العصر وأوليات المدونات،

ووضحت نوع العلوم التى كانت تدون من علوم القرآن والسير والمغازى والتاريخ، والحركة العلمية التى مثلها خالد بن يزيد، ثم قلت إن التأثيرات الأجنبية كانت قليلة فى تلك الفترة؛ وذلك لأن حركة الترجمة لم تكن قد اتسعت بعد، وقلت إن الحياة العقلية والعلمية لم تكن متسعة وشاملة فى ذلك الوقت، وتحدثت عن دور الموالى فى الحركة العلمية وكيف كان دوراً فعالاً والدواعى التى حدت بالموالى إلى القيام بهذا الدور، وتحدثت عن كبار العلماء من الموالى وأثرهم فى هذه الحياة فى الأمصار الإسلامية.

وعقدت الفصل الثانى من هذا الباب للقطامى فى بيئته الخاصة، فحققت اسمه ونسبه ولقبه وكنيته، وتكلمت عن نسبه من جهة أمه داحضا القول الشائع من أنه ابن أخت الأخطل، ثم كان لابد لى من الحديث عن قبيلته فخصصت صفحات لدراسة تغلب فى الجاهلية والإسلام، وبما أن الناحية الحربية هى السمة الظاهرة لهذه القبيلة فقد اتخذتها إطاراً عامًا للحديث عنها غير مغفل أماكن هذه القبيلة ومكانتها وديانتها فى الجاهلية والإسلام، وبينت تطور هذه القبيلة من خلال حروبها حتى وصلت إلى عصر القطامى، ثم تحدثت عن عقيدته فناقشت القائلين بنصرانيته وأثبت إسلامه بالمنطق العقلى ومنطق النصوص التى بين يدى، وفى الحديث عن أخلاق الشاعر اعتمدت على شعره فقط؛ لأننى لم أجد أحداً تناول هذه الناحية من قريب أو بعيد فاستخلصت منه حبه للسلام ووفقت بين هذا وبين تمجيده لحروب القبيلة واشتراكه فيها، وتحدثت عن وفائه واعترافه بالجميل، وقد كان شعره فى زفر بن الحارث على الخصوص مرجعى فى ذلك، وذكرت أن من أخلاقه حرصه على الأصدقاء وخشونته على الأعداء، وشجاعته وكرمه، ثم بينت أنه لم يكن متدينا ناسكا، وفى النهاية ذكرت كلمة قصيرة فى تقويمه من الناحية الخلقية. وعرضت فى هذا الفصل لاتصاله بالناس فذكرت من مدحهم ومن هجاهم مبينا طبيعة

علاقته بكلٍّ من هؤلاء، وعرضت لاتصاله بالحياة واشتراكه فيها بانفعال فهو يشارك في حروب قومه مشاركة مادية حتى يؤسر. ثم حققت مولده ووفاته وإن لم أستطع أن أصل فيهما إلا إلى حكم تقريبى. وفى نهاية الفصل تكلمت عن بيئة الشاعر الطبيعية هناك فى الجزيرة حيث عاش، وبينت أن البادية التى عاش فيها لم تكن ممحلة كما قد نتصور فقد كان يجرى بها عدة أنهار ولا يخلفها السيل وعده فى أغلب الأحيان. وقد ألحقت بهذا الفصل رسما جغرافيا حددت عليه منازل تغلب بعد الإسلام حيث عاش القطامى.

أما الباب الثانى فقد خصصته للنص، وهو فى فصلين: الأول بعنوان ديوان القطامى، وقد تكلمت فيه عن نسخ الديوان، وأطلت الكلام عن النسخة الأم التى استحضرتها من ألمانيا مبيناً حالتها وتاريخها والأسباب التى دعتنى إلى اتخاذها أصلا فى التحقيق، وتكلمت عن نسخة دار الكتب من النواحى السابقة ذاكراً الدواعى التى جعلتنى أتخذها نسخة مساعدة، وبعد ذلك مررت على بقية النسخ المخطوطة والمصورة مروراً عابراً مبينا عدم جدواها فى التحقيق؛ لأنها منقولة أو مصورة عن النسختين السابقتين. ثم تكلمت عن النسخة المطبوعة ذاكراً تاريخها ومحققها مبينا قيمتها العلمية، وقارنت بين هذه النسخة وبين النسختين المخطوطتين اللتين حققت عنهما وخرجت بملاحظات تقرب من المائة أثبتها كدواع تدعونى إلى إعادة تحقيق النص، وقد أضفت إليها ملاحظات أخرى تجعل إعادة تحقيق الديوان ضرورة مثل تعليقات المحقق وعدم ملاءمتها للقارئ العربى، ومثل خلو الديوان من الفهارس، وعدم اشتماله على كل شعر القطامى الذى وجدت منه كمية فى كتب الأدب لم ترد فى الأصول. وتكلمت بعد ذلك عن صانع الديوان وهل هو أبو سعيد السكرى؟، وقد استعرضت الأقوال والاحتمالات التى تحيط بهذه النقطة، وانتهيت إلى شيئين: الأول: ترجيح أن

صانع الديوان هو أبو سعيد السكرى، والثانى: اعترافى بنقص هذه النقطة لأن هناك سؤالا بقى من غير جواب هو أى النسختين صنعها أبو سعيد؟. ثم تكلمت كلاماً مختصراً عن منهجى فى التحقيق أنهيت به هذا الفصل.

واشتمل الفصل الثانى على النص محققا حسب المنهج الذى وضحته من مقارنة النسخ وتخريج الشعر وضبط النص وإضافة ملحق بالأشعار التى لم ترد فى الأصول وتزويد الديوان بالفهارس المفصلة.

وأما الباب الثالث فكان موضوعه شعر القطامى، وقد اشتمل على ثلاثة فصول الأول عن أغراض الشعر لدى القطامى حيث تحدثت عن كل غرض حديثا مركزا مبينا معالمه الرئيسية وطريقة معالجة الشاعر له، وتكلمت عن اختلاف اهتمام القطامى بأغراضه من ناحية الكم مرتبا هذه الأغراض، ومن ناحية الكيف معيدا ترتيبها، ووجدت هناك أغراضا شعرية لم يطرقها الشاعر - حسب تقسيم ابن رشيق - فالتمست الأسباب المحتملة لهذا الترك.

وكان الفصل الثانى تحليلاً فنياً لشعر القطامى حيث عرضت كل غرض شارحا له مبينا الأفكار التى اشتمل عليها، وتحدثت عقب عرض كل غرض عن مستوى المعانى التى طرقها ونصيبها من الأصالة أو التقليد، وخيال الشاعر ونوعه والصور التى رسمها وجذورها فى الشعر القديم، والناحية الشكلية من الألفاظ والأساليب والموسيقى الشعرية ونوعها. وألحقت بهذا الفصل الخصائص العامة لشعر القطامى من النواحى المختلفة التى تحدثت عنها سابقاً، والحق أن هذا الفصل دراسة فنية خالصة أعتز بها.

وأما الفصل الثالث فكان تقويما عامًا للقطامى قارنت فيه بينه وبين فحول عصره لأنه يتفق معهم فى المنهج الشعرى، فعقدت مقارنة بينه وبين الأخطل متحدثا عن حياة كل منهما وشعره فى أغراضه المختلفة موازنا بين شعر

الشاعرين من الناحية الفنية ومدى تفوق أحدهما أو تخلفه عن الآخر متبعا ذلك بكلمة عامة تلخص رأيى فى منزلة كل منهما من الآخر عارضًا بعض النماذج التى اتفق فيها الشاعران. وقد تبعت نفس النهج فى الموازنة بين القطامى وبين الفرزدق، وبينه وبين جرير، ثم ذكرت كلمة عابرة عن نتيجة هذه الموازنة. وفى هذا الفصل عرضت لآراء الباحثين قدامى ومحدثين فى القطامى، وكانت أظهر من أن تحتاج إلى تعليق، وقد امتازت آراء الأقدمين بصفة عامة بأنها جزئية، وامتازت آراء المحدثين بأنها تنظر إلى القطامى كشاعر بدوى يمثل شعره الحياة البدوية التى تعتمد على الغارة كأساس للعيش، وكانت هذه الآراء كلها فى النهاية لا تعطى فكرة ولو محدودة عن الشاعر، وهكذا لم يحظ القطامى باهتمام الناس اهتمامًا يلقى عليه أضواء كافية. وفى نهاية هذا الفصل تحدثت فى نقطتين: الأولى بعنوان «بمن تأثر من الشعراء السابقين؟»، وقد قدمت لها بالنواحى التى يمكن أن يتأثر فيها شاعر بشاعر، انتهيت فيها إلى أن القطامى لم يتتلمذ على شاعر بعينه وإنما تتلمذ على التراث القديم كله، واتسم شعره من ناحية الأسلوب بالسلاسة والرقة شأن شعراء ربيعة، وقد كان الأخطل - باعتباره من قبيلته ويسبقه فى الزمن - نموذجًا حاول القطامى أن يحتذيه. وأما النقطة الثانية فكان عنوانها «هل للقطامى مدرسة وتلاميذ؟»، وقد نفيت ذلك؛ لأن العصر بعد القطامى قد اختلف وضعه، ودخلت فيه تيارات وعناصر جديدة شكلت الشعر وخفت صوت المدرسة القبلية التقليدية التى كان القطامى عضواً فيها.

هذه هى الخطوط العامة للبحث، وأرجو أن أكون قد وفقت فيما هدفت إليه، ولا أريد أن أعدد النقط الجديدة التى اشتمل عليها هذا البحث أو النتائج التى وصلت إليها فيه فقد اشتملت عليها هذه الخاتمة الموجزة، وحسبى أن أقول إننى قد كتبت بحثا مستفيضاً فى الشاعر القطامى للمرة الأولى فى العربية، ودرست شعره دراسة فنية لم يسبقنى إليها أحد، وبحثت حياته الغائمة بحثًا أتاح لى

تصحيح بعض المعلومات التى اعتقدت بطلانها، وأخرجت ديوانه فى صورة أقرب إلى الكمال وأدنى إلى تحقيق الفائدة العلمية.

ولى فى نهاية هذه الكلمة اقتراحان:

أولهما:

أننى أدعو الدارسين إلى تحقيق النصوص الأدبية تحقيقاً علميا؛ لأن دراسة نص غير محقق واستنتاج حقائق أدبية وتاريخية واجتماعية منه أمر فى غاية الخطر والخطأ، وأدعوهم كذلك إلى إعادة النظر فى دواوين الشعراء التى طبعت فى أوروبا وإخراجها إخراجا عربيا فذلك هو الوضع الطبيعى للمسألة بعد أن فهمنا نحن الشرقيين ما هو التحقيق العلمى.

وثانيهما:

أننى أنعى على الباحثين الإصرار على سلوك الطريق المعبد فى أغلب الأحيان، وتوالى الدراسات فى شعراء الصف الأول دون نظر إلى سواهم من الشعراء الذين قد يمثلون فى تاريخ الأدب وتاريخ الفن ظواهر هامة توازى - إن لم تزد فى بعض الأحيان - الظواهر التى يمثلها شعراء الصف الأول، وأدعوهم إلى دراسة هؤلاء المغمورين ففيهم وجه عصرهم وحياته وأحداثه، وهم بهذه الصفة يمثلون جانباً ستظل الدراسات الأدبية - إن لم تتدارك نفسها بدراستهم - ناقصة.

أما بعد:

فإننى أحمد الله كفاء ما وفق وأعان.

المراجع والمصادر :

(أ) في البحث :

نذكر هنا المراجع والمصادر التي اقتبسنا منها في البحث، ونترك مراجع ومصادر أخرى استفدنا منها ووردت بالهامش حتى لا نطيل هذا الثبت دون داع:

١ـ **أحسن التقاسيم** للمقدسي (ط أوروبا) .
٢ ـ **أدب الخلفاء** الأمويين للدكتور عبد الرزاق حميدة (الأنجلو) .
٣ ـ **الأعلام** لخير الدين الزركلي (المطبعة العربية بمصر) .
٤ ـ **الأغاني** لأبي الفرج الأصفهاني (ساسي ودار الكتب) .
٥ ـ **الإمامة** والسياسة لابن قتيبة (ط الحلبي) .
٦ ـ **الإمتاع** والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (التأليف والترجمة والنشر) .
٧ ـ **الأنساب** للسمعاني (ط حجر بلندن) .
٨ ـ **أنساب** الأشراف للبلاذري (ط الجامعة العبرية) .
٩ ـ **البداية** والنهاية لابن كثير (ط السعادة) .
١٠ ـ **البلدان** لابن الفقيه (ط أوروبا) .
١١ ـ **البيان** والتبيين للجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون (الحلبي) .
١٢ ـ **تاريخ** ابن خلدون (ط بولاق) .
١٣ ـ **تاريخ** آداب اللغة العربية للأستاذ جورجي زيدان (ط ثالثة الهلال) .
١٤ ـ **تاريخ** الآداب العربية لنالينو (المعارف) .
١٥ ـ **تاريخ** دمشق لابن عساكر (مخطوط بدار الكتب المصرية) .
١٦ ـ **تاريخ** الإسلام للذهبي (القدسي) .
١٧ ـ **تاريخ** الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن (ط أولى حجازي) .
١٨ ـ **تاريخ** الشعر السياسي للأستاذ أحمد الشايب (ط الاعتماد) .
١٩ ـ **تاريخ** الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري للدكتور نجيب محمد البهبيتي (ط دار الكتب) .
٢٠ ـ **تاريخ** الشعوب الإسلامية لبروكلمان ترجمة منير بعلبكي ونبيه فارس (ط دار العلم) .
٢١ ـ **تاريخ** العرب قبل الإسلام لجواد علي (ط المجمع العلمي العراقي) .

٢٢ - تاريخ الأمم والملوك للطبرى (ط الاستقامة وأوروبا) .
٢٣ - تاريخ النقائض للأستاذ أحمد الشايب (ط الاعتماد) .
٢٤ - التطور والتجديد فى الشعر الأموى للدكتور شوقى ضيف (ط ثانية المعارف) .
٢٥ - تهذيب تاريخ ابن عساكر لعبد القادر أفندى بدران (ط روضة الشام) .
٢٦ - جرير للدكتور محمد إبراهيم جمعة (المعارف) .
٢٧ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم تحقيق ليفى بروفنسال (المعارف) .
٢٨ - جميل بثينة لعباس العقاد (من سلسلة اقرأ) .
٢٩ - حديث الأربعاء للدكتور طه حسين (الحلبى) .
٣٠ - حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل (ط دار الكتب) .
٣١ - خزانة الأدب للبغدادى (ط بولاق) .
٣٢ - دراسات فى الأدب الإسلامى للأستاذ محمد خلف الله أحمد (التأليف والترجمة والنشر) .
٣٣ - ديوان جرير تحقيق عبد الله الصاوى (ط الصاوى) .
٣٤ - ديوان الأخطل تحقيق الأب صالحانى (ط بيروت) .
٣٥ - ديوان عبد الله بن قيس الرقيات (ط أوروبا) .
٣٦ - ديوان الأعشى الكبير تحقيق الدكتور م. محمد حسين (مكتبة الآداب) .
٣٧ - ديوان عمر بن أبى ربيعة (ط مصر) .
٣٨ - ديوان الفرزدق تحقيق عبد الله الصاوى (ط الصاوى) .
٣٩ - ديوان القطامى تحقيق «برت» (ط أوروبا) .
٤٠ - سيرة ابن هشام تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (ط حجازى) .
٤١ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (ط القدسى) .
٤٢ - شرح الحماسة للتبريزى (ط حجازى) .
٤٣ - شرح شواهد المغنى للسيوطى (بهامش الخزانة) .
٤٤ - الشعراء الصعاليك للدكتور يوسف خليف (المعارف) .
٤٥ - شعراء النصرانية بعد الإسلام للأب لويس شيخو (ط بيروت) .
٤٦ - الشعر والشعراء لابن قتيبة (ط التجارية) .
٤٧ - شعر الحرب فى أدب العرب للدكتور زكى المحاسنى (دار الفكر العربى) .
٤٨ - الشوامخ للدكتور محمد صبرى (الحلقة الثانية - الشعر الجاهلى) .
٤٩ - صبح الأعشى للقلقشندى (ط دار الكتب) .
٥٠ - صفة جزيرة العرب للهمذانى (ط دار الكتب) .
٥١ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر (المعارف) .
٥٢ - عقد الجمان للعينى الحنفى (مصور بدار الكتب المصرية) .
٥٣ - العقد الفريد لابن عبد ربه (التأليف والترجمة والنشر) .
٥٤ - العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.
٥٥ - الغزل فى العصر الجاهلى للدكتور أحمد الحوفى (ط أولى) .
٥٦ - فتوح البلدان للبلاذرى (ط الموسوعات) .
٥٧ - فجر الإسلام لأحمد أمين (ط ثالثة التأليف والترجمة والنشر) .

٥٨ ـ الفرزدق للدكتور ممدوح حقى (المعارف) .
٥٩ ـ الفهرست لابن النديم (ط التجارية) .
٦٠ ـ فوات الوفيات لابن شاكر تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (ط السعادة) .
٦١ ـ الكامل للمبرد (ط التجارية) .
٦٢ ـ الكامل فى التاريخ لابن الأثير (ط أوروبا) .
٦٣ ـ كتاب بكر وتغلب (ط بومبى) .
٦٤ ـ كتاب الطبقات الكبير لابن سعد (ط أوروبا) .
٦٥ ـ كشف الظنون لحاجي خليفة (طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة فى مطبعتها البهية) .
٦٦ ـ اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير (القدسى) .
٦٧ ـ المؤتلف والمختلف للآمدى بعناية كرنكو (مع معجم الشعراء) القدسى.
٦٨ ـ المثل السائر لابن الأثير (ط بولاق) .
٦٩ ـ المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول للدكتور شكرى فيصل (الخانجى) .
٧٠ ـ محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية للشيخ الخضرى (ط خامسة) .
٧١ ـ محاضرات فى النصرانية للشيخ أبى زهرة (ط العلوم) .
٧٢ ـ المداخل لأبى عمرو الزاهد تحقيق محمد عبد الجواد (الأنجلو) .
٧٣ ـ مروج الذهب للمسعودى (ط أوروبا) .
٧٤ ـ المسالك والممالك لابن حوقل (ط أوروبا) .
٧٥ ـ مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد (المعارف) .
٧٦ ـ المعارف لابن قتيبة (ط العامرية) .
٧٧ ـ معاهد التنصيص للعباسى (دار الطباعة) .
٧٨ ـ معجم البلدان لياقوت (ط أوروبا) .
٧٩ ـ معجم الشعراء للمرزبانى بعناية كرنكو (مع المؤتلف والمختلف) القدسى.
٨٠ ـ المعجم العربى للدكتور حسين نصار (دار الكتاب العربى) .
٨١ ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور (ترجمة الدكتور زكى محمد حسن وآخر) (ط جامعة القاهرة) .
٨٢ ـ المغازى الأولى ومؤلفوها لهوروفتس ترجمة الدكتور حسين نصار.
٨٣ ـ المقدمة لابن خلدون (ط البهية) .
٨٤ ـ من تاريخ الحركات الفكرية لبندلى جوزى (ط القدسى) .
٨٥ ـ مهد العرب للدكتور عبد الوهاب عزام (من سلسلة اقرأ) .
٨٦ ـ الموالى فى العصر الأموى للأستاذ محمد الطيب النجار (ط دار النيل) .
٨٧ ـ الموشح للمرزبانى (ط السلفية) .
٨٨ ـ النابغة الذبيانى للأستاذ عمر الدسوقى (دار البيان) .
٨٩ ـ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للأب لويس شيخو (ط بيروت) .
٩٠ ـ نقائض جرير والأخطل لأبى تمام بتحقيق الأب صالحانى (ط بيروت) .
٩١ ـ نقائض جرير والفرزدق لأبى عبيدة معمر بن المثنى (ط أوروبا) .
٩٢ ـ نقائض جرير والفرزدق للدكتور محمد غناوى الزهيرى (بغداد) .
٩٣ ـ نهاية الأرب للنويرى (مصور بدار الكتب المصرية) .
٩٤ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (ط السعادة) .
٩٥ ـ وقعة صفين للمنقرى تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون (ط الحلبى) .

(ب) فى التحقيق :

ونذكر هنا أهم المصادر والمراجع فى التحقيق معيدين بعض الذى ذكرناه فى «أ»، وهذه الإعادة ليست تكراراً لأننا استفدنا مما نذكره هنا من زاوية غير الزاوية التى استفدنا منها فى البحث.

١ ـ أساس البلاغة للزمخشرى (ط دار الكتب).
٢ ـ الأشباه والنظائر (مخطوط بدار الكتب ٥٣٧ أدب)، الجزء الأول بتحقيق الدكتور سيد محمد يوسف).
٣ ـ إصلاح المنطق لابن السكيت (مخطوط بدار الكتب ٣٤١ لغة).
٤ ـ الأضداد لابن الأنبارى (ط الحسينية).
٥ ـ الأضداد لأبى الطيب اللغوى (مخطوط بدار الكتب ٣٨٩ لغة).
٦ ـ الأغانى (ساسى ودار الكتب).
٧ ـ الاقتضاب للبطليوسى (ط بيروت).
٨ ـ أمالى ابن الشجرى (ط دائرة المعارف العثمانية).
٩ ـ أمالى الزجاجى (ط السعادة).
١٠ ـ أمالى القالى (ط دار الكتب).
١١ ـ أمالى المرتضى (ط السعادة).
١٢ ـ أمثال العرب لأبى عبيد الله القاسم (مخطوط بدار الكتب ز ١٠٧٩٩).
١٣ ـ أنساب الأشراف للبلاذرى (ط الجامعة العبرية).
١٤ ـ الإيجاز والإعجاز للثعالبى (ضمن مجموعة رسائل ط الجوائب).
١٥ ـ البخلاء للجاحظ تحقيق طه الحاجرى (دار الكاتب المصرى).
١٦ ـ بلوغ الأرب للألوسى (ط دار السلام ببغداد).
١٧ ـ البيان والتبيين للجاحظ تحقيق السندوبى (ط الاستقامة).
١٨ ـ تاج العروس للزبيدى.
١٩ ـ تاريخ ابن عساكر (مخطوط بدار الكتب ٤٩٢ تاريخ).
٢٠ ـ تاريخ الإسلام للذهبى (القدسى).
٢١ ـ التصحيف والتحريف (الجزء الأول ط الظاهر) لأبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى.
٢٢ ـ التكملة والذيل والصلة للصغانى (مخطوط بدار الكتب ٣ لغة).
٢٣ ـ تكملة شعر الأخطل تحقيق الأب صالحانى (ط بيروت).

٢٤ ـ تكميل المرام لعبد القادر الفاسى (ط فاس) .
٢٥ ـ التمثيل والمحاضرة للثعالبى (مخطوط بدار الكتب ضمن مجموعة ٤٩٢ أدب) .
٢٦ ـ التنبيه والإفصاح لابن برى (مخطوط بدار الكتب ٨ لغة تيمور) .
٢٧ ـ تهذيب الألفاظ لابن السكيت شرح التبريزى (ط بيروت) .
٢٨ ـ تهذيب اللغةللأزهرى (مخطوط بدار الكتب ٩ لغة) .
٢٩ ـ جامع الشواهد لمحمد باقر بن على رضا (طبع حجر ١٢٨٨هـ) .
٣٠ ـ الجمهرة لابن دريد (ط حيدر آباد) .
٣١ ـ جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى (ط الرحمانية) .
٣٢ ـ جمهرة أشعار العرب لابن شبة (مخطوط بدار الكتب) .
٣٣ ـ جمهرة الأمثال للعسكرى (ط بومبى) .
٣٤ ـ جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (ط السعادة) .
٣٥ ـ حاشية الأمير على المغنى (ط الشرفية بمصر) .
٣٦ ـ حماسة البحترى (ط التجارية) .
٣٧ ـ الحماسة البصرية لصدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسين البصرى (مخطوط بدار الكتب ٥٢٠ أدب) .
٣٨ ـ حماسة ابن الشجرى (ط حيدر آباد) .
٣٩ ـ حماسة أبى تمام شرح التبريزى (ط حجازى) .
٤٠ ـ حماسة الخالديين (مخطوط بدار الكتب) .
٤١ ـ خزانة الأدب للبغدادى (ط بولاق) .
٤٢ ـ الخصائص لابن جنى تحقيق النجار (ط دار الكتب) .
٤٣ ـ الدرر اللوامع للشنقيطى (ط مطبعة كردستان العلمية بالجمالية) .
٤٤ ـ ديوان الأخطل تحقيق الأب صالحانى (ط بيروت) .
٤٥ ـ ديوان الأدب للفارابى (مخطوط بدار الكتب ٣٨٣ لغة) .
٤٦ ـ ديوان الأعشى تحقيق م. محمد حسين (مكتبة الآداب) .
٤٧ ـ ديوان امرئ القيس تحقيق السندوبى .
٤٨ ـ ديوان طرفة شرح الأعلم الشنتمرى (ط باريس) .
٤٩ ـ ديوان الفرزدق تحقيق الصاوى (ط الصاوى) .
٥٠ ـ ديوان المتلمس (ط أوروبا) .
٥١ ـ ديوان المعانى للعسكرى (ط القدسى) .
٥٢ ـ ذيل سمط اللآلى للميمنى (ط التأليف والترجمة والنشر) .
٥٣ ـ رسائل المعرى (ط اكسفورد) .
٥٤ ـ رسالتان لأبى حيان التوحيدى (ط الجوائب) .
٥٥ ـ رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطئ (ط أولى المعارف) .
٥٦ ـ روضة المحبين لابن قيم الجوزية (ط السعادة) .
٥٧ ـ زهر الآداب للحصرى تحقيق زكى مبارك (ط الرحمانية) .
٥٨ ـ الزهرة لابن أبى داود (ط بيروت) .

٥٩ ـ سر الصناعة لابن جنى (مصور بدار الكتب) .
٦٠ ـ سمط اللآلى لأبى عبيد البكرى تحقيق الميمنى (لجنة التأليف والترجمة والنشر) .
٦١ ـ شرح أبيات الإيضاح (مخطوط بدار الكتب ١٠٥ مجاميع) .
٦٢ ـ شرح أدب الكاتب لأبى منصور الجواليقى (القدسى) .
٦٣ ـ شرح التبيان للعكبرى تحقيق السقا وزملائه (ط الحلبى) .
٦٤ ـ شرح الحماسة للتبريزى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (ط حجازى) .
٦٥ ـ شرح ديوان كعب بن زهير (ط دار الكتب) .
٦٦ ـ شرح شواهد الأشمونى للعينى (ط المطبعة الكاستلية بالقاهرة) .
٦٧ ـ شرح شواهد إصلاح المنطق للسيرافى (مصور بدار الكتب ٤٦٢٥ أدب) .
٦٨ ـ شرح شواهد شذور الذهب للفيومى (ط العثمانية) .
٦٩ ـ شرح الشواهد الكبرى للعينى بها مش خزانة الأدب للبغدادى.
٧٠ ـ شرح شواهد الكشاف لمحب الدين أفندى.
٧١ ـ شرح شواهد المغنى للسيوطى (ط البهية) .
٧٢ ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكرى (مخطوط بدار الكتب ٥٧١ أدب) .
٧٣ ـ شرح مشكل أبيات المتنبى للمبارك الأربلى (مخطوط بدار الكتب ٥٧١ أدب) .
٧٤ ـ شرح المفضليات للأنبارى (ط بيروت) .
٧٥ ـ شرح مقامات الحريرى للشريشى (ط بولاق) .
٧٦ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (ط دار الكتب) .
٧٧ ـ شروح سقط الزند (ط دار الكتب) .
٧٨ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق السقا (التجارية) .
٧٩ ـ شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميرى (المطبوع منه الجزء الأول القسم الأول (الحلبى) والباقى مخطوط (٣٠ لغة) .
٨٠ ـ الصاحبى لابن فارس (ط السلفية) .
٨١ ـ الصحاح للجوهرى (ط الأميرية) .
٨٢ ـ صفة جزيرة العرب للهمدانى (ط أوروبا) .
٨٣ ـ الضرائر للألوسى (ط السلفية) .
٨٤ ـ الطبرى (أوروبا) .
٨٥ ـ طبقات الشعراء لابن سلام (ط السعادة) .
٨٦ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار فراج (المعارف) .
٨٧ ـ العباب للصاغانى (مخطوط بدار الكتب ١٤١ لغة) .
٨٨ ـ عبث الوليد للمعرى (مخطوط بدار الكتب ٣٩٤ أدب) .
٨٩ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه (ط الشرفية) .
٩٠ ـ العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.
٩١ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة (ط دار الكتب) .
٩٢ ـ غاية الأرب لابن سلمة (ط الجوائب) .
٩٣ ـ غرر الخصائص للوطواط (ط بولاق) .

٩٤ ـ غرر الفوائد ودرر القلائد للمرتضى (مخطوط بدار الكتب ٤٩٥ أدب) .
٩٥ ـ الغريب المصنف لأبى عبيد (مخطوط بدار الكتب ١٢١ لغة) .
٩٦ ـ الغيث المسجم فى شرح لامية العجم للصفدى (ط المطبعة الأزهرية) .
٩٧ ـ الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى (ط حيدر آباد) .
٩٨ ـ الفاخر لأبى طالب الكوفى (ط ليدن) .
٩٩ ـ فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل للعدوى بهامش شرح شواهد ابن عقيل للجرجاوى (ط مصر) .
١٠٠ ـ فتوح البلدان للبلاذرى (ط الموسوعات) .
١٠١ فقه اللغة للثعالبى (ط العمومية) .
١٠٢ ـ فوات الوفيات لابن شاكر تحقيق محيى الدين (مكتبة النهضة) .
١٠٣ ـ قواعد الشعر لثعلب (ط أوروبا) .
١٠٤ ـ الكامل للمبرد (ط الاستقامة) .
١٠٥ ـ الكامل والفاضل (مخطوط لم يعلم مؤلفه بدار الكتب ٢٣ أدب ش) .
١٠٦ ـ كتاب البحث لابن السكيت (مخطوط بدار الكتب ١٣٨ لغة تيمور) .
١٠٧ ـ كتاب سيبويه (ط بولاق) .
١٠٨ ـ كتاب الشاء للأصمعى (مخطوط بدار الكتب ٢٩٩ لغة) .
١٠٩ ـ كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى (ط الأستانة) .
١١٠ ـ كتاب للفرق للأصمعى (ط ڤينا) .
١١١ لباب الآداب لأسامة بن منقذ تحقيق أحمد محمد شاكر.
١١٢ ـ اللسان لابن منظور.
١١٣ ـ المؤتلف والمختلف للآمدى بعناية كرنكو (القدس) .
١١٤ ـ مبادئ اللغة للإسكافى (ط السعادة) .
١١٥ ـ المتون إلى شرح رسالة ابن زيدون للصفدى (مخطوط بدار الكتب ٢٤٨ أدب) .
١١٦ ـ مجالس ثعلب تحقيق عبد السلام هارون (المعارف) .
١١٧ ـ مجمع الأمثال للميدانى (ط بولاق) .
١١٨ ـ المجمل لابن فارس (مخطوط بدار الكتب) .
١١٩ ـ مجموعة المعانى (ط الجوائب) .
١٢٠ ـ محاضرات الأدباء للراغب الأصبهانى (ط الشرفية بمصر) .
١٢١ ـ مختارات (مخطوط بدار الكتب ١٨٤٥ أدب) .
١٢٢ ـ مختصر اختيار الشريف الرضى للأربلى (مخطوط بدار الكتب ١٥٠٠ أدب) .
١٢٣ ـ مختصر الأغانى لابن منظور (مصور بدار الكتب ٤٦٤٦ أدب) .
١٢٤ ـ المخصص لابن سيدة (ط بولاق) .
١٢٥ ـ مسالك الأبصار لابن فضل الله (مخطوط بدار الكتب ٨ معارف عامة) .
١٢٦ ـ مستقصى الأمثال للزمخشرى (مخطوط بدار الكتب ٩٥٤ أدب تيمور) .
١٢٧ ـ معاهد التنصيص للعباسى (ط دار الطباعة المصرية) .
١٢٨ـ معجم البلدان لياقوت (ط السعادة) .
١٢٩ ـ معجم الشعراء للمرزبانى تهذيب كرنكو (القدسى) .

١٣٠ ـ معجم ما استعجم للبكرى تحقيق السقا.
١٣١ ـ المعرب من الكلام الأعجمى للجواليقى (ط ليبسك).
١٣٢ ـ مقامات الزمخشرى (ط التوفيق).
١٣٣ ـ المقتضب للمبرد (مخطوط بدار الكتب ١٩٠٩ نحو).
١٣٤ ـ المنجد لكراع (مخطوط بدار الكتب ٢٣٤ مجاميع).
١٣٥ ـ الموشح للمرزبانى (ط السلفية).
١٣٦ ـ الموشى للوشاء (ط ليدن).
١٣٧ ـ نسب قريش للمصعب الزبيرى تحقيق ليڤى بروڤنسال (المعارف).
١٣٨ ـ نظام الغريب للربعى (ط هندية).
١٣٩ ـ النقائض (ط أوروبا).
١٤٠ ـ نهاية الأرب للنويرى (مطبوع منه بدار الكتب إلى الجزء الثامن عشر، والباقى مصور ٥٥٢ معارف عامة).

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة

الموضوعات	الصفحة

الموضوعات	الصفحة

الفصل الثالث
تقويم عام للقطامى

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٢٤٨ / ٢٠٠١

I . S . B . N 977 - 01 - 5748 - x

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب